

منهاج البلغاء وسراج الأدباء

صنعة

أبي الحسن حازم القرطاجني

المتوفى بتونس في 24 رمضان 684

23 نوفمبر 1285

تقديم وتحقيق

محمد الحبيب ابن الخوجة



دار الغرب الإسلامي

قبل قراءة هذا الكتاب لاتنس الصلاة على
الحبيب صلى الله عليه وسلم

ثم

اســـأل الله أن يغفر لأخيك
الفقير إلى رحمته

منهاج البلغاء وسراج الأدباء

ولمّا وقفتُ على قوانين هذا الكتاب ووعيتها وإن كان ترك التّمثيل لها، صار كلّ ما أقرأه وأنظر فيه من كلام بليغ أو بديع، يصير كلّه لي أمثلة لتلك القوانين

ابن القوبع

(رحلة ابن رشيد)

/ المنـــاهـج الأدبيّــة [1 – أ]

للإمام المحقّق ذي (1) الفصاحة السائغة والبلاغة البـالغة

أديب إفريقيّة أبـي الحسن حازم بن محمّد الأنصاري القرطاجنّي

قدّس الله روحه وبرّد ضريحه

---

1) بالأصـل ذو مقطوع الى الرفع .

المَعاني

/ بسم الله الرحمن الرحيم   صلّى الله على سيّدنا ومولانا محمد .   [1 – ب]

قال الإمام الحافظ البليغ الحجّة في مقام الأدب ومضماره حازم بن محمد القـرطاجنّي (1) .

* *

(..)

5 **أو منـافـرة لها (.............) إلى (...............) صحيـح (.......................) (2) .**

المنهج الأوّل في الإبانة عن ماهيات المعاني وأنحاء وجودها ومواقعهـا ، [والـ] تعريف بضروب هيئاتها و[جهات] التصرّف فيها وما تعتبر [بـه] أحوالها في جميـع ذلك ، من حيث تـكون [ملائمة] للنفوس أو منافرة لها .

أ – معلم [دالّ] على طرق [العلم بالمعاني] وحقائقها وأنحاء [النظر] فيها
10 **[وبما ينبغي] أن تعتبر به أحوالها ، من جهة ما يرجع إليها وما هو خارج [عنها] (...............) (3) هنالك موجودات خارجَ الذهن عن أمثلة لها وجود (...............) (4) وهي الهيئات النطقيّة .**

لمّا كانت المعاني إنّما [تتحصّل] في الأذهان عن الأمور الموجودة في الأعيان وكانت تلك [المعاني] إنّما تتحصّل في الذّهن بأعلام من العبارة

---

1) الأسطر الثلاثة مكتوبة بخط مغاير هو أحدث من الخط الذي كتبت به النسخة .

2) هذا كـل ما بقي من العنوان الأول المثبت بأعلى الصفحة في الأصل . وهو ، حسبما تدل عليه المقارنة بين أقسام الكتاب ، ترجمة لمحتوى القسم الثاني الباحث في المعاني وما تعرف به أحوالها من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها .

3) بتر في الورقة بالأصل بمقدار ثلاث كلمات .

4) بتـــر مثلـــه .

توضع للدّلالة عن (..................) (1) علم على صورة صورة منها، فتتمثّل بحصول تلك الصّورة في الـ (..................) (2) الموجودة في الأعيان التي تلك الصّور الحاصلة في الذّهن (..................) (3) كانت تلك الصّور الذّهنية إنّما يتخيّل بها ما هي صـور (..................) (4) [خارجة] عن الذّهن [بوجه] مخصوص وترتيب مخصوص (..................) (5) تلك الصّور الذّهنيّة في الألفاظ إنّما 5 تدلّ على (..) (6) .

[2 ـ أ] / (..................) (7) عليها هو الذي ران على قلوب شعراء المشرق المتأخّرين [وأعمى] بصائرهم عن حقيقة الشّعر منذ مائتي سنة . فلم يوجد فيهم على طول هذه المدّة من نحا نحو الفحول ولا من ذهب مذاهبهم في تأصيل مبادىء الكلام وإحكام وضعه وانتقاء موادّه التي يجب نحته منها . 10 فخرجوا بذلك عن مهيع الشّعر ودخلوا في محض التكلّم . هذا على كثرة المبدعين المتقدّمين في الرّعيل الأوّل من قدمائهم والحلبة السّابقة زمانا وإحسانا منهم .

---

1) بتـر مثلـه .
2) بتـر مثلـه .
3) بتر بمقدار أربع كلمات .
4) بتـر مثلـه .
5) بتر بمقدار أربع كلمات .
6) نقص أوراق ذهب فيها معظم المنهج الأول من القسم الثاني .
7) طمس في أول الصحيفة بالأصل لمقدار كلمتين .

المنهج الثاني في الإبانة عن طرق اجتلاب المعاني وكيفيات التئامها وبناء بعضها على بعض ، وما تعتبر به أحوالها في جميع ذلك ، من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها .

أ ــ معلم دالّ على طرق العلم باقتباس المعاني وكيفيّة اجتلابها وتأليف بعضها إلى بعض . 5

يجب على من أراد جودة التّصرّف في المعاني وحسنَ المذهب في اجتلابها والحذقَ بتأليف بعضها إلى بعض أنّ يعرف أن للشّعراء أغراضا أُوَّلَ هي الباعثة على قول الشّعر . وهي أمور تحدث عنها تأثُّرات وانفعالات للنّفوس ، لكون تلك الأمور ممّا يناسبها ويبسطها أو ينافرها ويقبضها أو 10 لاجتماع البسط والقبض والمناسبة والمنافرة في الأمر من وجهين . فالأمر قد [يبسط] النفسَ ويُؤْنِسُهَا بالمسرّة والرّجاء ويقبضها بالكآبة والخوف . وقد يبسطها أيضا بالاستغراب لما يقع فيه من اتفاق بديع . وقد يقبضها ويوحشها بصيرورة الأمر من مبدإ سارّ إلى مآل غير سارّ . وإذا ارتيح للأمر من جهة واكترث له من جهة على نحو ما / (..) (1) [2 ــ ب] 15 جرى مجرى ذلك كانت أقوالا شاجيَة .

1 ــ **إضـــاءة** : والارتياحُ للأمر السارّ إذا كان صادرا عن قاصد لذلك أرضى فحرّك إلى المدح . والارتماض للأمر الضارّ إذا كان صادرا عن قاصد لذلك أغضب فحرّك إلى الذمّ . وتُحرِّك الأمور غير المقصودة

1) هذا محل سطر كامل مطموس بالأصل .

أيضا ، من جهة ما تناسب النفس وتسرّها ومن جهة ما تنافرها وتضرّها .
إلى نزاع إليها أو نزوع عنها وحمد وذمّ أيضا . وإذا كان الارتياح لسارّ
مستقبل فهو رجاء . وإذا كان الارتماض لضارّ مستقبل كانت تلك رهبة .
وإذا كان الارتماض لانقطاع أمل في شيء كان يؤمّل ، فإنْ نُحِيَ
في ذلك منحى التصبّر والتجمّل سمّي تأسّيا أو تسلّيا ، وإن نُحي به 5
منحى الجزع والاكتراث سمّي تأسّفا أو تندّما . ويُسمّى استدفاع
المخوف المستقبل استلطافا . وإذا استدفع المتكلّم ذلك فأسعف به وضَمَّن
وصفَ الحال في ذلك كلاما سمّي إعتابا . والتعزير على الأمر المرتمض منه
والملامةُ فيه تسمّى معاتبة . فإن كان الارتياح لأمر شأنه أن يَسُرَّ محضره
إلاّ أنّه يكون بعيدا من المتكلّم ، من جهة زمان ماض أو مستقبل أو مكان 10
أو إمكان ، حرّك ذلك إلى الاستراحة لذكره والتشوّف إليه ، فتكون الأقوال
في الأشياء التي عُلّقتها بأغراض النّفوس على هذا النحو متنوّعة إلى فنون
كثيرة نحو التشوّقيات والإخوانيات وما جرى مجرى ذلك .

2 ــ **تنــويــر** : فقد تبيّن بهذا أنّ أغراض الشّعر أجناس وأنواع
تحتها أنواع . فأمّا الأجناس الأُوَل فالارتياح والاكتراث وما تركّب منهما 15
نحو إشراب الارتياح الاكتراثَ أو إشراب الاكتراث الارتياح ، وهي
الطرق الشاجية . والأنواع التي تحت هذه الأجناس هي : الاستغراب
والاعتبار والرضى والغضب والنزاع والنزوع والخوف والرجاء . والأنواع
الأخـر التي تحت تلك الأنـواع هي : المدح والنسيب والـرثـاء
[3 ــ أ] / (...) (1) 20
والتذكّرات وأنواع المشاجرات وما جرى مجرى هذه الطرق من المقاصد

1) سطر كامل مطموس بالأصل .

الشعريّة . وسيأتي تفصيل هذه الجملة في موضعها في القسم الرابـع (1) إن شـــاء الله .

3 — **إضـــــاءة** : فمعاني الشعر ، على هذا التقسيم ، ترجع إلى وصف أحوال الأمور المحرّكة إلى القول أو إلى وصف أحوال المتحرّكين لها أو
5 إلى وصف أحوال المحرّكات والمحرّكين معا . وأحسن القول وأكمله ما اجتمع فيه وصف الحالين .

4 — **تنـــويـــر** : ولا يخلو الشيء في جميع تلك الأحوال من أن ينسب إلى الشيء بإيجابه له أو تزال نسبته إليه بسلبه عنه أو ينسب إليه لا على جهة إيجاب ولا سلب ولكن على جهة الاحتمال والإمكان . وكلّ ذلك لا تخلو
10 أن تكون النسبة الوجوبيّة أو السلبيّة أو المتردّدة بين الإيجاب والسلب فيه من أن تكون راجعة إلى ما يرجع إلى الشيء ويخصّه في ذاته أو يكونَ غير راجع إلى ما يخصّه في ذاته بل لأمر عرض له من غيره أو لما تدركه منه القوى الحسيّة أو التصوّرية أو بحسب نسبته إلى شيء تأخّر في زمان أو مكان أو بحسب موقعه من اعتقاد مّا أو بحسب ما يجعل شرطه فيه أو
15 بحسب مقايسته بشيء آخر أو بحسب الفرض .

5 — **إضـــــاءة** : والمتصرّف في هذه المعاني لا يخلو من أن يكون مثبتا لشيء ببعض تلك الاعتبارات أو مبطلا أو مُسَوِّياً بين شيئين أو مُبَايِناً بينهما أو مرجّحا أو متشكّكا ، ولا يخلو من أن يكون معمّما أو خاصّا حاصرا أو غير حاصر آخذا للشيء بجملته أو محاشيا بعضه . وللعبارة عن جميع
20 ذلك أدوات وضعت للاختصار . وقد يعبّر عن جميع ذلك بغير تلك

1) انظر ق ٤ ، المنهج 2 ، المعلم أ .

الأدوات . فهذه وأشباهها من المعاني ، التي تدلّ على مقاصد المتكلّم واعتقاداته وأحكامه في التصوّرات والتصديقات المتعلّقات بغرضه ، معان ثوانٍ ينوطها بمعاني كلامه لتبيّن فيها أحكاما وشروطا .

6 ــ **تنـويـر** : وهنا معان أُخَرُ ، وهي أنحاء المخاطبات مثل أن يكون المتكلّم مخبرا أو مستخبرا آمرا أو ناهيا داعيا أو مجيبا . 5

7 ــ **إضـــاءة** : فقد تبيّن بهذا أنّ المعاني صنفان : وصف أحوال الأشياء التي فيها القول ، ووصف أحوال القائلين أو المقول على ألسنتهم ، وأنّ هذه المعاني تلتزم معاني أخر تكون متعلّقة بها وملتبسة بها ، وهي كيفيات مآخذ المعاني ومواقعها من الوجود أو الفرض أو غير ذلك ونسب بعضها إلى بعض ، ومعطيات تحديداتها وتقديراتها ، ومعطيات الأحكام 10 والاعتقادات فيها ، ومعطيات كيفيّات المخاطبة .

8 ــ **تنـويـر** : ويجب على من أراد حسن التصرّف في المعاني ، بعد معرفة ضروبها التي أجملت ذكرها ، أن يعرف وجوه انتساب بعضها إلى بعض . فيقول : إنّه قد يوجد لِكُلٍّ معنى من المعاني التي ذكرتها معنى أو معان تناسبه وتقاربه ، ويوجد له أيضا معنى أو معان تضادّه وتخالفه . 15 وكذلك يوجد لمضادّه في أكثر الأمر معنى أو معان تناسبه . ومن المتناسبات ما يكون تناسبه بتجاور الشيئين واصطحابهما واتّفاق موقعيهما من النفس ، ومنه ما تكون المناسبة باشتراك الشيئين في كيفيّة ، ولا يشترط فيه التجاور ولا الاتّفاق في الموقع من هوى النفس . وما جعل فيه أحد المتناسبين على هذه الصفة مثالا للاخر ومحاكيا له فهو تشبيه . 20

9 ــ **إضـــاءة** : فإذا أردت أن تقارن بين المعاني وتجعل بعضها بإزاء بعض وتناظر بينها فانظر مأخذا يمكنك معه أن تكوّن المعنى الواحد وتوقعه

في حيزين ، فيكون له في كليهما فائدة ، فتناظر بين موقع المعنى في هذا الحيّز وموقعه في الحيّز الآخر فيكون من اقتران التماثل ، أو مأخذا يصلح فيه اقتران المعنى بما يناسبه فيكون هذا من اقتران المناسبة ، أو مأخذا يصلح فيه إقتران المعنى بمضادّة فيكون / [هذا مطابقة أو مقابلة ، أو مأخذا يصلح [4 – أ] فيه اقتران الشيء بما يناسب] (1) مضادّه فيكون هذا مخالفة ، أو مأخذا 5 يصلح فيه اقتران الشيء بما يشبهه ويستعار اسم أحدهما للاخر فيكون هذا من تشافع الحقيقة والمجاز .

10 – **تنوير** : وقد يكون المأخذ في العبارة المقترن فيها معنيّا بأحد هذه الاقترانات على أن يكون كلا المعنيين عمدة في الكلام وركنا يثلم الغرض إزالته . وقد يكون المأخذ فيها على أن يكون أحد المعنيين عمدة والآخر 10 فضلة أو كالفضلة لضروب من التتميمات والتعريضات وتحقيق صحّة مفهوم أحدهما ببيان الصحّة في مفهوم الآخر كمن يقول : العفاف فضيلة كما أنّ الفسوق رذيلة (2) .

11 – **إضاءة** : وإذ قد عرفنا كيفيّة التصرّف في المعاني التي لها وجود خارج الذهن والتي جعلت بالفرض بمنزلة ما له وجود خارج الذهن فيجب 15 أيضا أن [يشار] إلى المعاني التي ليس لها وجود خارج الذهن أصلا ، وإنّما هي أمور ذهنيّة محصولها صور تقع في الكلام بتنوّع طرق التأليف في المعاني والألفاظ الدالّة عليها والتقاذف بها إلى جهات من الترتيب والإسناد ، وذلك مثل أن تنسب الشيء إلى الشيء على جهة وصفه به أو الإخبار به عنه أو تقديمه عليه في الصورة المصطلح على تسميتها فعلا أو نحو 20

1) سطر مطموس بالأصل أمكن الكشف عنه بمقابلة وجوه الاقتران المذكورة بعضها ببعض .
2) راجع ارسطو ، (1) ، 172 .

ذلك . فالإتباع والجرّ وما جرى مجراهما معان ليس لها خارج الذهن وجود لأنّ الذي خارج الذهن هو ثبوت نسبة شيء إلى شيء أوّ كون الشيء لا نسبة له إلى الشيء . فأمّا أن يقدّم عليه أو يؤخّر عنه أو يتصرّف في العبارة عنه نحوا من هذه التصاريف فأمور ليس وجودها إلاّ في الذهن 5 خـاصـة .

12 ــ **تنـويـر** : وإذ قد تبيّن هذا فيجب أن نشير إلى ما يحسن اعتماده في التصرّف في هذه المعاني الذهنيّة . وإن تعدّدت في الشيء الواحد بحسب وضعه [و] ترتيبه فالواجب أن يعتمد من تلك الصور المتعدّدة وإن استوت [4 ــ ب] دلالة / ومعنى به يليق (..............................) (1) عبارة لا تسدّ مسدّ 10 عبارة في حسن وقع وإن كان مفهومهما واحدا ، لانّ إحداهما أليق بالموضع وأشدّهما مناسبة لما وقع في جنبتي الكلام المكتنفتين له أو لما وقع (..............................) (2) إحداهما . ويكون هذا التناسب يقع بين المفهومات أو بين المسموعات الدّالة عليها .

13 ــ **إضـاءة** : ويحسن أيضا أن يقصد تنويع الكلام من جهة 15 الترتيبات الواقعة في عباراته وفي ما دلّت عليه بالوضع (3) في جميع ذلك والبعد به عن التواطؤ والتشابه ، وأن يؤخذ الكلام من كلّ مأخذ حتّى يكون كلّ مستجدّا بعيدا من التكرار ، فيكون أخفّ على النفس وأوقع منها بمحلّ القبول . ويقتدر على هذا بمعرفة كيفيّات تصاريف العبارات وهيآت ترتيبها وترتيب ما دلّت عليه ، والبصيرة بضروب تركيباتها

1) كلمتان مطموستان بالأصل .
2) كلمة مطموسة .
3) بالأصل الوضع بلا جر .

وشتّى مآخذها ، وبقوّة ملاحظات الخواطر لضروب تلك العبارات وأصناف هيآتها وهيآت ما دلّت عليه ، وللحيل التي تنتظم بها تلك العبارات على الهيآت المختارة لمسلك الوزن باختصار أو حشو أو إبدال لفظة مكان لفظة أو تقديم أو تأخير ، وبسرعة التنبّه للموضع الذى تطابقه العبارة من الوزن في ترتيب الحركات والسكنات فيطبعها في ذلك الموضع ويصلها بما قبلها بزيادة أو نقص أو إبدال أو غير ذلك . وإن اتّفق ألاّ يحتاج في صلتها بما قبلها إلى شيء من ذلك فهو أحسن . ولمّا كان التّصرف في ترتيب العبارات بإزاء التصرّف في ترتيب المعاني جعلت هذه الإضاءة الموضّحة عن الوجوه التي يجب اعتمادها في جميع ذلك .

14 — **تنوير** : يشترط في النقلة من بعض هذه المعاني الذهنيّة إلى بعض أن يكون ذلك غير خارج عن الهيآت التي وقعت للعرب في النّقلة من بعض ذلك إلى بعض . ويشترط في المعاني التي خارج الذهن أن ينتقل في أمثلتها الذهنيّة / (.................................) (1) يكون النظر في صناعة [5 — أ] البلاغة من جهة ما يكون عليه اللفظ الدّال على الصور الذهنيّة في نفسه ومن جهة ما يكون عليه بالنسبة إلى موقعه من النفوس من جهة هيأته ودلالته ، ومن جهة ما تكون عليه تلك الصور الذّهنيّة في أنفسها ، ومن جهة مواقعها من النفوس من جهة هيآتها ودلالاتها على ما خارج الذهن ، ومن جهة ما تكون عليه في أنفسها الأشياء التي تلك المعاني الذهنيّة صور لها وأمثلة دالّة عليها ، ومن جهة مواقع تلك الأشياء من النفوس .

15 — **إضاءة** : وقد تقدّم الكلام (2) في ما تكون عليه الألفاظ في أنفسها وبالنظر إلى هيآتها ودلالتها وكيفيّة مواقع تلك الهيآت بدلالتها

1) محو وطمس مقدر ثلاث كلمات .
2) إشارة إلى بعض موضوعات القسم الأول المفقود .

من النفوس . وبقي الآن أن نتكلّم في المعاني الذهنيّة وفي بعض ما يحتاج إليه في هذه الصناعة ممّا يتعلّق بالأشياء التي تلك المعاني الذهنيّة صور لها ممّا تكون عليه تلك الأشياء وما تكون عليه صورها ، ومن جهة مواقعها من النفوس . وكونها ممّا يستميل النفس أو ينفّرها لكونها ملائمة لها أو منافرة ، أو بإيهام النفس ذلك فيها بتخييل شعريّ أو إقناع خطابيّ 5 وما يكون فيه معونة على تقويّة ذلك .

16 ــ **تنوير** : وأنا أدرج تفاصيل هذه الجملة في ما أشرعه إثر هذا من المعالم والمعارف بحسب ما يتوجّه إليه النظر في معلم معلم ومعرف معرف من ذلك . لتعرف بذلك الطرق الصحيحة في اعتبار ما تكون عليه أحوال المعاني الذهنيّة وما هي أمثلة له بالنظر إلى ما يستحسن في كلّ 10 مذهب من مذاهب هذه الصناعة وما لا يستحسن من ذلك . وقد سلكت من التكلّم في جميع ذلك مسلكا لم يسلكه أحد قبلي من أرباب هذه الصناعة لصعوبة مرامه وتوعّر سبيل التوصّل إليه . هذا على أنّه روح الصنعة وعمدة البلاغة . وعلى هذا جريت في أكثر ما تكلّمت به فيما عدا هذا القسم من أقسام الكتاب . فإنّي رأيت الناس / لم يتكلّموا إلاّ في بعض ظواهر ما 15 [5 ــ ب] اشتملت عليه تلك الصناعة ، [فتجاوزت أنا تلك الظواهر] بعد التكلّم في جمل مقنعة ممّا تعلّق بها إلى التكلّم في كثير من خفايا هذه الصنعة ودقائقها على حسب ما تقدّم وما يأتي إن شاء الله .

ب ــ معرف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء وجود المعاني .

إنّ المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في 20 الأعيان . فكلّ شيء له وجود خارجَ الذهن فإنّه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه ، فإذا عبّر عن تلك الصورة الذهنيّة الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظُ المعبَّرُ به هيئة تلك الصورة الذهنيّة في

أفهام السامعين وأذهانهم . فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ .
فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخطّ تدلّ على الألفاظ من لم يتهيّأ له
سمعها من المتلفّظ بها صارت رسوم الخطّ تقيم في الأفهام هيآت الألفاظ
فتقوم بها في الأذهان صور المعاني فيكون لها أيضا وجود من جهة دلالة
5 الخطّ على الألفاظ الدالّة عليها .

1 – **إضـــاءة** : قد تبيّن أن المعاني لها حقائق موجودة في الأعيان
ولها صور موجودة في الأذهان ولها من جهة ما يدلّ على تلك الصور من
الألفاظ وجود في الأفهام . ولها وجود من جهة ما يدلّ على تلك الألفاظ
من الخطّ يقيم صور الألفاظ وصور ما دلّت عليه في الأفهام والأذهان .

10 2 – **تنـــويـــر** : وقد تقدّم الكلام في كثير ممّا يجب معرفته من المعاني
من حيث توجد في الألفاظ (1) . وبقي أن نتكلّم الآن فيها من حيث
توجد في الأذهان ، وأن نشفع ذلك بذكر بعض ما يتعلّق بها من جهة
وجودها خارج الذهن ممّا يتأكّد معرفته في هذه الصناعة ، وأن نستدرك
ما لعلّنا لم نذكره ممّا يتعلّق بجهة وجودها في الألفاظ (2) . فأمّا الوجود
15 الذي لها من جهة الخط فليس التكلّم فيه / من مبادىء هذه الصّناعة . [6 – أ]

ج – معلم دالّ على طرق العلم بكيفيّات مواقع المعاني من النفوس من جهة ما تكون قويّة الانتساب إلى طرق التهمّم المألوفة والأغراض المعروفة عند جمهور من له فهم بالطبع ، أو ضعيفة الانتساب إلى ذلك .

لمّا كان (3) علم البلاغة مشتملا على صناعتي الشعر والخطابة وكان الشعر
20 والخطابة يشتركان في مادّة المعاني ويفترقان بصورتي التخييل والإقناع

1) إشارة إلى بعض موضوعات القسم الأول المفقود من **المنهاج**.
2) إشارة إلى موضوعات القسم الأول .
3) فعل لما وبعده المعطوفات عليه .

وكان لكلتيهما أن تخيّل وأن تقنع في شيء شيء من الموجودات الممكن أن يحيط بها علم إنساني وكان القصد في التخييل والإقناع حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده وكانت النفس إنّما تتحرّك لفعل شيء أو طلبه أو اعتقاده أو التخلّي عن واحد واحد من الفعل والطلب والاعتقاد بأن يخيّل لها أو يوقع في غالب ظنّها أنّه خير أو شرّ 5 بطريق من الطرق التي يقال بها في الأشياء إنّها خيرات أو شرور —

1 — **إضـــــاءة** : والأشياء التي يقال فيها إنها خيرات وشرور أو يتوهّم أنّها كذلك منهـا أمور يشترك في معرفتهـا وإدراكها الخاصّة والجمهـور ومنها أمور ينفرد بإدراكها ومعرفتها الخاصّة دون الجمهور — وكانت علقة جلّ أغراض الناس وآرائهم بالأشياء التي اشترك الخاصّة والجمهور في 10 اعتقادهم أنّها خير أو شرّ . وكان أحقّ تلك الأشياء بأن يميل النّاس إليها أو ينفروا عنها الأشياء التي فطرت النفوس على استلذاذها أو التـألّم منها أو حصل لها ذلك بالاعتياد . وجب (1) أن تكون أعرق المعاني (2) في الصّناعة الشعريّة ما اشتدت علقته بأغراض الإنسان وكانت دواعي آرائه متوفّرة عليه . وكانت نفوس الخاصّة والعامّة قد اشتركت في الفطرة على 15 الميل / إليها أو النفور عنها أو من حصول ذلك إليها بالاعتياد . ووجب أن [6 — ب] يكون ما لم تتوفّر دواعي أغراض الإنسان عليه وما انفرد بإدراكه المكتسَب الخاصة دون الجمهور غير عريق في الصّناعة الشعريّة بالنسبة إلى المقاصد المألوفة والمدارك الجمهوريّة .

---

1) هذه الكلمة وما بعدها إلى آخر الإضاءة جواب لما في لما كان علم البلاغة ، المفتتحة بهـا المعلـم .

2) بـالأصـل لا معـاني .

2 ـ **تنـــويــر** : فأمّا بالنظر إلى حقيقة الشعر فلا فرق بين ما انفرد به الخاصّة دون العامّة وبين ما شاركوهم فيه ، ولا ميزة بين ما اشتدّت علقته بالأغراض المألوفة وبين ما ليس له كبير علقة إذا كان التخييل في جميع ذلك على حدّ واحد ، إذ المعتبر في حقيقة الشعر إنّما هو التخييل والمحاكاة
5 في أيّ معنى اتّفق ذلك .

3 ـ **إضـــــاءة** : ولنبيّن الآن الطرق التي بها تكون علقة المعاني بالأغراض المألوفة عند الجمهور أكيدة وكيف لا تكون علقتها بذلك متأكّدة .

فأقول : إنّ الأقاويل المخيّلة لا تخلو من أن تكون المعاني المخيّلة فيها
10 ممّا يعرفه جمهور من يفهم لغتها ويتأثّر له ، أو ممّا يعرفه ولا يتأثّر له ، أو ممّا يتأثّر له إذا عرفه ، أو ممّا لا يعرفه ولا يتأثّر له لو عرفه . وأحقّ هذه الأشياء بأن يستعمل في الأغراض المألوفة من طرق الشعر ما عرف وتؤثّر له ، أو كان مستعدّا لأن يتأثّر له إذا عرف وكان في قوّة كلّ واحد من جمهور من جبلّته في الفهم صالحة أن يتصوّر ذلك إذا عُرِّف به
15 وذلك كالأخبار التي يحيل عليها الشعراء .

4 ـ **تنـــويــر** : وأحسن الأشياء التي تُعرف ويُتَأَثّر لها أو يتأثّر لها إذا عرفت هي الأشياء التي فطرت النّفوس على استلذاذها أو التألّم منها أو ما وجد فيه الحالان من اللذّة والألم كالذكريات للعهود الحميدة المتصرّمة التي توجد النفوس تلتذّ بتخيّلها وذكرها وتتألّم من تقضّيها
20 وانصرامها . فإذن طرق الشعر إذا (..........................) (1) في ثلاث جهات : إمّا أن تكون مفرحة محضة يذكر فيها لقاء الأحبّة في حال

1) بياض في الأصل مقدار كلمتين .

وحوده واجتلاء الرّوض والماء وما ناسبهما والتنعّم بمواطن السرور ومجالس الأنس . وإمّا أن تكون / [مفجعة] يذكر فيها التفرّق والتوحّش وما [7 – أ] ناسب ذلك وبالجملة أضداد المعاني المفرحة المنعّمة ، وإمّا أن تذكر فيها مستطابات قد انصرمت فيلتذّ لتخيّلها ويتألّم لفقدها فتكون طريقة شاجية . واستقصاء القول في هذا يجيء في القسم الرابع (1) ولعلّي أن 5 أدرج أيضا في هذا القسم فضل بيان لذلك .

5 – **إضـــاءة** : فما فطرت نفوس الجمهور على استشعار الفرح منه والحزن أو الشجو أو حصل لها ذلك بالعادة هو المعتمد في الأغراض المألوفة في الشعر والمبني عليه طرقها . وما لم توجد نفوسهم مفطورة عليه من ذلك بما اعتادته فإنّما تقع في الأغراض المألوفة بحسب التبعيّة لما كانت مفطورة 10 عليه أو معتادة له . وذلك بأن يستدرج ممّا وجد في النّفس بحسب الجبلّة والعادة إلى ما وجد بالكسب والاستفادة . وتذكر هذه على أنّها أمثلة لتلك إذا كان بينهما شبه فتحاكى بها ، وتكون المحاكاة إذ ذاك بعيدة عن التأثير . فلذلك لا يحسن إيراد مثل هذه الأقاويل في الأغراض المألوفة من الشعر ولا يحسن أن تحاكى الأشياء العريقة في الشعر التي اشترطنا فيها 15 الشروط المتقدّمة إلاّ بمثلها ممّا توجد فيه تلك الشروط .

6 – **تنـويـر** : فالمتصوّرات التي في فطرة النفوس ومعتقداتها العاديّة أن تجد لها فرحا أو ترحا أو شجوا هي التي ينبغي أن نسمّيها المتصوّرات الأصيلة . وما لم يوجد ذلك لها في النفوس ولا معتقداتها العاديّة فهي المتصوّرات الدخيلة . وهي المعاني التي إنّما يكون وجودها بتعلّم وتكسّب 20 كالأغراض التي لا تقع إلاّ في العلوم والصناعات والمهن . فالمعاني المتعلّقة

1) انظر ق 4 ، منهج 3 ، ف ب ، ج ، 356 – 360 .

بهذه الطرق الخاصّة ببعض الجماهير لا تحسن في المقاصد العامّة المألوفة
التي ينحى بها نحو ما يستطيبه الجمهور أو يتأثّرون له بالجملة . فإذا
استعملت فيها فإنّها معيبة لكونها دخيلة في الكلام بحسب الغرض . وإنّما
تكون أصيلة في الشعر إذا كان غرض الكلام مبنيّا على محاكاتها
5 وإيقاع / التخييل فيها بالقصد الأوّل . فإنّ للشاعر أن يبني كلامه على [7 – ب]
تخيّل شيء شيء من الموجودات ليبسط النفوس له أو يقبضها عنه . ولا
يكون كلامه في ذلك معيبا إذا كان الغرض مبنيّا على ذلك . فأمّا إذا لم
يكن قصده بنية الكلام على تخييل ما لا يعرفه الجمهور ولا تتأكّد علقته
بالأغراض . ولكن يورد ذلك على سبيل التبعيّة على جهة من المحاكاة أو
10 غير ذلك ، فإنّ ذلك غير أصيل في الشعر ، ويكون الكلام معيبا بذلك .

7 – **إضـــــاءة** : والمعاني الشعريّة منها ما يكون مقصودا في نفسه
بحسب غرض الشعر ومعتمدا إيراده ومنها ما ليس بمعتمد إيراده ولكن
يورد على أن يحاكى به ما اعتمد من ذلك أو يحال به عليه أو غير ذلك .
ولنسمّ المعاني التي تكون من متن الكلام ونفس غرض الشعر المعاني
15 الأُوَل ، ولنسمّ المعاني التي ليست من متن الكلام ونفس الغرض ولكنّها
أمثلة لتلك أو استدلالات عليها أو غير ذلك لا موجب لإيرادها في الكلام
غير محاكاة المعاني الأُوَل بها أو ملاحظة وجه يجمع بينهما على بعض
الهيآت التي تتلاقى عليها المعاني ويصار من بعضها إلى بعض المعاني الثّواني .
فتكون معاني الشعر منقسمة إلى أوائل وثوان (1) .

20 8 – **تنـــويـــر** : وحقّ الثواني أن تكون أشهر في معناها من الأُوَل
لتستوضح معاني الأُوَل بمعانيها الممثّلة بها ، أو تكون مساوية لها لتفيد

1) انظر محمد الطاهر ابن عاشور : 56 .

تـأكيدا للمعنى . فإن كان المعنى فيها أخفى منه في الأُوَل قَبُح إيراد الثواني لكونها زيادة في الكلام من غير فائدة ، فهي بمنزلة الحشو غير المفيد في اللفظ ، ولمناقضة المقصد الشعري في المحاكاة والتخييل يكون إتباع المشتهر بالخفيّ حيث يقصد زيادة المشتهر شهرة أو تـأكيد ما فيه من الاشتهار مناقضا للمقصد من حيث كان الواجب في المحاكاة أن يتبع 5 الشيء بما يفضله في المعنى الذي قصد تمثيله به أو يساويه أوْ لا يبعد عن مساواته . وهي أدنى مراتب المحاكاة .

[8 — أ] فالأُوَل هي التي يكون مقصد الكلام / وأسلوب الشعر يقتضيان ذكرها وبنية الكلام عليها . والثواني هي التي لا يقتضي مقصد الكلام وأسلوب الشعر بنية الكلام عليها . 10

9 — **إضـــاءة** : ومن المتصوّرات ما يليق بحقيقة مقاصد الشعر المألوفة وأغراضه المتداولة ، وتصلح أن تورد فيها أوائل وثواني ؛ ومنها ما لا يليق بها ولا يصلح فيها أن تورد أوائل ولكن تورد ثواني على ما تقدّم ذكره . فالتي يصلح أن تورد أوائل وثواني هي ما تعلّق المتصوّر فيه بشيء معروف عند الجمهور من شأنهم أن يرتاحوا إليه أو يكترثوا له ، 15 كان ذلك الشيء مدركا بالحسّ أو بغيره .

والتي لا يصلح أن تورد أوائل وتورد ثواني هي ما تعلّق التصوّر فيها بحقيقة شيء لا تعمّ معرفته جميع الجمهور .

10 — **تنويــر** : فالأصيل في الأغراض المألوفة في الشعر من هذين الصنفين ما صلح أن يقع فيها أوّلا وثانيا متبوعا وتابعا ، لأنّ هذا يدلّ 20 على شدّة انتسابه إلى طرق الشعر وحسن موقعه منها على كلّ حال . وهي

المعاني الجمهوريّة . ولا يمكن أن يتـألّف كلام بديـع عال في الفصاحة
إلاّ منهـا .

والصنف الآخر وهو الذي سمّيناه بالدخيل لا يـأتلف منه كـلام عال
في البلاغة أصلا إذ من شروط البلاغة والفصاحة حسن الموقع من نفوس
5 الجمهور ، وذلك غير موجود في هذا الصنف من المعاني . وأيضا فإنّه لا
يقع في أغراض الشعر المألوفة إلاّ ثا [نيا وتابعا] . ومن تتبّع المعاني الواقعة
في الشعر التي مرادها ما ذكرت ، وكان له أدنى حظّ من البلاغة ، واعتبر
كـلاّ منها بالقوانين الموضوعة في أصول البلاغة ، علم صحّة ما قلته .
وأنا أقرّب على من لم يَنْشُدُ شيئا من علم البلاغة مرام التوصّل إلى صحّة
10 ما ذكرته ، بأن يتتبّع في كتب الآداب والبلاغة مذاهب العلماء بالشعر
في أيّ بيت – قـالته الشعراء من المتقـدمين والمحدثين – أو شعر في كلّ
طريق من طرق الشعر التي منها النسيب والمديـح والرثاء والهجاء . فإنّه
لا يجـد موادّ ما نصّ على فضلـه إلاّ من المعـاني التي ذكرت أنّها تقع
أُولاً / وثواني ، ولا يجد فيها من الموادّ التي ذكرت أنّها لا تقع إلاّ [8 – ب]
15 ثواني شيئا البتّة . ولو (1) لم يـكن في ذلك إلاّ أنّ البصراء بهذه الصناعة ،
كأبـي الفرج قدامة وأضرابه (2) قد نصّ جميعهم على قبـح إيـراد
المعاني العلميّة والصناعيّة والعبارات المصطلح عليها في جميـع ذلك ،
ونهوا عن إيراد جميـع ذلك في الشعر .

---

1) جـواب لو يتصيـد من بقيـة الكـلام .

2) مثل قدامة في هذا ابن سنان الخفاجي حيث قال : « ومن وضع الألفاظ موضعها : أن لا يستعمل في الشعر المنظوم والكلام المنثور من الرسائل والخطب ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم والألفـاظ التي تختص بها أهـل المهن والعلوم » . انظر 159 ، س 5 – 7 .

وسيأتي في ما أذكره بعد (1) ، في هذا القسم إن شاء الله ، ما يؤكّد صدق القول وصحّة المذهب في تقبيح تلك المعاني بالنسبة إلى الأغراض المـألوفة في الشعـر .

11 — **إضـــــاءة** : وإنّما احتجت إلى هذا لأنّ الطباع منذ اختلّت ، والأفكار منذ قصّرت ، والعناية بهذه الصناعة منذ قلّت ، وتحسين كلّ 5 من المدّعين صناعة الشعر ظنّه بطبعه ، وظنّه أنّه لا يحتاج في الشعر إلى أكثر من الطبع (2) ، وبنيته على أنّ كلّ كلام مقفّى موزون شعر ، جهالةً منه : أنّ الطباع قد تداخلها من الاختلال والفساد أضعاف ما تداخل الألسنة من اللحن ؛ فهي تستجيد الغثّ وتستغثّ الجيّد من الكلام ما لم تقمع بردّها إلى اعتبار الكلام بالقوانين البلاغية ، فيعلم بذلك ما يحسن 10 وما لا يحسن .

ولا شكّ أنّ الطبـاع أحوج إلى التقويم في تصحيـح المعاني والعبـارات عنهـا من الألسنـة إلى ذلك في تصحيـح مجـاري أواخـر الكـلم ، إذ لم تكن العرب تستغني بصحّة طباعها وجودة أفكارها عن تسديد طبـاعهـا وتقويمها باعتبار معاني الكلام بالقوانين المصحّحة لها ، وجعلها ذلك علما 15 تتدارسه في أنديتها ويستدرك به بعضهم على بعض وتبصير بعضهم بعضا في ذلك . وقد نقل الرّواة من ذلك الشيء الكثير لكنّه مفرّق في الكتب (3) ، لو تتبّعه متتبّع متمكّن من الكتب الواقع فيها ذلك لاستخرج منه علمـا كثيرا موافقا للقوانين التي وضعها البلغاء في هذه الصناعة .

---

1) انظر الفقر 17 ، 18 ، 19 من هذا المعلم .
2) انظر ق. 3 ، منهج 1 ، ف . أ ، 199 ؛ محمد الطاهر ابن عاشور ، 82 .
3) ابن عبد ربه ٦، 99 وما بعدها ؛ المرزباني ، 29 ، 46 ، 59 ونحوها .

12 — **تنوير** : وكيف يظنّ ظانّ أن العرب ، على ما اختصّت به من جودة الطباع لنشئهم على الرياضة واستجداد المواضع وانتجاع / الرياض العوازب فضلا عن هذه الطباع التي داخلها الفساد منذ زمان [9 — أ] واستولى عليها الخلل ، كانت تستغني في قولها الشعر الذي هو بالحقيقة
5 شعر ونظمها القصائد التي كانت تسمّيها أسماط الدهور عن التعليم والإرشاد إلى كيفيّات المباني التي يجب أن يوضع عليها الكلام ، والتعريف بأنحاء التصرّف المستحسن في جميع ذلك ، والتنبيه على الجهات التي منها يداخل الخلل المعاني ويقع الفساد في تأليف الألفاظ والمعاني .

وأنت لا تجد شاعرا مجيدا منهم إلاّ وقد لزم شاعرا آخر المدّة
10 الطويلة ، وتعلّم منه قوانين النظم ، واستفاد عنه الدربة في أنحاء التصاريف البلاغيّة . فقد كان كُثيّر أخذ الشعر عن جميل ، وأخذه جميل عن هدبة ابن خشرم ، وأخذه هدبة عن بشر بن أبي خازم ، وكان الحطيئة قد أخذ علم الشعر عن زهير ، وأخذه زهير عن أوس بن حجر ، وكذلك جميع شعراء العرب المجيدين المشهورين . فإذا كان أهل ذلك الزمان قد احتاجوا
15 إلى التعلّم الطويل فما ظنّك بأهل هذا الزمان ، بل أيّة نسبة بين الفريقين في ذلك ؟ !

13 — **إضاءة** : وأنت تجد الآن الحريص على أن يكون من أهل الأدب المتصرّفين في صوغ قافية أو فقرة من أهل زماننا يرى وصمة على نفسه أن يحتاج مع طبعه إلى تعليم معلّم أو تبصير مبصّر . فإذا تأتّى له
20 تأليف كلام مقفّى موزون ، وله القليل الغثّ منه ، بالكثير من الصعوبة ، بأى وشمخ ، وظنّ أنّه قد سامى الفحول وشاركهم ، رعونة منه وجهلا ، من حيث ظنّ أن كلّ كلام مقفّى موزون شعر . وإنّ مَثَلَه في ذلك مثل أعمى أنس قوما يلقطون درا في موضع تشبه حصباؤه الدرّ في المقدار

والهيئة والملمس ، فوقع بيده بعض ما يلقطون من ذلك فأدرك هيأته ومقداره وملمسه بحاسّة لمسه ، فجعل يعنّي نفسه في لقط الحصباء على أنّها درّ . ولم يدر أنّ ميزة الجوهر وشرفه إنّما هو بصفة أخرى غير التي أدرك . وكذلك ظنّ هذا أنّ الشعريّة في / الشعر إنّما هي نظم أيّ [9 — ب]
لفظ اتّفق كيف اتّفق نظمه وتضمينه أيّ غرض اتّفق على أيّ صفة 5
اتّفق ، لا يعتبر عنده في ذلك قانون ولا رسم موضوع . وإنّما المعتبر عنده إجراء الكلام على الوزن والنفاذ به إلى قافية . فلا يزيد بما يصنعه من ذلك على أن يبدي عن عواره . ويعرب عن قبح مذاهبه في الكلام وسوء اختيـاره .

10 14 — **تنـويـر** : وإنّما احتجت إلى الفرق بين الموادّ المستحسنة في الشعر والمستقبحة وترديد القول في إيضاح الجهات التي تقبح وإلى ذكر غلط أكثر النّاس في هذه الصناعة لأرشد من لعلّ كلامي يحلّ منه محلّ القبول من الناظرين في هذه الصناعة إلى اقتباس القوانين الصحيحة في هذه الصناعة ، وأزع كلّ ذي حجر عمّا يتعب به فكره ويصم شعره .

15 15 — **إضـــاءة** : واعلم أنّ من المعاني المعروفة عند الجمهور ما لا يحسن إيراده في الشعر . وذلك نحو المعاني المتعلّقة بصنائع أهل المهن لضعتها . [فإنّ غالب] عباراتهم لا يحسن أن تستعار ويعبّر بها عن معان تشبهها لأنّها مزيلة لطلاوة الكلام وحسن موقعه من النفس .

16 — **تنـويـر** : ومن المعاني التي ليست بمعروفة عند الجمهور ما
20 يستحسن إيراده في الشعر ، وذلك إذا كان ممّا فطرت النفوس على الحنين إليه أو التـألّم منه . وبالجملة على ما تتـأثّر له النفس تأثّر ارتيـاح أو اكتراث بحسب ما يليق بغرض غرض من ذلك ، وكان من أوائلها الأصيلة

أو ما يناسبها ممّا هو بها شديد التعلّق ، ومن شأنه أن يستطرد منه إليها أبدا كأوصاف البروق . هذا إذا كان في قوّة جميع الجمهور أن يعرف المعنى الذي بهذه الصفة إذا ألقي إليه كيفية وقوعه في الوجود ويستحسنه بعد المعرفة ، وذلك كالإحالات على الأخبار القديمة المستحسنة وطرف التواريخ
5 المستغربة . فإنّها حسنة الموقع من النفوس وفي قوّة جميع الناس أن يحصلها إذا ألقيت إليه . فيحسن أن يورد في الشعر ما اشتهر من هذا / القبيل . ويعبّر عنه بحسان العبارات حتى يعرف الخبر منه مفصّلا [10 — أ]
(.....................) (1) . ومن قصّر عن تفهم شيء من ذلك لم يعوزه وجدان من يفهمه إيّاه . كما أنّ اللفظ المستعذب وإن كان لا يعرفه
10 جميع الجمهور مستحسنٌ إيراده في الشعر لأنّه مع استعذابه قد يفسّر معناه ، لمن لا يفهمه ، ما يتّصلُ به من سائر العبارة . وإن لم يكن في الكلام ما يفسّره لم يعوز أيضا وجدان مفسّره لكونه ممّا يعرفه خاصّة الجمهور أو كثير منهم . والإتيان بما يعرف أحسن .

17 — **إضـــاءة** : وليس الأمر في ما ذكرته كالأمر في المسائل العلمية .
15 فإنّ أكثر الجمهور لا يمكن تعريفهم إيّاها . مع أنّ أحدهم إذا أمكن تعريفه إيّاها لم يجد لها في نفسه ما يجد للمعاني التي ذكرنا أنّها العريقة في طريقة الشعر . لكون تلك المعاني المتعلّقة بإدراك الذهن ليس الحسن والقبح والغرابة واضحا فيها وضوحه في ما يتعلّق بالحسّ . وأيضا فإنّ المعاني التي تتعلّق بإدراك الحسّ هي التي تدور عليها مقاصد الشعر ، وتكون
20 مذكورة فيه لأنفسها . والمعاني المتعلّقة بإدراك الذهن ليس لمقاصد الشعر حولها مدار . وإنّما تذكر بحسب التبعيّة للمتعلّقة بإدراك الحسّ لتجعل

1) كلمة مطموسة بالأصل .

أمثلة لها ، أو ينظّر حكم في تلك بحكم في هذه ؛ فيكون التمثيل والتنظير فيهما من قبيل تمثيل الأشهر بالأخفى وتنظير الأظهر بالأخفى . وهذه الحال في التمثيل والتنظير مناقضة للمقصود بهما ، إذ المقصود بهما محاكاة الشيء بما النفوس له أشدّ انفعالا حيث يقصد بسطها نحو شيء أو قبضها عنه . وأيضا فإنّ المسائل العلميّة يستَبْرِد إيرادَها في الشعر أكثرُ الناس ولا 5 يستطيب وقوعها فيه إلاّ من صار من شدّة ولوعه بعلم مّا ، بحيث يتشوّف إلى ذكر مسائل ذلك العلم ، ويحبّ إجراءها ولو في المواطن التي لا تليق بها ولا تقبلها البتّة لكون التفرّغ الكلّي للراحة والأنس والتفرّج أو ضدّ [10 — ب] ذلك قد حجّر ذكرها . وأكثر / الناس يستبردون ذكر الشيء من ذلك ، حيث لا يليق : استبرادهم قول القائل (1) : «واللهِ إن كانت إلاّ أُثَيَّاباً 10 في أُسَيْفَاط قبضها عشّاروك» في الموطن الذي قالها .

18 — **تنوير** : وإنّما يورد المعاني العلميّة في كلامه من يريد التمويه بأنّه شاعر عالم (2) . وقد بينّا أنّه فعل نقيض ما يجب في الشعر . فلم يثبت له أنّه قال شعرا إلاّ عند من لا علم له . وأمّا العلم فلا يثبت أَيْضاً للشاعر بأن يودع شعره معاني منه (3) . فليس يبعد على الناظم إذا كان قد 15

---

1) هو عيسى بن عمر ، قاله لابن هبيرة وهو يضرب بالسياط بين يديه . وردت قصة ذلك بألفاظ مختلفة . انظر : **اللسان** ، مادة عشر ، ٦ ، 246 ؛ **التاج** ، ٣ ، 401 ؛ ابن الانباري ، 12 ؛ الزبيدي ، 37 ؛ السيوطي : **البغية** ، 270 ؛ القفطي ، ٢ ، 374.

2) مما نحن بصدده قول الأرجاني :

أنا أشعر الفقهاء غير مدافع ... في العصر ، لا بل أفقه الشعراء

الصفدي : **الغيث** ، 1 ، 123 س 18.

3) إلى هذا يشير بعضهم بقوله :

هو في الفقه شاعر لا يبارى ... وهو في الشعر أوحد الفقهاء

لا إلى هؤلاء إن طلبوه ... وجدوه ولا إلى هؤلاء

الصفدي : **الغيث** ، 1 ، 123 ، 20 — 21 .

تصوّر مسائل من علم وإن قلّت أن يعلّقها ببعض معاني شعره ويناسب بينها وبين بعض مقاصد نظمه .

19 — **إضـــاءة** : ومن كان مقصده أيضا أن يظهر أنّه مقتدر على المناسبة بين المتباعدين وأن يغطّي بحسن تأليفه ووضعه على ما بينهما من التباين بعض التغطية ، فإنّه يكدّ خاطره في ما لا تظهر فيه صناعته ظهورها 5 في غيره ، ولا يتوصّل بعد ذلك إلى الغرض المقصود بالشعر من تحريك النفوس . فأولى بمن هذه صفته أن يجعل موضوع صنعته ما يتّضح فيه حسن صنعته ويكون له تأثير في النفوس وتحريك لها وحسن موقع منها من أن يجعل موضوع صنعته ما لا يدلّ ، مع كونه لا يحرّك الجمهور ولا يتّضح فيه إبداع الصنعة ، دلالة قاطعة . فقد يمكن أن يتدرّب إنسان في 10 المناسبة بين بعض الأغراض المقولة في الشعر وبين بعض المعاني العلميّة . وتحصل له بمزاولة ذلك والحنكة فيه دربة لا تكون له في تأليف معاني الشعر المحضة والمناسبة بين بعضها وبعض . وقد يمكن أيضا أن يقع ذلك له اتّفاقا في بعض المواضع من غير أن تكون له تلك قوّة مستمرّة في غير ذلك من شعره . فقد بان أنّ مستعمل هذه المعاني العلميّة في شعره يسيء 15 الاختيار . مستهلك لصنعته . مصرّف فكره في ما غيره أولى به وأجدى عليه . والولع بنظم هذه المسائل العلميّة في الشعر (..............................

....) (1)

/ (.......... ....) (2) التي يتصوّر بها الغرض في تلك المعاني الخارجة [11 — أ] عن الذهن على أكمل ما ينبغي وأشدّه مناسبة للنفس . 20

1) هنا نقص : مقدار ورقة ناقصة من الأصل بين 10 و 11 .
2) كلمة مطموسة بالأصل .

فهذه لمحة إجماليّة ترشد إلى جهات اقتباس المعاني ، وإلى الأنحاء التي تستحسن في تأليفها واقترانها والنقلة من بعضها إلى بعض . ومنع من تفصيل ذلك الاضطرارُ معه إلى الإطالة الكثيرة . فليتولّ الناظر تفصيلَ ذلك بنفسه ، فإنّه مفيد في هذه الصناعة . وبالله الاستعانة على كلّ محاول ، وبه التـوفيـق . 5

د ــ معـــرف دالّ على طرق المعرفـة بكيفيّات تركيب المعاني وتضاعفها .

إنّ المعاني قد تكون مفردة الأجزاء ومتضاعفتها . وقد يكون بعض أجزائها مفردا وبعضها مضاعفا . وذلك بحسب تعدّد الأفعال الواقعة في المواطن التي يعبّر عمّا وقع فيها أو اتّحادها . وبحسب تعدّد ما تستند إليه 10 تلك الأفعال أو اتّحاده ، وبحسب تعدّد ما تتوجّه لطلبه من المفعولات أو اتّحـــاده .

وما يتركّب من جهة التعدّد والاتّحاد في جميع ذلك ، واقتران كلّ واحد من الأفعال وما تستند اليه ، وما تطلبه بالآخر على حال موافقة له في التعدّد والاتحاد أو مخالفة ، تنقسم (1) ثمانية أقسام : ــ 1 ــ متّحـد 15 الفاعل ، متّحد المفعول ، متعدّد الفعل ــ2ــ أو متعدّد الفاعل والمفعول ، متّحد الفعل ــ 3 ــ أو متّحد الفعل والفاعل ، متعدّد المفعول ــ 4 ــ أو متّحد الفعل ، متعدّد الفاعل والمفعول ــ 5 ــ أو متّحد المفعول ، متّحد الفعل ، متعدّد الفاعل ــ 6 ــ أو متّحد المفعول ، متعدّد الفاعل والفعل ــ 7 ــ أو متّحد الجميع ــ 8 ــ أو متعدد الجميع . 20

1) المعاني التي تتركب من جهة التعدد والاتحاد الخ . وقد عبر عنها اول الجملة بما الموصولية .

ويحتاج الشاعر أن يكون متنبّها لصور التقسيمات والتفصيلات والتقطيعات التي تتدرّج في هذه الجملة ، ويحسن صوغ الكلام عليها وتفصيله إليها ، ومتهدّيا / إلى المآخذ المستحسنة في جميع ذلك . [11 — ب]

1 — **إضاءة** : وهذه الأفعال المشترك فيها قد يكون وضعها على أن يصل من الشيء إلى غيره مثل ما وصل إليه من غيره ، وقد يتسلسل هذا . ولا ينبغي أن يتجاوز في ذلك المقدار الذي توجب مقاييس البلاغة الوقوف عنده . وقد تقدّم ذلك في القسم الاوّل (1) . ويكون التسلسل أيضا في الأفعال المتعدّدة للمرفوعات المتعدّدة على هذا النحو . ولا تحسن الإطالة في ذلك . بل يجب أن يحتال في تفصيل الكلام إلى مقادير لا تسلسل فيها .

2 — **تنوير** : وقد يشترك الشيئان أيضا في فعل ويكون كلاهما متوجّها لفعل الآخر . وهذا إذا كان في قضيّة واحدة خفّفوا بعض ما يقع فيهَ من التكرار بالكناية والحذف . فإذا كان في قضايا كثيرة تضاعف المقدار الباقي من التكرار بعد الكناية والحذف ، فلم يحسن ذلك ، على أَنَّهُ قد يقع فيعدل إذ ذاك عن العبارة التي وقع فيها التكرار — بكونها جملتين يلزم في إحداهما ذكر ما في الأخرى — إلى عبارة مفردة تفيد ما تفيده تلك . وهي صيغتا تفاعل وفاعل نحو تضارب وضارب . فحينئذ لا يثقل تضاعف المعاني التي بهذه الصفة .

3 — **إضاءة** : وقد يكون الكلام المؤتلف من معان كثيرة ممّا ذكر للأفعال فيه مفعولات ؛ وقد يكون ممّا لا ذكر فيه لذلك ؛ وقد يكون مؤتلفا من النوعين .

---

1) الإحالة سبقت في 2 ، ف . أ ، ف . 15 .

فأمّا ما تعدّدت فيه الأفعال ومرفوعاتها ومنصوباتها وتباينت فيحتاج إلى أن يناسب بين المعاني الواقعة بهذه الصفة في وضع عباراتها وتفصيلها إلى مقادير وصور تكون متلائمة الوضع متناسبة التفصيل ليقع في الكلام بذلك خفّة وتناسب .

4 — **تنـويـر** : فأمّا ما تلازمت فيه المعاني وارتبطت فطالت فلا يحسن تضاعفها إلاّ بعد اقتضاب العبارات وتصييرها إلى صيغ مختصرة . وكلّما اختلفت جهات الصيغ ، في ما لم يذهب به / مذهب مناظرة أو تقسيم أو ما ناسب ذلك ، كان أحسن . [12 — أ]

5 — **إضـاءة** : وتحسُن للكلام ، أيضا بحسب نسب بعض المعاني الواقعة فيه من بعض ، من جهة مواقعها في زمان أو مكان ووضع بعضها في ذلك من بعض . ومن جهة التقاذف بالعبارات إلى تلك الأنحاء ، صور أخر ربّما وجد مثلها في ما تقدّم وربّما لم يوجد ؛ لأنّ الشيء يقع مع الشيء في زمان أو مكان أو يقع بناحية منه وفي زمان غير زمانه متقدّم عليه أو متأخّر عنه . وقد تـكْتَنِفُ الشيء أشياء من جميع نواحيه . وكذلك تقع مكتنفاته في الزمان سابقة له وتالية . وتترتّب في القرب والبعد ، في الزمان والمكان من أقرب ما يمكن إلى أقصى ما يمكن . وقد يقع الشيء في جميع نواحي الشيء في مرار عدّة ، أو بأن يكون شيئا يعمّ جهاته وكذلك في الزمان . ويتركّب من هذه الأحوال شتى صور من الكلامْ . وتكون المعاني الواقعة بهذه الاعتبارات بحسب ما قدّمته من تعدّد الأفعال وتعدّد مرفوعاتها ومنصوباتها أو اتّحاد جميع ذلك أو اتّحاد بعض من ذلك وتعدّد بعض (1) . فتتضاعف صور المعاني بذلك تضاعفا يعزّ إحصاؤه . والتركيبات

1) انظر 32 .

التي تتنوّع بها هيآت العبارات وما تحتها من المعاني من جهة مواقع بعض المعاني من بعض في الأزمنة والأمكنة على ما تقدّم راجعة إلى المعاني التي تقدّم التعريف بأنّها تقع تحديدات في الأزمنة والأمكنة . وكثيرا ما يتأتّى في هذه التركيبات تقسيم الكلام وتفصيله إلى مقادير متعادلة متناسبة .

5 6 — **تنـوير** : وتتضاعف صور العبارات بما يوقع في معانيها من تحديدات ترجع إلى ما تكون عليه في نفوسها ، من كونها عامّة أو خاصّة ، كليّة أو جزئيّة . وتتضاعف أيضا بحسب الأحكام الواقعة في المعاني بعد تحديداتها ، من نفي وإثبات ومساواة أو ترجيح أو غير ذلك ، ومن جهة كيفيّات المخاطبات في المعاني / وكون ذلك يكون تأديّة أو اقتضاء [12 — ب]
10 ونحو ذلك . وكلّ واحد من هذه (..............................) (1) له صيغ شتّى يعبّر بها عنه ، فمع أنّ المعاني تتضاعف صورها بحسب ما تقدّم فإنّ هذه الأشياء أيضا ممّا تتضاعف بها الصيغ والعبارات عن تلك المعاني فيؤدّي تنوّع صور المعاني والعبارات — بجميع ذلك وبما قد ذكر أيضا في غير هذا الموضع من هذا الكتاب ممّا تتكاثر به صور المعاني — إلى
15 وقوع المعاني على هيآت وصور يعزّ حصرها ولا يتأتّى استقصاؤها لكثرتها . وإنّما يعرف صحّتها من خللها أو حسنها من قبحها بالقوانين الكليّة التي تنسحب أحكامها على صنف صنف منها ، ومن ضروب بيانها . ويعلم من تلك الجمل كيفيّة التفصيل . ولا بدّ مع ذلك من الذوق الصحيح والفكر المائز بين ما يناسب وما لا يناسب وما يصحّ وما لا يصحّ بالاستناد
20 إلى تلك القوانين على كلّ جهة من جهات الاعتبار في ضروب التناسب وغير ذلك مما يقصد تحسين الكلام به .

---

1) قطع بالورقة ذهب بمقدار كلمة .

7 — **إضـــاءة** : وللأفكار تفاوت في تصرّفها في ضروب المعـاني وضروب تركيبها من جميـع هذه الجهات التي ذكرت . ويُتقوّى على ذلك بالطبـع الفائق والفـكر النافذ الناقد الرائق ، وبالمعرفة بجميـع ما يحتاج إلى معرفته في هذه الصناعة من حفظ الـكلام والقوانين البلاغيّة التي تضمّـن هذا الـكتاب جملة كبيرة منها . 5

8 — **تنـويـر** : وصور المعاني ضربان : صور متـكرّرة وصور غيـر متـكرّرة . والتـكرار لا يجب أن يقع في المعاني إلاّ بمراعاة اختلاف ما في الحيّزين اللذين وقع فيهما التـكرار من الـكلام . فلا يخلو أن يكون ذلك إمّا لمخالفة في الوضع : بأن يقدّم في أحد الحيّزين ما أخّر في الآخر ، أو بأن تختلف جهات التعلّق في الحيّزين ، أو بأن يفهم المعنى أوّلا من جهـة 10 من جهات الإبهام ثمّ يورد مفسّرا من الجهة التي وقع فيها الإبهام ، أو بـأن يجمل ثم يفصّل — وهذا يجتمع مع ما قبله من جهة ويفـارقـه من جهة — أو / بأن يفصّل ثم يجمل الضرب من المقاصد ، أو بأن يورد على [13 — أ] صورة من الجمع والتفريق كما يقال : أنت وزيد بحران لـكن أنت للعذوبة وذلك للزعوفة (1) أو بأن تبان الجهتان اللتان توافى بهما الضدّان على الشيء 15 كقوله (2) : [الطويل — ق — المتدارك]

.... يُخْشَى ويُتّقى يُرَجّى الحَيَا منه وتُخْشَى الصواعقُ (3)

---

1) انظر ارسطو ، (1) ، 165 .

2) المتنبـــي .

3) البيت في النص غير تام . ومختلف الرواية عما هو عليه بالديوان وتمام البيت :

فتى كـالسحاب الجـون يخشى ويرتجى ... يرجى الحيا منه وتخشى الصواعق

وهو من قصيدة مدح بها أبو الطيب الحسين بن اسحق التنوخي طالعهـا :

هو البيـن حتى مـا تـأتـى الخرائـق ... ويـا قلبـي حتى أنت مما أفـارق

كـلمة الجون رواها أبو الفتح مضمومة الجيم وغيره رواها مفتوحة . وهي على الأول جمع وعلى الثاني مفرد . واختار الثاني لأنه أشد مناسبة في الظاهر للمنعوت وهو سحاب. وآخر الصدر يرتجى لا يتقى كما ورد في كـلام حازم . وهو أملح وأدل على الاختلاف أو الطباق . العكبري (1) ، 1 ، 454. اورد ابن سينا نفس المقدار من البيت شاهدا على ما يأتي من ضروب التفصيل البياني . انظر ارسطو (1) ، 165 .

فعلى هذه الأنحاء وما ناسبها يقع التكرار في المعاني فيستحسن . وكثيرا ما تقع التفصيلات والتفسيرات والتقسيمات في المعاني التي تكون من هذا القبيل .

9 — **إضـــاءة** : فمن أحكم التصرّف في هذا الضرب من المعاني المتكرّرة والضرب الآخر . وتصرّف فيهما من جهات أنواع التركيبات التي أشرنا إليها في ما تقدّم من هذا المعرف . كان كلامه ممتعا من كلّ فنّ من فنون البلاغة ، وكان حسن الموقع من النفوس .

ومن كان له ذهن يتمكّن به — له أن يفصّل ما أجملت في هذا الباب ويفرّع ما أصّلت — انتفع بهذا الباب نفعا كثيرا في هذه الصناعة ، إذ لم يمكنّا نحن أن نتفرّغ إلى تفريع ذلك وتفصيله وتمثيله . فإنّ ذلك محوج إلى إطالة كثيرة . وإنّما نتحرّى أن نعدل بين الأبواب أو نقارب العدل في ما نذكره ، ليكون كل باب قد تضمّن قسطا مقنعا مما يجب . فأمّا ما وراء الإقناع . فلا يمكن استقصاء ذلك في باب ، فإنّ ذلك يضاعف حجم الكتاب . ويؤدّي إلى إقطاع هذه الصناعة من عناية النفس فوق ما يجب لها إذ قدر العناية بالشيء إنّما يجب أن يكون بإزاء قدر المستفاد منه ؛ وفائدة هذه الصناعة بحسب ما سحب عليها الزمان من أذيال الإذالة وألحفها من معرّة الخمول قليلة نزرة ، بل إنّما غاية محكمها إذاية أهل القدامة له ممّن يظنّ أنّ له قدما في الفصاحة ، وهو منها بمنزلة الحضيض من السماك . فلذلك كان خليقا أن تكون العناية بهذه الصناعة غير بالغة أو تُصرَف عنها العناية بالجملة . ولا توفيق إلاّ بالله .

هـ — / معلم دالّ على طرق العلم باستثارة المعاني من مكامنها واستنباطها من معادنها . [13 — ب]

لمّا كانت الموصوفات والأوصاف وجهات انتساب بعضها إلى بعض وجهات تعلّق الأغراض بها من ذوي الأغراض لا تحصى كثرة وجب أن

تـكون المعاني التي هي مركّبة من تلك الأوصاف على حسب الأغراض أجدر بأن لا يستطاع إحصاؤها ، ولـكن يمكن أن ينبّه على الطرق التي بها تتطرّق الخواطر إليها وتتهدّى منها إلى تأليفها .

فأقول : إنّ الأصل الذي به يتوصّل إلى استثارة المعاني واستنبـاط تركيباتها هو التملّؤ من العلم بأوصاف الأشياء وما يتعلّق بها من أوصاف 5 غيرها ، والتنبّه للهيئات التي يـكون عليها التآم تلك الأوصاف وموصوفاتها ونسب بعضها إلى بعض أحسن موقعا من النفوس ، والتفطّن إلى ما يليق بها من ذلك بحسب موضع موضع وغرض غرض .

1 — **إضـــاءة** : ولاقتباس المعاني واستثارتها طريقان : أحدهما تقتبس منه لمجرد الخيال وبحث الفكر ، والثاني تقتبس منه بسبب زائد على 10 الخيال والفكر .

فالأوّل يكون بالقوّة الشاعرة بأنحاء اقتباس المعاني وملاحظة الوجوه التي منها تلتئم ، ويحصل لها ذلك بقوّة التخيّل والملاحظة لنسب بعض الأشياء من بعض ولما يمتاز به (1) بعضها من بعض ويشارك به بعضها بعضا . ولـكون خيالات مَا في الحسّ منتظمة في الفكر على حسب ما هي عليه ، لا يتباين 15 فيه ما تشابه في الحسّ ولا يتشابه فيه ما تباين في الحسّ . فإذا كانت صور الأشياء قد ارتسمَت في الخيال على حسب ما وقعت عليه في الوجود وكانت للنفس قوّة على معرفة / ما تماثل منها وما تناسب وما تخالف وما تضادّ ، [14 — أ] وبالجملة ما انتسب منها إلى الآخَر نسبة ذاتيّةً أو عرَضيّةً ثابتةً أو منتقلةً أمكنها أن تركّب من انتساب بعضها إلى بعض تركيبات على حدّ القضـايا 20

1) بالأصل بها .

الواقعة في الوجود التي تقدّم بها الحسّ والمشاهدة ، وبالجملة الإدراك من أيّ طريق كان أو التي لم تقع لكن النفس تتصوّر وقوعها لكون انتساب بعض أجزاء المعنى المؤلّف على هذا الحدّ إلى بعض مقبولا في العقل ممكنا عنده وجوده ، وأن تنشيء على ذلك صورا شتّى من ضروب المعاني في 5 ضروب الأغراض .

2 — **تنوير** : والطريق الثاني الذي اقتباس المعاني منه بسبب زائد على الخيال هو ما استند فيه بحثُ الفكر إلى كلام جرى في نظم أو نثر أو تاريخ أو حديث أو مثَل . فيبحث الخاطر فيما يستند إليه من ذلك على الظفر بما يسوغ له معه إيرادُ ذلك الكلام أو بعضه بنوع من التصرّف 10 والتغيير أو التضمين فيُحيل على ذلك أو يضمّنُه أو يدمج الإشارةَ إليه أو يوردِ معناه في عبارة أخرى على جهة قلب أو نقل إلى مكان أحقّ به من المكان الذي هو فيه . أو ليزيدَ فيه فائدة فيتمّمه أو يتمّم به أو يحسّن العبارة خاصّة أو يصيّر المنثور منظوما أو المنظوم منثورا خاصّة . فأمّا من لا يقصد في ذلك إلاّ الارتفاق بالمعنى خاصّة ، من غير تأثير من هذه 15 التأثيرات ، فإنّه البكيُّ الطّبْع في هذه الصناعة الحقيقُ بالإقلاع عنها وإراحةِ خاطرهِ ممّا لا يجدي عليه غيرَ المذمّة والتعب .

3 — **إضاءة** : وبحثُه في ما استند إليه من تاريخ ، على أن يناسب بين بعض مقاصد كلامه وبينَه ، فيحاكيه به أو يحيل به عليه أو يستشهد في ذلك على الحديث بالقديم ، ويتصرّف فيه بالجملة نحوا من التصاريف 20 التي قدّمنا ذكرها .

4 — **تنوير** : وبحثُه فيما استند إليه من حكمة أو مثَل على أن يردف معاني كلامه بها مضمّنا لها بالجملة أو مشيرا إليها / على جهة استدلال أو [14 — ب]

تعليل أو نحو ذلك . وقد يتصرّف في المثل بإبرازه في عبارة جديدة لا تشبه عبارتَه الأولى . وقد تُختَصَرُ العباراتُ عن الأمثال فيورَدُ منها في البيت الواحد المثلان والثلاثة . وقد يُتمثّل بالمثل على غير ما تَمثّل به الأوّلُ . فربّما حسن موقعه من الكلام الثاني أكثر من حسنه في الكلام الأوّل . فإن كان موقعه في الكلام الأوّل أحسنَ عُدّ مُورده في الكلام الثاني مسيئا مقصّرا . وقد يتصرّف في الأمثال والتواريخ والمنظوم والنثور أنحاءَ من التصرّف غير هذه . وإنّما ذكرت من ذلك ما تيسّر .

و ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بما توجد المعاني معه حاضرةً منتظمةً في الذهن على ما يجب أن يكون من بعضٍ عائد إلى بعضٍ ، وما به يكون كمالُ التصرّف فيها وفي سائر أركان هذه الصناعة على المذهب المختار .

لمّا كان (1) الشعرُ لا يتَأتّى نظمُه على أكمل ما يمكن فيه إلاّ بحصول ثلاثة أشياء ، وهي : المهيّئات والأدواتُ والبواعثُ ، وكانت هذه المهيئات تحصل من جهتين :

ـ 1 ـ النشءُ في بقعة معتدلةِ الهواء ، حسنةِ الوضع ، طيّبةِ المطاعم ، أنيقةِ المناظر ، مُمْتِعةٍ من كل ما للأغراض الإنسانيّة به علقه .

ـ 2 ـ والترعرع بين الفصحاءِ الألسنةِ المستعملين للأناشيدِ المقيمين للأوزانِ .

وكان المهيّء الأوّل موجّها طبعَ الناشيء إلى الكمال في صحّة اعتبار الكلام وحسن الرويّة في تفصيله وتقديره ومطابقةِ ما خارجَ الذهن به

1) فعل لما وبعده معطوفات كثيرة عليه ، بإثرها الجواب وهو وجب .

وإيقاع كلّ جزء منه في كلّ نحو ينحى به أحسنَ مواقعه وأعدلها حتّى يكون حسن نشءِ الكلام مُشْبِهاً حسنَ نشءِ المتكلّم به . وقد تكون النشأة حسنة على غير هذا النحو . وذلك بأن تُستجدّ الأهوية للناشيء وترتاد له مواقع المزن ومواضع الكلإ والنبات الغضّ ، ولا يخيّم به في الموضع

5 إلاّ ريثما يصوّح / كلأه ويغيض ماؤه ، فإنّ الطباع الناشئة أيضا على هذه [15 – أ] الحال ، وإن لم تكن في الأقاليم المعتدلة ، جارية مجرى تلك في سداد الخاطر والتنبّه لما يحسن في هيآت الألفاظ المؤلّفة والمعاني وما لا يحسن . وعلى هذه الحال الثانية كان نشء شعراء العرب ، وبذلك تهدّوا من تشقيق الكلام وتحسين هيآته اللفظيّة والمعنويّة إلى ما تهدّوا . ولو اتفق النشء

10 على هذه الحال من استجداد الأهوية وارتياد الأماكن أزمنة شبابها لأمّة تكون أرضهم التي يتردّدون فيها أحسن الأرض بقعة وأمتعها وأعدلها هواء وكانت دواعيهم تتوفّر على جعل الكلام عدّة لما يراد من استثارة الأفعال الجمهوريّة أو كفكفتها بالإقناعات والتخاييل المستعملة فيه نحو توَفُّر دواعي العرب إلى ذلك لكانت هذه الامّة أجدرَ أمّة أن تحوز

15 قصبات السبق في الفصاحة وأن تستولي على الأمر الأقصى في ذلك . وأفصح قبائل العرب من شارف هذه الحال التي وصفنا أو قاربها .

والمهيّيء الثاني موجّه إيّاه لحفظ الكلام الفصيح وتحصيل الموادّ اللفظيّة والمعرفه بإقامة الأوزان .

وكانت الأدوات تنقسم إلى العلوم المتعلّقة بالألفاظ والعلوم المتعلّقة

20 بالمعاني .

وكانت البواعث تنقسم إلى أطراب وإلى آمال . وكان كثير من الأطراب إنّما يعتري أهل الرحّل بالحنين إلى ما عهدوه ومن فارقوه ، والآمال إنّما

تعلّق بخدّام الدول النافعة وجب (1) ألاّ تكمل تلك المهيّآت للشاعر إلاّ بطيب البقعة وفصاحة الأمّة وكرم الدّول ومعاهدة التنقّل والرحلة . فقلّما برع في المعاني من لم تنشئه بقعة فاضلة ، ولا في الألفاظ من لم ينشأ بين أمّة فصيحة ، ولا في جودة النظم من لم يحمله على مصابرة الخواطر في إعمال الرويّة الثقةُ بما يرجوه من تلقاء الدولة ، ولا في رقّة أسلوب النسيب من لم تبشطّ به عن أحبابه رحلة ولا شاهد موقف فرقة . 5

[15 — ب] 1 — **إضـــاءة** : ولمّا كان القول / في الشعر لا يخلو من أن يكون وصفا أو تشبيها أو حكمة أو تاريخا احتاج الشاعر أن تكون له معرفة بنعوت الأشياء التي من شأن الشعر أن يتعرّض لوصفها ، ولمعرفة مجاري أمور الدنيا وأنحاء تصرّف الأزمنة والأحوال ،وأن تكون له قوّة ملاحظة لما 10 يناسب الأشياء والقضايا الواقعة من أشياء أخر تشبهها ، وقضايا متقدّمة تشبه التي في الحال .

2 — **تنـويـر** : ولا يكمل لشاعر قول على الوجه المختار إلاّ بأن تكون له قوّة حافظة وقوّة مائزة وقوّة صانعة .

15 فأمّا القوّة الحافظة فهي أن تكون خيالات الفكر منتظمة ، ممتازا بعضها عن بعض ، محفوظا كلّها في نصابه . فإذا أراد مثلا أن يقول غرضا مّا في نسيب أو مديح أو غير ذلك وجد خياله اللاّئق به قد أهبّته له القوّة الحافظة بكون صور الأشياء مترتّبة فيها على حدّ ما وقعت عليه في الوجود ؛ فإذا أجال خاطره في تصوّرها فكأنّه اجتلى حقائقها . وكثير من خواطر الشعراء تكون معتكرة الخيالات ، غير منتظمة التصوّر ، فإذا أجال خاطره في 20

1) جواب لما المذكورة في أول المعرف .

أوصاف الأشياء وخيالاتها اشتبهت عليه واختلطت وأخذ منها غير ما يليق بمقصده وبالموضع الذي يحتاج فيه إلى ذلك .

وكان المنتظم الخيالات كالناظم الذي تكون عنده أنماط الجواهر مجزّأة محفوظة المواضع عنده . فإذا أراد أيّ حجر شاء على أيّ مقدار شاء عمد إلى 5 الموضع الذي يعلم أنّه فيه فأخذه منه ونظمه . وكذلك من كانت خيالاته وتصوّراته منتظمة متميّزة فإنّه يقصد بملاحظة الخاطر منها إلى ما شاء فلا يعدوه .

والمعتكر الخيالات كناظم تكون جواهره مختلطة ، فإذا أراد حجرا على صفة مّا تعب في تفتيشه ، وربّما لم يقع على البغية ، فنظم في الموضع 10 غير ما يليق به . والمعتكر الخيالات في هذه الحال أجدر بطول السَّدَر لكون الأشياء التي في الحسّ أوضح من التي في التصوّر / والذهن . [16 – أ]

3 – **إضـــاءة** : والقوّة المائزة هي التي بها يميّز الإنسان ما يلائم الموضع والنظم والأسلوب والغرض ممّا لا يلائم ذلك ، وما يصحّ ممّا لا يصحّ .

والقوى الصانعة هي القوى التي تتولّى العمل في ضمّ بعض أجزاء 15 الألفاظ والمعاني والتركيبات النظميّة والمذاهب الأسلوبيّة إلى بعض والتدرّج من بعضها إلى بعض ؛ وبالجملة التي تتولّى جميع ما تلتئم به كلّيّات هذه الصناعة .

وهذه القوى التي هي الحافظة والمميّزة والملاحظة والصانعة وما جرى مجراها ، في احتياج الشاعر أن تكون موجودة في طبعه على ما سنفصّله في 20 القسم الثالث (1) إن شاء الله ، هي المعبّر عنها بالطبع الجيّد في هذه الصناعة

1) انظر 199 ، وما بعدها .

ز ـ معلَم دالّ على طرق العلم بالمناسبة بين بعض المعاني وبعض والمقارنة بين ما تنـاظر منها .

إنّ المعاني منها ما يتَطالب بحسب الإسناد خاصّة ، ومنها ما يتطـالب بحسب الاسناد وبحسب انتساب بعض المعاني إلى بعض في أنفُسها بكونها أمثالا أو أشباها أو أضدادا أو متقاربات من الأمثال أو الأضداد .

5 فالنسب الإسناديّة تلاحظ الأفكار فيها أربعة أشياء وهي : البيان والمبالغة والمناسبة والمشاكلة التي يكون سببها من الخفاء بحيث قد يتعذّر عرفان كنهه.

1 ـ **إضـــاءة** : فأمّا ما التطالب فيه بحسب انتساب بعض المعاني إلى بعض فلا تخلو النسبة فيه من أن تقع بين المعنيين بواسطة أو بغير واسطة ؛ فأمّا ما وقعت فيه بغير واسطة فيمكن حصر أنواعه وصوره ، وأمّا ما تقع 10 فيه النسب بواسطة فعزيز حصرها فيه لكون كلّ معنى يمكن أن يكون جهةً للتطالب بين معنيين بتوسّطه ، وجهة التطالب هي النسبة . ولقوى النفوس [16 ـ ب] تفاضل في ملاحظة الجهة / النبيهة في نسبة معنى إلى معنى والتنبّه إليهـا ، ومبحثها في ذلك على الجهات التي تفيد معاني كالتشبيهات والتتميمـات والمبالغات والتعليلات وغير ذلك من ضروب الوجوه التي تكسب الكلام 15 حسنـا وإبـداعـا .

2 ـ **تنـويـر** : واعلم أنّ النسب الفائقة إذا وقعت بين هذه المعـاني المتطالبة بأنفسها على الصور المختارة التي تقدّم ذكرها في القسم الأوّل في الكلام على ما تناظر من الكلم (1) من حيث إنّ المعاني متناظرة كان ذلك من أحسن ما يقع في الشعر . فإنّ للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعهـا

1) إشارة إلى بعض أغراض القسم المفقود من **المنهاج** .

والمتشابهات والمتضادّات وما جرى مجراها تحريكا وإيلاعا بالانفعال إلى مقتضى الكلام لأنّ تناصر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكنُ من النفس موقعا من سنوح ذلك لها في شيء واحد . وكذلك حال القبح . وما كان أملك للنفس وأمكن منها فهو أشدّ تحريكا لها . وكذلك أيضا مثول 5 الحسَن إزاء القبيح أو القبيح إزاء الحسَن ممّا يزيد غبطة بالواحد وتخلّيا عن الآخر لتبين حال الضدّ بالمثول إزاء ضدّه . فلذلك كان موقع المعاني المتقابلات من النفس عجيبا .

3 — **إضـــاءة** : وإذا كان في كلّ صورة من هذه المتقابلات زيادة معنى على التقابل المفرد زادت الصيغة حسنا كالقلب الذي يعرض في المتماثلات 10 وذلك كقول بعضهم (1) : [البسيط — ق — المتواتر]

فَلْيَعْجَبِ النَّاسُ مِنّي أنّ لي بدَنا لا رُوحَ فيه ولي رُوحٌ بِلاَ بَدَنِ

وكإيراد المتشابهات بلفظ التماثل ، كقول حبيب (2) :

[الخفيف — ق — المترادف]

دِمَنٌ طالَمَا التَقَت أدْمُعُ المُزْ نِ عَلَيْها ، وأدْمُعُ العُشّاق

15 4 — **تنـويـر** : واعلم أنّ التماثل والتشابه والتخالف قد يقع في أشياء كثيرة الوجود ، وقد لا تقع هذه النسب إلاّ في أشياء قليلة ، وقد لا توجد واقعة في أكثر من شيئين . فربّما وجد متماثلان لا يوجد لهما / مماثل [17 — أ]

---

1) لم أقف على نسبة البيت في كتب الأدب والدواوين ولعله من الفرائد المشهورة .
2) البيت من قصيدة يمدح بها أبو تمام اسماعيل بن شهاب . وطالعها :
أيها البرق بت باعلى البراق واغد فيها بوابل غيداق
التبريزي ، ٢ ، 447

ثالث بالجملة ، أو بالنسبة إلى مثل حالهما في الوجود ، وكذلك قد يـوجـد المتشابهان والمتخالفان على مثل هذه الحال .

5 ــ **إضـــــاءة** : وكلّما كانت المتماثلات أو المتشابهات أو المتخالفات قليلا وجودها وأمكـن استيعابها مع ذلك أو استيعاب أشرفها وأشدّها تقدّما في الغرض الذي ذكرت من أجله كانت النفوس بذلك أشدّ إعجابا وأكثر له تحرّكا . فإن كانت الأمثال أو الأشباه عتيدة الوجود لم يحسن الاستيعاب، ووجب التخطّي فيها من الأشرف إلى الأشرف ، وكان جديرا ألاّ يناسب منها إلاّ بين ذوات الشهرة والمناسبة لغرض الكلام . ولا تجد النفس للمناسبة بين ما كثر وجوده ما تجد لما قلّ ، من الهزّة وحسن الموقع ، لكونها لا تستغرب جلب العتيد استغرابها لجلب ما عزّ .

6 ــ **تـنـــويـــر** : وإذا كان معنى التماثل أو التشابه منتسبا إلى شيئين أو أشياء مشتركة فيه كان الوجه ألاّ يعاد ذلك المعنى مع كلّ واحد من الشيئين أو الأشياء ، وأن يكتفى بذكره مرّة مع أحد تلك الأشياء على نحو من العبارة يَغنى بها فيه عن التكرار إيثارا للاختصار . فيقدّم محلّ التماثل أو التشابه على الأشياء المشتركة في ذلك أو يؤخّر عنها ، وتورد تلك الأشيـاء متناسقة ، وتقديمه أحسن . ويتّفق على هذا الوجه أن يكون الكلام مع كونه من هذا الباب معدودا في التقسيم كقول التهامي :

[الطويل ــ ق ــ المتـدارك]

أبَـان لنـا مِن دُرِّه يـومَ ودّعــا عُقُودا وألفَاظا وثَغرا وأدْمُعا (1)

1) البيت طالع قصيدة لأبي الحسن التهامي ، يمدح بها أبا غانم البابلي . **الديـوان** ، 100 .

فاكتفى بذكر الدرّ مرة ، وأورد الأشياء المنتسبة إليه إيرادا تقسيميّا .
وقد يتّفق أن ينضاف فيه إلى التقسيم التفسير . كقول الشاعر :

[البسيط — ق — المتراكب]

ثلاثةٌ تُشرق الدنيا ببَهْجَتِهِم
شمسُ الضحى ، وأبوإسحَق ، والقمرُ(1) 5

وقد يعدّ من هذا النحو قول البحتري :

[الكامل — ق — المتواتر]

في حُلّتَيْ حِبَرٍ وروضٍ فالْتَقى
وشيان : وَشيُ رُبًى وَوَشْيُ بُرودِ . (2)

/ وقد يسوغ إجراء الشيئين مجرى الأشياء في الاكتفاء بذكر محلّ [17 — ب]
10 التماثل والتشابه مرّة وإجراء الأشياء مجرى الشيئين في إعادة محلّ التماثل مع كلّ واحد منهما .

7 — **إضـاءة** : وأمّا المتخالفات والمتضادّات فقد تكون الصيغ أيضا فيها تقسيميّة وتفسيريّة . واستقصاء الكلام في ما أشرنا إليه بهذا المعلم يُخْرِجُ عن غرض الاختصار والاقتصاد . وإنّما أوردت ما أوردت
15 من الكلام فيه كاللمحة الدالّة ، ومن فهِم أصول هذا الباب سهُل عليه تتبّع فروعه واعتبار مواقع النسب فيها ، وهو باب شريف .

---

1) البيت لمحمد بن وهيب . وهو طالع قصيدة يمدح بها الشاعر الخليفة المعتصم . والبيت بلفظ بهجتها مكان بهجتهم . العباسي ، (2) ، 1 ، 215 .

2) البيت من قصيدة يمدح بها أبو عبادة الوليد الخليفة المتوكل ، طالعها :

شغلان من عذل ومن تفنيد ورسيس حب طارف وتليد

الديوان ، 1 ، 8 .

ح ـ مأمّ من مذاهب البلاغة المستشرفة بهذا المعلم وما تقدّم في المعلم المفتتح به هذا المنهج الذي فيه القول ، وهو المذهب الذي تقصد فيه المطابقة.

وذلك بأن يوضع أحد المعنيين المتضادّين أو المتخالفين من الآخر وضعا متلائما . وقدامة يخالف في هذه التسمية . فيجعل المطابقة تماثل المادّة في لفظين متغايري المعنى، ويسمّي تضادّ المعنيين تكافؤا (1) . ولا تشاحّ في الاصطلاح. 5

ولفظ المطابقة مشتقّ إمّا من قولك : هذا لهذا طَبَق أي مقدار لا يزيد عليه ولا ينقص . وإذا كان حقيقة الطباق مقابلة الشيء بما هو على قدره ومن وفقه سمّي المتضادان إذا تقابلا ولاءم أحدهما في الوضع الآخر متطابقين . قال الخليل : « يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حدّ واحد وألصقتهما . » 10

وإمّا من قولك : طابق الفرس إذا وقعت رجلاه في موضع يديه . قال الجعدي : [المتقارب ـ ق ـ المتواتر]

وخيلٍ يُطابقنَ بالدّارعين   طباقَ الكلاب، يطأن الهراسا (2)

1 ـ **إضـــاءة** : والمطابقة تنقسم إلى محضة وغير محضة .

[18 ـ أ] فالمحضة مفاجأة / اللفظ بما يضادّه من جهة المعنى كقول جرير : 15 [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

وباسطِ خيرٍ فيكمُ بيمينه   وقابض شرّ عنكمُ بشماليا (3)

1) يراجع لتحرير التسمية فصل : ومن نعوت المعاني التكافؤ ـ قدامة ، (3) ، 78 ؛ 92 . وفي تفصيل الخلاف : الخفاجي ، 188 ـ 190 .

2) البيت وارد بمفرده . **اللسان** ، ١٢ ، 80.

3) البيت من قصيدة واردة في النقائض ، نظمها جرير يخاطب بها الفرزدق ، وطالعها :

ألا حيّ رهبى ثم حيّ المطاليا   فقد كان مأنوسا فأصبح خاليا

ويقول أبو عبيدة : هي نقيضة لقصيدة الفرزدق :

ألم تر أني يوم جوّ سويقة   بكيت ، فنادتني هنيدة ، ماليا

الديوان ، 605 .

فقوله باسط وقابض وخير وشرّ من المطابقات المحضة . ومن ذلك قول دِعبل : [الكامل — ق — المتراكب]

لا تعجَبي يا سَلْمَ من رجُلٍ   ضحِكَ المشيبُ برأسه فبكى (1)

وغير المحضة تنقسم إلى مقابلة الشيء بما يتنزّل منه منزلة الضدّ وإلى مقابلة الشيء بما يخالفه .

فأمّا ما تنزّل منزلة الضدّ فمثل قول الشريف : [الكامل— ق — المتواتر]

أبكي ويَبسِمُ والدُجى ما بيننا   حتّى أضاء بِثَغْرِهِ.ودُمُوعي (2)

فتنزّل التبسّم منزلة الضحك في المطابقة .

وأمّا المخالف فهو مقارنة الشيء بما يقرب من مضادّه كقول عمرو ابن كلثوم : [الوافر — ق — المتواتر]

بِأنّا نُوردِ الرّاياتِ بِيضاً   ونُصْدِرُهُنّ حُمْرًا قَدْ روينا(3)

ومن أبدع ما ضوعفت فيه المطابقة وجاءت العبارة الدالّة عليها في أحسن ترتيب وأبدع تركيب قول أبي الطيّب المتنبّي :

[البسيط — ق — المتواتر]

---

1) البيت من قصيدة له طالعها :
أين الشباب وأية سلكا   لا ، أين يطلب ؟ ضل ، بل هلكا
قدامة ، (1) ، 53 ؛ العباسي ، (2) ، ٢ ، 184 ، 202 .

2) البيت من قصيدة له في الغزل طالعها :
يا صاحب القلب الصحيح اما اشتفي   ألم الجوى من قلبي المصدوع
الديوان ، 1 ، 496 .

3) البيت من المعلقة وطالعها :
ألا هبي بصحنك فاصبحينا   ولا تبقي خمور الأندرينا
العباسي ، (2) ، ٢ ، 180 .

أَزُورهُم وَسوَادُ اللّيْل يَشْفَعُ لِي
وأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصُبْح يُغْرِي بِي(1)

وقد اجتمع في هذا البيت صنفا المطابقة : المحضة وغير المحضة .

2 ـ **تنوير** : وقد تكون المطابقة بالإيجاب والسلب كقول السموءل :
[الطويل ـ ق ـ المتواتر]

ونُنْكِرُ إنْ شِئنَا على الناس قولَهم
ولا يُنكِرُون القولَ ، حين نَقُولُ (2)

وقول البحتري : [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

تَقَيَّضَ لي من حيث لاَ أعلَمُ النَوى
ويَسْرِي إليّ الشوقُ ، مِن حيثُ أعلَمُ (3) 10

وقد تقع المطابقة بغير اللفظ الصريح فيها ، كقول بعضهم :
[الطويل ـ ق ـ المتدارك]

فإنْ تَقْتُلوني في الحَديد فإنّني
قَتَلْتُ أخاكم ، مُطلَقا لم يُكَبَّلِ (4)

1) هذا البيت أمير شعر المتنبي ، وهو من مفاخره ونوادره الغالية . وهو من القصيدة المشهورة جدا ، الغريبة المنزع البديعة المشرع ، التي مدح بها أبو الطيب كافور الاخشيدي صاحب مصر ، وهي التي مطالعها :
من الجآذر في زي الأعاريب حمر الحلى ، والمطايا والجلابيب
العكبري ، (1) ، 1 ، 104 .

2) البيت من قصيدة له طالعها :
إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
المرزوقي ، 1 ، 120 .

3) البيت من قصيدة له في مدح الوزير الفتح بن خاقان طالعها :
خيال ملم أو حبيب مسلم وبرق تجلى أو حريق مضرم
الديوان ، 1 ، 96 .

4) روي البيت بـ « لم يقيد » ، بدل لم يكبل كما في النص . وهو منسوب لهدبة بن خشرم العذري ، قاله عند الإقتصاص منه ، كما هو وارد في القصة التي ذكرها المبرد في **كامله** .
المرصفي ، 8 ، 243 .

وقد يوجد في الكلام ما صورته صورة الطباق وليس بمطابقة من جهة المعنى كقول قيس بن الخطيم : [الطويل — ق — المتدارك]

وَإنّي لأغنَى الناسِ عن مُتَكَلِّفٍ
يرى الناسَ ضُلاّلاً وليس بمُهتدِ (1)

5 3 — **إضاءة** : ويجري مجرى المطابقة تخالفُ وضع الألفاظ لتخالف في / وضع المعاني ، ولنسبة بعضها من بعض ، فيقع بذلك بين [18 — ب] جزءين من أجزاء الكلام نسبتان متخالفتان ، فيجري ذلك مجرى المطابقة في الألفاظ المفردة كقول بعضهم : [الرمل — ق — المتدارك]

أنتَ للمالِ إذَا أصلحتَهُ فإذا أنفقتَهُ فالمالُ لَكْ (2)

10 ومن هذا النحو قول بعضهم : « إنّ من خوّفك حتّى تلْقَى الأمنَ خيرٌ ممّنْ أمّنَكَ حتّى تلقى الخوف » (3) . ويسمّى هذا النوع من الكلام التبديل .

وقد تكلّم الناس في ضروب المطابقات وبسطوا القول فيها فلا معنى للإطالة إذ قصدنا أن نتخطّى ظواهر هذه الصناعة وما فرغ الناس منه إلى

15 ما وراء ذلك ممّا لم يفرغ منه .

---

1) البيت من قطعة له أولها :

تراءت لنا يوم الرحيل بمقلتي غرير بملتف من السدر مفرد

الجمحي ، 192 .

2) روي الصدر بغير الوجه الذي هو عليه في هذا النص ، فجاء بإذا أمسكته بدل إذا أصلحته ، وهو أصوب لتحقيق المطابقة فيما يظهر . ابن رشيق ، ٢ ، 8 .

3) هو قول الحسن البصري . انظر الخفاجي ، 192 .

ط ــ مأمّ من المذاهب المستشرفة بالمعلم المتقدّم أيضا وهو مذهب المقابلة .

وإنّما تكون المقابلة في الكلام بالتوفيق بين المعاني التي يطابق بعضها بعضا والجمع بين المعنيين اللذين تكون بينهما نسبة تقتضي لأحدهما أن يذكر مع الآخر من جهة ما بينهما من تباين أو تقارب ، على صفة من الوضع تلائم بها عبارةُ أحد المعنيين عبارةَ الآخر كما لاءم كلا المعنيين 5 في ذلك صاحبه .

1 ــ **إضـــاءة** : وأنواع المقابلات تتشعّب . وقلّ من تجده يفطن لمواقع كثير منها في الكلام . كما أنّ كثيرا من الناس يعدّ من المقابلة ما ليس منها . وأكثر ما يشعر به منها مقابلة التضاد والتخالف ، كقول الجعدي : [الطويل ــ ق ــ المتدارك] 10

فَتَىً تَمّ فيه مَا يَسُرُّ صديقَه على أنّ فيه ما يَسُوء الأعَاديا (1)

[19 ــ أ] 2 ــ **تنـويـر** : فإذا وضع أحد المعنيين / (..............) (2) هذه الصفة بإزاء الآخر ومقابلا له كان الكلام بذلك (..............) (3) بعضه بعضا ، ومنتسبا أواخره إلى أوّله . فكان للكلام بذلك حسن موقع من النفس .

3 ــ **إضـــاءة** : وليس يشترط تحاذي عبارتي المعنيين المتقابلين في 5 طرفي الكلام في الرّتبة . وإذا أمكن تقابلهما فهو أحسن . وأنشد قدامة في ما تحاذت فيه العبارة : [الطويل ــ ق ــ المتدارك]

1) البيت في الديوان بلفظ كان بدل تم . وهو من مقطوع مزدوج ، يليه بيت ثان . انظر المرزوقي ، ٢ ، 969 .
2) قطع بأعلى الصفحة مقدار كلمة .
3) قطع مثله .

فيَا عَجبًا ، كيفَ اتفَقْنا فنَاصِحٌ
وَفِيٌّ ، ومَطْوِيٌّ على الغِشِّ غَادِرُ (1)

فقابل النصح والوفاء بالغشّ والغدر .

وأنشد أيضا فيما لم تتخاذّ فيه عبارتا المعنيين المتقابلين :

5 [الوافر – ق – المتواتر]

أسَرْنَاهمْ وأنعَمْنَا عليهِم وسَقَيْنَا دِمَاءَهمُ التُرابا
فَما صَبَروا لِضَربٍ عندَ حَرْبٍ ولا أدّوا لِحُسْنِ يدٍ ثَوابا(2)

فقابل ما في صدر البيت الأوّل بما في عجز الثاني ، وما في عجز الأوّل بما في صدر الثاني .

10 وأنشَدَ الخفاجي : [الطويل – ق – المتواتر]

جزَى اللّه خيرا ذاتَ بَعْلٍ تَصَدّقت
على عَزَبٍ حتّى يكونَ له أهْلُ
فإنّا سَنَجزيها بحُسنِ فِعَالِها إذَا مَا تزوّجنا وليس لها بَعْلُ (3)

1) ورد البيت غير منسوب . وهو شاهد المقابلات . قال ابن رشيق : «مثال ذلك ما أنشده قدامة لبعض الشعراء.» وهذا يؤكد ما ورد في النص من نسبة إنشاد البيت لصاحب نقد الشعر ، وقد ذكره قدامة ،(3)،72، عدد 400 في باب المقابلات ؛ والشاهد موجود كما ذكرنا في العمدة . انظر ابن رشيق ، ٢ ، 14 .

2) ورد ذكر البيتين ونسبتهما للطرماح . والبيت الثاني بلفظ بأس بدل ضرب . انظر قدامة،(1)، 48 ؛ الخفاجي،252 .

3) انشد هذين البيتين قدامة والخفاجي في كتابيهما مع عدم التصريح باسم صاحبهما والاكتفاء بقولهما : ومن ذلك قول الآخر او ولآخر . وتختلف رواية صدر البيت الثاني عما ها هنا عند قدامة إذيقول : فإنه سنجزيها كما فعلت بنا ، بدل فإنا سنجزيها بحسن فعالها . قدامة ،(1) ، 48 ؛ الخفاجي ، 252 .

فجعل في مقابلة أن تكون المرأة ذات بعل وهو لا زوج له أن يكون هو ذا زوج وهي لا بعل لها ، وحاجته وهو عزب بحاجتها وهي كذلك ؛ وهذه مقابلة صحيحة .

4 — **تنوير** : ومن ضروب المقابلة أيضا قول تأبّط شرّا :

[الطويل — ق — المتدارك] 5

أَهُزُّ بِهَا فِي نَدْوَةِ الحَيِّ عِطْفَهُ
كَمَا هَزَّ عِطْفِي بالهِجَانِ الأَوَارِكِ (1)

فقابل هزّ عطفه بالمنحة بهزّ عطف ممدوحه بالمدحة .

ومن المقابلة الصحيحة قول الفرزدق : [الطويل — ق — المتدارك]

وَإِنَّا لتَمْضِي بالأَكُفِّ رِمَاحُنَا إذا أُرْعِشَتْ أيديكم بِالمَعَالِقِ (2) 10

ومن صحيح المقابلة في النثر قول هند بنت النعمان : « شَكَرَتْكَ يدٌ نالتها خَصَاصَةٌ بعدَ نِعمةٍ ، ولا ملَكَتْكَ / يدٌ نالت ثروةً بعد فاقَة » (3) . وكتب بعضهم : « ولو أنَّ [الأقدارَ إذْ] رَمَتْ بكَ من [19 — ب]

---

1) البيت من قصيدته التي طالعها :

إنـي لمهـد مـن ثنـائي فقـاصـد   بـه لابن عم الصدق شمس بن مالك

المرزوقي ، 1 ، 94 .

2) يروى البيت في الديوان بلفظ لتروى بدل لتمضي ، والروايتان صحيحتان . والبيت من قصيدة له في النقائض طالعها :

إن تك كلبا من كليب فإنني   من الدارميين الطوال الشقاشق

وهي نقيضة قصيدة جرير التي هجاه بها ، وطالعها :

ألا حي أهل الجوف قبل العوائق   ومن قبل روعات الحبيب المفارق

الديوان ، ٢ ، 594 .

3) وردت هذه الجملة بلفظ قريب مما رواه حازم . قالت الحرقة هند بنت النعمان بن المنذر : « شكرتك يد أفقرتك بعد غنى ، ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر . وأصاب الله بمعروفك مواضعه ، ولا أزال عن كريم نعمة إلا جعلك سببا لردها إليه ، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة . وعقد لك المنن في أعناق الكرام » شيخو ، 26 .

المراتب في أعلاها بلغتَ في أفعال السؤدد إلى [ما وازاها] ، فوازيتَ بمساعيك مراقيك وعادلتَ النعمةَ عليك بالنعمة فيك ، ولكنّك قابلتَ سُمُوّ الدرجة بدُنُوّ الهمّة ورفيعَ الرتبة بوضيعِ الشيمة ، فعاد علوّك بالاتّفاق إلى حال دنوّك بالاستحقاق وصار جَناحُك في الانهياض إلى ما
5 عليه قدرك في الانخفاض . فلا لوم على القدر إذ أذنب فيك فأناب وغلط بك فعاد إلى الصواب » (1) .

وهذه مقابلات صحيحة كلّها .

5 ــ **إضـــاءة** : ومن فساد المقابلة قول أبي عديّ :

[الخفيف ــ ق ــ المتواتر]

10 يا ابنَ خير الأخيار من عبدِ شمس أنتَ زينُ الدنا وغيثُ الجود (2)

لأن غيث الجود ليس مقابلا لزين الدنيا من طريق المقاربة ولا التضادّ .

ي ــ مأمّ من المذاهب المستشرقة بالمعلم المتقدّم أيضا وهو مذهب التقسيم .

والتقسيم ضروب . فمن ذلك تعديد أشياء ينقسم إليها شيء لا يمكن انقسامه إلى أكثر منها ؛ ومنها تعديد أشياء تكون لازمة عن شيء على سبيل
15 الاجتماع أو التعاقب ؛ ومنها تعديد أشياء تتقاسمها أشياء لا يصلح أن ينسب منها شيء إلاّ إلى ما نسب إليه من الأشياء المتقاسمة ؛ ومنها تعديد أجزاء من شيء تتقاسمها أشياء أو أجزاء من شيء وتكون الأجزاء المعدودة إمّا جملة أجزاء الشيء أو أشهر أجزائه وأليقها بغرض الكلام ، ويكون كلّ

1) ورد هذا النص مع خلاف قليل في لفظه . انظر الخفاجي ، 252 .
2) البيت مفرد ، وبهذا الوجه أورده قدامة ، (1) ، 77 ؛ الخفاجي ، 252 .

جزء منها لا يصلح أن ينسب إلى غير ما نسب إليه بالنّظر إلى صحّة المعنى ؛ ومنها تعديد أشياء محمودة أو مذمومة من شيء متّفقة في الشهرة / [20 – أ] والتناسب .

1 – **إضاءة** : فما ركّب من هذا القسم (1) الأخير وما قبله ممّا ليس انقسامه إلى ما قسّم إليه ضروريّا لا تمكن الزيادة عليه ولا النقص 5 منه ، فإنّه يسمّى تقسيما على التسامح ، ويسمّى أيضا تقطيعا . وما ركّب من الأقسام المتقدّمة فإنّه التقسيم الصحيح .

2 – **تنوير** : وينبغي أن يتحرّز في القسمة من وقوع النقص فيها أو التداخل أو وقوع الأمرين فيها معا . فإنّ ذلك ممّا يعيب المعاني ويسلب بهجتها ويزيل طلاوتها . كما أنّ القسمة إذا تمّت وسلمت من الخلل 10 الداخل فيها من حيث ذُكر وطابق حسن تركيب العبارة فيها حسن ترتيب المعاني كان الكلام بذلك أنيق الديباجة قسيم الرواء والهيئة .

واستقصاء الكلام في ما أشرت إليه من أنحاء القسمة وتفصيل القول في تمثيل ما رسمناه في ذلك مُحْوِج إلى إطالة تُخرج عن الغرض المقصود في هذا الكتاب . وقد تقدّم التعريف بذلك ، ولكنّي سألمع بأمثلة يسيرة 15 من القسمة الصحيحة وما وقع فيه الخلل من ذلك عند التكلّم في ما تكون عليه المعاني من كمال أو نقص . فليتصفّح ذلك في المنهج الرابع (2) ، من هذا القسم ، إن شاء الله تعالى .

---

1) بالأصل الاسم .

2) انظر 154 – 157 .

يا – مأمّ من المذاهب المستشرقة بما تقدّم أيضا ، وهو مذهب التفسير .

والتفسير أيضا أنواع . فمنه تفسير الإيضاح وهو إرداف معنى فيه إبهام مّا بمعنى مماثل له إلاّ أنّه أوضح منه . ومن ذلك قول أبي الطيب :
[الطويل – ق – المتدارك]

5 ذَكِيٌّ تَظَنِّيهِ طَلِيعَةُ عَيْنِهِ
يَرَى قلبُه في يومِهِ مَا تَرى غَدا (1)

ومنه تفسير التعليل نحو قول أبي الحسن مهيار ابن مرزويه :
[الطويل – ق – المتدارك]

بَكَيْتُ على الوَادِي فحَرّمتُ مَاءَه
10 وكَيفَ يَحِلُّ المَاءُ أكثَرُه دَمُ (2)

/ ومنه تفسير السبب نحو قوله : [الطويل – ق – المتدارك] [20 – ب]

.... يُرجَى ويُتّقى
يُرَجَّى الحَيَا منه وتُخْشَى الصَّوَاعِقُ(3)

ومنه تفسير الغاية ، ومنه تفسير التضمّن نحو قول ابن الرومي :
15 [البسيط – ق – المتواتر]

---

1) البيت من القصيدة التي مدح بها أبو الطيب سيف الدولة ، وهنأه فيها بعيد الإضحى ، وطالعها :
لكل امرىء من دهره ما تعودا   وعادات سيف الدولة الطعن في العدا
العكبري ، (1) ، 1 ، 175 .

2) البيت من قصيدة له في عتاب الكافي الأوحد ، طالعها :
أجيرانَنا بالغور والركب متهم   أيعلم خال كيف بات
الديوان ، ٣ ، 344 .

3) انظر ما قدمناه فيما يتعلق بهذا البيت 29 تع 2 .

خبّــرْهُ بـالـدّاء ، واسألـهُ بحيلتـه
تُخبِرْ وتَسْألْ أخَا فَهْمٍ وَإفْهام (1)

ومنه تفسير الإجمال والتفصيل كقول بعضهم :
[الـكامل– ق – المتواتر]

أذْكَــى وأخْمَــدَ للعَـدَاوة والقِـرَى
نارَيْــن : نـارَ وغًى ، ونـارَ زِنـاد (2)

1 – **إضـــاءة** : ويجب أن يُتَحرّى في التفسير مطابقة المفسَّر المفسِّر وأن يُتحرّز في ذلك من نقص المفسِّر عمّا يحتاج إليه في إيضاح المعنى المفسَّر ، أو أن تكون في ذلك زيادة لا تليق بالغرض ، أو أن يكون في المفسِّر زيغ عن سنن المعنى المفسَّر وعدول عن طريقه حتى يكون غير مناسب له ولو من بعض أنحائه ، بل يجهد في أن يكون وفقه من جميع الأنحـاء .

2 – **تنـويـر** : وممّا جاء من التفسير غير وفق للمعنى المفسَّر قـول بعضهم : [الطويـل – ق – المتـدارك]

فَيَـا أيُّهـا الحَيْـرَانُ في ظُـلَـمِ الـدُجى
ومن خـاف أن يَلْقـاهُ بَغْـيٌ مِـنَ العِــدَا

1) البيت من الفرائد التي لم نقف عليها في القسم المطبوع من ديوان ابن الرومي ، ولا في كتب الأدب المتداولة ولا في كتب النقد .
2) البيت لبكر بن النطاح الحنفي ، وروايته : أذكى وأوقد . وهو أصح لأن هذا وإن فاته حسن الطباق لا يفوته تمام المناسبة للزناد وهو في الإيقاد لا في الإخماد . ابن رشيق ، ٢ ، 15 .

تعالَ إليه تَلْقَ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ
ضِيَاءً ، ومِن كفَّيْهِ بَحرا مِنَ النَّدَى (1)

فمقابلة ما في عجز البيت الأوّل بما في عجز الثاني غير صحيحة . والتسامح في إيراد التفسير على مثل هذا مُخِلٌّ بوضع المعاني ومُذْهِب لطلاوة الكلام . فينبغي أن يُتحرّز منه وألاّ يتسامح في مثله .

يب — مأمّ من المذاهب المستشرقة بالمعلم المتقدّم أيضا وهو مذهب التفريع .

وهو أن يصف الشاعر شيئا بوصف مّا . ثمّ يلتفت إلى شيء آخر يوصف بصفة مماثلة ، أو مشابهة ، أو مخالفة لما وُصف به الأوّل ، فيستدرج / من أحدهما إلى الآخر ، ويستطرد به إليه على جهة تشبيه أو مفاضلة أو التفات أو غير ذلك ممّا يناسب به بين بعض المعاني وبعض ، فيكون ذكر الثاني كالفرع عن ذكر الأوّل . ومن ذلك قول الكميت : [21 — أ]
[البسيط — ق — المتراكب]

أحلامُكم لسِقام الجَهْل شافيةٌ
كَمَا دِمَاؤُكم يُشْفَى بها الكَلَبُ (2)

1) أورد البيتين قدامة مصرحا أن صاحبهما من معاصريه وتلاميذه ولم يسمه . وقال الخفاجي : « وأما فساد التفسير فكقول بعضهم » وذكرهما المرزباني في عيوب التفسير كما فعل قدامة ، وفي نسبتهما قال : «مثل قول بعض المحدثين» . قدامة ، (1) ، 78 ؛ الخفاجي ، 255 ؛ المرزباني ، 235

2) للبيت روايتان . إحداهما رواية حازم ، وقد جرى عليها صاحب العمدة . انظر ابن رشيق ، ٢ . 34 .
والرواية الثانية رويها مجرور وهي من الكَلب ، لا بها الكلب . والبيت من قصيدة أولها :

هل للشباب الذي قد فات من طلب　　أم ليس غابره الماضي بمنقلب
دع البكاء على ما فات مطلبه　　فالدهر يأتي بألوان من العجب

انظر العباسي ، (2) ، ٣ . 88 .

وقول ابن المعتزّ : [الكامل – ق – المتدارك]

وكأنّ حُمرةَ لونِها مِن خدِّه ... وكأنّ طيبَ نسيمِها مِن نَشْره
حتّى إذا صبّ المِزاجَ تَبسَّمَت ... عن ثَغرِها فحسبتَه من ثَغره
ما زالَ يُنجِزُ لي مواعدَ عينِه
فمُهُ ، وأحْسَبُ ريقَه مِن خَمْرِه (1) 5

وقول الصنوبري : [الكامل – ق – المتدارك]

ما أخطأتْ نُوناتُه مِن صُدغِه ... شَبَهَا ، ولا ألِفاتُه مِن قدِّه
فكأنّما أنفاسُه مِن شَعْرِه ... وكأنّما قِرطاسُه مِن جِلدِه (2)

1 – **إضاءة** : وكلّ معنى فرّع عن معنى فقد يكون واقعا معه في حيّز واحد ، وقد يكون بينهما تباين في ذلك ، وقد يكون المأخذ فيهما 10 واحدا ، وقد يكون متخالفا ، وقد يكون أحدهما موجّها من بعض جهات التوجيه نحو النسب الإسنادية إلى ما وجّه إليه الآخر ، وقد يكون أحدهما موجّها إلى غير ما وجّه إليه الآخر ، ومن ذلك قول محمّد بن وهيب : [الكامل – ق – المتراكب]

---

1) وردت الأبيات مع تغيير قليل ، غير موصول بعضها ببعض ضمن قطعة صغيرة :

قد حثني بالكاس أو في نحره ... ساق علامة دينه في خصره
وكأن حمرة خده في لونها ... وكأن طيب رياضها من نشره
حتى إذا صب المزاج تبسمت ... عن ثغرها فحسبته عن ثغره
يا ليلة شغل الرقاد غيورها ... عن عاشق في الحب هتكة ستره
إن لم تعودي للمتيم مرة ... أخرى فإنك غلطة من دهره
ما زال ينجز لي مواعد عينه ... فمه وأحسب ريقه من خمره
وإذا تحرك ذعره في قلبه ... قطع الشفاء على ضنى لم يبره

الديوان ، 222 .

2) ورد البيتان بغير الوجه المذكور في الأصل والرواية الثانية :

ما أخطأت نوناته من صدغه ... شيئا ولا ألفاته من قده
وكأنما أقلامه من شعره ... وكأنما قرطاسه من جلده

العباسي ، (2) ، ٣ ، 90 .

طَلَلان طَال عليهما الأمَدُ دَرَسَا فلا عَلَمٌ ولا نَضَدُ
لَبِسَا البِلى ، فكأنّما وَجَدَا بَعْدَ الأحِبَّة مثلَ ما أجِدُ (1)

2 ــ **تنوير** : وينبغي أن تكون النقلة من أحد المعنيين إلى الآخر فيما قصد فيه التفريع متناسبة ، وأن يكون المعنى الثاني ممّا يحسن اقترانه بالأوّل
5 ويفيدَ الكلامَ حسنَ موقع من النفس . وما وقع من التفريع غير متناسب الوضع ولا متشاكل الاقتران لم يحسن ، وكان من قبيل التذييل والحشو الذي لا يحسن .

3 ــ **إضاءة** : ولا ينبغي أن / يُذهب بالمعاني مذهبَ التفريع في [21 ــ ب] قصيدة بجملتها ، ولا أن يتابع ذلك في جملة فصول من القصيد ، بل
10 يلمع بذلك في بيت أو فصل غير طويل . وإن وقع ذلك في فصول أو أبيات غير متّصلة ، بحيث تقع المراوحة بينه وبين غيره من الصناعات ، لم يكن مكروها ؛ إذ المذهب المستحسن في الكلام أن يفتنّ في ضروب الإبداعات الموقعة فيه ، وأن يتوخّى في جميع ذلك تناسب الانتقالات وحسن الاقترانات . وكلّما كان الكلام مقتصرا به على فنّ واحد من الإبداعات ،
15 وإن كان حسنا في نفسه ، لم يحسن لأنّ ذلك مؤدّ إلى سآمة النفس ، فإنّ شيمتها الضجر ممّا يتردّد والولع بما يتجدّد .

1) لم نقف إلا على صدر البيت الاول . العباسي ، (2) ، ٣ ، 227 .

المنهج الثالث ، في الإبانة عمّا به تتقوّم صنعتا الشعر والخطابة من التخييل والإقناع ، والتعريف بأنحاء النظر في كلتا الصنعتين ، من جهة ما به تقوّمت ، وما به تعتبر أحوال المعاني في جميع ذلك ، من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها .

أ — معلم دالّ على طرق العلم بما تتقوّم به صناعة الشعر من التخييل ، وما به تتقوّم صناعة الخطابة من الإقناع ، والفرق بين الصناعتين في ذلك . 5

لمّا كان (1) كلّ كلام يحتمل الصدق والكذب إمّا أن يَرِدَ على جهة الإخبار والاقتصاص وإمّا أن يردَ على جهة الاحتجاج والاستدلال ، وكان اعتماد الصناعة الخطابيّة في أقاويلها على تقوية الظنّ لا على إيقاع / اليقين — اللّهمّ إلاّ أن يعدل الخطيب بأقاويله عن الإقناع [22 — أ] 10
إلى التصديق ، فإنّ للخطيب أن يلمّ بذلك في الحال بين الأحوال من كلامه — واعتماد الصناعة الشعريّة على تخييل الأشياء التي يعبّر عنها بالأقاويل وبإقامة صورها في الذهن بحسن المحاكاة ، وكان التخييل لا ينافي اليقين كما نافاه الظنّ ، لأنّ الشيء قد يخيّل على ما هو عليه وقد يخيّل على غير ما هو عليه ، وجب (2) أن تكون الأقاويل الخطبيّة — اقتصاديّة 15
كانت أو احتجاجيّة — غير صادقة ما لم يعدل بها عن الإقناع إلى التصديق ، لأنّ ما يتقوّم به وهو الظنّ مناف لليقين ، وأن تكون الأقاويل الشعريّة اقتصاديّة كانت أو استدلالية غير واقعة أبدا في طرف واحد من

---

1) فعل لمّا والجواب هو وجب الذي يقع التنبيه عليه بعد .
2) هذا جواب « لمّا في لمّا كان كلام » في أول المعلم .

النقيضين اللذين هما الصدق والكذب ، ولكن تقع تارة صادقة وتارة كاذبة . إذ ما تتقوّم به الصناعة الشعريّة وهو التخييل غير مناقض لواحد من الطرفين . فلذلك كان الرأي الصحيح في الشعر (1) أن مقدّماته تكون صادقة وتكون كاذبة ، وليس يعدّ شعرا من حيث هو صدق ولا من حيث
5 هو كذب بل من حيث هو كلام مخيّل .

1 — **إضـــاءة** : ولمّا كانت الأقاويل الصادقة لا تقع في الخطابة بما هي خطابة إلاّ بأن يعدل بها عن طريقتها الأصليّة وكان ما وقع منها في الشعر غير مقصود من حيث هو صدق كما لا تكون الأقاويل الكاذبة فيها مقصودة من حيث هي كذب بل من حيث هي أقاويل مخيّلة رأيت ألاّ
10 أشتغل بحصر الطرق التي بها يماز القول الصادق من غيره وتفصيل القول في ذلك. فإنّ ذلك مخرج إلى محض صناعة المنطق . وإن كنت قد أشرت إلى الأنحاء التي يتعرّف منها ذلك إشارة إجماليّة لأرشد الناظر في هذه الصناعة إلى جهات الفحص عن ذلك ، وأدُلّه على مظانّ التماسه ، فإنّ الخطيب واجب عليه والشاعر متأكّد في حقّه أن يعرف / الوجوه التي تصير بها الأقاويل [22 — ب]
15 الكاذبة موهمة أنّها صدق .

2 — **تنـــويــــر** : وإنّما يصير القول الكاذب مقنعا وموهما أنّه حقّ بتمويهات واستدراجات ترجع إلى القول أو المقول له . وتلك التمويهات والاستدراجات قد توجد في كثير من الناس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات التي يحتاج فيها إلى تقويّة الظنون في شيء ممّا أنّه على غير
20 ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتدرّب في احتذائها .

---

1) هذا خروج من الاختلافات والآراء المتباينة فيه، الواردة في ترجمات كتاب **الشعر** لارسطو وفي كتب النقد العربية .

3 — **إضاءة** : والتمويهات تكون في ما يرجع إلى الأقوال . والاستدراجات تكون بتهيّؤ المتكلّم بهيئة من يقبل قوله . أو باستمالته المخاطب واستلطافه له بتزكيته وتقريظه . أو باطبائه إيّاه لنفسه وإحراجه على خصمه حتى يصير بذلك كلامه مقبولا عند الحكم . وكلامُ خصمه غير مقبول . 5

4 — **تنوير** : والتمويهات تكون بطيّ محلّ الكذب من القياس عن السامع . أو باغتراره إيّاه ببناء القياس على مقدّمات توهم أنّها صادقة لاشتباهها بما يكون صدقا ، أو بترتيبه على وضع يوهم أنّه صحيح لاشتباهه بالصحيح . أو بوجود الأمرين معا في القياس أعني أن يقع فيه الخلل من جهتي المادّة والترتيب معا ، أو بإلهاء السامع عن تفقّد موضع 10 الكذب وإن كان إلى حيّز الوضوح أقرب منه إلى حيّز الخفاء بضروب من الإبداعات والتعجيبات تشغل النفس عن ملاحظة محلّ الكذب والخلل الواقع في القياس من جهة مادّة أو من جهة ترتيب أو من جهة المادّة والترتيب معا .

5 — **إضاءة** : فلمّا كان كثير من التمويهات التي تكون من غير 15 جهة اشتغال النفوس بالتعجيبات والإبداعات البلاغيّة عن تفقّد محلّ الكذب يقصدها كثير من الناس بطباعهم ويتهدّون إليها بأفكارهم — وإن كان تحصيل القوانين في حصر طرق تلك التمويهات أنفع شيء للخطيب/ في التوصّل إلى الملكة الخطابيّة — رأيت ألاّ أشتغل بحصر تلك [23 — أ] الطرق عمّا هو أنسب إلى هذه الصناعة من ذلك عن إبانة وجوه النظر 20 البلاغي في الأقاويل الخطابيّة والشعريّة من جهة ما يخصّ كلتا الصناعتين ويعمّهما ، وأن نشير في ما أشرنا إليه من ذكر طرق التمويهات الخطابيّة على ما أصّلهُ أهل صناعة المنطق كابن سينا وغيره .

6 — **تنـــويـــر** : وليس ترد المقاييس في الأقاويل الشعريّة والخطابيّـة المقصود بها البلاغة إلاّ محذوفة إحدى المقدّمتين أو النتيجة في الحمليات ، ومحذوفة الاستثناءات والنتائج في الشرطيّات المتّصلات ، لأنّ القياس كلام تلازمت فيه القضايا فصار مسئما بطوله مع ما يقع فيه من تكرار الأسوار 5 والحدّ الأوسط وأجزاء النتيجة . وكذلك المقدّمات والتوالي في الشرطيّات المتّصلات يقع فيهما وفيما يتّصل بهما التكرار أيضا بما يعاد من أجزائهما في الاستثناء والنتيجة . فلمّا كان القول القياسي قد لزمه الطول والتكرار لم يكن لهم بدّ ، فيما قصدوا به البلاغة من كلامهم ، من أن يعدلـوا مقداره ويميطوا تكراره . فإنّ الكلام إذا خفّ واعتدل حسن موقعه من 10 النفس ، وإذا طال وثقل اشتدّت كراهة النفس له .

7 — **إضـــــاءة** : وليس يحمد في الكلام أيضا أن يكون من الخفّـة بحيث يوجد فيه طيش ، ولا من القصر بحيث يوجد فيه انبتار ؛ لكـنّ المحمود من ذلك ما له حظّ من الرصانة لا تبلغ به إلى الاستثقال ، وقسط من الكمال لا يبلغ به إلى الإسآم والإضجار . فإنّ الكلام المتقطّع الأجزاء 15 المنبتر التراكيب غير ملذوذ ولا مستحلى ، وهو شبه الرشفات المتقطّعة التي لا تروي غليلا . والكلام المتناهي في الطول يشبه استقصاء الجرع المؤدّي إلى الغصص ، فلا شفاء مع التقطيع المخلّ ولا راحة مع التطويل / المملّ ، [23 — ب] ولكنّ خير الأمور أوساطها .

8 — **تنـــويـــر** : ولا يحذف من المقاييس إلاّ ما يكون في قوّة الكلام 20 دليل عليه من مقدّمة أو نتيجة أو قضيّة مستثناة . وهذا المحذوف قد يكون القصد به طيّ المقدّمة التي يظهر فيها الكذب ، وقد تكون مقدّمات القياس كلّها صادقة وتطوى إحداها لما ذكرته من قصد التخفيف خاصّة.

9 ـ **إضاءة** : وقد يكون اقتضاء ما أبقي من القياس لما أميط عنه اقتضاء صحيحا . وقد يكون غير مقتض له في الحقيقة ويظهر في بادىء الرأي أنّه مقتض له على الصحّة . وأكثر ما يكون هذا في الاستثناءات الشرطيّة نحو قول امرىء القيس : [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

وَإنْ كُنْتِ قدْ سَاءَتْكِ مِنّي خليقَةٌ 5
فَسُلّي ثِيَابِي من ثيابِكِ تَنْسَلِ (1)

ففي قوّة هذا الكلام ، على ما يترامى إليه غرض القول ، أن يكون الاستثناء نقيض المقدّم والنتيجة نقيض التالي ، أي لكنّك لم تسؤك منّي خليقة فيوهم أنّه منتج : فلا تسلّي ثيابي من ثيابك . وهذا استثناء وإنتاج غير صحيحين ، وإنّما يستعمل هذا في الخطابة على جهة الإقناع . وإنّما 10 تصحّ نتيجة الشرطيّة المتّصلة إذا استثني فيها عين المقدّم فأنتج عين التالي ، أو استثني نقيض التالي فأنتج نقيض المقدّم . والمقدّم هي القضيّة التي تلي حرف الشرط ، والتالي هي القضيّة التي تكون جوابا للشرط .

10 ـ **تنوير** : فإذا كان الاستثناء والإنتاج على هذا النحو الذي ذكرته آخرا وكانت القضايا صحيحة مسلّمة كان القياس صحيحا وكان 15 لزوم النتيجة لما تقدّمها من أجزاء القياس واجبا ،لأنّ القياس قول مؤلّف من مقدّمات وقضايا إذا كانت مسلّمة ورتّبت الترتيب الذي يجب في القياس الصحيح لزم عن ذلك القول المرتّب لذاته قول آخر يسمّى نتيجة .

1) البيت من معلقته الشهيرة . السندوبي ، (3) ، 147 .

11 — **إضـــاءة** : فما كان من الأقاويل القياسيّة مبنيّا على تخييل وموجودة فيه المحاكاة فهو يعدّ قولا شعريّا . سواء كانت / مقدّماته [24 — أ] برهانيّة أو جدليّة أو خطابيّة يقينيّة أو مشتهرة أو مظنونة . وما لم يقع فيه من ذلك بمحاكاة فلا يخلو من أن يكون مبنيّا على الإقناع وغلبة الظنّ خاصّة ، أو يكون مبنيّا على غير ذلك . فإن كان مبنيّا على الإقناع خاصّة 5 كان أصيلا في الخطابة دخيلا في الشعر سائغا فيه . وما كان مبنيّا على غير الإقناع ممّا ليس فيه محاكاة فإنّ وروده في الشعر والخطابة عبث وجهالة سواء كان ذلك صادقا أو مشتهرا أو واضح الكذب .

12 — **تنـويـر** : وأكثر ما يستدلّ في الشعر بالتمثيل الخطابي . وهو 10 الحكم على جزئي بحكم موجود في جزئي آخر يماثله ، نحو قول حبيب : [البسيط — ق — المتراكب]

أخْـرَجْتُمُـوه بِـكُـرْهٍ مِنْ سَجِيَّتِـهِ
والنـارُ قد تُنْتَضَى من نـاضِرِ السَّلَـمِ (1)

فالأقاويل التي بهذه الصفة خطابيّة بما يكون فيها من إقناع ، شعريّة 15 بكونها متلبّسة بالمحاكاة والخيالات .

13 — **إضـــاءة** : والاستدلالات الواقعة في الشعر والأمثال المضروبة فيه إنّما تجيء تابعة لبعض ما في الكلام ، أو لما قد أشير اليه ممّا هو خارج عنه . فهي إمّا محاكاة لمتبوعاتها ، أو تخييلات فيها أو من أجلها . فكثير من الأمثال أيضا يكون قولا شعريا ، ويكون منها ما هو قول حق ، ومنها 20 ما ليس بحق كما كان ذلك في المحاكاة والاستدلالات .

1) البيت من قصيدة يمدح بها أبو تمام مالك بن طوق التغلبي، طالعها :
سلم على الربع من سلمى بذي سلم   عليه رسم من الأيام والقدم
التبريزي ، ٣ ، 189 .

14 — **تنوير** : وإنّما اتسّع في المحاكيات الشعريّة ، على هذه الأنحاء التي أشرت إليها وعلى ما نذكره بعد في أصناف المحاكيات وكيفيّات التصرّف فيها ، في لسان العرب خاصّة . فلذلك وجب أن توضع لها من القوانين أكثر ممّا وضعت الأوائل .

5 فإنّ الحكيم ارسطاطاليس ، وإن كان اعتنى بالشعر بحسب مذاهب اليونانية فيه ونبّه على عظيم منفعته وتكلّم في قوانين عنه ، فإنّ أشعار اليونانيّة إنّما كانت أغراضا محدودة في أوزان مخصوصة (1) ، ومدار [24 — ب] جلّ أشعارهم على خرافات كانوا يضعونها / يفرضون فيها وجود أشياء وصور لم تقع في الوجود ، ويجعلون أحاديثها أمثالا وأمثلة لما وقع في 10 الوجود . وكانت لهم أيضا أمثال في أشياء موجودة نحوا من أمثال كليلة ودمنة ونحوا ممّا ذكره النابغة من حديث الحيّة وصاحبها (2) . وكانت لهم طريقة أيضا — وهي كثيرة في أشعارهم — يذكرون فيها انتقال أمور الزمان وتصاريفه (3) ، وتنقّل الدول وما تجرى عليه أحوال الناس وتؤول إليه .

---

1) أورد نحوا من هذه الجملة ابن سينا في ترجمته لكتاب **الشعر** لارسطو . وإثر ذلك ذهب كغيره إلى عد الانواع والتعريف بها وبموضوعاتها وأغراضها واحدا واحدا أرسطو ، (1)، 165 ، 167 .

2) الحديث المشار إليه هنا هو الذي تضمنته القصيدة الرائية التي عاتب بها النابغة بني مرة على إيثارهم وتحالفهم عليه وعلى قومه . وطالع القصيدة :

الا أبلغا ذبيان عني رسالة فقد أصبحت في منهج الحق حائره

وأول الحديث المشار اليه :

وإني لألقى من ذوى الضغن منهم وما أصبحت تشكو من الوجد ساهره

وما بعده ثلاثة عشر بيتا إلى قوله :

أبى لي قبر لا يزال مقابلي وضربة فأس فوق رأسي فاقره

الديوان ، 61 ، 62 .

3) الملحمة في الشعر اليوناني .

فأمّا غير هذه الطرق ، فلم يكن لهم فيها كبير تصرّف ، كتشبيه الأشياء بالأشياء ، فإنّ شعر اليونانيين ليس فيه شيء منه ؛ وإنّما وقع في كلامهم التشبيه في الأفعال لا في ذوات الأفعال (1) .

ولو وجد هذا الحكيم أرسطو في شعر اليونانيّين ما يوجد في شعر العرب من كثرة الحكم والأمثال ، والاستدلالات واختلاف ضروب الإبداع في فنون الكلام لفظا ومعنى ، وتبحّرهم في أصناف المعاني وحسن تصرّفهم في وضعها ووضع الألفاظ بإزائها ، وفي إحكام مبانيها واقتراناتها ولطف التفاتاتهم وتتميماتهم واستطراداتهم ، وحسن مآخذهم ومنازعهم وتلاعبهم بالأقاويل المخيّلة كيف شاؤا ، لزاد (2) على ما وضع من القوانين الشعريّة.

فإنّ أبا علي بن سينا قد قال عند فراغه من تلخيص كتابه في **الشعر** : « هذا هو تلخيص القدر الذي وجد في هذه البلاد من كتاب الشعر للمعلم الأوّل . وقد بقي منه شطر صالح ولا يبعد أن نجتهد نحن فنبتدع في علم الشعر المطلق وفي علم الشعر ، بحسب عادة هذا الزمان ، كلاما شديد التحصيل والتفصيل . وأمّا ها هنا فلنقتصر على هذا المبلغ » (3) . انتهى كلام ابن سينا .

---

1) هذا مأخوذ من كلام الشيخ الرئيس حين قال : « والشعر اليوناني إنما كان يقصد فيه في أكثر الأمر محاكاة الأفعال والأحوال لا غير . وأما الذوات فلم يكونوا يشتغلون بمحاكاتها أصلا كاشتغال العرب . فإن العرب كانت تقول الشعر لوجهين : أحدهما ليؤثر في النفس أمرا من الأمور تعد به نحو فعل أو انفعال ، والثاني للعجب فقط . فكانت تشبه كل شيء لتعجب بحسن التشبيه . وأما اليونانيون فكانوا يقصدون أن يحثوا بالقول على فعل أو يردعوا بالقول عن فعل . وتارة كانوا يفعلون ذلك على سبيل الخطابة وتارة على سبيل الشعر . فلذلك كانت المحاكاة الشعرية عندهم مقصورة على الأفاعيل والأحوال والذوات من حيث لها تلك الأفاعيل والأحوال» . أرسطو ، (1) ، 169 — 170 .

2) جواب لو .

3) هذا آخر فن **الشعر** كتاب **الشفاء** لابن سينا . انظر أرسطو ، (1) ، 198 .

وفي كلامه إشارة إلى تفخيم علم الشعر ، وما أبدت فيه العرب من العجائب ، وإلى كثرة تفاصيل الكلام في ألفاظه ومعانيه ونظمه وأساليبه ، واتّساع مجال القول في ذلك .

[25 ـ أ] 15 ـ / **إضـــاءة** : وقد ذكرت في هذا الكتاب من تفاصيل هذه الصنعة ما أرجو أنّه من جملة ما أشار إليه أبو علي ابن سينا . 5

وقد تركت من ذلك أشياء لم يمكنّي الكلام فيها لكون بعض أغراض النفس تحثّ على الانحفاز في التأليف وتعجيل الإتمام له . ولأنّ استقصاء القول في هذه الصناعة محوج إلى إطالة تتخوّن أزمنة الناظر وتعوقه عمّا يجب أن يترقّى إليه من هذه الصناعة من العلوم النافعة . فإنّ النظر في أسرار هذه الصناعة مفتاح للنظر في تلك ومرقاة لها . وإنّما يجب أن يقتصر 10 في التأليف من هذه الصناعة على ظواهرها ومتوسّطاتها . ويمسك عن كثير من خفاياها ودقائقها لأنّ مرام استقصائها عسير جدّا ، مضطرّ إلى الإطالة الكثيرة ، ولأنّ هذه القوانين الظاهرة والمتوسّطة أيضا مَن فهمها وأحكم تصوّرها وعرفها حقّ معرفتها أمكنه أن يصير منها إلى خفايا هذه الصنعة ودقائقها . ويعلم كيف الحكم فيما تشعّب من فروعها . فيحصل 15 له جميع الصنعة أو أكثرها بطريق مختصر . والله وليّ الإرشاد لمن استرشده.

16 ـ **تنـويـر** : وإنّما صحّ أن تقع الأقاويل الصادقة في الشعر ، ولم تصحّ أن تقع في الخطابة ما لم يعدل بها عن الإقناع إلى التصديق ، لأنّ ما تتقوّم به صنعة الخطابة ، وهو الإقناع ، مناقض للأقاويل الصادقة ، إذ الإقناع بعيد من التصديق في الرتبة . والشعر لا يناقض اليقين ما يتقوّم به 20 وهو التخييل ، فقد يخيّل الشيء ويمثّل على حقيقته . فلذلك وجب أن يكون في الكلام المخيّل صدق وغير صدق . ولا يكون في الكلام المقنع ما لم يعدل به إلى التصديق إلاّ الظنّ الغالب خاصّة ، والظن مناف لليقين .

فالشعر إذن قد تكون مقدّماته يقينيّة ومشهورة ومظنونة . ويفارق البرهان والجدل والخطابة بما فيه من التخييل والمحاكاة ، ويختصّ بالمقدّمات المموّهة الكذب . / فيكون شعرا أيضا ما هذه صفته باعتبار ما [25 — ب] فيه من المحاكاة والتخييل ، لا من جهة ما هو كاذب ، كما لم يكن شعرا
5 من جهة ما هو صادق ، بل بما كان فيه أيضا من التخييل . فلاختصاص الشعر باستعمال المحاكاة في المقدّمات الكاذبة ما يقصر على النسبة إليه كلّ كلام مخيّل مقدّماته كاذبة ، فيقال : كلام شعري إذ هو المختصّ باستعمال المقدّمات الكاذبة من حيث يخيّل فيها أو بها لا من حيث هي كاذبة . وإن شارك جميع الصنائع في ما اختصّت به ، وكان له أن يخيّل
10 في جميع ذلك ، فالتخييل هو المعتبر في صناعته (1) ، لا كون الأقاويل صادقة أو كاذبة .

ب — معرف دالّ على المعرفة بماهية الشعر وحقيقته .

الشعر كلام موزون مقفّى من شأنه أن يحبّب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها ، ويكرّه إليها ما قصد تكريهه ، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب
15 منه ، بما يتضمّن من حسن تخييل له ، ومحاكاة مستقلّة بنفسها أو متصوّرة بحسن هيأة تأليف الكلام ، أو قوّة صدقه أو قوّة شهرته ، أو بمجموع ذلك . وكلّ ذلك يتأكّد بما يقترن به من إغراب . فإنّ الاستغراب والتعجّب حركةٌ للنفس إذا اقترنت بحركتها الخياليّة قوي انفعالها وتأثّرها.

1 — **إضـــاءة** : فأفضل الشعر ما حسنت محاكاته وهيأته ، وقويت
20 شهرته أو صدقه ، أو خفي كذبه ، وقامت غرابته . وإن كان قد يعدّ

1) وردت الكلمة بالأصل بلا إضافة ولا تعريف .

حذقا للشاعر اقتداره على ترويج الكذب وتمويهه على النفس وإعجالها إلى التأثّر له قبل ، بإعمالها الرويّة في ما هو عليه . فهذا يرجع إلى الشاعر وشدّة تحيّله في إيقاع الدُلسة للنفس في الكلام . فأما أن يكون ذلك شيئا (1) يرجع إلى ذات الكلام فلا .

5 وأردأ الشعر ما كان قبيح المحاكاة والهيئة ، واضح الكذب ، خليًا من الغرابة ؛ وما أجدر ما كان / بهذه الصفة ألاّ يسمّى شعرا وإن كان موزونا [62— أ] مقفّى ؛ إذ المقصود بالشعر معدوم منه ؛ لأنّ ما كان بهذه الصفة من الكلام الوارد في الشعر لا تتأثر النفس لمقتضاه . لأنّ قبح الهيأة يحول بين الكلام وتمكّنه من القلب ، وقبح المحاكاة يغطّي على كثير من حسن المحاكَى أو قبحه ويشغل عن تخيّل ذلك . فتجمد النفس عن التأثّر له ؛ 10 ووضوحُ الكذب يزعها عن التأثّر بالجملة .

2 — **تنـويـر** : فإن حسنت الهيأة والمحاكاة ولم يكن الكذب شديد الوضوح ، خادعا النفس عمًّا تستشعره أو تعتقده من الكذب ، وحرّكاها إلى اعتماد الشيء بفعل أو اعتقاد أو التخلّي عنه تحريكَ مغالطة ، فهذا أدنى مراتب الشعر إذا لم يعتدّ بما ذكرناه أوّلا . 15

3 — **إضـاءة** : وإنّما يرجع الشاعر إلى القول الكاذب حيث يُعوزُه الصادق والمشتهر بالنسبة إلى مقصده في الشعر . فقد يريد تقبيح حسن وتحسين قبيح ، فلا يجد القول الصادق في هذا ولا المشتهر ، فيضطرّ حينئذ إلى استعمال الأقاويل الكاذبة .

1) بالاصل شيء .

4 ــ **تنــويــر** : فأمّا إذا قصد تحسين حسن وتقبيح قبيح ، فإنّه متمكّن من القول الصادق والمشهور فيهما . وأكثر أقوال الشعراء في هذين القسمين . إذا لم يقصدوا المبالغة في ما يحاكونه ويصفونه ، صادقة . اللّهم إلاّ أن يقصدوا المبالغة في تحسين حسن أو تقبيح قبيح فيتجاوزون (1)
5 حدود أوصافه الحقيقيّة ويحاكونه بما هو أعظم منه حالا أو أحقر ليزيدوا النفوس استمالة إليه أو تنفيرا عنه .

5 ــ **إضــاءة** : ولا يخلو الشيء الحسن من أن يكون أحسن ما في معناه ، أو أن يكون ثمّ ما هو أحسن منه . وكذلك القبيح قد يوجد أقبح منه أو لا يوجد . فالحسن الذي لا أحسن منه ، والقبيح الذي لا أقبح منه ،
10 ولا يوجد مساو لهما في معنييهما ، لا ينبغي أن تكون الأقوال فيهما صادقة في الأولى والأكثر ؛ فإنّ محاكاته بما هو دونه (2) تقصير به وليس هناك إلى ما يطمح به . / فأمّا الحسن والقبيح اللذان يوجد في معناهما ما هو [26 ــ ب] أعظم منهما أو ما يساويهما ، فإنّ الأقاويل الشعريّة تَرِدُ فيهما صادقة وكاذبة ، بحسب ما يعتمده الشاعر من اقتصاد في الوصف أو مبالغة .

15 6 ــ **تنــويــر** : وإذا حقّق القول وجدت الأقاويل أيضا في تقبيح الحسن وتحسين القبيح قد تكون صادقة لأنّ كلّ شيء حسن يقصد محاكاته وتخييله ، وإن كان أحسن ما في معناه ، فقد يوجد فيه وصف مستقبح . وكذلك الشيء القبيح ، فإنّه وإن كان لا أقبح منه ، قد يوجد فيه وصف مستحسن .

---

1) كذا بالاصل ، ولعل الوجه حذف النون منه ومن المعطوف عليه .
2) بالأصل دنه بإسقاط الواو .

فقد قال الجاحظ : « ليس شيء إلاّ وله وجهان وطريقان . فإذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين ، وإذا ذمّوا ذكروا أقبحهما » .

وأنا أذكر الأنحاء التي يترامى إليها صدق الشعر أو كذبه بما يقتضيه أصل الصناعة ويوجبه . وهو الذي يعتمده المطبوعون من الشعراء ، وهي ثمانية أنحاء : 5

تحسينُ حَسَن لا نظير له . فهذا يجب أن تكون الأقاويل فيه صادقة وكذلك تقبيح القبيح الذي لا نظير له .

وتحسينُ حسَن له نظير . وكثيرا ما يقع في هذا أيضا الصدق إذا اقتصد في أوصافه واقتصر على الوقوف عند حدودها . وكذلك أيضا إن اقتصد في محاكاته بغيره واقتصر به على المشابهة دون الغاية التي يطمح فيها عن محاكاة 10 الشيء بالشيء إلى قول هو هو .

وفرق بين قولك في الشيء : إنّه الشيء الآخر، وبين قولك : إنّه مثله وشبهه ، إذا لم ترد في نفسك معنى التشبيه ، وتكون قد حذفت الحرف الدالّ عليه إيجازا ، بل أردت أن يصير به اثنينية شيئين اتّحادا . وهذا يكون في المشابهة وغيرها . 15

قال أبو علي بن سينا : «المجانسة اتّحاد في الجنس ، والمشاكلة اتّحاد في النوع ، والمشابهة اتّحاد في الكيف ، والمساواة اتّحاد في الكمّ ، والموازاة [27 — أ] اتّحاد في الوضع ، والمطابقة اتّحاد في الأطراف ، والهو / هو اتّحاد في شيء من اثنين يجعل اثنين في الوضع تصير به اثنينيتهما اتّحادا بنوع من الاتّحادات الواقعة بين اثنين ممّا قيل » (1) . 20

---

1) تفصيلات وحدود منطقية وردت في بعض كتب ابن سينا الموضوعة لدراسة علم المنطق . انظر **النجاة** ، 324 ، 325 ، 369 وغيرها .

فما وقع من الأوصاف والمحاكاة مقتصدا فيه غير متجاوز فهو قول صدق . فإذا قيل في الشيء: إنّه كالشيء ، وكان فيه شبه منه ، فهو قول حقّ . لأنّ الكاف وحروف التشبيه إنّما وضعت لأن تدلّ على الشبه من حيث إنّه موجود ، قلّ أو كثُر ، لا من حيث الكمية ؛ فقد يقوى الشبه 5 ويضعف وتكون المحاكاة مع ذلك صادقة إلاّ أنّها في أحد الحالين أوضح.

وكثير من الناس يغلط فيظنّ أنّ التشبيه والمحاكاة من جملة كذب الشعر ، وليس كذلك . لأنّ الشيء إذا أشبه الشيء فتشبيهه به صادق ؛ لأنّ المُشبِّه مخبرٌ أنّ شيئا أشبه شيئا ، وكذلك هو بلا شكّ . ولأنّ التشبيه بإظهار الحرف وإضماره قول صادق . إذا كان في أحد الشيئين شَبَهٌ من 10 الآخر — ورد التشبيهُ في القرآن لأنّ الماء يشبه السراب (1) بلا شك ، والهلال شبيه بالعرجون القديم (2) ولا بدّ . وكذلك جميع تشبيهات الكتاب العزيز ، الشبه فيها ظاهر —

فقد تبيّن أنّ الوصف والمحاكاة لا يقع الكذب فيهما إلاّ بالإفراط وترك الاقتصاد .

15 وحكم تقبيح القبيح الذي له نظير حكم ضدّه الذي فرغت منه .

وقد يقع الصدق أيضا في تحسين القبيح ؛ ووقوعه في ما هو الغاية في القبح أقلُّ من وقوعه في ما هو دون الغاية من ذلك . وكذلك حكم تقبيح الحسن . فإنّ الصدق في ما هو الغاية في ذلك أقلّ منه في ما دونها .

وسيأتي لهذا زيادة بيان (3) .

---

1) يشير إلى قوله تعالى : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ، يحسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا . ووجد الله عنده فوفاه حسابه . والله سريع الحساب » **قرآن** . 39/24 .

2) « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » **قرآن** ، 38/36 .

3) انظر 133 — 136 .

7 — **إضـــاءة** : ولنقسّم الآن الكلام الشعري بالنسبة إلى الصدق والكذب القسمة التي يتبيّن بها كيف يقع الكذب في صناعة الشعر ، وما الذي يسوغ منه فيها وما لا يسوغ .

فأقول : إنّ الأقاويل الشعريّة منها ما هو صدق محض ، ومنها ما هو كذب محض ، ومنها ما يجتمع فيه الصدق والكذب .

والكذب منه ما يعلم أنّه كذب من ذات القول ، ومنه ما لا يعلم كذبه / من ذات القول . فالذي لا يعلم كذبه من ذات القول ينقسم : إلى ما لا يلزم علم كذبه من خارج القول ، وإلى ما يعلم من خارج القول أنّه كذب ولا بدّ . [27 — ب]

فالذي لا يعلم كذبه من ذات القول ، وقد لا يكون طريق إلى علمه من خارج أيضا : هو الاختلاق الإمكاني . وأعني بالاختلاق : أن يدّعي الإنسان أنّه محبّ ويذكر محبوبا تيّمه ومنزلا شجاه ، من غير أن يكون كذلك . وعنَيْتُ بالإمكان : أن يذكر ما يمكن أن يقع منه ومن غيره من أبناء جنسه ، وغير ذلك ممّا يصفه ويذكره .

والذي يعلم من خارج القول أنّه كذب ولا بدّ : الاختلاق الامتناعي ، والإفراط الامتناعي والاستحالي .

والإفراط : هو أن يغلو في الصفة فيخرج بها عن حدّ الإمكان إلى الامتناع أو الاستحالة .

وقد فرّق بين الممتنع والمستحيل ، بأنّ الممتنع : هو ما لا يقع في الوجود وإن كان مُتَصوّرا في الذهن ، كتركيب يد أسد على رجل مثلا . والمستحيل : هو ما لا يصحّ وقوعه في وجود ، ولا تصوّره في ذهن ككون الإنسان قائما قاعدا في حال واحدة .

فأمّا الإفراط الإمكاني فلا يتحقّق ما هو عليه من صدق أو كذب ، لا من ذات القول ولا من بديهة العقل ؛ بل يستند العقل في تحقّق ذلك إلى أمر خارج عنه وعن القول ، إلاّ أن يدلّ القول على ذلك بالعرَض . فلا يعتدّ بهذا أيضا . وإنّما نسمّيه إفراطا بحسب ما يغلب على الظنّ .

5 8 – **تنوير** : والاختلاق الإمكاني يقع للعرب من جهات الشعر وأغراضه .

وجهات الشعر : هو ما تُوَجَّه الأقاويل الشعريّة لوصفه ومحاكاته مثل : الحبيب ، والمنزل ، والطيف في طريق النسيب . فمثل هذه الجهات يعتمد وصف ما تعلّق بها من الأحوال التي لها عُلقه بالأغراض الأنسانية ، 10 فتكون مسانح لاقتناص المعاني بملاحظة الخواطر ما يتعلّق بجهة جهة من ذلك .

والأغراض : هي الهيئات النفسيّة التي ينحى بالمعاني المنتسبة إلى تلك الجهات نحوها ويمال بها في صغوها / لكون الحقائق الموجودة لتلك المعاني [28 – أ] في الأعيان ممّا يهيّء النفس بتلك الهيآت ، وممّا تطلبه النفس أيضا أو تهرب منه ، إذا تهيّأت بتلك الهيآت .

15 وسيأتي لهذا فضل بيان في القسم الرابع إن شاء الله (1) .

9 – **إضاءة** : والاختلاق الامتناعي ليس يقع للعرب (2) في جهة من جهات الشعر أصلا .

وكان شعراء اليونانيين يختلقون أشياء يبنون عليها تخاييلهم الشعريّة ويجعلونها جهات لأقاويلهم ، ويجعلون تلك الأشياء التي لم تقع في الوجود

1) طالع تفصيل الجهات والاغراض وما يعتمد من حيل فيها في مكانها من هذا الكتاب 336 – 341 ، 346 – 353 .

2) يوضحه قول ابن سينا بعد ، فيما سينقله لنا حازم : « فإن هذا ليس مما يوافق جميع الطباع » .

كالأمثلة لما وقع فيه ، ويبنون على ذلك قصصا مخترعا نحو ما تحدث به العجائز الصبيان في أسمارهم من الأمور التي يمتنع وقوع مثلها .

وقد قال أبو علي ابن سينا (1) : « وقد كان يستعمل في طراغوذيا (2) أيضا جزئيات في بعض المواضع مخترعة على قياس المسمّيات الموجودة . ولكن ذلك من النادر القليل . وفي النوادر قد كان يخترع اسم شيء لا نظير له من الوجود ويوضع بدل معنى كلّي » (3) . 5

وقد ذمّ ابن سينا هذا النوع من الشعر فقال : « ولا يجب أن يحتاج في التخيّل الشعري إلى هذه الخرافات البسيطة التي هي قصص مخترعة » (4) . وقال أيضا : « إنّ هذا ليس ممّا يوافق جميع الطباع » (5) .

10 10 — **تنوير** : فأمّا أغراض الشعر المنوطة بالجهات المذكورة ، فإنّ العرب كانت لها فيها اختلاقات : منها اقتصاديّة ، ومنها إفراطيّة . والإفراطيّة منها ممكنة ، وممتنعة ، ومستحيلة .

فالكذب الاختلاقي في أغراض الشعر لا يعاب من جهة الصناعة لأنّ النفس قابلة له ، إذ لا استدلال على كونه كذبا من جهة القول ولا العقل . فلم يبق إلاّ أن يعاب من جهة الدين . وقد رفع الحرج عن مثل هذا الكذب 15

1) أرسطو ، (1) ، 184 .
2) الشعر الشاجي .
3) تمام الفقرة : مثل جعلهم الخير كشخص واحد واطنابهم في مدحه ، وذلك لأن أحوال الامور قد كانت مطابقة لاحوال ما كانوا يخترعون لهذا الاسم . وليس نفع ذلك في التخييل بنفع قليل . انظر أرسطو ، (1) ، 184 .
4) انظر أرسطو ، (1) ، 184 .
5) أول الفقرة من كلام ابن سينا : ولكن لا يجب أن يوقف على الطراغوذيا واختراع الخرافات فيها على هذا النحو ، فان هذا ليس... أرسطو ، (1) ، 184 .

أيضا في الدين ، فإنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينشَد النسيبَ أمام المدح ، فيصغي إليه ويثيب عليه .

والكذب الإفراطي معيب في صنعة الشعر إذا خرج [من] حدّ الإمكان إلى حدّ الامتناع أو الاستحالة .

5 والإفراط : هو القسم الذي / يجتمع فيه الصدق والكذب . فإنّ الشاعر إذا وصف الشيء بصفة موجودة فيه ، فأفرط فيها ، كان صادقا من حيث وصفه بتلك الصفة ، وكاذبا من حيث أفرط فيها وتجاوز الحدّ . فهذا قد يجيء منه ما يستحسنه بعض أرباب هذه الصنعة (1) .

وسيأتي تفصيل القول في هذا إن شاء الله .

10 فأمّا القسم الثالث وهو القول الصادق ، فمنه القول المطابق للمعنى على ما وقع في الوجود ، ومنه المقصّر عن المطابقة بأن يدلّ على بعض الوصف ويقع دون الغاية التي انتهى إليها الشيء من ذلك الوصف . فهذا النوع من الصدق في الشعر قَبِيحٌ من جهة الصناعة وما يجب فيها .

11 — **إضــاءة** : فأغراض الشعر إذاً منها حاصلة ، ومنها مختلقة .

15 والحاصلة منها ما تكون الأقاويل فيها اقتصاديّة وتقصيريّة وإفراطيّة . وكذلك المختلقة تكون أقاويلها أيضا اقتصاديّة وتقصيريّة وإفراطيّة ، والإفراطية : منها إمكانية ومنها امتناعية ومنها استحالية . يتركّب منها عشرة أصناف :

صنفان منها صادقان : — 1 — وهي الحاصلة التي أقاويلها اقتصادية ، 20 — 2 — والحاصلة التي أقاويلها تقصيريّة .

1) هذا إشارة إلى مذهب الغلو وإلى الخلاف فيه بين أيمة النقد .

وصنف يحتمل الصدق والكذب : وهي الحاصلة التي أقاويلها إمكانيّة .

وسبعة أصناف كاذبة : — 1 — وهي الحاصلة التي أقاويلها ممتنعة — 2 — والحاصلة التي أقاويلها مستحيلة — 3 — والمختلقة (1) التقصيريّة — 4 — والاقتصاديّة — 5 — والامكانيّة — 6 — والامتناعيّة — 7 — والاستحاليّة . 5

فهذه قسمتها بالنسبة إلى الصدق والكذب .

12 — **تنوير** : وتنقسم من جهة ما يستحسن في الشعر ويستساغ ، ومن جهة ما يستساغ ولا يستحسن ، ومن جهة ما لا يستساغ ولا يستحسن ، إلى عشرة أقسام (2) :

أربعة منها مستحسنة : — 1 — وهي الحاصلة التي أقاويلها اقتصاديّة 10 — 2 — والحاصلة التي أقوالها إمكانيّة — 3 — والمختلقة التي أقاويلها اقتصاديّة — 4 — والمختلقة التي أقاويلها إمكانيّة .

[29 — أ] / وقسمان منها مستساغان غير مستحسنين وهما : —1 — الحاصلة التي أقوالها امتناعيّة ، — 2 — والمختلقة التي أقاويلها امتناعيّة ايضا .

وأربعة منها غير مستساغة ولا مستحسنة ، وهي : — 1 — الحاصلة 15 التقصيريّة — 2 — والحاصلة الاستحاليّة ، — 3 — والمختلقة التقصيريّة ، — 4 — والمختلقة الاستحاليّة .

فقد ثبت بهذا أنّ للاستساغة في الكلام الشعري ستّة مذاهب ، وللاستحسان أربعة مذاهب ، وللصدق ثلاثة مذاهب (3) .

---

1) بالأصل المختلفة .

2) بالأصل إلى اثني عشر قسما . وهذا لا يماشي التفصيل الذي ذكره بعد من أي وجه .

3) هي الصورتان الصادقتان المذكورتان مفتتح التقسيم الأول مع الصادقة المحتملة للصدق والكذب .

كلّ هذه المذاهب الاستساغيّة والاستحسانيّة والصدقيّة يقع في جميع أنحاء الشعر الثمانية وهي : تحسين حسن له نظير ، وتحسين حسن لا نظير له ، وتقبيح قبيح له نظير ، وتقبيح قبيح لا نظير له ، وتحسين قبيح له نظير ، وتقبيح حسن لا نظير له (1) .

5 فالصدق في جميعها يدخل من ثلاثة مذاهب على ما بيّنته . وهو أكثر وقوعا في بعض هذه الأنحاء منه في بعض ، كما تقدّم .

13 — **إضـــاءة** : وإنّما احتجت إلى إثبات وقوع الأقاويل الصادقة في الشعر لأرفع الشبهة الداخلة في ذلك على قوم ، حيث ظنّوا أنّ الأقاويل الشعريّة لا تكون إلا كاذبة . وهذا قول فاسد قد ردّه أبو علي ابن سينا

10 في غير ما موضع من كتبه ؛ لأنّ الاعتبار في الشعر إنّما هو التخييل في أيّ مادة اتّفق ، لا يشترط في ذلك صدق ولا كذب ، بل أيّهما ائتلفت الأقاويل المخيّلة منه فبالعرَضَ . لأنّ صنعة الشاعر هي جودة التأليف وحسن المحاكاة ؛ وموضوعها الألفاظ وما تدلّ عليه .

فالصدق والكذب والشهرة والظنّ أشياء راجعة إلى المفهومات التي هي

15 شطر الموضوع ، فنسبتها إلى المدلولات التي هي المعاني كنسبة العموميّة والحوشيّة والحال الوسطى بينهما والغرابة إلى الادلّة التي هي الألفاظ . وكلّ هذه الأصناف من الألفاظ تقع في الشعر . وصناعة الشاعر فيها حسن التأليف والهيئة . كما أنّ كلّ تلك الموادّ تقع فيه . وصناعة الشاعر فيها حسن / المحاكاة والنسب والاقترانات الواقعة بين المعاني . وكما أنّ [29 — ب]

20 الألفاظ المستعذبة المتوسّطة في الاستعمال أحسن ما يستعمل في الشعر لمناسبتها الأسماع والنفوس ، وحسن موقعها منهما ، ثمّ إنّ الشاعر مع ذلك يستعمل

1) راجع بقية الأنحاء الشعرية في التفصيل الوارد 74 — 76 .

الحوشيّ والساقط تسامحا واتّساعا . حيث تضطرّه الأوزان والقوافي ؛ فكذلك المعاني التي تكون الأقاويل فيها صادقة أو مشتهرة ، أفضل ما يستعمل في الشعر لكونها تحرّك النفوس إلى ما يراد منها تحريكا شديدا .

وليست تحرّك الأقاويل الكاذبة إلاّ حيث يكون في الكذب بعض خفاء أو حيث يحمل النفس شدّة ولعها بالكلام لفرط ما أبدع فيه على الانقياد 5 لمقتضاه ، وإن كان ممّا يكره ولا يصدق الخاصّ عليه . ومع هذا فتحريكها دون تحريك الأقاويل الصادقة إذا تساوى فيهما الخيال وما يعضده ممّا داخل الكلام وخارجه . فتحريك الصادقة عامّ فيها قويّ ، وتحريك الكاذبة خاصّ فيها ضعيف . وما عمّ التحريك فيه وقوي كان أخلق بأن يجعل عمدة في الاستعمال حيث يتأتّى . كما أنّ ما عَذُب من الألفاظ ولم 10 يكن حوشيّا ولا عاميّا أجدر أن يُعْتَمَد في الشعر من غيره . لكنّ الشاعر أيضا يضطرّ حيث يريد تحسين قبيح أو تقبيح حسن أو تتميم ناقص بالنسبة الى ما يراد منه بالمبالغة في وصفه لتزيد النفوسَ زيادةُ الوصف تحريكا ، فيستعمل حينئذ الأقاويل الكاذبة وما لا يوقع الصدق كما يستعمل الحوشيّ والعاميّ من الألفاظ مضطرّا في ذلك ، أو مسامحة 15 للفكر في ما يقتضيه من المعاني أو يجتلبه من الألفاظ عفوا دون كدّ ؛ أو لأن يرى بعض الأحوال المقدّرة التي يتخيّلها أهزّ من الأحوال التي وقعت له . فيبني قوله على الحال المخيّلة الممكنة دون الواقعة . ليكون الكلام بذلك أشدّ موقعا من النفس وعلُوقا بالقلب .

[30 — أ] 14 — **تنوير** : فقد تبيّن أنّ أفضل الموادّ المعنويّة / في الشعر ما 20 صدق وكان مشتهرا ، وأحسن الألفاظ ما عذب ولم يبتذل في الاستعمال . وكلامنا ليس واجبا على الشاعر لزومُه ، بل مؤْثَرا حيث يمكن ذلك .

وتبيّن بهذا أنّ قول من قال : إنّ مقدّمات الشعر لا تكون إلاّ كاذبة كاذب ، وأنّه بمنزلة من يقول : إنّ الألفاظ الشعريّة لا تكون إلاّ حوشية ولا تكون مستعملة ، لأنّ الألفاظ المستعملة والمقدّمات الصادقة أولى ما يستعمل في الشعر حيث يمكن ذلك ويكون الوضع والغرض لائقا به . وما
5 مَثَلَه في قَصْر الشعر على الكذب مع أنّ الصدق أنجع فيه إذا وافق الغرض إلاّ مَثَلُ من منع من ذي علّة ما هو أشدّ له موافقة بالنسبة إلى شكاته واقتصر به على أدنى ما يوافقه مع التمكّن من هذا وذلك . فإن كان هؤلاء الذين رأيهم هذا نفسوا على الشعراء وقوع الصدق في كلامهم ، فلا خلق أشدّ نفاسة من هؤلاء . وإن كان جرى عليهم سهو وغلط في ذلك ،
10 فما أجدر هذه الفطر البشريّة والفكر الإنسانيّة بذلك !

15 — **إضـــاءة** : ولعلّ الغلط إنّما جرى عليهم من حيث ظنّوا أنّ ما وقع من الشعر مؤتلفا من المقدّمات الصادقة فهو قول برهاني ، وما ائتلف من المشهورات فهو قول جدلي ، وما ائتلفت من المظنونات المترجّحة الصدق على الكذب فهو قول خُطبي ؛ ولم يعلموا أنّ هذه المقدّمات
15 كلّها إذا وقع فيها التخييل والمحاكاة كان الكلام قولا شعريّا لأنّ الشعر لا تعتبر فيه المادّة ، بل ما يقع في المادّة من التخييل .

وقد قال أبو علي ابن سينا : « الأقاويل الشعريّة مؤتلفة من المقدّمات المخيّلة من حيث يعتبر تخييلها ، كانت صادقة أو كاذبة . وبالجملة تؤلّف من المقدّمات من حيث لها هيئة وتأليف تقبلها النفس بما فيها من المحاكاة ،
20 بل ومن الصدق ؛ فلا مانع من ذلك » . (1)

1) هذا النص غير موجود في نشرة بدوي .

فانظر تر (1) كيف قرن هذا الإمام الرئيس صدق الشعر بالمحاكاة ، لأنّ المحاكاة الحسنة في الأقوال الصادقة وحسن / إيقاع الاقترانات والنسب [30 – ب] بين المعاني مثل التأليف الحسن في الألفاظ الحسنة المستعذبة .

ثمّ قال ابن سينا : « ولا يلتفت إلى ما يقال من أنّ البرهانيّة واجبة والجدليّة ممكنة أكثرية والخُطبية ممكنة متساوية لا ميل فيها ولا ندرة ، 5 والشعريّة كاذبة ممتنعة . فليس الاعتبار بذلك ، ولا أشار إليه صاحب المنطق » (2) .

وقال أبو علي أيضا في موضع آخر : « وليس يجب في جميع المخيّلات أن تكون كاذبة ، كما لا يجب في المشهورات وما يخالف الواجب قبوله أن تكون لا محالة كاذبة . وبالجملة التخييل المحرّك من القول متعلّق 10 بالتعجّب منه : إمّا لجودة هيأته أو قوّة صدقه أو قوّة شهرته أو حسن محاكاته » (3) .

16 – **تنوير** : واعلم أنّ للأقاويل الشعريّة مواطنَ حقيقةً بتوخّي الصدق ، ومواطن لا يليق بها ذلك .

15 فالحقيقة بالصدق هي الأقاويل المتعلّقة بمناصحة ذوي التصافي : والتي لا يليق بها ذلك هي المقصود بها مغاشّة ذوي الأضغان . فلا تكون في ما كان نصحا محضا في الأكثر إلاّ صادقة .

وإن كان لقاصد النصح أيضا أن يتعرّض للكذب النافع في طريق النصح ، كمن يحذّر قوما من عدوّ يتوقّع إناخته عليهم ، فإنّ له أن

1) بالأصل تـرى .
2) هذا النص غير موجود في نشره بدوي .
3) تقرأ هذه الجملة بهذا الوجه لا كما هي عليه عند بدوي ، 110 .

يقرّب البعيد ويُكثّر القليل في ذلك ليأخذوا لأنفسهم بالحزم والاحتياط .
ولا تكون في ما قصد به الغشّ إلاّ كاذبة .

وأكثر ما يمال بالأقاويل الشعريّة في صغوى الصدق والكذب بحسب
هذين المقصدين في مواطن إدارة الآراء والإشارة بوجوه الحيل والمكائد
5 والتدابير لما يستقبل ويتوقّع .

وهذه الأقاويل هي التي يسمّيها أبو عليّ ابن سينا « بالمشوريات » .

17 — **إضـــاءة** : فقد تبيّن من هذا وممّا قبله أنّ الشعر له مواطن لا
يصلح فيها إلاّ استعمال الأقاويل الصادقة ، ومواطن لا يصلح فيها إلاّ
استعمال الأقاويل الكاذبة ، ومواطن يصلح فيها استعمال الصادقة والكاذبة
10 واستعمال الصادقة أكثر وأحسن ، ومواطن يحسن فيها استعمال الصادقة
والكاذبة واستعمال / الكاذبة أكثر وأحسن ، ومواطن تستعمل فيها كلتاهما [31 — أ]
من غير ترجّح . فهي خمسة مواطن ، لكلّ مقام منها مقال .

وقد بيّن أبو عليّ ابن سينا كون التخييل لا يناقض اليقين وكون القول
الصادق في مواطن كثيرة أنجع من الكاذب . فقال :

15 « والمخيّل هو الكلام الذي تذعن له النفس فتنبسط لأمور أو تنقبض عن
أمور من غير رويّة وفكر واختيار . وبالجملة تنفعل له انفعالا نفسانيّا غير
فكري ، سواء كان المقول مصدّقا به أو غير مصدّق به . فإنّ كونه
مصدّقا به غير كونه مخيّلا أو غير مخيّل . فإنّه قد يصدّق بقول من
الأقوال ولا ينفعل عنه ؛ فإن قيل مرّة أخرى أو على هيئة أخرى انفعلت
20 النفس عنه طاعة للتخيّل لا للتصديق . فكثيرا ما يؤثر الانفعال ولا يحدث
تصديقا ، وربّما كان المتيقّن كذبه مخيّلا . وإن كانت محاكاة الشيء
لغيره تحرّك النفس وهو كاذب فلا عجب أن تكون صفة الشيء على ما

هو عليه تحرّك النفس وهو صادق ، بل ذلك أوجب ، لكنّ الناس أطوع للتخييل منهم للتصديق . وكثير منهم إذا سمع التصديقات استكرهها وهرب منها . وللمحاكاة شيء من التعجيب ليس للصدق لأنّ الصدق المشهور كالمفروغ منه ، ولا طراءة له . والصدق المجهول غير ملتفت اليه . 5 والقول الصادق إذا حرّف عن العادة وألحق به شيء تستأنس به النفس فربّما أفاد التصديق والتخييل معا ، وربّما شغل التخييل عن الالتفات إلى التصديق والشعور به » (1) .

وقد قال أبو نصر في كتاب الشعر : « الغرض المقصود بالأقاويل المخيّلة أن ينهض السامع نحو فعل الشيء الذي خيّل له فيه أمر ما من طلب له أو 10 هرب عنه » (2) .

ثم قال : « سواء صدّق بما يخيّل إليه من ذلك أم لا كان الأمر في الحقيقة على ما خيّل له أو لم يكن » (3) .

فأنت ترى هذين الرجلين كيف جعلا التخييل قد يكون بما هو حقيقة في الشيء ، وقد يكون بما لا حقيقة له .

[31 — ب] 15 18 — / **تنوير** : وإنّما غلط في هذا — فظنّ أنّ الأقاويل الشعريّة لا تكون إلاّ كاذبة — قوم من المتكلّمين لم يكن لهم علم بالشعر ، لا من جهة مزاولته ولا من جهة الطرق الموصلة إلى معرفته .

ولا مُعَرّج على ما يقوله في الشيء من لا يعرفه . ولا التفات إلى رأيه فيه . فإنّما يطلب الشيء من أهله . وإنّما يقبل رأي المرء فيما يعرفه .

1) وردت الفقرة كلها مع خلاف في اللفظ قليل في أرسطو ، (1) ، 161 .

2 ، 3) يبدو أن هاتين الجملتين ماخوذتان من كتاب الفارابي في الشعر والقوافي وهو الكتاب الذى أشار اليه ابن أبي اصيبعه ، ٢ 139 .

وليس هذا جرحة للمتكلّمين ولا قدحا في صناعتهم ، فإنّ تكليفهم أن يعلموا من طريقتهم ما ليس منها شطط .

والذي يورّطهم في هذا أنّهم يحتاجون إلى الكلام في إعجاز القرآن ، فيحتاجون إلى معرفة ماهيّة الفصاحة والبلاغة من غير أن يتقدّم لهم علم بذلك ، فيفزعون إلى مطالعة ما تيسّر لهم من كتب هذه الصناعة . فإذا فرّق أحدهم بين التجنيس والترديد ، وماز الاستعارة من الإرداف ، ظنّ أنّه قد حصّل على شيء من هذا العلم ، فأخذ يتكلّم في الفصاحة بما هو محض الجهل بها . ومثلُهم في هذا مثل رجل ، شاهدتُ له هذه القصّة التي أذكرها ، بمرسيه :

وذلك أنّه مرض له صاحب كان يعزّ عليه ويرى في حياته حياته ، ولم يكن له علم بالطبّ ولا تقدّم أن نظر فيه . ففزع في الحين إلى استعارة كتب الطبّ والنظر فيها ليعالج صاحبه المريض . فانسلخت عنه ليلة وهو يتعاطى في غدها من المعالجة الطبيّة ما لم يكن يتعاطاه في أمسه ، إذ كان قد ظنّ أنّه قد اكتسب معرفة صناعة الطب من ليلته . ثمّ شرع من صبيحته في معالجة صاحبه المريض ، فقضى عليه في اليوم الثاني بثريدة أطعمها إيّاه رأى أنّها تصلح به .

فكما أنّ هذا الرجل أصبح جالينوسا من ليلته كذلك يريد المتكلّم في الفصاحة من المتكلّمين أن يصبح من ليلته جاحظا وقُدامة إن شاء .

[الطويل — ق — المتواتر]

وإنّ كَلاَمَ المرءِ ما لم تَكُنْ له حَصَاةٌ على عَوْراتِه لَدَليلُ (1)

1) البيت فيما قيل في الاستدلال على عقل الرجل وحمقه بلسانه وكلامه . نسبه البحتري لطرفه ابن العبد . وقال ويروى لكعب ابن زهير . والصحيح ما ذكره أولا . البحتري : **الحماسة** ، 367 . وورد ذكر هذا البيت في قصيدة لطرفة ، هجا بها ابن عمه عبد عمرو ابن بشر خادم عمرو بن هند . أولها :

الا أبلغا عبد الضلال رسالة وقد يبلغ الانباء عنك رسول

شيخو ، ق. ٣ ، 306 .

[32 – أ] 19 – / **إضـــــاءة** : وكيف يظنّ إنسان أنّ صناعة البلاغة يتـأتّى تحصيلها في الزمن القريب . وهي البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استنفاد الأعمار فيها ! وإنّما يبلغ الإنسان منها ما في قوّته أن يبلغه . ألا ترى أنّ كثيرا من العلوم قد نفذ فيها قومٌ في أزمنة لا تستغرق إلاّ جزءا يسيرا من العمر ؟ ! وهذا أبو الطيب المتنبي ، وهو إمام في الشعر ، لم 5 يستقم شعره إلاّ من مزاولة الصناعة عشرين سنة ، ثمّ زاولها بعد ذلك زمنا طويلا . وتوفي وهو يصيب فيها ويخطىء . وهذا ليس مختصّا به وحده . بل كلّ إمام ناظم أو ناثر هذه غايته ، إذ كانت هذه الصناعة تتشعّب وجوه النظر فيها إلى ما لا يحصى كثرة . فقلّما يتأتى تحصيلها بأسرها والعلم بجميع قوَانينهَا لذلك . وسائرها من العلوم ممكن أن يتحصّل كلّه 10 أو جلّه . وليس هذا تَفْضيلاً لصناعة البلاغة على غيرها من العلوم ، إذ ليس يلزم إذا كان علم أشدّ تشعّبا من علم آخر أن يكون أفضل منه ، بل المفاضَلة بين العلوم من جهات أخر وعلى ما ذكرته .

فلو قدّرنا أن إنسانا ذكيّا ينظر في علم من العلوم شهرا أو عاما لتحصّلت له من ذلك العلم مسائل محقّقة ، ولا يحصل له في هذا القدر من الزمان من 15 هذه الصناعة شيء يعتدّ به ، إذ أكثر ما يستحسن ويستقبح في علم البلاغة له اعتبارات شتّى بحسب المواضع . فقد يحسن في موضع ما يقبح في موضع ويقبح في موضع ما يحسن في موضع . ولا يقف الإنسان على تلك المواضع إلاّ بطول المزاولة . ولا يشرف الإنسان على جمل من تلك المواضع يمكنه أن يستنبط بها أحكام ما سواها إلاّ بكثرة الفحص والتنقيب عمّا 20 يجب اعتماده في جميع أحوال الصناعة من إيثار ما يجب أن يُؤثَر وترجيح ما يجب أن يرجّح بالنظر إلى الشيء في نفسه أو النظر إلى ما يقترن به أو إلى ما هو خارج عن ذلك ممـا تقدّم التعريف به .

/ ج – معلم دالّ على طرق العلم بالأشياء المخيّلة . [32 – ب]

الشعر كلام مخيّل موزون ، مختصّ في لسان العرب بزيادة التقفية إلى ذلك . والتئامه من مقدّمات مخيّلة ، صادقة كانت أو كاذبة ، لا يشترط فيها – بما هي شعر – غير التخييل .

5 1 – **إضـــاءة** : والتخييل في الشعر يقع من أربعة أنحاء : من جهة المعنى ، ومن جهة الأسلوب ، ومن جهة اللفظ ، ومن جهة النظم والوزن .

وينقسم التخييل بالنسبة إلى الشعر قسمين : تخييل ضروري ، وتخييل ليس بضروري ، ولكنّه أكيد أو مستحبّ ، لكونه تكميلا للضروري وعونا له على ما يراد من إنهاض النفس إلى طلب الشيء أو الهرب منه .

10 والتخاييل الضروريّة هي تخاييل المعاني من جهة الألفاظ . والأكيدة والمستحبّة تخاييل اللفظ في نفسه وتخاييل الأسلوب وتخاييل الأوزان والنظم ، وآكد ذلك تخييل الأسلوب .

2 – **تنـــوير** : والتخييل أن تتمثّل للسّامع من لفظ الشاعر المخيّل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه ، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيّلها 15 وتصوّرها ، أو تصوّر شيء آخر بها انفعالا من غير رويّة إلى جهة من الانبساط أو الانقباض .

3 – **إضـــاءة** : وطرق وقوع التخييل في النفس : إمّا أن تكون بأن يتصوّر في الذهن شيء من طريق الفكر وخطرات البال ، أو بأن تشاهد شيئا فتذكر به شيئا ، أو بأن يحاكى لها الشيء بتصوير نحتيّ أو خطيّ أو 20 ما يجرى مجرى ذلك ، أو يحاكى لها صوته أو فعله أو هيأته بما يشبه

ذلك من صوت أو فعل أو هيأة . أو بأن يحاكى لها معنى بقول يخيّله لها — وهذا هو الذي نتكلم فيه نحن في هذا المنهج — أو بأن يوضع لها علامة من الخط تدلّ على القول المخيّل . أو بأن تفهم ذلك بالأشارة .

[33 - أ] / **د — معرف دالّ على طرق المعرفة بجهات مواقع التخييل من الأقاويل وما بإزائها من المعاني وما يحسن أن ينحى بالمحاكاة نحوه من ذلك وما** 5 **لا يحسن .**

وأحسن مواقع التخييل : أن يناط بالمعاني المناسبة للغرض الذي فيه القول كتخييل الأمور السارّة في التهاني ، والأمور المفجعة في المراثي . فإنّ مناسبة المعنى للحال التي فيها القول وشدّة التباسه بها يعاون التخييل على ما يراد من تأثّر النفس لمقتضاه . 10

1 — **إضــاءة** : ويحسّن موقع التخييل من النفس . أن يترامى بالكلام إلى أنحاء من التعجيب . فيقوى بذلك تأثّر النفس لمقتضى الكلام .

والتعجيب يكون باستبداع ما يثيره الشاعر من لطائف الكلام التي يقلّ التهدّي إلى مثلها . فورودها مستندر مستطرف لذلك : كالتهدّي إلى ما يقلّ التهدّي إليه من سبب للشيء تخفى سببيته . أو غاية له . أو شاهد 15 عليه . أو شبيه له أو معاند ، وكالجمع بين مفترقين من جهة لطيفة قد انتسب بها أحدهما إلى الآخر ، وغير ذلك من الوجوه التي من شأن النفس أن تستغربها .

2 — **تنــويــر** : ويجب ألاّ يسلك بالتخييل مسلك السذاجة في الكلام ، ولكن يتقاذف بالكلام في ذلك إلى جهات من الوضع الذي تتشافع فيه 20

التركيبات المستحسنة والترتيبات والاقترانات والنسب الواقعة بين المعاني . فإنّ ذلك ممّا يشدّ أزر المحاكاة ويعضدها . ولهذا نجد المحاكاة أبدا يتّضح حسنها في الأوصاف الحسنة التناسق ، المتشاكلة الاقتران ، المليحة التفصيل ، وفي القصص الحسن الاطراد ، وفي الاستدلال بالتمثيلات 5 والتعليلات ، وفي التشبيهات والأمثال والحكم ، لأنّ هذه أنحاء من الكلام قد جرت العادة في أن يجهد في تحسين / هيآت الألفاظ والمعاني [33 — ب] وترتيباتها فيها .

3 — **إضاءة** : وإذا كان في قوّة القول البسيط أو القريب من البساطة أن يتخيّل منه أشياء لو وضع اللفظ طبقا لها لم يكن إلاّ متركّبا ، حسن 10 الهيئة ، جرى مجرى ما قبله في الاستحسان . وذلك كالتشبيه بغير حرف وكالاستعارة وما جرى مجراهما في ذلك .

هـ — معلم دالّ على طرق العلم بما تنقسم إليه المحاكاة .

لا يخلو المحاكي من أن يحاكي موجودا بموجود أو بمفروض الوجود مقدّره . ومحاكاة الموجود بالموجود لا تخلو من أن تكون محاكاة شيء 15 بما هو من جنسه أو محاكاة شيء بما ليس من جنسه . ومحاكاة غير الجنس لا تخلو من أن تكون محاكاة محسوس بمحسوس أو محاكاة محسوس بغير محسوس ، أو غير محسوس بمحسوس ، أو مدرك بغير الحسّ بمثله في الإدراك . وكلّ ذلك لا يخلو من أن يكون محاكاة معتاد بمعتاد ، أو مستغرب بمستغرب ، أو معتاد بمستغرب ، أو مستغرب بمعتاد . وكلّما قرب الشيء ممّا يحاكى 20 به كان أوضح شبها . وكلّما اقترنت الغرابة والتعجيب بالتخييل كان أبدع .

1 – **إضـــاءة** : وتنقسم التخاييل والمحاكيات بحسب ما يقصد بها إلى : محاكاة تحسين ، ومُحاكاة تقبيح ، ومحاكاة مطابقة لا يقصد بها إلاّ ضرب من رياضة الخواطر والمُلَح في بعض المواضع التي يعتمد فيها وصف الشيء ومحاكاته بما يطابقه ويخيّله على ما هو عليه . وربّما كان القصد بذلك ضربا من التعجيب أو الاعتبار . وربّما كانت محاكاة المطابقة 5 في قوّة المحاكاة التحسينيّة أو التقبيحيّة . فإنّ أوصاف الشيء الذي يقصد في محاكاته المطابقة لا تخلو من / أن تكون من قبيل ما يحمد ويذمّ وإن [34 – أ] قلّ قسطها مثلا من الحمد والذم . والنفس من شأنها أن تميل إلى ما يحمد وتتجافى عمّا يذمّ . فكأنّ التخييل بالجملة لم يخل من تحريك النفس إلى استحسان أو إلى استقباح . فلهذا كانت قوّة محاكاة المطابقة في كثير 10 من المواضع قوّة إحدى المحاكاتين التحسينيّة أو التقبيحيّة ، لكنّها قسم ثالث على كلّ حال ، إذ لم تخلص إلى تحسين ولا تقبيح .

وقد ذكر هذا أبو علي بن سينا ، وقسّم المحاكيات هذه القسمة (1) .

2 – **تنـويـر** : وممّا تنقسم إليه المحاكاة – وقد كان يليق بهذه القسمة أن تكون مدرجة في القسم المصدّر به هذا المعلم فاستدركناها هنا إذ فاتت 15 هنالك ، وقد اندرج في هذه أيضا بعض ما اندرج في تلك – وذلك أنّ المحاكاة إمّا أن تكون محاكاة وجود أو محاكاة فرض . وكلتاهما لا تخلو من أن تكون محاكاة مطلقة ، أو محاكاة شرط ، أو محاكاة إضافة ، أو محاكاة تقدير وفرض . ومحاكاة الموجود بالموجود إمّا أن تكون محاكاة كلّي بكلّي ، أو جزئيّ بجزئيّ ، أو كليّ بجزئيّ أو جزئيّ بكليّ . وكلّ قسم من هذه فإمّا أن 20 يحاكى فيه محسوس بمحسوس ، أو محسوس بغير محسوس ، أو غير محسوس

1) انظر أرسطو ، (1) ، 170 و 171 .

بمحسوس ، أو غير محسوس بغير محسوس . ولا يخلو أن يحاكي الشيء بما هو من نوعه الأقرب ، أو جنسه الأقرب أو الأبعد ، أو بغير جنسه .

3 — **إضـــاءة** : وينقسم التخييل بالنظر إلى متعلّقاته قسمين :

تخيّل المقول فيه بالقول ، وتخيّل أشياء في المقول فيه وفي القول من
5 جهة ألفاظه ومعانيه ونظمه وأسلوبه .

فالتخييل الأوّل يجرى مجرى تخطيط الصور وتشكيلها . والتخييلات الثواني تجرى مجرى النقوش في الصور والتوشية في الأثواب والتفصيل في فرائد العقود وأحجارها .

وقد ذكرت في تأليف الألفاظ واقترانات المعاني (1) ، وأذكر بعد
10 هذا (2) إن شاء الله في الهيآت النظمية وضمّ بعض الأبيات والفصول إلى بعض وفي نسق أجزاء الجهات في / أسلاك الأساليب ممّا يستحسن من [34 — ب] ضروب الصيغ والهيئات المستحسنة في جميع ذلك ما تغنّى بذكره هناك عن أن أنصه (3) لك هنا .

وتلك الصيغ والهيئات هي التخاييل الثواني . وللنفس بما وقع به من ذلك
15 تشاكل في الكلام ابتهاج لأنّ تلك الصيغ تنميقات الكلام وتزيينات له . فهي تجرى من الأسماع مجرى الوشي في البرود والتفصيل في العقود من الأبصـــار .

---

1) من موضوعات القسم الأول المفقود .
2) إشارة إلى موضوعات القسم الثاني .
3) بالأصل بغير أن .

فالنفوس تتخيّل بما يخيّل لها الشاعر من ذلك محاسن ضروب الزينة فتبتهج لذلك. ولهذا نقلوا إلى بعض الهيئات اللفظيّة التي من هذا القبيل أسماء الصناعات التي هي تنميقات في المصنوعات. فقالوا الترصيع. والتوشيح، والتسهيم من تسهيم البرود. وكثير من الكلام الذي ليس بشعريّ باعتبار التخييل الأوّل يكون شعرا باعتبار التخاييل الثواني. وإن غاب هذا عن كثير من الناس. 5

4 — **تنوير** : وتنقسم المحاكاة من جهة ما تخيّل الشيء بواسطة أو بغير واسطة قسمين: قسم يخيّل لك فيه الشيء نفسه بأوصافه التي تحاكيه. وقسم يخيّل لك الشيء في غيره.

10 وكما أنّ المحاكي باليد قد يمثّل صورة الشيء نحتا أو خطّا فتعرف المصوّر بالصورة، وقد يتّخذ مرآة يبدى لك بها تمثال تلك الصورة فتعرف المصوّر أيضا بتمثال الصورة المتشكّل في المرآة فكذلك الشاعر تارة يخيّل لك صورة الشيء بصفاته نفسه، وتارة يخيّلها لك بصفات شيء آخر هي مماثلة لصفات ذلك الشيء. فلا بدّ في كلّ محاكاة من أن تكون جارية على أحد هذين الطريقين: إمّا أن يحاكى لك الشيء بأوصافه التي 15 تمثّل صورته، وإمّا بأوصاف شيء آخر تماثل تلك الأوصاف. فيكون ذلك بمنزلة ما قدّمت من أنّ المحاكي للشيء. بأن يضع له تمثالا يعطي به صورة الشيء المحاكى، قد يعطي أيضا هيئة تمثال الشيء وتخطيطه بأن يتّخذ له مرآة يبدى صورته فيها. فتحصل المعرفة بما لم يكن يعرف: [35 — أ] إمّا برؤية تمثاله، وإمّا برؤية صورة تمثاله. فيعرف الشيء بما / يحاكيه، 20 أو بما يحاكي ما يحاكيه. وربّما ترادفت المحاكاة وبني بعضها على بعض فتبعد الكلام عن الحقيقة بحسب ترادف المحاكاة وأدّى [ذلك] (1) إلى

1) يقتضي المقام تقدير لفظ ذلك تصحيحا للجملة وهو غير موجود بالأصل.

الاستحالة . ولذلك لا يستحسن بناء بعض الاستعارات على بعض حتّى تبعد عن الحقيقة برتب كثيرة لأنّها راجعة إلى هذا الباب . فمحاكاة الشيء نفسه هي المحاكاة التي ليست بواسطة ، ومحاكاة الشيء بغيره هي المحاكاة التي بواسطة .

5 5 — **إضـــاءة** : وكلّ واحدة من المحاكاتين : المتّحدة والمزدوجة — أعني أنّ الواحدة تشتمل على محاكى خاصّة ، والثانية تشتمل على محاكى ومحاكى به — تنقسم قسمين : محاكاة الشيء نفسه على حسب ما ألف فيه ، ومحاكاة الشيء بغيره على حسب ما ألف فيهما ، ومحاكاته فيه على غير ما ألف . وأعني بغير المألوف أن تكون حاله مستغربة .

10 ومن محاكاة الشيء بغيره على غير ما ألف فيه قول أبي عمر ابن درّاج :

[الكامل — ق — المتواتر]

وسلافةُ الأعناب يَشعَلُ نارُها تُهدي إليّ بيانع العُنّاب (1)

فالمألوف أن يذوى النبات الناعم بمجاورة النار لا أن يونع ، فأغرب في هذه المحاكاة كما ترى.

15 6 — **تنـــويـــر** : وللمحاكاة انقسام بحسب تنوّعها إلى المألوف والمستغرب ومقابلة بعضها ببعض . فيحصل عن ذلك ستّة أقسام : — 1 — محاكاة حالة معتادة — 2 — ومحاكاة حالة مستغربة — 3 — ومحاكاة معتاد بمعتاد — 4 — ومستغرب بمستغرب — 5 — ومعتاد بمستغرب — 6 — ومستغرب بمعتاد .

---

1) ورد البيت بلفظ توقد بدل يشعل كما في النص . وهو من قصيدة طالعها :

أوجفت خيلي في الهوى وركابي وقذفت نبلي في الصبا وحرابي

الثعالبي ، (1) ، 1 ، 449 .

ومحاكاة الأحوال المستغربة إمّا أن يقصد بها إنهاض النفوس إلى الاستغراب أو الاعتبار فقط . وإمّا أن يقصد حملها على طلب الشيء وفعله أو التخلّي عن ذلك مع ما تجده من الاستغراب .

وللنفوس تحرّك شديد للمحاكيات المستغربة لأنّ النفس إذا خيّل لها في الشيء ما لم يكن معهودا من أمر معجب في مثله وجدت من استغراب 5 ما خيّل لها ممّا لم تعهده في الشيء ما يجده المستطرف لرؤية ما لم / يكن [35 – ب] أبصره قبل . ووقوع ما لم يعهده من نفسه موقعا ليس أكثر من المعتاد المعهود .

وفنون الإغراب والتعجيب في المحاكاة كثيرة . وبعضها أقوى من بعض وأشدّ استيلاء على النفوس وتمكّنا من القلوب .

7 – **إضـــاءة** : وتنقسم المحاكاة أيضا – من جهة ما تكون متردّدة 10 على ألسن الشعراء قديما بها العهد ، ومن جهة ما تكون طارئة مبتدعة لم يتقدّم بها عهد – قسمين : فالقسم الأوّل هو التشبيه المتداول بين الناس . والقسم الثاني هو التشبيه الذي يقال فيه إنّه مخترع . وهذا أشدّ تحريكا للنفوس إذا قدّرنا تساوي قوّة التخييل في المعنيين لأنّها أنست بالمعتاد فربّما قلّ تأثّرها له ، وغير المعتاد يفجؤها بما لم يكن به لها استئناس قطّ 15 فيزعجها إلى الانفعال بديها بالميل إلى الشيء والانقياد إليه أو النفـرة عنه والاستعصاء عليه . وأمّا المعنى في نفسه فحقيقة واحدة . ولا فرق بالنظر إلى حقيقته بين أن يكون جديدا مخترعا وأن يكون قديما متداولا . وإنّما الفضل في المعنى المخترع راجع إلى المخترع له وعائد عليه ومبين عن ذكاء ذهنه وحدّة خاطره . 20

وسيأتي لهذا فضل بيان في المنهج الرابع (1) من هذا القسم إن شاء الله .

---

1) انظـر : 192 – 196 .

8 – **تنـــويـــر** : وتنقسم المحاكاة أيضا ، بالنظر إلى محاكاة جزء من معنى بجزء من معنى ، أو محاكاة معنى بمعنى ، أو محاكاة قصّة تتضمّـن معاني بقصّة تتضمن معاني ، ثلاثة أقسام ، الثالث منها تاريـخ .

9 – **إضـــــاءة** : والتخاييل في المعاني منها محاكيات تقع في أمور من جهة ما ترتّبت في مكان وحصل لبعضها وضع ونسبة من بعض ، فتحاكى 5 على ما وقعت عليه من ذلك . ومنها محاكيات تقع في أمور من جهة ما ترتّبت في زمان ووقع فيه بعضها بنسبة من بعض وانتسب شيء منها إلى شيء ، فتحاكى / أيضا على ما وقعت عليه من ذلك . [36 – أ]

10 – **تنـــويـــر** : وإذا خيّلت الأمور المترتّبة في مكان أو زمان فـلا 10 يخلو من أن يتعرّض إلى أنّ ما خيّل عليه أمر كلّي في ما كان من ذلك الجنس أو مناقضه لمن يعتقد أنّ ضدّ ما خيّلته المحـاكـاة حكـم كلّي . فيستثني المحـاكي بعض ذلك الكلّـي فيخـرجـه عن ذلك الحكـم ، أولا يتعرّض . فإن تعرّض فالقول إن كان متعلّقا بأمر للناس به عناية وكان قد خرج في عبارة محكمة حكمةً أو مثل أو جار مجرى الحكمة والمثل ، وإن 15 لم يتعرّض فالقول اختصاص أو غير ذلك .

11 – **إضـــــاءة** : ولا تخلو أن تخيّل نفوس الأمور بأقوال دالّة على خواصّها وأعراضها اللاّحقة التي تقوم بها في الخواطر هيـآت تلك الأمور وتتّسق صورها الخيالية ، أو تخيّل بأن تحاكى بأقوال دالّة على خـواصّ أشياء أخر وأعراضها التي بها تنتظم صورها الخياليّة في النفس فتجعل 20 الصور المرتسمة من هذه الأشياء المحاكى بها أمثلة لصور الأشياء المحاكاة . ويستدلّ بوجود الحكم في المثال على وجوده في الممثّل . فالقول على هذا ينقسم : إلى محاكاة قصص وما جرى مجراه ، وإلى محاكاة حكمة ، وإلى محاكاة قصص بقصص أو نحوه ، وإلى محاكاة قصص بحكمة ، ومحـاكـاة

حكمة بحكمة . ولا تحاكي الحكمة بالقصص إلاّ حيث تكون جزئيّة لأنّ الحكمة إذا كانت كلّية كانت أعمّ من القصص ، فلا تحاكى لذلك به إلاّ على جهة الاستدلال التمثيلي . وربّما منع من ذلك في بعض المواضع كون الحكمة أشرف من القصص وأجزل موقعا . فلا يفتقر إلى إعانتها بمحاكاة إذا كانت بالغة . فالحكم على هذا إذا استقصيت أركانها وأعرب 5 عنها بلفظ جزل محكم العبارة أنيق النظام خفيف على اللسان مخيّل لمّا دلّ به عليه محاكاة كانت أمثلة لما قبلها أو لم تكن .

[36 — ب] **و — معرف (1) دالّ على طرق المعرفة بأحكام / المحاكيات وما يجب أن يعتبر فيها ، والاستبانة لمناقل الفكر في التخيّلات الشعريّة ، وكيفية التهدّيَ إلى التحسينات والتقبيحات التي ينحى بالأقاويل المخيّلة نحوها .** 10

قد قدّمت (2) أنّ المحاكاة تنقسم قسمين : محاكاة الشيء نفسه ، ومحاكاة الشيء في غيره . وبقي أن نتبيّن أحكام هذه وأحكام تلك . فلنقدّم أحكام محاكاة الشيء نفسه . فأقول : إنّ الأشياء منها ما يدرك بالحسّ ، ومنها ما ليس إدراكه بالحسّ . والذي يدركه الإنسان بالحسّ فهو الذي تتخيّله نفسه لأنّ التخييل تابع للحسّ ، وكلّ ما أدركته بغير الحسّ فإنّما 15 يرام تخييله بما يكون دليلا على حاله من هيئات الأحوال المطيفة به واللاّزمة له ، حيث تكون تلك الأحوال ممـا يحسّ ويشاهد . فيكون تخييل الشيء من جهة ما يستبينه الحسّ من آثاره والأحوال اللاّزمة له حال وجوده والهيئات المشاهدة لما التبس به ووجد عنده . وكلّ ما لم يحدّد من الأمور

---

1) بالأصل معلم .
2) انظر التنوير 4 من المعلم السابق .

غير المحسوسة بشيء من هذه الأشياء ، ولا خصّص بمحاكاة حال من هذه الأحوال بل اقتصر على إفهامه بالاسم الدالّ عليه ، فليس يجب أن يعتقد في ذلك الإفهام أنّه تخييل شعريّ أصلا ، لأنّ الكلام كلّه كان يكون تخييلا بهذا الاعتبار .

5 1 — **إضـــاءة** : فأمّا الأشياء المدركة بالحسّ فإنّها تخيّل بخواصّها وأعراضها . وكلّما كانت الأعراض في ذلك قريبة شهيرة مناسبة لغرض القول كانت أحسن . ولا يخلو الشيء المخيّل من أن يقصَد تخييلُه على الكمال أو يقتصر فيه على أدنى ما يخيّله . فإن قصد تخييله على الكمال وجب أن يقصد في محاكاته إلى ذكر خواصّه وأعراضه القريبة اللاّزمة له
10 في جميع أحواله أو اللاّحقة له في حال مّا من / جهة هيئته ومقداره ولونه [37 — أ] وملمسه . وربّما أردف ذلك بمحاكاة هيئته وحركته أو صوته إن كان ممّا له ذلك . وإن قصد الاقتصار فيه على أدنى ما يخيّله كان الوجه أن يقصد إلى بعض خواصّ الشيء وأعراضه القريبة الشهيرة فيه ، كما يقال الضئيلة الرقشاء ، فتتخيّل منه الحيّة . ويستحسن في المحاكاة أن يبدأ بالأصل
15 في الشيء والأشهر فيه .

2 — **تنـــويـــر** : وكلّ شيء حوكي بما تدركه الحواسّ فلا يخلو من أن يكون متساوي الأجزاء متماثلها ، أو متخالفها متفاوتها . وكلاهما لا يخلو من أن يكون على صفة واحدة من جميع أقطاره ، أو على صفات شيء في هيئته أو لونه أو ملمسه . وكلّ ذلك لا يخلو من أن يكون على
20 شكل واحد في حالي حركته وسكونه أو يكون ما يختلف شكله في الحالين. وكلّ ذلك يجب أن يعتبر في المحاكاة إذا قصد تخييل الشيء على جميع هيآته وأوصافه وفي جميع أحواله . فلا يخلط ما تعلّق بوصف حال من

ذلك بما تعلّق بحال مغايرة لها . وقد يخيّل الشاعر الشيء ببعض أوصافه دون بعض ، وعلى ما يكون عليه في بعض أحواله .

3 ــ **إضاءة** : وكلّ ما تختلف أجزاؤه وأقطاره وأشكاله وهيئاته في حال حال من شؤونه فإنّ المحاكاة فيه لا تخلو من أن تفصّل بحسب الأجزاء والأقطار والأشكال والهيئات وتجعل هذه الأشياء أركانا للكلام 5 تقسم التخاييل إليها ، وتبنى المحاكاة عليها كقول امرىء القيس : [المتقارب ــ ق ــ المتدارك]

إذا أقبَلَتْ قُلتَ سُرْعُوفَةٌ (1)

وقول الأسْعَر الجعفي : [الكامل ــ ق ــ المتدارك]

أمّا إذا استقْبَلْتَهُ فتقولُ هــذا مثلُ سرحانِ الغَضا (2) 10

أو تَجعلَ الشيءَ المخيّل بحسَب تبايُن أجزائه وأقطاره وأشكاله قطبا لمدار الأوصاف المخيّلة لهيئة جزء جزء وقطر قطر من أجزاء الشيء وأقطاره . ولكلّ ما تتنوّع إليه أشكاله وهيئاته بحسب اختلاف أحوالها مقرونة / [37 ــ ب]

---

1) البيت بلفظ أعرضت في الديوان لا أقبلت كما هنا. ورواية الديوان أصح ، إذ بها تتم المطابقة ويتفادى التكرار . والذي أورد حازم منه الشطر الأول . وهو من قصيدة طالعها :

أحار ابن عمرو كأني خمر — ويعدو على المرء ما يأتمر
إذا أقبلت قلت دباءة — من الخضر مغموسة في الغدر
وإن أدبرت قلت أثفية — ململمة ليس فيها أثر
وإن أعرضت قلت سرعوفة — لها ذنب خلفها مسبطر

السندوبي ، (3) ، 99 .

2) لبيت في النص مبتور ملفق . وهو ثالث أبيات أوردها قدامة للأسعر بن حمدان الجعفي ، شاهدا في التقسيم . وهي :

أما إذا استقبلته فكأنه — باز يكفكف أن يطير وقد رأى
أما إذا استدبرته فتفوقه — ساق قموص الوقع عارية النسا
أما إذا استعرضته متمطرا — فتقول هذا مثل سرحان الغضا

فقد حذف منه حازم عروضا كاملا وغير لفظه . انظر قدامة ، (1) ، 46 .

بمخيّلاتها وما هي محاكاة له في الحقيقة على سبيل التخصيص أو مُسْتَغْنَى عن ذلك . فيكون الكلام على هذا متناسقا متسلسلا ، وعلى الوجه الآخر مفصّلا مقسّما . وكلّما كثرت التخاييل زاد التفصيل حسنا .

4 – **تنـويـر** : وإذا حوكي الشيء جملة أو تفصيلا فالواجب أن تؤخذ أوصافه المتناهية في الشهرة والحسن إن قصد التحسين ، وفي الشهرة والقبح إن قصد التقبيح . ويبدأ [في الحسن] (1) بما ظهور الحسن فيه أوضح وما النفس بتقديمه أعنى ؛ ويبدأ في الذمّ بما ظهور القبح فيه أوضح والنفس بالالتفات إليه أيضا أعنى ، وينتقل من الشيء إلى ما يليه في المزيّة من ذلك . ويكون بمنزلة المصوّر الذي يصوّر أوّلا ما جلّ من رسوم تخطيط الشيء ، ثم ينتقل إلى الأدقّ فالأدق . وهذا في تخييلات الأشياء المقصود تخييل جزء جزء منها واجب ، مثل أن يبدأ بتخييل أعالي الإنسان ويختتم بتخييل أسفله ، لا سيّما إذا كانت المحاكاة تفصيليّة . فإن كانت الأوصاف المخيّل بها متفاوتة لم يحسن الجمع بينهما كيفما رتّبت إلاّ باستئناف أحدهما في حيّز من الكلام منفصل عن حيّز الآخر أو بمنزلة المنفصل ، لأنّ النقلة من الأدنى إلى الأعلى المفاوت طفرة ، ومن الأعلى إلى الأدنى المفاوت سقوط وانحطاط . فأمّا إذا تناسبت الأوصاف فالوجه تقديم ما عناية النفس به أكبر وهو عندها أشهر في الشيء وأظهر فيه بالنسبة إلى غرض الكلام .

فهذا هو الوجه في المحاكيات والأوصاف إذا تناسبت ، وأن يقال كما قال حبيب : [الكامل – ق – المتواتر]

---

1) كلمة في الحسن ساقطة بعد يبدأ في الأصل .

إنّـا غـدونـا واثِقِيـن بـواثـقٍ
بالله شَمْسِ ضُحَى وبـدرِ تَمَام (1)

وكما قال المتنبـي : [المنسرح – ق – المتراكب]

شمسٌ ضحاهـا هـلالُ ليلتهـا (2)

ويحبّـون عكس هذا ، لكنّ هـذا هو الوجه الـذي كثـر في فصيح 5
كـلام العـرب .

[38 – أ] / فأمّا قول القائل : [الكامل – ق – المتدارك]

تـاللّه لا كَلَّـمتُهـا ولـو أنَّـهـا
كـالشمسِ أو كـالبدر أو كـالمُكْتَفِـي (3)

10 فإنّما كان النسق ههنا على سبيل الترقّي لأنّ « أوْ » يذهب بها حيث يقصد
تعجيب المخاطب من زيادة الشيء تعظيما بعد تعظيم أو تحقيرا بعد تحقير
مَذهَبَ من تخطّي الشيء إلى ما هو أبلغ منه في المعنى . فحَسُن هذا لمّا
كان هذا المذهب مناسبا لمعنى « أو » وما ينحى بها نحوه .

---

1) البيت يروى في الديوان بلفظ رحلنا بدل غدونا . وتؤيد رواية حازم نسخة الاسكوريال ، ودار الكتب المصرية . والبيت من قصيدة لأبي تمام يمدح بها الواثق ويرثي المعتصم . طالعها :
ما للدمـوع تـروم كل مـرام والجفـن ثـاكـل هجعة ومنـام
التبـريـزي ، ٣ ، 204 .

2) البيت من قصيدة مدح بها أحمد بن الحسين في صباه محمدا بن عبيد الله العلوي ، طالعها :
أهـلا بـدار سبـاك أغيدهـا أبعـد مـا بـان عنـك خـردهـا
تمـام البيت الذي أورده حـازم شاهـدا :
شمس ضحـاهـا هـلال ليلتهـا در تقـاصيـرهـا زبـرجدهـا
البـرقـوقـي ، (I) ، 1 ، 200 .

3) البيت لأحد المولدين ، ولم نتمكن من الوقوف على صاحبه .

5 ــ **إضــــاءة** : وإنّما قدّمت العرب أدنى المعنيين على الآخر في مواضع معلومة من كلامها لمعان أخر : إمّا لأنّ الأحقر من جهة مّا متقدّم على ما هو أجلّ منه من جهة أخرى ، أو لأنّ أحدهما في ضمن الآخر ويخيّل بعض ما خيّل لا يكون بينهما تباين إلاّ من جهة الأزيد والأنقص 5 والأعمّ والأخصّ . فَذِكْرُ القاصر منهما بعد الآخر فضل ، فلا يمكن أن يقرن به إلاّ بتقديمه عليه ، أو لأنّ الأحقر بالنسبة إلى غرض الكلام أبلغ نحو قولهم : ما أخذت منه قليلا ولا كثيرا لأنّ إنكار القليل أبلغ من جهة الجحود فكان القليل لذلك أولى بالتقديم ، أو لأنّ الأحقر يكون فيه استدراج لذكر الأجلّ وتسبّب له ، ولمعان أخر يطول ذكرها . وكذلك 10 التغليب في مثل القمرين إنّما يغلّب الأرجح من جهة الفصاحة أو البلاغة لفظا أو معنى . وهذه جملة تحتاج إلى تفصيل ، قد أغنى عن ذكره هنا ما أوردناه ونورده بعد إن شاء الله من قوانين الفصاحة والبلاغة . فهذا هو القانون الذي يجب أن يعتبر في ترتيب التخاييل والأوصاف .

6 ــ **تنــويــر** : وإنّما وقع الغلط في هذا لقوم من القدماء كانوا فقراء 15 من علم البلاغة على غنائهم من الرواية ، ولقوم من أبناء هذا الزمان هم أفقر خلق الله من تلك وهذه ، ولمن يريد أن يستنبط قوانين هذه الصناعة من صناعة أخرى / لعلّه لا يحسنها بله هذه ، وذلك غير ممكن ، فإنّما [38 ــ ب] يستنبط الشيء من معدنه ويطلب في مظنّته ، أو لعلّ من هذه صفته قد رأى يوما أحدا ممّن تكلّم في علم البلاغة قد عاب الانحطاط من الصفة إلى 20 ما يوافقها في نسق واحد من الكلام . فهذا لا يخلو من أن يكون غير عارف بهذه الصناعة مثله ، فهو جدير أن يظن أنّ ضدّ ذلك حسن وهو البدء بالشيء الأحقر والصيرورة منه إلى الأعظم المفاوت له في غرض يتراميان فيه إلى تحسين شيء واحد أو تقبيحه ، أو يكون عارفا بالصنعة

فيكون قد عاب ما هو جدير بالعيب ، وهو يعتقد أنّ ضدّه معيب أيضا كذلك لأنّ كلا الموضعين من وضع التنافر . وما أكثر ما يقع الغلط للناس في هذه الصنعة من هذا الباب ! لأنّ وجوه النظر في ما يحسن ويقبح في هذه الصنعة لا تحصى كثرة . وكلّ ما يستحسن ويستقبح فإنّ له اعتبارات شتّى بحسب المواضع وما يليق بواحد واحد منها . وبحسب الأَغْرَاضِ 5 والأحوال وتباين المقاصد في جميع ذلك تتشعّب طرق الاعتبار في هذه الصناعة إلى ما يعزّ حصره ؛ فيطالع بعض من لم يتفرّغ لهذه الصنعة ولا في طبعه أن يعلمها لو تفرّغ لها الشيء التافه من الأقاويل في هذه الصناعة ، فيبني نظره فيها على ذلك ، وهو قد حفظ شيئا وغابت عنه أشياء .

7 — **إضـــاءة** : ويجب في محاكاة أجزاء الشيء أن ترتّب في الكلام 10 على حسب ما وجدت عليه في الشيء لأنّ المحاكاة بالمسموعات تجري من السمع مجرى المحاكاة بالمتلوّنات من البصر . وقد اعتادت النفوس أن تصوّر لها تماثيل الأشباح المحسوسة ونحوها على ما عليه ترتيبها . فلا يوضع النحر في / صور الحيوان إلاّ تاليا للعنق وكذلك سائر الأعضاء . [39 — أ] فالنفس تنكر لذلك المحاكاة القوليّة إذا لم يوال بين أجزاء الصور على مثل 15 ما وقع فيها ، كما تنكر المحاكاة المصنوعة باليد إذا كانت كذلك . فإن وقعت محاكاة على هذا النحو من فساد الترتيب فالواجب أن يعتقد فيها أنّها صور جزئيّة إذا كان كلّ جزء منها قد خيّل على حدته على ما يجب فيه لا صورة كليّة لأنّ المجموع ليس له نظام المجموع ، فيجب لهذا أن تعتبر المحاكاة تفاريق . 20

8 — **تنـويـر** : ولا يخلو الشيء من أن يحاكى بأوصاف له شهيرة أو صفات خاملة أو بمجموعها . ولا تخلو من أن تقع التخاييل في جميع

أجزاء الشيء أو في بعضها . والمخيّل الذي تقع التخاييل في بعض أجزائه لا يخلو أن تقع في طرف واحد منه ، أو في كلا طرفيه ، أو فيهما معا وما بينهما . وأحسن التخاييل ما اشتهرت الأوصاف فيه وعمّت .

9 – **إضـــاءة** : فالمحاكاة التامّة في الوصف هي استقصاء الأجزاء التي
5 بموالاتها يكمل تخييل الشيء الموصوف . وفي الحكمة استقصاء أركان العبارة عن جملة أجزاء المعنى الذي جعل مثالا لكيفيات مجاري الأمور والأحوال وما تستمرّ عليه أمور الأزمنة والدهور . وفي التاريخ استقصاء أجزاء الخبر المحاكى وموالاتها على حدّ ما انتظمت عليه حال وقوعها ، كقول الأعشى : [البسيط – ق – المتواتر]

10 كُـنْ كَـالسَّمَوْءَلِ إذ طافَ الهمامُ بـه
فِـي جَحْفَـلٍ كَسـواد اللّيـلِ جَـرّارِ
إذ سَامَهُ خِطّتَي خَسْفٍ ، فقـال لـه :
قـلْ مَـا تشاءُ ، فَـإنّـي سَامع حَـارِ
فقـال : غـدرٌ وثـكلٌ أنـتَ بينهمـا
15 فـاختـرْ وَمَـا فيهمـا حـظّ لِمُخْتَـارِ
فشَـكّ غيـرَ طـويـلٍ ، ثـمّ قـالَ لـهُ
اقتـلْ أسيـرَكَ ، إنّي مانعٌ جـارِي (1)

1) وردت هذه الأبيات مع بيت خامس وضع ثانيا ومع خلاف في اللفظ قليل عند الجمحي ، 235 – 236 ؛ انظر العباسي ، (2) ، 390 . وهي من قصيدة في مدح شريح بن حصن مطالعها :

شـريـح لا تتـركـنـي بعد مـا علقت   حبـالك اليوم بعد القـد أظفـاري

الـديـوان ، (3) ، 179 – 181 .

[39 — ب] / فهذه محاكاة تامّة ؛ ولو أخلّ بذكر بعض أجزاء هذه الحكاية لـكانت ناقصة ، ولو لم يورد ذكرها إلاّ إجمالا لم تكن محاكاة ولـكن إحالة محضـة .

10 — **تنـــويـــر** : فأمّا طريق التهدّي إلى تحسينات الأشياء وتقبيحاتها بالمحاكاة فإنّه لمّا كان المقصود بالشعر إنهاض النفوس إلى فعل شيء أو 5 طلبه أو اعتقاده أو التخلّي عن فعله أو طلبه أو اعتقاده بما يخيّل لها فيه من حسن أو قبح وجلالة أو خسّة وجب أن تكون موضوعات صناعة الشعر الأشياء التي لها انتساب إلى ما يفعله الإنسان ويطلبه ويعتقده . والأقاويل الدالّة على تلك الأشياء من حيث تخيّل بها تلك الأشياء . فتحسين المحاكاة وتقبيحها إمّا أن يتعلّقا بفعل أو اعتقاد ، أو يتعلّقا بالشيء 10 الذي يفعل أو يعتقد .

وطرق تعلّقها بالشيء أو فعله أو اعتقاده أربعة :

— 1 — إمّا أن يحسّن الشيء من جهة الدين وما توثره النفس من الثواب على فعل شيء أو اعتقاده وتخاف من العقوبة على تركه وإهماله وإمّا أن يقبّح من ضدّ ذلك . 15

— 2 — وإمّا أن يحسّن من جهة العقل وما يجب أن يوثره الإنسان من جهة ما هو عاقل ذو أنفة من الجهل والسفاهة وإمّا أن يقبّح من ضدّ ذلك .

— 3 — وإمّا أن يحسّن من جهة المروءات والكرم وما توثره النفس من الذكر الجميل والثناء عليه أو يقبّح من ضدّ ذلك .

20 — 4 — وإمّا أن يحسّن من جهة الحظّ العاجل وما تحرص عليه النفس وتشتهيه ممّا ينفعها من جهة ما توثر من النعمة وصلاح الحال أو يقبّح من ضدّ ذلك .

فوقوع التحسينات والتقبيحات في التخاييل الشعريّة إنّما يسلك به أبدا طريق من هذه الأربعة وهي : الدّين والعقل والمروءة والشهوة .

ويتعلّق التحسين والتقبيح / أبدا إمّا بالشيء الذى يراد الميل إليه أو النفرة عنه ، وإمّا بفعله أو اعتقاده . فإذن التحسينات المتعلّقة بالشيء بالنسبة إلى هذه الطرق أربعة ، وبفعله أو اعتقاده أربعة ، فتلك ثمانية جهات يتفقدّها الشاعر إذا أراد تحسين شيء . [40 - أ]

وللتقبيحات أيضا بالنسبة إلى تلك الطرق فيما تعلّق بالشيء أربعة مذاهب . وفيما تعلّق بفعله أو طلبه أو اعتقاده أربعة أيضا . فهذه أيضا ثماني جهات .

والجهات المزدوجة وهي التي يتعلّق التحسين والتقبيح فيها بالشيء وفعله أو اعتقاده معا بالنسبة إلى تلك الطرق الأربعة أيضا ثمان .

فحصل من هذه الأنحاء التي تتفرّع إليها التحسينات والتقبيحات أربع وعشرون صورة . واذا اعتبر تحسين الشيء نفسه أو تقبيحه بالنظر إلى ما يكون عليه في نفسه وما يرجع إليه ، أو بالنسبة إلى ما يكون منه بسبب ممّا هو خارج عنه ، ومن جهة ما يقع منه أو به فعل ، تضاعفت القسمة .

11 — **إضـــــاءة** : والتحسين والتقبيح يتعلّقان بالفعل من جهة ما هو عليه في نفسه ، ومن جهة ما تكون عليه الأحوال المطيفة به . والأحوال المطيفة بالفعل هي : — 1 — الزمان — 2 — والمكان — 3 — وما منه الفعل — 4 — وما إليه الفعل — 5 — وما به الفعل — 6 — وما من أجله الفعل — 7 — وما عنده الفعل .

فقد يكون الفعل حسنا أو قبيحا في نفسه ؛ وقد يكون الحسن والقبح من جهة بعض هذه الأحوال المطيفة . فكلّ فعل قصد تحسينه أو تقبيحه من جهة ما يرجع إليه في نفسه ، أو من جهة ما

يرجع إلى الأحوال المطيفة به فإنّما يكون التحسين والتقبيح فيه من جهة ما يكون وفقا لبعض تلك الأشياء التي كأنهّا غايات تترامى إليها مطالب الناس ، أو من / جهة ما لا يكون وفقا لها . وتلك الأشياء التي عليها مدار [40 — ب] التحسينات والتقبيحات هي : الوَرَع والعقل والمروءة والشهوة في الحظّ العاجل . فتحسين الفعل وتقبيحه يقع في كلّ ركن من هذه الأركان من 5 ثمانية أنحاء على ما تقدّمت الإشارة إليه من حيث إنّ الفعل تطيف به أحوال سبعة .

12 — **تنوير** : وإنّما جعلت التحسين والتقبيح ينصرفان طورا إلى الشيء نفسه ، وتارة إلى فعله أو اعتقاده أو طلبه . وتارة إلى مجموع ذلك كلّه ، لأنّ الشيخ إذا عشق جارية جميلة وأردنا أن نصرفه عنها بالأقاويل 10 الشعريّة اعتمدنا ذمّ الفعل وعيب التصابي في حال المشيب وما ناسب هذا . فإن كانت قبيحة أو ممّن يجوز تخييل القبح فيها أضفنا إلى ذمّ تصابي الشيخ ذمّ قبح الفتاة . فإن كان العاشق شابا اعتمدنا ذمّ ما في المرأة من قبح خلق وخلائق نحو ما يوصف النساء به من الغدر والملالة وغير ذلك . ولم نقبّح عليه العشق في الشباب إلاّ من جهة عقل أو نحو ذلك . 15

13 — **إضاءة** : والتحسينات والتقبيحات الشعريّة تميل إلى أشياء وتنصرف عن أشياء وتكثر في أشياء وتقلّ في أشياء بحسب ما يكون عليه الشيء من التباس بآداب البشر ، وما يكون عليه من نفع أو ضرر ، أو لا يكون له التباس يعتدّ به في تأثّر النفوس له من جهة نفع أو ضرر . وقد تقدّم التنبيه على أحوال المعاني في جميع ذلك . فليتصفّح هنالك ، والله 20 الموفّق .

14 ــ **تنوير** : فأمّا كيفيّات مناقل الفكر في التخييلات التي يرام بها إيقاع التحسينات والتقبيحات . وفي التخيّلات التي يقصد بها أن تكون أعوانا على إيقاع ذلك فيحصل باقتفاء الخواطر مناقلها في جميع ذلك ، بوضع ما يجب في حيّز حيّز من تلك المناقل على ما / يجب من الأجزاء التي منها [41 ــ أ]
5 التئام هذه الصناعة لفظا ومعنى كمال هذه الصناعة على الوجه الذي تكون به مهيأة لحصول الغاية المقصودة بها فهي أنّ للمخيّلين في التخييلات التي يحتاجون إليها في صناعتهم أحوالا ثمانية (1) . لكلّ واحدة منها في زمان مزاولة النظم مرتبة لا تتعدّاها .

الحال الأولى : يتخيّل فيها الشاعر مقاصد غرضه الكليّة التي يريد
10 إيرادها في نظمه أو إيراد أكثرها على ما أبيّنُه في القسم الثالث (2) إن شاء الله .

الحال الثانية : أن يتخيّل لتلك المقاصد طريقة وأسلوبا أو أساليب متجانسة أو متخالفة ينحو بالمعاني نحوها ويستمرّ بها على مهايعها . وسيأتي الكلام في الأساليب في القسم الرابع (3) ان شاء الله .

15 **الحال الثالثة** : أن يتخيّل ترتيب المعاني في تلك الأساليب . ومن أهمّ هذه التخيّلات موضع التخلّص والاستطراد .

الحال الرابعة : أن يتخيّل تشكّل تلك المعاني وقيامها في الخاطر في عبارات تليق بها ليعلم ما يوجد في تلك العبارات من الكلم التي تتوازن وتتماثل مقاطعها ما يصلح أن يبني الرويّ عليه . وفي هذه الحال أيضا يجب

---

1) بالأصل أحوال ثمن .
2) انظر 202 .
3) انظر 327 وما بعدها .

أن يلاحظ ما يحقّ أن يجعل مبدأ ومفتتحا للكلام ، وربّما لحظ في هذه الحال موضع التخلّص والاستطراد .

15 — **إضـــاءة** : فهذه أربع أحوال في التخاييل الكليّة .

والحـال الخامسة ، وهي أوّل حال من التخاييل الجزئيّة : أن يشرع الشاعر في تخيّل المعاني معنى معنى بحسب غرض الشعر . 5

الحـال السادسة : أن يتخيّل ما يكون زينة للمعنى وتكميلا له . وذلك يكون بتخيّل أمور ترجع إلى المعنى من جهة حسن الوضع والاقترانات والنسب الواقعة بين بعض أجزاء المعنى وبعض ، وبأشياء خارجة عنه ممّا يقترن به ويكون عونا له على تحصيل المعنى المقصود به .

[41 — ب] / **والحـال السابعة** : أن يتخيّل ، لما يريد أن يضمّنه في كلّ مقدار من الوزن الذي قصد ، عبارة توافق نقل الحركات والسكنات فيها ما يجب في ذلك الوزن في العدد والترتيب بعد أن يخيّل في تلك العبارات ما يكون محسّنا لموقعها من النفوس . 10

الحـال الثامنة : أن يتخيّل ، في الموضع الذي تقصر فيه عبارة المعنى عن الاستيلاء على جملة المقدار المقفّى ، معنى يليق أن يكون ملحقا بذلك المعنى ، وتكون عبارة المعنى الملحق طبقا لسدّ الثلمة التي لم يكن لعبارة الملحق به وفاء بها . ومن هذا قول المتنبّي : [الطويل — ق — المتدارك] 15

نهَبْتَ من الأعْمـار ما لو حَوَيْتَهُ   لَهُنِّئَتِ الدُنْيَا بأنّكَ خَالدُ (1)

---

1) البيت من قصيدة طويلة ، مدح بها أبو الطيب سيف الدولة ، طالعها :
عواذل ذات الخال في حواسد   وإن ضجيع الخود مني لماجد
العكبرى ، (1) ، 1 ، 172 .

ولا يتّفق هذا إلاّ في بعض المواضع . وهذه الأحوال كلّها قد ألمعت في هذا الكتاب بما يجب في كلّ واحدة منها بحسب ما توسّع له هذا الموضوع ، إذ لتفصيل القول في جميع ذلك طول كثير ، وفي ما ذكرته وأذكره من ذلك إن شاء الله مقنع .

5 16 – **تنوير** : فعلى هذا النحو من الانتقال أصل منشأ الشعر . وقد يحصل للشاعر بالطبع البارع وكثرة المزاولة ملكة يكون بها انتقال خاطره في هذه الخيالات أسرع شيء حتّى يحسب من سرعة الخاطر أنّه لم يشغل فكره بملاحظة هذه الخيالات وإن كانت لا تتحصّل له إلاّ بملاحظتها ولو مخالسة . وكانت هذه الملكة نحوا من ملكة الخاطر ، فإنّه وإن كان 10 أصل تعلّمه القراءة تتبّع الحروف وحركاتها وسكناتها مقطّعة ، فإنّه تحصل له ملكة لا يحتاج معها إلى ذلك التتبّع . بل يعلم عندما يقع بصره على مجموع الحروف المختطّة أيّ لفظ يدلّ عليه ذلك المجموع . هذا على أنّ صناعة مؤلف الكلام كصناعة الناسج تارة ينسج بردا من يومه وتارة حلّة من عامه ، ولكلّ قيمته . وإنّما يظنّ أن ليس بين أنماط 15 الكلام هذا التفاوت من جهل لطائف / الكلام وخفيت عليه أسرار النظم. [42 – أ]

ز – معلم دالّ على طرق العلم بما يخصّ المحاكاة التشبيهيّة من الأحكام .

وينبغي أن ينظر في المحاكاة التشبيهيّة من جهات . فمن ذلك جهة الوجود والفرض . وينبغي أن تكون المحاكاة على الوجه المختار بأمر موجود لا 20 مفروض .

1 — **إضـــــاءة** : ومن ذلك جهة الإدراك . وينبغي أن تـكون المحاكاة في الأمور المحسوسة حيث تساعد المكنه من الوجوه المختارة بالأمـــور المحسوسة . وبها يحسن بأن تحاكى الأمور غير المحسوسة حيث يتـأتـى ذلك ويـكون بين المعنيين انتساب. ومحاكاة المحسوس بغير المحسوس قبيحة .

2 — **تنـــويـــر** : وينبغي أن تـكون المحاكاة التي يقصد بها وضوح الشبه منصرفة إلى جنس الشيء الأقرب كتشبيه أيطل الفرس بأيطل الظبي (1) . والمحاكاة التي يقصد بها التوسّع والراحة والقناعة بما تيسّرَ من الشبـه منصرفة إلى الجنس الأبعد كتشبيه متن الفرس بالصفاة (2) .

وينبغي أن تـكون المحاكاة التي يقصد بها اجتماع وضوح الشبه وظهور نبل الشاعـر وحذقه منصرفة إلى الجنس الذي يـلي الجنس الأقرب كتشبيه الأشيـاء الحيوانيّة بالأشياء النباتية ، نحو تشبيه قلوب الطير رطبة بالعناب ، ويابسـة بالحشف ، (3) وتشبيه إبرة الرّوق بالقلم المستمدّ (4) .

3 — **إضـــــاءة** : وينبغي أن يـكون المثال المحاكى به معروفا عند جميع العقلاء أو أكثرهم بالسجيّة . ولا يحسن أن يـكون ممّا يُنـكَر ويجهل .

---

1) يشير في النص الى بيت امرىء القيس :
له أيطلا ظبي وساقـا نعـامـة وإرخـاء سرحـان وتقريب تتفـل
قدامـة ، (1) ، 38 .

2) يشير في النص بهذا المثال الى بيت امرىء القيس من معلقتـه :
كميـت يـزل اللبـد عن حـال متنه كـما زلـت الصفـواء بالمتنـزل
السندوبي ، (2) ، 133 س 6 .

3) الإشارة هنا أيضا الى قول امرىء القيس :
كـأن قلوب الطيـر رطبـا ويابسـا لدى وكرها العناب والحشف البالي
العباسي ، (2) ، ٢ ، 80 .

4) يشير بهذا الى قول عدي بن الرقاع العامـلي :
تزجـى أغـن كـأن إبـرة روقـه قـلم أصـاب مـن الدواة مدادهـا
الخفاجـي ، 237 .

4 – **تنوير** : وينبغي أن تكون الأوصاف التي يشترك فيها المثال والممثَّل أشهر صفاتها أو من أشهرها . واعتبار / هذا الشرط آكد في صفات الممثَّل به . وينبغي أن تكون الصفات التي يتضادّان فيها أخْمل صفاتهما . [42 – ب]

5 – **إضاءة** : ويشترط في المحاكاة التي يقصد بها تحريك النفس إلى طلب الشيء أو الهرب منه أن يكون ما يحاكى به الشيء المقصود إمالة النفس نحوه ممّا تميل النفس إليه . وأن يكون ما يحاكى به الشيء المقصود تنفير النفس عنه ممّا تنفر النفس عنه أيضا . فإن مثّل ما يقصد تحريك النفس إلى طلبه بما من شأنها أن تهرب عنه ، وما قصد تحريكها إلى الهرب منه بما من شأنها أن تطلبه . كان ذلك خطأ وجاريا مجرى التناقض.

وذلك مثل قول حبيب : [الطويل – ق – المتواتر]

إذا ذاقها ، وهي الحياةُ . رأيتَهُ يُعَبِّسُ تعبيسَ المُقدَّمِ للقتلِ(1)

فأمّا المحاكاة التي لا يقصد بها تحسين ولا تقبيح ولكن . محاكاة الشيء بما يطابقه فقط ، فالمذهبُ الأمثلُ محاكاة الحسَن بالحسَن والقبيح بالقبيح. وقد يحاكى الشيء الحسن في حيّز وبالنسبة إلى غرض بما هو قبيح في حيّز آخر وبالنسبة إلى غرض آخر . ولا يقصد في ذلك إلاّ محاكاتهما من حيث تطابقا . وقد يقصد بذلك ضرب من الإغراب . فيستسهل لذلك تمثيل ما تميل النفس إليه بما تنفر عنه ، كقول ابن الرومي :

[الكامل – ق – المتواتر]

1) في المثال نظر ، لان الشاعر قصد الإغراب بالمضادة لأجل قوله وهي الحياة . والبيت من قصيدة ، يشكو فيها دهره ويصف تقتير الرزق عليه وهو بمصر ، طالعها .

اصب بحميا كاسها مقتل العذل تكن عوضا إن عنفوك من النبل

الديوان ، (1) ، 240 ، (2) 420 .

هـامٌ وأرغفـةٌ وضاءٌ فخمـة ... قد أخرجت من جاحم فوّار
كوجوه أهل الجنّـة ابتسمت لنا ... مقرونة بوجوه أهل النّار (1)

وكأنّ هذا وما جرى مجراه من عَبَث المنهومين .

6 – **تنـويـر** : واعلم أنّه لا تحسن محاكاة ذي مقدار كبير بذي مقدار صغير ، ولا محاكاة ذي مقدار صغير بذي مقدار كبير ، إذا كان بينهما تفاوت في ذلك . وكذلك لا تحسن محاكاة ذي لون بذي لون مخالف له ما لم تقصد في ما تفاوت من ذلك وما تخالف محاكاة هيئة فعل أو حال في المحاكى والمحاكى / به . فإذا قصدت محاكاة هيئة بهيئة لم تلتفت إلى [43 – أ] تفاوت ما بين الواحد والآخر في المقدار ولا تباين ما بينهما في اللون ، ولذلك استحسن تشبيه الذباب بالقادح (2) ، لأنّ المقصود محاكاة إحدى الحالين بالأخرى . فالمحاكاة إنّما تعلّقت بالهيئة لا بالمقدار . وعلى هذا حمل تشبيه العصا بالجانّ (3) وهو حيّة صغيرة كثيرة الهيج والحركة بعد تشبيهها بالثعبان المبين (4) ، لأنّ المقصود في التشبيه محاكاة هيئة الحركة ، وليس المقصود محاكاة مقدار هذا بمقدار ذلك .

---

1) العسكري : **المعاني** ، 1 ، 293 .

2) يشير المثال الى قول عنترة في وصف الذباب :

وخلا الذباب بها فليس ببارح ... غردا كفعل الشارب المترنم
غردا يحك ذراعه بذراعه ... قدح المكب على الزناد الاجذم

العسكري : **الصناعتين** ، 248 .

3) يشير الى قول الله تعالى : « وأن ألق عصاك ، فلما رآها تهتز كأنها جان ، ولى مدبرا ولم يعقب ، يموسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » . **قرآن** ، 28 / 31 . وقوله تعالى : « وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ، يموسى لا تخف ، إني لا يخاف لدي المرسلون » . **قرآن** ، 27 / 10 .

4) الإشارة الى قوله تعالى : « فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين » . **قرآن** ، 26 / 32 .

7 — **إضـــاءة** : واعلم أنّه إذا اجتمع في المحاكى والمحاكى به أوصاف ثلاثة أو اثنان منها وهي : المقدار والهيئة واللون جاز عكس المحاكاة ، وحسن أن تحاكي الشيء بما حاكيته به .

8 — **تنـويـر** : واعلم أنّ الصوت والهيئة إذا اتفقا في متناه في الحقارة
5 ومتناه في العظمة فلا تحسن محاكاة أحدهما بالآخر إلاّ حيث يقصد غلو في تحقير المحاكى أو تعظيمه . فإذا لم يتفاوتا في ذلك ، جازت محاكاة أحدهما بالآخر . وكان الأعظم محاكى به حيث يقصد التعظيم ، والأحقر محاكى به حيث يقصد التحقير . ولا يجوز العكس إلاّ حيث يتقاربان أو يتكافآن .

10 9 — **إضـــاءة** : واعلم أنّ الشيء إذا حوكي بالشيء ، والمقصود محاكاة أحد فعليهما بالآخر ، وكان في فعل المحاكى تقصير عن فعل المحاكى به ، فإنّه مستساغ في الشعر أن يحاكى المقصّر بالمقصّر عنه وأن يجعل مثله أو مُربيا عليه إذا كانت الزيادة في ذلك الفعل مستحسنة بالنسبة إلى ما يراد منه من منفعة أو غير ذلك.ومن هذا تشبيه الفرس بالريح (1)والبرق (2) .

15 ويجوز أن يحاكى الأعظم حالا في الفعل أو المقدار بالأحقر في ذلك أو هذا إذا كان التحقير في الأعظم مستحسنا بالنسبة إلى ما يراد منه . / وكأنّ القسم الأوّل تكميل وهذا تعديل . [43 — ب]

---

1) الإشارة الى قول الأعرابي ، وقد أحسن في تشبيه سرعة الفرس في قوله :
غاية مجد رفعت فمن لها نحن حويناها وكنا اهلها
لو ترسل الريح لجئنا قبلها .
العسكري : **المعاني** ، ٢ ، 107 .

2) يشير الى قول الشاعر :
جلد كمثل البرق جاش ماطره يسبح أولاه ويطفو آخره
فما يمس الأرض منه حافره .
العسكري : **المعاني** ، ٢ ، 108 .

ح – معرف دالّ على طرق المعرفة بالوجوه التي لأجلها حسن موقع المحاكاة من النفس .

لمّا كانت النفوس قد جُبِلت على التنبّه لأنحاء المحاكاة واستعمالها والالتذاذ بها منذ الصبا ، وكانت هذه الجبلّةُ في الإنسان أقوى منها في سائر الحيوان – فإنّ بعض الحيوان لا محاكاة فيه أصلا ، وبعضها فيه محاكاة يسيرة : إمّا بالنغم كالببّغاء ، وإمّا بالشمائل كالقرد (1) – اشتدّ ولوع النفس بالتخيّل ، وصارت شديدة الانفعال له حتى أنّها ربّما تركت التصديق للتخيّل ، فأطاعت تخيُّلَها وألغت تصديقها . وجملة الأمر أنّها تنفعل للمحاكاة انفعالا من غير رؤية ، سواء كان الأمر الذي وقعت المحاكاة فيه على ما خَيَّلَتْهُ لها المحاكاة حقيقة ، أوكان ذلك لا حقيقة له فيبسطها التخييل للأمر أو يقبضها عنه . فلا تقصّر في طلبه أو الهرب منه عن درجة المبصر لذلك . فيكون إيثار الشيء أو تركه طاعةً للتخييل غير مقصّر عن إيثاره أو تركه انقيادا للرؤية .

1 – **إضاءة** : ومن التذاذ النفوس بالتخيّل أنّ الصُّوَر القبيحة المستبشعة عندما قد تكونُ صُوَرُها المنقوشة والمخطوطة والمنحوتة لذيذة إذا بلغت الغاية القصوى من الشبه بما هي أمثلة له ، فيكون موقعها من النفوس مستلذّا لا لأنّها حسنة في أنفسها بل لأنّها حسنة المحاكاة لما حوكي بها عند مقايستها به .

1) طالع هذا المعرف مقتبس من كلام ابن سينا في **فن الشعر** من كتاب **الشفا**. وذلك من قوله : وبها يفارقون الحيوانات العجم من جهة أن الانسان أقوى على المحاكاة . فإن بعضها لا محاكاة فيه أصلا . . . الخ . انظر أرسطو ، (1) ، 171 .

قال هذا أبو علي ابن سينا في كتاب **الخطابة** (1) من كتاب **الشفاء** . ثم قال :

« وهذا كلّه للمناسبة بين الصورة مثلا وما يحاكيها . وهذه المناسبات أمور في الطبيعة » .

5 وقال ابن سينا أيضا / في كتاب **الشعر** من كتاب **الشفاء** (2) : [44 – أ]

« إنّ النفوس تنشط وتلتذّ بالمحاكاة . فيكون ذلك سببا لأن يقع عندها للأمر فضل موقع . والدليل على فرحهم بالمحاكاة أنّهم يسرّون بتأمّل الصور المنقوشة للحيوانات الكريهة المتقزّز منها . ولو شاهدوها أنفسها لتنطّوا عنها . فيكون المفرح ليس نفس تلك الصورة ولا المنقوش بل كونها
10 محاكاة لغيرها إذا كانت قد أتقنت . ولهذا السبب ما صار التعليم لذيذا لا إلى الفلاسفة فقط بل إلى الجمهور . لما في التعليم من المحاكاة . لأنّ التعليم تصوير مّا للأمر في رقعة النفس . ولهذا ما يكثر سرور الناس بالصور المنقوشة بعد أن يكونوا قد أحسّوا الخلق التي هذه أمثالها . فإن لم يحسّوها قبل لم تتمّ لذّتهم . بل إنّما يلتذّون حينئذ قريبا بما يلتذّون من نفس
15 [محاكاة] النقش في كيفيّته ووضعه وما يجرى مجراه » .

ثم قال ابن سينا : « والسبب الثاني حبّ الناس للتأليف المتّفق أو. للألحان طبعا . ثم قد وجدت الأوزان مناسبة للألحان فمالت إليها النفوس وأوجدتها . فمن هاتين العلّتين تولّدت الشعريّة » (3) .

1) الفقرة متصيدة من ابن سينا مخط ، 6829 ، و. 362 أ س 20 وما بعده .
2) أول هذه الفقرة في المصدر المشار اليه : وذلك لان النفس . أرسطو ، (1) ، 171 .
3) اهـ . كلام ابن سينا . أرسطو ، (1) ، 172 .

وقد تضمّن كلام ابن سينا شرطا من شروط المحاكاة لم نذكره اكتفاء بالإشارة إليه في هذا الموضوع . وهو أنّ الالتذاذ بالتخيّل والمحاكاة إنّما يكمل بأن يكون قد سبق للنفس إحساس بالشيء المخيّل وتقدّم لها عهدٌ به .

وبقي أن نبسط الكلام شيئا في تبيين ما للمحاكاة من حُسن موقع من النفوس من جهة اقترانها بالمحاسن التأليفيّة والصيغ المستحسنة البلاغيّة ، 5
وهو الذي أشار اليه أبو علي ابن سينا بالتأليف المتّفق .

2 — تنوير : فأمّا السبب في حسن موقع المحاكاة من النفس من جهة اقترانها بالمحاسن التأليفيّة فهو أنّه لمّا كان للنفس في اجتلاء المعاني في العبارات المستحسنة من حسن الموقع الذي يرتاح له مّا لا يكون لها
[44 — ب] عند / قيام المعنى بفكرها من غير طريق السمع ، ولا عند ما يوحى إليها 10
المعنى بإشارة ، ولا عند ما تجتليه في عبارة مستقبحة ، ولهذا نجد الإنسان قد يقوم المعنى بخاطره على جهة التذكّر ، وقد يشار له إليه ، وقد يلقى إليه بعبارة مستقبحة ، فلا يرتاح له في واحد من هذه الأحوال . فإذا تلقّاه في عبارة بديعة اهتزّ له وتحرّك لمقتضاه ، كما أنّ العين والنفس تبتهج
لاجتلاء ما له شعاع ولون من الأشربة في الآنية التي تشفّ عنها كالزجاج 15
والبلّور ما لم تبتهج لذلك إذا عرض عليها في آنية الحَنتم وَجب أن تكون الأقاويل الشعريّة أشدّ الأقاويل تحريكا للنفوس ، لأنّها أشدّ إفصاحا عمّا به علقة الأغراض الإنسانيّة ، إذ كان المقصود بها الدلالة على أعراض الشيء ولواحقه التي للآداب بها علقة .

والأقاويل غير الشعريّة ، وخصوصا ما قصد به التصديق والدلالة على ماهيات الأشياء ،إنّما تفهم منها في أكثر الأمر تلك اللواحق والأعراض على

جهة الالتزام والتضمّن . وليس ما يكون نصّا على الشيء في تمكين إلقائه من النفس طبقا له مثل [ما] (1) لا يفهم الشيء منه إلاّ بطريق ضمن أو لزوم.

وأيضا فإنّ الأقاويل الشعريّة يحسن موقعها من النفوس من حيث تختار مواد اللفظ وتنتقى أفضلها وتركّب التركيب المتلائم المتشاكل وتستقصى بأجزاء العبارات التي هي الألفاظ الدالّة على أجزاء المعاني المحتاج إليها حتّى تكون حسنة إعراب الجملة والتفاصيل عن جملة المعنى وتفاصيله ، يكون التخيّل كما قدّمت ، يجب فيه تخييل أجزاء الشيء عند تخييله حتّى تتشكّل جملته بتشكّل أجزاء ، فتقوم صورته بذلك في الخيال الذهني على حدّ ما هي عليه خارجَ الذهن ، أو أكمل منها إن كانت محتاجة إلى التكميل.

وقد قال أفلاطون في كتاب السياسة له : « إنّا لا نلوم مصوّرا إن صوّر صورة إنسان فجعل / جميعَ أعضائه على غاية الحسن ، فنقول له إنّه ليس [45 – أ] يمكن أن يكون إنسان على هذه الصورة ، وذلك أنّ المثال ينبغي أن يكون كاملا . وأمّا سائر الأشياء التي هو لها مثال فحُسنها بقَدر مشاركتها لذلك المثـال » . (2)

وليس ما سوى الأقاويل الشعريّة في حسن الموقع من النفوس مماثلا للأقاويل الشعريّة ، لأنّ الأقاويل التي ليست بشعريّة ولا خطابيّة ينحى بها نحو الشعريّة لا يُحتاج فيها إلى ما يُحتاج إليه في الأقاويل الشعريّة ، إذ المقصود بما سواها من الأقاويل إثبات شيء أو إبطاله أو التعريف بماهيته وحقيقته .

1) كلمة ساقطه من الاصل .
2) النص منقول فيما يظهر من ترجمة حنين بن اسحق ، د. م. ا. ، 1 ، 177 .

وإنّما يثبت الشيء بغيره وبما هو خارج عنه ممّا له نسبة إلى ما يرجع إليه ممّا شأنه إذا ألّفت العبارة فيه تأليفا محدودا أن ينتقل منه إليه ويصار به إلى معرفة ثباته أو ارتفاعه . وإذا عرّف فإنّما يعرّف بقول يدلّ على ماهيته المشتركة والخاصّة ، وليس يدلّ على اللواحق والأعراض التي بها تشبّث الآداب الإنسانية وعلقة الأغراض إلاّ على جهة التزام . وإذا خيّل لك 5 الشيء بالأقاويل المحاكية له فالمقصود محاكاة ما هو عليه من حسن أو قبح بأقاويل تخيّل لواحقه وأغراضه التي بها علقة الأغراض ، ومحاسن الشيء ومساويه راجعة إليه . فإذا حوكي الشيء بصفاته أو ما هو مثال لصفاته تصوّر بما يرجع إليه وبما له علقة بالأغراض ممّا يرجع إليه أو ما هو مثال لما يرجع إليه . وإذا قصد التعريف به أو الاستدلال عليه عرّف بما ليس له 10 علقة بالأغراض ، واستدلّ عليه بما هو خارج عنه .

فمحصول ما عدا الأقاويل الشعرية إيقاع تعريف أو تصديق بما لا تشتدّ علقته بالأغراض أو لا تكون علقته بالجملة ، أو مغالطة السامع وإيهامه أنّ ذلك واقع من غير أن يكون كذلك . ومحصول الأقاويل الشعريّة تصوير [45 — ب] الأشياء الحاصلة في الوجود وتمثيلها في الأذهان على ما هي عليه / خارجَ 15 الأذهان من حسن أو قبح حقيقة ، أو على غير ما هي عليه تمويها وإيهاما . فأقوال دالّة على ما يلحق الأشياء ويعرض لها ممّا هو خارج عن مقوّماتها ممّا علقة الأغراض الإنسانية به قويّة .

فالمحصول الأوّل كحصول العلم مثلا بامتلاء إناء أو خلوّه بأن يبصر مثلا يرشح أو يوجد ثقيلا أو يبصر مكفأً ويوجد خفيفا . والمحصول الثاني 20 وهو الذي للأقاويل الشعريّة مثل ما تشفّ لك آنية الزجاج عن صورة ما تحويه . فلذلك صارت الأقاويل الشعريّة أشدّ إبهاجا وتحريكا للنفوس من

غيرها . فلشدّة مناسبة الأقاويل الشعريّة للأغراض الإنسانية كانت أشدّ تحريكا للنفوس وأعظم أثرا فيها .

3 — **إضـــاءة** : وليست المحاكاة في كلّ موضع تبلغ الغاية القصوى من هزّ النفوس وتحريكها ، بل تؤثّر فيها بحسب ما تكون عليه درجة 5 الإبداع فيها ، وبحسب ما تكون عليه الهيئة النطقيّة المقترنة بها ، وبقدر ما تجد النفوس مستعدّة لقبول المحاكاة والتأثّر لها .

4 — **تنـويـر** : فتحرّك النفوس للأقوال المخيّلة إنّما يكون بحسب الاستعداد . وبحسب ما تكون عليه المحاكاة في نفسها ، وما تدعّم به المحاكاة وتعضّد ممّا يزيد به المعنى تمويها والكلام حسن ديباجة من أمور 10 ترجع إلى لفظ أو معنى أو نظم أو أسلوب . وقد ذكرت جلّ كلّيات تلك الأشياء في هذا الكتاب .

5 — **إضـــاءة** : والاستعداد نوعان : استعداد بأن تكون للنفس حال وهوى قد تَهَيَّأَتْ بهما لأن يحرّكها قول مّا بحسب شدّة موافقته لتلك الحال والهوى كما قال المتنبي : [الخفيف — ق — المتواتر]

15 إنّمـا تَنْفَـعُ المقـالـةُ في المـرْ
ءِ ، إذا وافَقَتْ هَوًى في الفُؤادِ (1)

والاستعداد الثاني هو أن تكون النفوس معتقدة في الشعر أنّه حكَم وأنّه غريم يتقاضى النفوس الكريمة الإجابة إلى مقتضاه بما / أسلبها من هزّة [46 — أ]

---

1) يروى البيت بتنجح بدل تنفع ، وهذا اليق بالنظم . وهو من قصيدة طالعها :
حسم الصلح ما اشتهته الأعادي وأذاعته ألسن الحساد
العكبري ، (1) ، 1 ، 256 ؛ البرقوقي ، (1) ، 1 ، 265 .

الارتياح لحسن المحاكاة . هكذا كان اعتقاد العرب في الشعر . فكم خطب عظيم هوّنه عندهم بيت ! وكم خطب هيّن عظّمه بيت آخر (1) ! .ولهذا ما كانت ملوكهم ترفع أقدار الشعراء المحسنين ، وتحسن مكافأتهم على إحسانهم . وكان لغير العرب بين الأمم في القديم أيضا من العناية بالشعر والتأثّر له وحسن الاعتقاد فيه مثل ما كان للعرب . وقد قال أبو علي ابن سينا : « إنّهم كانوا ينزّلون الشاعر منزلة النبي فينقادون لحكمه ويصدّقون بكهانته » (2) . هذا على أنّ العرب انتهت من إحكام الصنعة الجديرة بالتأثير في النفوس إلى ما لم تنته اليه أمّة من الأمم ، لاضطرارهم إلى التأنّق في تأسيس مباني كلامهم وإحكام صنعته بسكناهم البيد البسابس في غير إيالة تربطهم وسياسة تضبطهم . فكانوا أخلق أمّة بأن يكثر تنازعهم فيما يقيمون به معايشهم .فاتّخذوا الإبل لارتياد الخصب ، واتّخذوا الخيل للعزّ والمنعة ، واتّخذوا الكلام المحكم نظما ونثرا للوعظ والحضّ على المصالح .

6 ــ تنوير : ولشدّة حاجة العرب إلى تحسين كلامها اختصّ كلامها بأشياء لا توجد في غيره من ألسن الأمم . فمن ذلك تماثل المقاطع في الأسجاع والقوافي لأنّ في ذلك مناسبة زائدة ، ومن ذلك اختلاف مجاري الأواخر ، واعتقاب الحركات على أواخر أكثرها ، ونياطتهم حرف الترنّم بنهايات الصنف الكثير المواقع في الكلام منها لأنّ في ذلك تحسينا للكلم بجريان الصوت في نهاياتها ، ولأنّ للنفس في النقلة من بعض

1) يراجع في هذا الغرض ابن رشيق : الأبواب الرابع والخامس والسادس والسابع ؛ باب أثر الشعر في نباهة القبيلة ، وبكاء العرب من الهجاء و ذكر بعض من بكى منهم لذلك . الجاحظ : **الحيوان** ، 1 ، 364 .

2) لم نقف على هذه الجملة في نشرة بدوي .

الكلمة المتنوّعة المجاري إلى بعض على قانون محدود راحةً شديدةً واستجدادا لنشاط السمع بالنقلة من حال إلى حال ؛ ولها ، في حسن اطّراده في جميع المجاري على قوانين محفوظة قد قسمت المعاني فيها على المجاري أحسن قسمة ، تأثّر من جهتي التعجيب والاستلذاذ / للقسمة البديعة والوضع [46 — ب]
5 المتناسب العجيب . فكان تأثير المجاري المتنوّعة وما يتبعها من الحروف المصوّتة من أعظم الأعوان على تحسين مواقع المسموعات من النفوس ، وخصوصا في القوافي التي استقصت فيها العرب كلّ هيئة تستحسن من اقترانات بعض الحركات والسكنات والحروف المتماثلة المصوّتة وغير المصوّتة ببعض ، وما تتنوّع إليه تلك الاقترانات من ضروب الترتيب .
10 فهذه فضيلة مختصّة بلسان العرب . ولهذا قال أبو نصر : « إنّ الألسن العجمية متى وجد فيها شعر مقفّى فإنّما يرومون أن يحتذوا فيه حذو العرب . وليس ذلك موجودا في أشعارهم القديمة » (1) .

7 — **إضـــــاءة** : وإنّما التزمت العرب إجراء اللواحق المصوّتة على أعقاب الكلم ونهاياتها على قانون قانون في موضع موضع لا يتعدّى ، في
15 كلّ موضع منها صورة مخصوصة من المجاري [لوجهين] (2) :

أحدهما أنّها احتاجت إلى فروق بين المعاني . وقد كان يمكنها أن تجعل لذلك علامات غير اختلاف مجاري الأواخر كما فعل غيرها من الأمم ، لكنّها اختصرت وجعلت مجاري الأواخر ، التي احتاجت إليها لتنويع مجاري القوافي والأسجاع وتحسين نهايات الكلمة بالجملة ، فروقا بين
20 المعاني ، فاجتمع لها في إجراء الأواخر على ما أجرتها فائدتان .

1) لم نقف على هذا النص في الرسالة التي نشرها بدوي .
2) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وهي لازمة يدل عليها تمام الفقرة .

والوجه الثاني في السبب الذي لأجله التزموا إجراء الكلام على قانون قانون بحسب موضع موضع أنّهم لو أجروا أواخر الكلم كيف اتّفق لم يكن ذلك ملذوذا لأنّ ذلك أمر لا يرجع إلى نظام . ولجري الأمور على نظام منضبط محكم موقع عجيب من النفس بحفظ المتكلّم لنظام كلامه ومقابلته بضروب هيآته ضروب هيآت المعاني اللائقة بها . ولو كان 5 الأمر في ذلك على غير نظام لما كان للنفوس في ذلك تعجيب ، ولكانت الفصاحة مرقاة غير معجزة أحدا .

[47 — أ] 8 — / **تنوير** : ولنرجع إلى ما كنّا بسبيله من التكلّم فيما تكون عليه النفس من استعداد لقبول المحاكاة والتأثّر لها أو غير ذلك . فنقول : 10 إنّ الاستعداد الذي يكون بانطواء السامع على هوى يكون غرض الكلام المخيّل موافقا له فينفعل له بذلك أمر موجود لكثير من الناس في كثير من الأحوال . وأمّا الاستعداد الذي يكون بأن يعتقد فضل قول الشاعر وصدعه بالحكمة فيما يقوله فإنّه معدوم بالجملة في هذا الزمان ، بل كثير من أنذال العالم — وما أكثرهم ! — يعتقد أنّ الشعر نقص وسفاهة . وكان القدماء ، 15 من تعظيم صناعة الشعر واعتقادهم فيها ضدّ ما اعتقده هؤلاء الزعانفة ، على حال قد نبّه عليها أبو علي ابن سينا فقال : «كان الشاعر في القديم ينزّل منزلة النبيّ ، فيعتقد قوله ويصدّق حكمه ، ويؤمن بكهانته» (1) فانظر إلى تفاوت ما بين الحالين : حال كان ينزّل فيها منزلة أشرف العالم وأفضلهم ، وحال صار ينزّل فيها منزلة أخسّ العالم وأنقصهم !

20 9 — **إضاءة** : وإنّما هان الشعر على الناس هذا الهون لعجمة ألسنتهم واختلال طباعهم . فغابت عنهم أسرار الكلام وبدائعه المحرّكة جملة

1) انظر 122 ، تع 2 .

فصرفوا النقص إلى الصنعة . والنقص بالحقيقة راجع إليهم وموجود فيهم ؛ ولأنّ طرق الكلام اشتبهت عليهم أيضا . فرأوا أخسّاء العالم قد تَحَرّفُوا باعتفاء الناس واسترفاد سواسية السوق بكلام صوّروه في صورة الشعر من جهة الوزن والقافية خاصة . من غير أن يكون فيه أمر آخر من الأمور التي بها يتقوّم الشعر . وكأنّ منزلة الكلام الذي ليس فيه إلاّ الوزن خاصّة من الشعر الحقيقي منزلة الحصير المنسوج من البَرْدِي وما جرى مجراه من الحلّة المنسوجة من الذهب والحرير . لم يشتركا إلاّ في النّسج كما لم يشترك الكلامان إلاّ في الوزن .

ولكثرة القائلين المغالطين في دعوى النظم وقلّة العارفين / بصحّة [47 — ب] دعواهم من بطلانها لم يفرّق الناس بين المسيء المسفّ إلى الاسترفاد بما يحدثه وبين المحسن المرتفع عن الاسترفاد بالشعر . فجعلوا قيمتهما متساوية . بل ربّما نسبوا إلى المسيء إحسان المحسن وإلى المحسن إساءة المسيء . فصارت نفوس العارفين بهذه الصنعة بعضَ المعرفة أيضا تستقذر التحلّي بهذه الصناعة . إذ نجّسها أولئك الأخسّاء واشتبه على الناس أمرهم وأمر أضدادهم . فأجروهم مجرى واحدا من الاستهانة بهم . فالمعرّة لا شكّ منسحبة على الرفيع في هذه الصنعة بسبب الوضيع . فلذلك هجرها الناس . وحقّها أن تهجر .

10 — **تنوير** : ولأنّ النفوس أيضا قد اعتقدت أنّ الشعر كلّه زور وكذب على ما رآه قوم قد حكى قولهم ابن سينا رادّا عليهم (1) . وكان يجب على هؤلاء إن كان لهم علم بالشعر ألاّ يحملهم الحسد فيما قصّرت عنه طباعهم على أن يتكلّموا في ذلك بغير تحقيق . وكثيرا ما يذمّ الإنسانُ

1) راجع أرسطو ، (1) ، 196 .

ما مَنَعَهُ ، شيمة ثُعالية ، فيحملهم الحسد على الغضّ من الشعر ومن أهله
بإخراجه من الحقائق جملة ؛ وإن كانوا ممّن ليس لهم به علم ، وما أجدرهم
أيضا بهذا ! فكان يجب عليهم أن يتعلّموا أو لا يتكلّموا فيما لم يعلموا .
فالناس إذا اعتقدوا هذا الاعتقاد كانوا خلقاء بأن يأخذوا أنفسهم بألاّ
5 تتحرّك للشعر ولا تهتزّ إليه . وأنت إذا نظرت من تعلم منه شيمة حسد من
الكهول والشيوخ الذين يئسوا من البلاغة في النظم والنثر وجدته إذا أنشدته
شعرا حسنا إمّا شديد الحبوس مربدّ الوجه لشدّة الاغتياظ ، وإمّا باديا
فيه يسير من الهزّة وظاهرا منه أنّه يقمع نفسه ويمنعها تسريح العنان في
الهزّة لئلاّ يُسرّ بذلك المنشد ولا سيّما إن كان الشعر له . فأمّا الأحداث
10 فمثل هذا الحسد فيهم قليل لأنّهم لم يقطعوا يأسهم من إدراك البلاغة ،
[48 ـ أ] وأيضا فإنّهم لا يطالبون أنفسهم في السنّ الحديثة / من الاستكمال والأنفة
من النقص في المعارف بما طالب به أنفسهم أولئك .

11 ـ **إضـــاءة** : وربّما قال قائل : إذا كانت الأقاويل الشعريّة منها
ما يخيّل الشيء ويمثّله نفسه بتعرّف صورة الشيء ممّا أعطاه ومثّله القول
15 المخيّل ، كالذي يحاكي بالدُّمية صورة امرأة فتعرف صفاتها بها ؛ ومنها
ما يترك فيه المعنى المخيّل للشيء ويخيّل بما يكون مثالا لذلك المعنى ،
كالذي يتّخذ مرآة فيقابل الدمية بها فيريك تمثالها فتعرف أيضا صورة
الشيء المحاكى بالدمية بالتمثال الذي يبدو للدمية في المرآة . وقد رأينا من
يرى الدمية أو تمثالها في المرآة لا يتحرّك لها ولا لتمثالها بنسبة ممّا كان
20 يتحرّك لرؤية الشخص الذي حوكيت صورته بالدمية . فيجب على هذا أن
لا يكون التحرّك لما يتخيّل من الشعر بنسبة من التحرّك لمشاهدة الأشياء التي
خيّلت . وأنتم تقولون إنّ الأقاويل الشعريّة ربّما كان التحرّك لما يتخيّل
من محاكاتها أشدّ من التحريك لمشاهدة الشيء الذي حوكي ، وابتهاج النفس

بما تتخيّله من ذلك فوق ابتهاجها بمشاهدة المخيّل . فيقال له أوّلا : إنّ الدمية والشخص الذي صوّرت على صورته يختلف اعتبارهما في تحريك النفوس . فالدمية تحرّكها بالتعجيب من حسن محاكاتها وإبداع الصنعة في تقديرها على ما حكي بها ، والشخص الذي هو تمثال له إن كان مستحسنا
5 فإنّه يحرّك النفوس بالصبابة إلى حسنه وما يتعلق لها به من أرب إذا كانت الدمية صورة جارية مثلا ، فربمّا كان تحريك الدمية من طريق التعجيب أكثر من تحريك الذي هي تمثال له من هذا الطريق ، بل الأمر في الأكثر على ذلك . والقول المخيّل قلّ ما يخلو من التعجيب ، بل كأنّه مستصحبٌ له من أقلّ ما يمكن من ذلك في القول المخيّل إلى أكثر ما يمكن . والتعجيب
10 في القول المخيّل يكون إمّا من جهة إبداع محاكاة الشيء وتخييله كما كان ذلك في الدمية ، ويكون من جهة كون الشيء المحاكَى من الأشياء / المستغربة [48 — ب] والأمور المستطرفة . وإذا وقع التعجيب من الجهتين المذكورتين على أتمّ ما من شأنه أن يوجد فيهما فتلك الغاية القصوى من التعجيب . وللنفوس إلى ما بلغ هذه الغاية تحريك شديد .

15 12 — **تنوير** : ثمّ يقال لمن اعترض بأنّ محاكاة الشيء يجب أن يكون التحرّك لها أقلّ من التحرّك لمشاهدته أنّ تمثّلنا في المحاكيتين بالدمية والمرآة على جهة من التسامح . وإنّما ينبغي أن يمثّل حسن المحاكاة في القول بأحسن ما يمكن أن يوجد من ضروب تصاوير الأشياء وتماثيلها . فأقول إنّ مِنْ أحسن ما يرى من ذلك تصوّر أشعّة الكواكب والشمع
20 والمصابيح المسرجة في صفحات المياه الصافية الساكنة التموّج من الخلجان والأودية والمذانب والأنهار . وكذلك نمثّل أفانين شجر الدوح بما ضمّ من ثمر وزهر في صفحات الماء الصفو إذا كان الدوح مطلاّ عليه . فإنّ اقتران طرتي الغدير الدوحيّة بما يبدو من مثالها في صفاء الماء من أعجب

الأشياء وأبهجها منظرا . ونظير ذلك من المحاكاة في حسن الاقتران أن يقرن بالشيء الحقيقي في الكلام ما يجعل مثالا له ممّا هو شبيه به على جهة من المجاز تمثيليّة أو استعارية كقول حبيب : [الخفيف – ق – المتواتر]

دِمَـنٍ طالمـا التَقَتْ أدْمُـعُ الـ ـمُزْنِ عَلَيْهَاوَأدْمُعُ العُشّاقِ (1)

وقوْل ابن التنّوخي : [الطويل – ق – المتواتر] 5

لَمَـا سَاءَنِـي أنْ وَشّحَتْنِـي سُيُوفُهُـمْ
وَأنّكِ لِي دُونَ الـوِشَـاحِ وِشَـاحُ (2)

فحسن اقتران أدمع العشاق ، وهي حقيقة ، بأدمع المزن وهي غير حقيقيّة ، واقتران الوشاح الذي هو حقيقة بالوشاح المراد به التزام المعتنق وهو غير حقيقي يجري في حسن موقعه من السمع والنفس مجرى موقع 10 حسن اقتران الدوح الذي له حقيقة بمثاله في الغدير ولا حقيقة له من العين . فإنّ المسموعات تجري من السمع مجرى المتلوّنات من العين .

[49 – أ] 13 – / **إضـــاءة** : وأمّا تخييل الشيء نفسه بالقول المحاكي له فكأنّ نسبته إلى النفس والسمع نسبة إفصاح الزجاجة عمّا حوته وإفشائها سرّ ما أودعته إلى العين من تماثيل الشمع ذوات الأنوار أو الأدواح الخضر ذوات 15 النوّار في صفحات الماء ما ليس لها لرؤية صور هذه الأشياء حقيقة ، لأنّ حال معاينة أشكال هذه الأشياء في المياه أقلّ تكرّرا على الإنسان من مشاهدة حقائق تلك الصور . فهي لها أشدّ استطرافا . وأيضا فإنّه يقع في

1) انظر فيما يرجع لهذا البيت 45 تع ، 2 .
2) أورد البيت صاحب **اليتيمة** ، ثاني بيتين أولهما :
أقـول لهـا والحـي قد فطنـوا بنا وما لي عـلى أيـدي المنون بـراح
معقبا على نسبته بقوله : وأنشدني غيره لـه ، وأنا مرتاب به لفوط جودته وارتفاعه عن طبقتـه . الثعالبي ، (1) ، ٢ ، 115 .

اقتران تمثال الشيء المستحسن به من التشاكل نحو ممّا يقع بين اقتران بعض المتلوّنات ببعض .

وأيضا فإنّ محاكاة الشيء بغيره أطرف من محاكاته بصفات نفسه. وهي أكثر جدّة وطراءة منها . فكانت محاكاته بها أطرف من محاكاته بصفات نفسه .

فلهذا وما ذكرنا فيما تقدّم ولما نذكره بعد في قوانين المعاني والنظم 5 والأسلوب ، وما يقع في كلّ ذلك من إبداع التخاييل وحسن الهيآت التي هي أعوان للتخاييل المعنويّة على ما يراد من تأثّر النفوس لها . حسن موقع الأقاويل الشعريّة من النفوس .

14 — **تنوير** : واعلم أنّ منزلة حسن اللفظ المحاكى به وإحكام تأليفه من القول المحاكى به ومن المحاكاة بمنزلة عتاقة الأصباغ وحسن 10 تأليف بعضها إلى بعض وتناسب أوضاعها من الصور التي يمثّلها الصانع .

وكما أنّ الصورة إذا كانت أصباغها رديئة وأوضاعها متنافرة وجدنا العين نابية عنها غير مستلذّة لمراعاتها ، وإن كان تخطيطها صحيحا ، فكذلك الألفاظ الرديئة والتأليف المُتنافر ، وإن وقعت بها المحاكاة الصحيحة فإنّا نجد السمع يتأذّى بمرور تلك الألفاظ الرديئة القبيحة التأليف عليها ، 15 يشغل النفس تأذّي السمع عن التأثّر لمقتضى المحاكاة والتخييل . فلذلك كانت الحاجة في هذه الصناعة إلى اختيار / اللفظ وإحكام التأليف أكيدة جدّا [49 — ب]

د ـ المنهج الرابع في الإبانة عن الأحوال التي تعرض للمعاني في جميع مواقعها من الكلام ، فتوجد بها ملائمة للنفوس أو منافرة لها .

أ ـ معلم دالّ على طرق العلم بأنحاء النظر في أحوال المعاني وما يجب اعتباره فيها من جهة ما يرجع إليها في أنفسها أو من جهة ما يقترن بها ويكون لها به علقة . 5

وأنا أشير إلى أنحاء النظر في جميع ذلك باضاءات وتنويرات ، من إيراد الآراء البلاغية أرفعها في معلم معلم ومعرف معرف ، وأنبّه على ما يتأكّد التنبيه عليه من ذلك بقول موجز إذ لا ينفسح الوقت الذي للنفس فيه بعض تخلّ عن الشواغل إلى تسريح العنان في ذلك .

10 1 ـ **إضاءة** : واعتبار ما تكون عليه المعاني من صحّة وكمال ومطابقة للغرض المقصود بها وحسن موقع من النفس يكون بالنظر إلى ما المعنى عليه في نفسه ، وبالنظر إلى ما يقترن به من الكلام وتكون له به علقة ، وبالنظر إلى الغرض الذي يكون الكلام مقولا فيه ، وبالنظر إلى حال الشيء الذي تعلّق به القول .

15 2 ـ **تنوير** : والنظر في المعنى من جهة ما يكون عليه في نفسه لا يخلو من أن يكون متعلّقا بما يرجع إلى مادّته ، أو بما يرجع إلى تأليفه ، أو بما يرجع إلى مقداره ، أو بما يرجع إلى هيئته . وقد تقدّم الكلام في كثير ممّا يحتاج إليه في المعاني من هذه الجهات الأربع . وسأستدرك في هذا المنهج ما يكون تتميما لذلك المبدأ / وتوطيدا على ذلك الأسّ ، إن [50 ـ أ] شاء الله . 20

3 — **إضـــــاءة** : ولا يخلو اعتبار المعنى في جميع ذلك من أن يكون بالنظر إلى ما هو ضروري فيه أو متأكّد أو مستحب . والضروريّ هو ما لا يتمّ الغرض إلاّ به . والمتأكّد هو الذي يزيد به الكلام حسنا وإن كان قد يستغنى عنه ويكون اعتماده بيّن الرجاحة على اطّراحه . والمستحبّ هو المائل إلى حيّز الرجحان في ذلك . 5

4 — **تنـــويـــر** : وقد أدرجت تفاصيل القول في جميع ذلك في منهج منهج ومعلم معلم من مناهج هذا الكتاب ومعالمه ، إذ لم يمكن إدراج ذلك في منهج واحد ، لأنّ ذلك يخرجه إلى مباينة غيره من المناهج في الطول ، فيعدل بوضع الكتاب إلى ضدّ ما قصدنا به من المناسبة والمعادلة . فلذلك اقتصرت في هذا المنهج من النظر في صحّة المعاني على ما يقع فيها من 10 إحالة ، من جهة نسبة وصف إلى موصوف ، ومن جهة تناقض واقع بين متقابلين ، أو من جهة تدافع بين المعاني وأغراض الكلام ، أو من جهة تباين بين الأوصاف وأحوال الموصوفين .

5 — **إضـــــاءة** : وكذلك اقتصرت أيضا من النظر في كمال المعاني على الإشارة إلى بعض جهات الكمال فيها لأنّ الكمال أيضا يكون بالنظر 15 إلى ما المعنى عليه في نفسه ، ويكون بالنظر إلى ما يكتنفه وتكون له به علقة ، ويكون بالنظر إلى غرض الكلام ، ويكون بالنظر إلى حال الشيء الذي فيه القـول .

6 — **تنـــويـــر** : وكمال المعنى في نفسه يكون باعتبار استيفاء أجزائه البسيطة ، أو استيفاء أجزائه المركّبة ، لانّ المعاني منها ما ينحلّ إلى أجزاء 20 مركّبة ، ومنها ما لا ينحلّ إلاّ إلى أجزاء بسيطة . وقد تقدّم أنّ أجزاء

المعاني قد يكون جميعها متعدّدا ، وقد يتعدّد بعضها دون بعض ، وأنّها قد تتكرّر لضروب من المقاصد . وكلّ ذلك لا يخلو من أن يكون ضروريّا بالنظر إلى صحّة المعنى وكمال تأديته أو أكيدا فيه أو / مستحبّا . [50 — ب]

7 — **إضـــاءة** : وإذا وقع التعداد في المعاني وكان ضروريّا بالنسبة إلى الغرض واستمرّ في العبارة على نسق متشابه سمّي قسمة . وقد يسمّى بذلك ما كان متأكّدا أو مستحبّا ، وإن لم يكون ضروريّا ، على سبيل المسامحة . وأمّا ما سوى ذلك من أنحاء النظر في كمال المعنى فقد تضمّنت التنبيه عليه مواضعُ كثيرة من هذا الكتاب ، فليتأمّل هنالك (1) .

8 — **تنـويـر** : وتمكّن المعنى أيضا يكون بنحو من تلك الاعتبارات ، ولم نلمم في هذا الموضع إلاّ بما يكون التمكّن فيه بالنظر إلى ما يواجه به المعنى وبرام التوفيق في الوضع بينهما من جهة ما لأحدهما انتساب إلى الآخر يقتضي المقارنة بينهما ، وما عدا ذلك من أنحاء التمكّن يتعرّف من مواضع أخر (2) من هذا الكتاب .

9 — **إضـــاءة** : فأمّا وضوح المعاني وبيانها وغموضها واستغلاقها فأنا أستقصي في هذا المنهج أنحاء النظر في الوجوه التي بها يكون بيان المعنى أو انبهامه من جهة ما يرجع إليه في نفسه ، ومن جهة نسبة اللفظ الدالّ عليه إلى فهم المخاطب ، وإن كان ذكر هذا أليق بالقسم الأوّل (3) . لكنّا قصدنا في هذا المنهج أن يكون القول في جميع ما يكون به انبهام المعاني مستقصى ، وأن نتقصّى أنحاء النظر من ذلك فيما تقدّم الإلمّاع به من ذلك في المنهج الثالث من القسم الأوّل (4) .

---

1) ، 2) انظر لذلك جملة مما احتوت عليه فصول من هذا الكتاب ، هي المآم الاخيرة من المنهج الثاني لقسم المعاني 55 — 61 ، 154 — 157، 158 — 161 .

3) ، 4) إحالة على القسم الاول المفقود .

ب ــ معرف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء النظر في صحّة المعاني وسلامتها من الاستحالة الواقعة بالإفراط في المبالغة .

لا يخلو الشيء المقصود مدحُه أو ذمّه من أن يوصف بما يكون فيه واجبا أو ممكنا أو ممتنعا أو مستحيلا . والوصف بالمستحيل أفحش / ما [51 ــ أ] يمكن أن يقع فيه جاهل أو غالط في هذه الصناعة . والممتنع قد يقع في الكلام إلاّ أنّ ذلك لا يستساغ إلاّ على جهة من المجاز . والفرق بين الممتنع والمستحيل : أنّ المستحيل هو الذي لا يمكن وقوعه ولا تصوّره ، مثل أن يكون شيء طالعا نازلا في حال . والممتنع هو الذى يتصوّر وإن لم يقع كتركيب عضو من حيوان على جسد من حيوان آخر .

1 ــ **إضـــاءة** : فمدار الأوصاف إذن ــ بالنظر إلى ما يستساغ ويوثر ــ إنّما هو على ما كان واجبا واقعا ، أو ممكنا معتاد الوقوع ، أو مقدّره . والممكن لا يخلو من أن تتوفّر فيه دواعي الإمكان أو أن تقلّ . وكلّما توفّرت دواعي الإمكان كان الوصف أوقع في النفس وأدخل في حيّز الصحّة . ولهذا يقال : ممكن قريب وممكن بعيد .

2 ــ **تنـــويـــر** : والواجب الثابت الوقوع لا يخلو من أن يكون متناهيا في الحال التي هو عليها ، أو قاصرا فيها ، أو وسطا بين المتناهي والقاصر . وكلّ ذلك لا يخلو من أن يكون الوصف به تحسينا للموصوف ومدحا له ، أو تقبيحا له وذمّا . والمدح بالقاصر ممّا يحسن تقصير في المدح . والذمّ بالقاصر ممّا يقبح تقصير في الذمّ .

3 ــ **إضـــاءة** : فبهذا الترتيب يتبيّن ما يصحّ ويحسن من المبالغة ، وما لا يصحّ منها ولا يحسن . فإنّ العلماء بصناعة البلاغة متّفقون على أنّ

ما أدّى إلى الإحالة قبيح . وقد خالف في هذا جماعة (1) ممّن لا تحقيق عنده في هذه الصناعة ولا بصيرة له بها ، فاستحسنوا من المبالغة ما خرج عن حدّ الحقيقة إلى حيّز الاستحالة ، واحتجّوا بمطالبة النابغة حسّان بن ثابت بالمبالغة في أوصافه حين أنشده قوله : [الطويل – ق – المتدارك]

لَنَـا الجَفَنَـاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى
وأَسْيَافُنَا يَقْطُـرْنَ من نجدةٍ دَمَا (2) 5

فقـال له : « قلّلت جفـانك وسيوفك ، ولو قلت الجفـان والسيوف لكان أبلغ » . والبصراء بصناعة البلاغـة العـارفون بمـا يجب فيهـا يقولـون : [51 – ب] / إنّما طالب النابغة حسّانا بمبالغة حقيقية ، وهي تكثير الجفان والسيوف. 10 فاستدرك عليه التقصير عمّا يمكن فيما وصف ، ولم يطالبه بتجاوز غـاية الممكن والخروج إلى ما يستحيل .

4 – **تنـويـر** : وقد يستساغ الوصف بما يؤدّي إلى الإحالة حيث يقصد التهكّم بالشيء أو الزراية عليه والإضحاك به . كقول الطّرماح : [الطويـل – ق – المتـدارك]

ولو أنّ بَرْغوثـا على ظَهْرِ قَمْلَةٍ يَكُرُّ على صَفَّيْ تَميمٍ لوَلَّتِ(3) 15

---

1) انظر قدامة ، (3) ، 36–37 ؛ ولعل منهم ايضا عبدالكريم والباغاني. انظر **العمـدة** ، (1)، ٢ ، 50 .

2) البيت من قصيدة لحسان طالعهـا :

ألم تسأل الربـع الجديد التكـلمـا بمدفـع اشداخ فبرقـه أظلمـا

الـديـوان ، 87 .

3) البيت وارد بلفظ نملة لا قملة وهو من قطعة نصها :

ولو أن برغـوثـا يزقـق مسكـه إذا نهلت منـه تميم وعلـت
ولو أن برغـوثـا على ظهـر نملـة يكـر على صفي تميـم لـولـت
ولـو جمعـت عليـا تميـم جموعها على ذرة معقـولـة لا ستقلـت
ولو أن ام العنكبـوت بنت لهـم مظلتهـا يـوم الندى لا ستظلـت

المرزباني ، 244 .

فهذا وأشباهه إنّما استعمل على جهة الزراية والإضحاك . فهو مقصود به غرض مّا ، يسوغ معه ما لا يسوغ دونه .

5 — **إضـــاءة** : وإنّما جرى الغلط على كثير من الناس في هذا حيث لم يفرّقوا بين الوصف الذي لا يخرج عن حدّ الإمكان وإن لم يثبت وقوعه ، وبين الخارج إلى حيّز الاستحالة . وغلّطتهم في ذلك أبيات وقعت فيها مبالغات خَفِيَت عليهم فيها جهاتُ الإمكان ، فظنّوا أنّها من الممتنعة أو المستحيلة .

ومثل ذلك من المبالغات التي يمكن أن تتصوّر لها حقيقة وأن تصرف إلى جهة الإمكان ، وإن كان ممّا يستندر وقوع مثله قول المتنبّي :

[الطويل — ق — المتدارك]

وأنّى اهتدّى هذا الرسولُ بأرضه
وما سكَنَت مذ سِرتَ فيها القساطلُ

ومن أيّ ماء كان يَسْقي جيادَهُ
ولم تَصْفُ من مزج الدماء المناهلُ (1)

فهذا مستساغ مقبول من حيث يمكن أن تتصوّر له حقيقة وإن لم تكن واقعة ، إذ كانت كثرةُ الجيوش لا حدّ لها . ومتى قُدّرت الزيادة في مقدار منها وإن كَثُرَ أمكنت . فجائز أن يغزو أرض قوم من الجيوش ما يصيّر حزنها سهلا وخيارها وعثا حتى يصيّر صخرها رهجا وترابها إهبا ، فيثور نقعها بأقلّ حركة أو نفس فلا تسكن القساطل فيها مدّة . فأراد المبالغة

1) البيتان من قصيد يمدح به ابو الطيب سيف الدولة عند دخول رسول الروم حلب ، وطالعه :
دروع لملك الروم هذي الرسائل   يرد بها عن نفسه ويشاغل
المكبرى ، (1) . ٢ ،90 .

[52 – أ] في جيش ممـدوحه فجعله بالغا إلى هذا المقدار / . وكذلك سفك الدماء ليس له حدّ ينتهي إليه . ومتى قدّرت الزيادة في مقدار منه أمكنت ، فجائز في حقّ ممدوحه أن يريق من دماء أعدائه ما تكدّر منه المياه مدّة . فأراد المبالغة في ما أراق هذا الممدوح من دماء الروم ، فجعله بالغا إلى ذلك المقـدار . 5

ولا يلزم أبا الطيب أن يكون صادقا في ذلك ، لأنّ صناعة الشعر لها أن تستعمل الكذب إلاّ أنّها لا تتعدّى الممكن من ذلك أو الممتنع إلى المستحيل ، وإن كان الممتنع فيها أيضا دون الممكن في حسن الموقع من النفـوس .

10 6 – **تنـويـر** : فأمّا مثل قول أبي الطيب في وصف الأسد :
[الكامل – ق – المتواتر]

سَبَقَ التقاءَكَهُ بِوَثْبَةِ هَاجِمٍ
لَوْ لَمْ تُصَادِفْهُ لَجَازَكَ مِيلاَ (1)

فقبيح ، إذ لا يمكن في جرم الأسد وقوّته من الزيادة ما أمكن في الجيوش والدماء . 15

وبهذا الاعتبار يتبيّن لك ما يحسن من المبالغة وما لا يحسن وما يسوغ منها وما لا يسوغ . فمن اعتمده حمده إن شاء الله .

1) البيت يروى بلفظ تصادمه بدل تصادفه . وهو كذلك في غالب النسخ التي وقفت عليها . ولعله في الأصل خطأ من الناسخ . وهذا البيت من قصيدة طالعها :
في الخدان عزم الخليط رحيلا مطر يزيد به الخدود محولا
البرقوقي ، (2) ، ٣ ، 447 س 2 .

ج ـ معلم دالّ على طرق العلم بأنحاء النظر في صحّة المعاني وسلامتها من الاستحالة الواقعة بفساد التقابل .

وجهات التقابل أربعة : ـ 1 ـ جهة الإضافة وهي أن تكون نسبة شيء إلى شيء آخر مخالفة لنسبة ذلك الشيء إليه ، مثل الضعف للعشرة بالقياس
5 إلى نصفها ، والأب إلى ابنه ، والمولى إلى عبده . ـ 2 ـ وجهة التضادّ كالأبيض والأسود . ـ 3 ـ وجهة القنية والعدم كالأعمى والبصير . ـ 4 ـ وجهة السلب والإيجاب نحو زيد جالس ، زيد ليس بجالس . فالجمع بين متقابلين من هذه الأربعة من جهة واحدة تناقض .

1 ـ **إضـــاءة** : فإن تَقابلَ المعنيان من جهتين ، لم يكن ذلك تناقضا
10 مثل أن يقال إنّ العشرة ضعف / ونصف ، لكنّها ضعف الخمسة ونصف [52 ـ ب] العشرين . ولو قيل إنّها نصف العشرين وضعفها كان محالا . وكذلك قول القائل : زيد بصير القلب أعمى العين صحيح . ولو قيل إنّه أعمى العين بصيرها كان محالا . وكذلك في التضادّ يصحّ أن يقال في الفاتر إنّه حار عند البارد وبارد عند الحار ، ولا يكون حارا باردا عند أحدهما . وكذلك
15 في السلب والإيجاب نحو زيد كريم بالمال ، زيد ليس كريما بالجاه ، فهذا صحيح . ولا يصحّ أن يكون كريما بأحدهما غير كريم به في حال واحـــدة .

2 ـ **تنـــويـــر** : فضروب التقابل الأربعة إنّما يصحّ منها ما لم يتوافق المتقابلان فيه من جهة واحدة ، ولكن نيط هذا بجهة وهذا بجهة .

20 فمن الكلام الذي انصرف فيه أحد المتقابلين بالسلب والإيجاب إلى غير الجهة التي انصرف إليها الآخر ، فكان ذلك صحيحا سالما من التناقض ، قول ابن الرومي : [الطويل ـ ق ـ المتواتر]

وَلَيْسُوا بِأجْذَالِ الطِعَانِ ذَوِي القَنَا
وَلَكِنَّهُمْ بِالحَزْمِ وَالرَّأيِ أجْذَالُ
وَلَمْ يُخْلَقُوا أبطالَ بَأسٍ ونَجْدَةٍ
وَلَكِنَّهُمْ بِالرِّفْقِ وَاللِّينِ أبْطَالُ(1)

فجعلهم أبطالا من جهة وغير أبطال من جهة ، وأجذالا من وجه وغير أجذال من وجه . 5

3 — **إضاءة** : وربّما تسامح بعضهم في أن يورد معنى في بيت ثمّ يأتي في بيت آخر بمعنى يقابله على أحد الأنحاء المتقدّمة من التقابل ويجمع بينهما من جهة واحدة . وذلك إذا كان البيت منقطعا عن البيت فيجُري البيتين إذا كان كلاهما مستقلاّ بنفسه مجرى قصيدتين . فكما جاز للشاعر 10 أن ينقض في قصيدة ما قال في قصيدة أخرى كذلك يجوز له في البيتين المتميّز أحدهما عن الآخر .

فأمّا إذا كان معنى البيت الواحد متعلّقا بمعنى البيت الآخر ، فإنّ الجمع بين المتقابلين فيهما من جهة واحدة غير سائغ . وإنّما يجوز ذلك مع عدم الاتّصال . 15

وترك التناقض على كلّ حال أحسن . وقد قال أبو عثمان الجاحظ : [53 — أ] / « إنّ الناس يغلطون على العرب ويزعمون أنّهم يمدحون بالشيء الذي يهجون به . وهذا باطل ، ليس شيء إلاّ وله وجهان وطريقان . فإذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين . وإذا ذمّوا ذكروا أقبحهما » . وقال الخفاجي

1) هذان البيتان من فرائد حازم في منهاجه .

تلميذ أبي العلاء : « إنّهم على ذلك يتصرّف قولهم . فإنّ أبا تمّام لمّا وصف يوم الفراق بالطول فقال : [الكامل – ق – المتواتر]

يومَ الفِراقِ ، لقدْ خُلِقْتَ طَويلا
لـم تُبقِ لِـي جَلَداً ولاَ مَعْقُولا (1)

5 علّل طوله بما لقي فيه من الوجد لرحيل أحبابه عنه .

وأبو عبادة البحتري لمّا وصفه بالقصر فقال : [الكامل – ق – المترادف]

ولقد تأمّلْتُ الفِراق فلَمْ أجِدْ يومَ الفراقِ علَى امرىءٍ بطَويل
قَصُرت مسافتُـه على مُتـزوّدٍ منـه لدهرِ صَبَابةٍ وعَويلِ (2)

علّل قصره بأنّه اجتمع فيه بمن يحبّه للوداع وتزوّد منه لأيّام البعد .

10 فهما وإن خالف كلاهما صاحبه فقد ذكرا لما ذهبا إليه وجوها يصحّ عليها الكلام » .

4 – **تنوير** : فممّا حمل على التناقض من أقاويل الشعراء قول عبد الرحمن بن عبد الله القس : [الطويل – ق – المتدارك]

أرَى هجرَها والقتْلَ مثلَيْن فاقْصِروا
15 مَلامَكُمُ ، والقتلُ أعفَى وأيْسَرُ (3)

---

1) البيت طالع قصيدة يمدح بها حبيب بن أوس نوح بن عمرو السكسكي . التبريزي ، ٣ ، 66 .

2) البيتان من قصيدة يمدح بها البحتري الفضل بن اسماعيل الهاشمي طالعها :

حب يخاطب مفحمـات طلـول من سائـل بـالـك ومن مسؤول

الديوان ، ٢ ، 610 .

3) انظر المرزباني ، 226 .

وبما حمله بعض البلغاء على التناقض ، وأوّله بعضُهم على وجه من الصحّة قول زياد الأعجم (1) : [الطويل – ق – المتدارك]

تَرَاهُ إذا ما أبْصَرَ الضَّيْفَ مُقبِـلا   يُكلِّمُـه مِن حبِّـه وهو أعجَمُ (2)

قال أبو الفرج قدامة : « تناقض من حيث أوجب الكلام للكلب ، ثمّ أعدمه إيّاه بقـوله وهو أعجم (3) » . 5

وقـال الخفـاجي : « ليس الأعجـم هو الذي عَدِمِ الكلام جملـة كالأخرس ، وإنّما هو الذي يتكلّم بعجمة . وإذا قيل فلان يتكلّم وَهو أعجم لم يكن متناقضا (4) » . انتهى كلام الخفاجي .

والبيت محتمل وجها آخر من التأويل يصحّ عليه . وهو أنّه قد يعني [53 – ب] بالكلام ما يفهم من إشارة من لا يستطيعُ / النطق وحركاتِه وشمائِلِه 10 حيث يقصد بذلك إفهام ما في نفسه (5) .

---

1) البيت منسوب لابن هرمة . انظر الخفاجي ، 230 ؛ قدامة ، (1) ، 82 .
2) المصدران السابقان .
3) المصدر الثاني السابق . عجيب صدور هذا من قدامة ، وهل ما في البيت الا من قبيل الاغراب والطباق . فقوله تراه يكلمه ظاهر أن معناه كالذي يكلمه . وهو كقول عنترة في فرسه :

فازور من وقع القنا بلبانه   وشكا إلي بعبرة وتحمحم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى   ولكان لو علم الكلام مكلمي

فجمع بين شكا وبين لو كان يدري اشتكى الذي هو في معنى النقيضين كما لا يخفى .
4) تمام هذا الكلام ، وقد ورد هنا مبتورا : وهذا غلط من أبي الفرج طريف ، ليس الأعجم هو الذي عدم الكلام جملة كالأخرس ، وإنما هو الذي يتكلم بعجمة ، ولا يفصح . قال الله تبارك وتعالى : « لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين » . وإذا قيل فلان يتكلم وهو أعجم ، لم يكن متناقضا ، يشير الى وجه آخر في الجواب ، فيقول على أن الرواية الصحيحة في بيت ابن هرمة : يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا . الخفاجي ، 230 .
5) تأويل آخر لحازم في الموضوع فليتأمل .

وما أبدع قول ابن درّاج عندما ذكر وداع امرأته وما ظهر من الشجو في ألحاظ بُنيّه الصغير، لما أبصر من حالهما عند ذلك فتبيّن ذلك في عينيه :

[الطويل — ق — المتواتر]

عيِيٌّ بمَرْجُوعِ الخِطَابِ وَلَحْظُه

5 بموقِعِ أهْوَاء النُّفوس خَبِيرُ (1)

5 — **إضــــاءة** : وذهب أبو الفرج قدامة (2) إلى تناقض قول أبي نواس : [الطويل — ق — المتواتر]

كأنّ بقَايا ما عفَا من حَبَابِها تفاريق شيْبٍ في سواد عِذَارِ

تَرَدّت به ثُمّ انفرَى عن أديمِها تفَرِّيَ ليْلٍ عن بياض نهَار (3)

10 وقال : « إنّه وصف الحباب في البيت الأوّل بالبياض حين شبّهها بالشيب ووصف الخمر بالسواد حين شبّهها بسواد العذار ، ثم وصف الحباب في البيت الثاني بالسواد حين شبّهه بتفرّي الليل ثم وصف الخمر بالبياض حين قال عن بياض نهار ، وكون كلّ واحد من الحباب والخمر أسود أبيض مستحيل » . وقد سأل أبو الفرج نفسه فقال : « إن قيل إنّه

15 لم يصف الحباب في البيت الثاني بالسواد وإنّما شبّهه بالليل في تفرّيه وانحساره عن النهار دون نفس اللون » . وأجاب عن هذا : « بأنّ أبا

---

1) البيت من قصيدة يودع بها ابن دراج زوجه وولده الصغير ، طالعها :
ألم تعلمي أن الثواء هو التوى وأن بيوت العاجزين قبور
الثعالبي ، (1) ، 1 ، 446 .

2) قدامة ، (1) ، 80 .

3) البيتان من قصيدة في مدح العباس بن عبيد الله بن المنصور طالعها :
ديار نوار ما ديار نوار كسونك شجواهن منه عوار
الديوان ، (1) ، 159 ؛ (2) ، 435 .

نواس قد صرّح بأنّه لم يرد غير اللون فقط لقوله عن بياض نهار » (1) .

وقد يحتمل قول أبـي نواس وجوها من التأويل لا يـكون معها فيه تناقض .

فمن ذلك أن يـكون أراد أن يشبّه سواد الخمر بالليل والحباب بالنجوم ، فلم يتّسع له الكلام لهذا التشبيه ، فلوّح له في البيت الثاني تلويحا لطيفـا 5 بقوله : « تفرّي ليل عن بياض نهار » حيث كانت النجوم في ضمن اللّيل أي انفرى عنها ما تردّت به من لون السواد ، وما اقترن به من الحبـاب تفرّى الليل ونجومه عن بياض النهار . فالضمير في قوله انفرى راجع إلى ما تردّت به الخمر من لون السواد المشبّه تفرّيه بتفرّي اللّيل ؛ ولو كان الضمير في قوله انفرى راجعا على الحباب لـكان أليق بـكلام أبـي نواس / في 10 [54.ـ أ] هذه القصيدة أن يقول تحلّت به فيجعل الحباب حليّا لها على ما جـرت عليه عادة الشعراء — فإنّا لا نعلم أحدا جعل الحباب رداء — والمشبّـه ببياض النهار بياض الماء الممزوج بالخمر ، شبّه تفرّي سواد الخمر عن بياض الماء الذي جلاه إذ مزج به بتفرّي الليل عن بياض النهار . وقد يمكن أن يـكون في هذا التشبيه إشارة الى تشبيه الحباب بالنجوم ولم يذكرهـا 15 لأنّها في ضمن الليل وتابعة له في انحساره . وقد يمكن أن يـكون الضمير في انفرى راجعا إلى الحباب ويـكون قوله تفرّي ليل في قوّة تفرّي نجوم ليل أو يـكون قد اكتفى بذكر الليل لأنّ النجوم في ضمنه (2) .

6 — **تنـويـر** : وليس لقائل أن ينفصل عمّا ألزمه أبو الفرج قدامة(3) من أنّ أبا نواس أراد بالبياض نفس اللون بأن يقول : لعلّه لم يرد بقوله 20

1) الإضـاءة من أولها منقولة بتصرف . انظر الخفاجي ، 231 .
2) تأويلات حازمية عقب بها ما نقلـه عن غيره من النقاد في هذا الغرض .
3) راجع قدامة ، (3) ، 126 — 128 .

بياض نهار حقيقة اللون ، ولكنّه استعمله على حدّ قولهم أقمنا بمكان كذا بياض نهار وأديم ليل ، لأنّ قول القائل أقمنا أديم ليل وبياض نهار معناه أقمنا يوما من أوّله إلى آخره وليلة من أوّلها إلى آخرها .

وقد يقال أيضا أقمت بها أديم يوم كما قال بشر ابن أبي خازم :
5 [الوافر — ق — المتواتر]

وبَاتت ليلةً وأديمَ يومٍ على المِمْهى ، يُجَزُّ لها الثَّغامُ(1)

فالمراد في مثل هذا الاستعمال ببياض يوم مخالف للمراد به في قول أبي نواس ، إذ لا يمكن أن يريد تفرّي ليل عن نهار من أوّله إلى آخره. فبياض النهار إذنْ على ما ألزمه أبو الفرج ، ومعنى الشعر على ما تأوّلناه
10 لا على ما تأوّله ، إذ المعنى الذي قلناه معنى صحيح والعبارة قابلة له على ما فيها من الاختصار الذي كاد أن يخلّ بالمقصود .

وكلّما أمكن حمل بعض كلام هذه الحلبة المجلّية من الشعراء على وجه من الصحّة كان ذلك أولى من حمله على الإحالة والاختلال لأنّهم من ثبت ثقوب أذهانهم وذكاء أفكارهم واستبحارهم في علوم اللسان
15 وبلوغهم من المعرفة به الغاية / القصوى . [54 — ب]

وقد قال الخليل بن أحمد : « الشعراء أمراء الكلام يُصرّفونه أنّى شاءوا . ريجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده ومن تصريف اللفظ وتعقيده ومدّ المقصور وقصر الممدود والجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته واستخراج ما كلّت الألسن عن وصفه ونعته والأذهان

---

(1) البيت يروى بيجر بالراء لا بالزاء ، وهما روايتان . وهو من قصيدة طويلة طالعها :
أحق ما تقول أم احتلام أم الاهوال إذصحبي نيام
الضبي ، 161 ؛ الديوان ، 210 .

عن فهمه وإيضاحه ، فيقرّبون البعيد ويبعّدون القريب ويُحتَجّ بهم ولا يُحتَج عليهم ويصوّرون الباطل في صورة الحقّ والحقّ في صورة الباطـل » (1) .

فلأجل ما أشار إليه الخليل ، رحمه الله ، من بعد غايات الشعراء وامتداد آمادهم في معرفة الكلام واتّساع مجالهم في جميع ذلك ، يحتاج أن يحتال في تخريج كلامهم على وجوه من الصحّة ، فإنّهم قلّ ما يخفى عليهم ما يظهر لغيرهم ، فليسوا يقولون شيئا إلاّ وله وجه ، فلذلك يجب تأوّل كلامهم على الصحّة والتوقّف عن تخطئتهم فيما ليس يلوح لـه وجـه .

وليس ينبغي أن يَعْتَرِض عليهم في أقاويلهم إلاّ من تُزاحِم رتبته في حسن تأليف الكلام وإبداع النظام رتبتَهم . فإنّما يكون مقدار فضل التأليف على قدر فضل الطبع والمعرفة بالكلام . وليس كلّ من يدّعي المعرفة باللسان عارفا به في الحقيقة . فإنّ العارف بالأعراض اللاحقة للكلام التي ليست مقصودة فيه من حيث يحتاج إلى تحسين مسموعه أو مفهومه ليس له معرفة بالكلام على الحقيقة البتّة وإنّما يعرفه العلماء بكلّ ما هو مقصود فيه من جهة لفظ أو معنى . وهؤلاء هم البلغاء الذين لا معرّج لأرباب البصائر في إدْراك حقائق الكلام إلاّ على ما أصّلوه .

فمن جعل ذلك دليله هدي سبيله ، ومن اعتمده أحمده .

1) من هذا استمد السيوطي وصفه للشعراء . انظر المزهر ، (2) ، ٢ ، 471 س 4 – 6 .

د ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بما / يوضع من المعاني وضع غيره من حيث تكون واجبة أو ممكنة أو ممتنعة ، وما لا يجوز أن يوضع وضع غيره من ذلك . [55 ـ أ]

أمّا طرق الجدّ وما لم يقصد المتكلم به مشاجرة ولا مغالبة فلا يوضع
5 فيها واجب وضع ممتنع ، ولا الممتنع وضع الواجب ، ولا ممكن وضع ممتنع ، ولا واجب وضع ممكن ؛ وإنّما يوضع الممكن وضع الواجب ، ويجوز أن يوضع الممتنع وضع الجائز إذا كان المقصود بذلك ضربا من المبـالغـة .

1 ــ **إضـــاءة** : فأمّا طرق الهزل وما يقصد به الإضحاك أو التهكّم
10 فإنّ المعنى قد يوضع في ما وُضع جميع ما يخالفه من الجهات المذكورة. وكذلك في الأقاويل التي يقصد بها المشاجرة والمكابرة لانّ مواطن الهـزل والضجرة تحتمل من قلّة المبالاة بحقائق الكلام ما لا تحتمله مواطن الجـدّ والاعتـدال .

2 ــ **تنـويـر** : ولا يجوز وضع شيء من الواجبات أو الممكنات
15 وضع المستحيل ، ولا أن يوضع المستحيل وضع شيء من ذلك في موطن جدّ ولا في موطن هزل ولا في حال اعتدال ولا تحرّج . وقد تقدّم أنّ الفرق بين الممتنع والمستحيل هو أنّ المستحيل لا يمكن وجوده ولا تصوّره في الوهم مثل كون الشيء أسود أبيض وطالعا نازلا في حال واحدة . والممتنع هو ما يمكن تصوّره في الوهم وإن لم يمكن وجوده مثل أن يتصوّر
20 تركيب بعض أعضاء نوع من الحيوان على جسد نوع آخر .

3 — **إضـــاءة** : وقد تـكلـّم الخفاجي في هذا ، وأغفل التفرقة بين الأقاويل التي ترد على الأنحاء المتقدّمة من جهة ما تقع فيه من المواطن والأحوال ، وبيـّن ما يسوغ من ذلك في حال دون حال وموطن دون آخر، وتـكلـّم في ما يسوغ في جميع ذلك ويجوز من / جهة ما ينحى بالأقاويل [55 — ب] نحوه من مبالغة أو اقتصاد . فأجاز أن يوضع الممتنع وضع الجائز إذا كان في ذلك ضرب من الغلوّ والمبالغة وهو كما قال ، ومنع أن يوضع الجائز وضع الممتنع على كل حال (1) . والصّحيـح أنّ ذلك يقع حيث تقصد المبالغة . وربـّما وضع الجائز أيضا وضع الممتنع حيث تقلّ دواعي الإمكان في جوازه ويـكون القصد بذلك ضربا من المبالغة .

10 4 — **تنـويـر** : فأمّا إذا لم تقصد مبالغة ولا مغالبة فلا يوضع جائز وضع ممتنع ولا ممتنع وضع جائز . ومن أمثلة ذلك فيما لم تقصد فيه مبالغة قول بعضهم : [الطويل — ق — المتـدارك]

فإنْ صُورةٌ رَاقَتْكَ فاخْبُر فَرُبّـما
أمـرّ مـذاقُ العودِ والعودُ أخضرُ (2)

15 فبنى على أنّ مرارة العود أكثر ما تـكون عن اليبوسة وأنّها في الأخضر على سبيل القلـّة ، والأمر بخلاف ذلك لأنّ وجود المرارة مع الخضرة هو الأكثر ، فـكأنـّه وضع الواجب في الأكثر موضع الجائز في الأقلّ . وهذا غلط مستقبح في المعاني مؤد إلى انعكاس حقائق المقاصد ، فليتحفـّظ من

---

1) علـة هذا الاطـلاق واضحـة في كـلام الخفاجـي حـين يقول : « ولا يحسن أن يوضـع الجائز موضـع الممتنـع لأنه لا علـة لجواز ذلك . وهو ضد ما يحمد من الغلو والمبالغـة في الشعر » . الخفاجـي ، 234 .

2) البيت لخالد بن صفـوان ، أورده قدامـة بن جعفر والمرزباني ومثلا به لمـا عيب من معـاني الشعر بسبب مخالفتهـا للعرف . قدامة ، (1) ، 85 ؛ المرزباني ، 232 .

مثله ، فإنّه خارج عن جملة ما استسغناه بحسب المواطن والأحوال والمطامح الإفراطية التي من شأن الشعراء أن ينحرفوا بالمعاني التي وقع فيها وبحسبها عن الحقائق التي تجب في نسبها وفي انتسَاب بعض مفهوماتها إلى بعض انحرافا مّا لضروب من المقاصد ليس شيءٌ منها موجودا في هذا البيت .

5 **هـ — معلم دالّ على طرق العلم بالوجوه التي بها يقع التدافع بين بعض المعاني وبعض .**

كلّ قول قصد به محاكاة شيء ونحي بذلك منحى من الأغراض فإنّه يجب ألاّ يتعرّض فيه إلى ما هو أليق بمضادّ الشيء المحاكى به وأخصّ به / أو أخصّ بمناسب مضادّه ، وألاّ يتعرّض في تخييل حال الشيء [56 — أ]
10 المحاكى به إلى ما هو أخصّ بحال مضادّ ذلك الشيء أو مناسب مضادّه ، وألاّ يتعرّض في القول وما دلّ عليه إلى ما هو أخصّ بمضادّ الغرض الذي نحي به منحاه أو إلى ما هو أخصّ بمناسب مضادّ ذلك الغرض ، وألاّ يتعرّض فيه إلى لفظ له عرف فيما يضادّ المعنى الذي دلّ عليه أو الغرض الذي نحي به منحاه أو الشيء الذي قصدت به محاكاته ولا إلى ما
15 يناسب مضادات جميع ذلك ؛ فإنّ التعرّض في القول لما يضادّ معناه ومدلوله وغرضه ، أو إلى ما يناسب تلك المضادّات ، أو إلى ما له عرف في شيء من ذلك ، ضروب من التدافع .

1 — **إضاءة** : وأكثر ما يقع التعرّض في أحد المتضادّين إلى ذكر ما هو أليق بالآخر وأخصّ به إذا كان للمتعرّض له علقة بما هو خارج
20 عن غرض القول ممّا سوى ذلك من أعراض المتكلم أو الموصوف أو المخاطبين ، فألمّ به لأجل تلك العلقة وسها عن كونه قادحا في غرض القول

أو فيما يرجع إلى حال الشيء المحاكى ، أو تسومح في ذلك القدر من القدح اختيارا ، أو لزّ إلى المسامحة فيه اضطرار .

2 — **تنوير** : فالجهات التي يجب فيها أن يتوقّى في الشيء ما هو أخصّ بمضادّه وما جرى مجراها هي جهات التضادّ والتخالف في الأفعال والانفعالات والهيئات والأحوال والتمييزات وأغراض الكلام المترامية 5 إلى أنحاء هذه الأشياء نحو التهنئة والتعزية والمديح والهجاء .

3 — **إضاءة** : فمن المعاني التي قصد فيها الذمّ فأورد في العبارة عنها ما هو أليق بالمدح قول الفرزدق : [الطويل — ق — المتدارك]

بِأيِّ رِشَاءٍ يا جريرُ ومَاتِحٍ
تَدَلَّيتَ من هامات تِلكَ القماقِمِ (1) 10

فقال له جرير : « جعلتني أتدلّى على قومك » .

ومن الأبيات التي وقع فيها سوء أدب حيث يجب حسن الأدب قول جرير : [الكامل — ق — المتواتر]

[56 — ب] / يا بشرُ حُقَّ لوجهكَ التبشيرُ هَلاّ غضبتَ لنا وأنتَ أميرُ!؟
قدْ كانَ حقّكَ أنْ تقولَ لبَارقٍ يا آل بارقَ فيمَ سُبَّ جريرُ (2) 15

فقال بشر : ما وجد ابن اللخناء رسولا غيري ! ؟ .

---

1) الرواية في **الديوان** : في حومات بدل من هامات ، وما في النص أكثر مجانسة وأتم معنى . والبيت من قصيدة يهجوبها جريرا ويعرض بالبعيث طالعها :

ودجرير اللؤم لو كان عانيا ولم يدن من زار الاسود الضراغم

الديوان ، ٢ ، 863 .

2) البيتان وردا في الديوان مفصولين ببيتين آخرين هما :

يا بشر انك لم تزل في نعمة يأتيك من قبل الاله بشير
بشر أبو مروان إن عاسرته عسر وعند يساره ميسور

والبيت الاول من البيتين الواردين في النص يروى في الديوان بلبشرك بدل لوجهك ، وهو أشكل بالنص . وهذه الابيات من قصيدة يهجوبها جرير سراقة بن مرداس ، طالعها :

ياصاحبي هل الصباح منير أم هل للوم عواذلي تفتير

الديوان ، 301 .

4 – **تنــويــر** : ومن ذلك أن تأتي العبارة في صورة ما يضادّ الغرض ، نحو ما حكي من أنّ بعض الشعراء أنشد الداعي في يوم المهرجان :
[الرمل – ق – المترادف]

لا تقُل بُشرى ولكن بُشريان غُرّةُ الدّاعي ، ويومُ المهرجان(1)

5 فأمر بضربه خمسين عصا وقال : « هذا أبلغ في إصلاح أدبه » .

ومن ذلك استفتاح أبي نواس قصيدته التي هنّى فيها الفضل بن يحي ابن خالد بدار ابتناها فقال : [الطويل – ق – المتواتر]

أربَعَ البِلى إنّ الخشوع لبادِ عليك وإنّي لم أخُنك وِدادي(2)

فتطيّر الفضل من ابتدائه ، فلمّا ختم القصيدةَ بقوله :

10 سلام على الدنيا إذا ما فقدتم بني برمك من رائحين وغاد

استحكمت كراهته لما سمع . فما مرّ أسبوع حتى نُكب بنو برمك .

وحكي أنّ البحتري أنشد محمدا بن يوسف أو غيره من أمراء الثغور :
[الطويل – ق – المتدارك]

لك الويلُ من ليل تَطاوَلَ آخرُه ووشكِ نوى حي تزمّ أباعره (3)

---

1) البيت لابي مقاتل ، انشده الداعي . العسكري : **الصناعتين** ، 432 ؛ محمد كرد علي : إحالة في التعليق على كتاب **الصناعتين** ، انظر (4) . 339 ؛ أورد ذكر البيتين أيضا العباسي في قبح الابتداء . قال أنشده ابن مقاتل هكذا بلفظ ابن لا أبو ، وهو علي بن مقاتل الضرير من شعراء الجبل ، بين يدى الداعي وهو المعروف بالداعي الاصغر ، أبو الحسن العلوى الثائر ، المتوفى 316 بطبرستان . العباسي ،(1) ، 616 .

2) البيتان ، هذا والذي يليه : أولهما طالع قصيدة يمدح بها أبو نواس الفضل بن يحي بن برمك ، وثانيهما قريب من الآخر وليس آخرا بل بعده أربعة أبيات . **الديوان** ، (1) ، 126 – 127 ؛ (2) ، 471

3) البيت طالع قصيدة يمدح بها أبو عبادة يوسف بن محمد . **الديوان** ، 1 ، 250 .

فقال له الممدوح : « بل لك الويل والحرب » . على أن هذا البيت روى بالهاء بدل الكاف في قوله لك وهي أشبه من الرواية الأخرى .

وقد أنكر عبد الملك على جرير ما هو دون هذا حين أنشده :

[الوافر — ق — المتواتر]

« أتصحو أم فؤادك غير صاح » ؟ (1) . 5

فقال له الملك : « بل فـؤادك » .

5 — **إضــــاءة** : وقد تكون للعبارة دلالة على أمر مكروه خارج عمّا جيء بها للدلالة عليه ، إمّا باشتراك وقع في اللّفظ ، أو بعرف واستعمال حدث فيه ولو للعامّة . فيجب أن يتحفّظ من ذلك حيث تتهيّأ تلك العبارة بنفسها أو مع ما يكتنف بها لأن يفهم منها بحسب الاشتراك / [57 — أ] الواقع فيها 10 أو بحسب العرف والاستعمال أمر قبيح في حقّ ممدوح أو مندوب أو منسوب به أو نحو ذلك ممّا يكره في حقّه القبح .

ومن ذلك قول الصاحب في عضد الدولة : [الطويل — ق — المتدارك]

ضَمَمْتَ على أبْناءِ تغلِب تاءَها

فتَغْلِبُ ما كرّ الجديدانِ تُغلبُ (2) 15

فقال عضد الدولة : « يقـي الله ! » .

---

1) البيت طالع قصيدة في مدح عبد الملك بن مروان كما اشار الى ذلك المؤلف . والبيت باكمله هو :

اتصحو ام فؤادك غير صاح عشية هم صحبك بالرواح

الديوان ، 96 .

2) أورد البيت الشاهد الخفاجي ، 174 .

وممّا أكّد القبح في هذه اللفظة التي هي قوله تغلب وقوعها قافية ، فإنّها مقطع الكلام وموضع تخلّي السامع وتفرّغه لتفقّد ما مرّ على سمعه ممّا وقع فيها . فالسمع أقرب عهدا به ، وهو أشدّ ارتساما فيه . ولو وردت اللفظة التي أنكرها عضد الدولة في أثناء البيت لكان الأمر فيها أسهل .

5 6 – **تنوير** : وممّا يجب التحفّظ منه في المواضع التي يجب فيها التباعد عن الفحش وعن كلّ ما يتطرّق به إليه وصونُ الكلام من جميع ما يكون فيه إذ كان بأمر من أمور الريب والرفث ، التعرّضُ إلى الأشياء التي يفهم منها ذلك ، ولو بعرف عامّي أو استعمال لأهل الهزل .

وممّا يندرج في هذه الجملة قول المتنبي في أمّ سيف الدولة :

10 [الوافر – ق – المتواتر]

رِواقُ العِزِّ فوقكِ مسبَطِرٌّ ومُلكُ عليٍّ ابنِكِ في كَمَالِ(1)

فلفظة مسبطرّ بعد قوله للمرأة فوقك قبيحة ، ولا سيّما بعد أن استعملها ابن حجّاج (2) حيث استعملها وعرف ذلك من قوله .

ونحو منه قول مروان ابن أبي حفصة في زبيدة بنت جعفر :

15 [البسيط – ق – المتراكب]

1) يروى البيت بكلمة حولك بدل فوقك . العكبري ، (1) ، ٢ ، 23 ؛ البرقوقي (1) ، ٢ ، 24 . ويروى بلفظ فوقك كما في النص الذي أورده حازم . وهذه الرواية أولى لحمل الكلام عليها ، وترتيب ما أورده المؤلف على الشاهد . والبيت من قصيدة لابن الحسين في رثاء أم سيف الدولة ، طالعها :

نعد المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال

انظر **الديوان** ، 174 .

2) هذا الشاعر كثير السخف والمجون . انظر الثعالبي ، (2) ، ٢ ، 30 – 99 .

يَهُــزُّهـا كـلُّ عـرق من أرُومَتِهـا
يزداد طيبـا إذا الأعراقُ لم تَطِـبِ (1)

فلفظة عرق بعد قوله يهزّها قبيحة بالنظر إلى ما هو متعارف عند العامّة .

وقد كان بعض الشيوخ الذين أخذت عنهم هذه الصناعة يُوصِي باجتناب الألفاظ التي يفهم منها على حدَتها أو مع ما يكتنفها معنى قبيح 5 ولو بالعـرف العـامي .

[57 — ب] 7 — **إضـــاءة** : وإذا كان في اللفظة عُرف / في طريق من الطـرق الشعريّة فالواجب ألاّ تستعمل في مضادّ ذلك الطريق ، وذلك كقـــول حبيب : [الخفيف — ق — المتواتر]

يا أبـا جعفَـرٍ جُعِلـتُ فِـدَاكا بَزَّ حسنَ الوجوه حسنُ قفاكا (2) 10

فـالقفـا ليس يليـق إلاّ بطـريقـة الـذمّ . وكـذلك الأخـدع والقـذال . فاستعمال هذه الألفاظ في المدح مكروه .

8 — **تنـويـر** : ومن وضع الشيء موضع ما يضادّه ما وقع الكثير من تمنّي البؤس حيث يجب تمنّي النعيم في قوله :

[الطويل — ق — المتـدارك] 15

1) البيت من فرائد المنهاج .
2) البيت من قطعة صغيرة وردت في باب الغزل ، طالعهـا :
يـا أبـا جعفـر أقـمر لك الحسن وحلـت جيـوشه في ذراكـا
ورواية البيت الثاني تختلف عما في الاصل هنا . وهي بهذا الوجه :
يـا أبـا جعفـر خلقـت بديعـا فـاق حُسـن الوجوه حسن قفاكـا
وأختار الاصل ما لم يرجح هذه الرواية الثانية مرجح . **الـديـوان** ، (2) ، 456

وددتُ وبيتِ اللّه أنّـكِ بكـرةٌ هجانٌ ، وأنّي مصعبٌ ثم نهربُ
كِلاَنَا بِهِ عَرٍ فَمَنْ يَرَنَا يقُلْ على حسْنِها جرباءُ تُعدى وأجرَبُ
إذَا مَا وَرِدْنَا منهلاً صاح أهلهُ علينَا، فلا نَنفكُّ نُرمى ونُضرَبُ(1)

فقالت له عزّة : « لقد أردت بنا الشقاء ! أما وجدت أمنيّة أوطأ من
5 هـذه ! ؟ » .

ومن أقبح المتمنّى وأسوإ المذاهب في ذلك ما ورد في قصيدة أبي صخر في الفصل الذي أوّله : « تمنّيت من حبي عليّة ، (2) وهو مذكور في أمالي أبي علي وغيرها ، فلا معنى للإطالة بإيرادها .

9 ــ **إضـــاءة** : فكلّ هذه الأشياء ، التي نبّهنا عليها بهذا المعلم ،
10 من وضع ما لا يليق موضع ما يليق . وهو وضع غير مؤثّر .

وإنّما الوضع المؤثّر وضع الشيء الموضع اللائقَ به ، وذلك يكون بالتوافق بين الألفاظ والمعاني والأغراض من جهة ما يكون بعضها في موضعه من الكلام متعلّقا ومقترنا بما يجانسه ويناسبه ويلائمه من ذلك .

والوضع الذي لا يؤثّر يكون بالتباين بين الألفاظ والمَعاني والأغراض
15 من جهة ما يكون بعضها في موضعه من الكلام متعلّقا ومقترنا بما يناقضه ويدافعه وينافره .

ولهذه الجملة تفاصيل قد وقعت الإشارة إليها في مواضع كثيرة من هذا الكتاب (3) فليتأمّل ذلك في مظان ذكره ، وبالله التوفيق .

---

1) البيت الثالث ورد عجزه بـ « فما » بدل فلا . والابيات في الترتيب بجعل المذكور في الاصل هنا اولا آخرا . الديوان ، 99 .

2) يشير بهذا الى قول أبي الصخر :
تمنيت من حبي علية أننا على رمث في البحر ليس لنا وفر
على دائم لا يعبر الفلك موجه ومن دوننا الأهوال واللجم الخضر
فنقضي هم النفس في غير رقبة ويغرق من نخشى نميمته البحر
القالي ، 1 ، 149 .

3) راجع مثل هذه الاشارات : 349 — 353 .

[58 — أ] **و — / معرف دالّ على طرق المعرفة بما تكون عليه المعاني من كمال أو نقص .**

فأمّا الكمال في المعاني فباستيفاء أقسامها واستقصاء متمّماتها وانتظام العبارات جميعَ أركانها حتّى لا يُخَلّ من أركانها بركن ولا يُغفَل من أقسامها قسمٌ ولا يتداخل بعض الأقسام على بعض . 5

1 — **إضـــاءة** : وقد تقدّم الإلماع بطرف من ذكر المتمّمات (1) . ونحن نذكر في هذا الموضع كيف تقع المعاني كاملة باستيفاء أقسامها وانتظام العبارات جميع أركانها ومتمّماتها حتّى لا يقع فيها نقص ولا تداخل .

فمن المعاني التي وردت القسمة فيه تامّة صحيحة قول نصيب : [الطويـل — ق — المتواتر] 10

فقال فريقٌ لا ، وقالَ فريقُهم نعم وفريقٌ قالَ وَيْحَكَ مانَدْرِي (2)

---

1) راجع بعض صور ذلك : 55 — 61 ، 110 .

2) وردت رواية البيت بأوجه مختلفة مع اضطراب قليل في النسبة .

الرواية الأولى :

فقال فريق القوم لا وفريقهم نعم وفريق أيمن الله ماندري

والنسبة لنصيب . ابن حجة الحموى : **الخزانة** ، 444 .

الرواية الثانية :

فقال فريق القوم لما نشدتهم نعم وفريق ليمن الله ماندري

اللسان : فصل الباء ، باب النون ، ١٧ ، 354 .

الرواية الثالثة : والنسبة فيها الى نصيب :

فقال فريق القوم لا وفريقهم نعم وفريق قال ويحك ماندري

قدامة ، (1) ، 46 .

وبرواية ابن منظور وهي الثانية هنا ورد الشاهد في **كتاب** سيبويه . قال سمعناه هكذا من العرب ولم ينسبه . وفي التعليق عليه باسفل الصفحة ويروى لنصيب . سيبويه ، 147 .

وبنفس الرواية أيضا ورد في كلام الخفاجي ، وفي التعليق على نسبته أسفل الصفحة ، وفي التيمورية زهير . انظر الخفاجي ، 224 .

وهذا أشبه بكلام سيبويه ، وحكايته للبيت عن الأعراب . فان ذلك مما يدل على قدمه ، وهو ليس من نسج ما صنع نصيب . والبيت في عامة الكتب النقدية التي أشرنا اليها من شواهد التقسيم .

ومن المعاني التي وقع التقسيم فيها تامّا صحيحا قول الشمّاخ :
[الطويل – ق – المتدارك]

مَتَى مَا تَقَعْ أَرساغُهُ مطمئنةً
على حَجَرٍ يرفضّ أَوْ يَتَدَحْرَجِ (1)

5 لأنّ الحجر إن كان رخوا ارفضّ ، وإن كان صلبا تدحرج . وليس لقائل أن يقول : إنه غادر قسما ثالثا ، وهو أن تكون الأرض رخوة فيسوخ الحجر فيها ، فإنّ الأرض إذا كانت بهذه الصفة لم يقع الحافر عليها وقوع اطمئنان واعتماد ، فبقوله مطمئنة صحّت القسمة وكملت .

ومن المعاني التي قسّمت أتمّ تقسيم على جهة من التدريج والترتيب
10 قول زهير : [البسيط – ق – المتراكب]

يَطعُنُهم مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إذَا اطَّعنوا
ضاربَ حتّى إذا ما ضاربوا اعتنقا (2)

ومن أمثلة ذلك في النثر قول بعضهم : « فلم تخل فيما بدأتني به من مجد تأثّلته ، أو شكر تعجّلته ، أو أجرٍ ادّخرته ، أو متجر اتّجرته ،
15 أو من أن تكون جمعت ذلك كلّه » (3) .

1) البيت من قصيدة طالعها :
الا ناديا أظعان ليلى تعرج فقد هجن شوقا ليلة لم يهيج
الديوان ، 15 .

2) المرزوقي ، 1 ، 449 .

3) وردت هذه الجملة غير منسوبة أيضا ، وهي بلفظ أثله بدل تأثلته . الخفاجي ، 225 . وما في النص هنا من رواية حازم أفضل لكونه الأشبه بالمزاوجة بين الألفاظ التي أقيست عليها فواصل وفقر هذه الجملة .

2 – **تنوير** : ومما انتظمت فيه العبارة جميعَ أركان المعنى واستوفت غايات المقصد قول الشاعر : . [الطويل – ق – المتدارك]

[58 – ب] / أناسٌ إذا لمْ يُقبَلِ الحقُّ منهُـم
ويُعْطَوهُ ، عاذوا بالسيوف القواضِبِ (1)

فاستوفى ركني المعنى بقوله : يقبل الحقّ منهم ويعطوه ، فتمّ المعنى وكمل . 5

ومما ورد المعنى فيه مستوفى من جميع أركانه متمما من جميع جهاته قول ابن الرومي : [البسيط – ق – المتراكب]

عَفّى كلوم زماني ثُمّ قَلّمَهُ
عنّي فأحفَاه ، ثُمّ اقتصّ ما اجْتَرَحَا(2)

فلم يغادر ركنا من أركان المعنى إلاّ ذكره ، فتمّ المعنى وجاء في نهاية البلاغة . 10

3 – **إضاءة** : ومن المعاني التي وقعت قسمتها ناقصة قول جرير : [البسيط – ق – المتواتر]

صارت حنيفةُ أثلاثا فثلثُهمُ من العبيدِ وثُلثٌ من مواليها(3)

فهذه قسمة ناقصة لأنّه أخلّ بالقسم الثالث . وقيل : إنّ بعض بني حنيفة سئل : من أيّ الأثلاث هو من بيت جرير؟ ! فقال : من الثلث الملغى . 15

---

1) البيت لنافع بن خليفة الغنوي ، أورده قدامة بلفظ رجال بدل أناس ونسبه ، (1) ، 49 ؛ الحموي : **الخزانة** في شواهد التتميم ، 152 ، وفي شواهد الإيغال 289 ؛ الخفاجي ، 255 .

2) يروى البيت بلفظ ما جرحا بدل ما اجترحا ، وهو من قصيدة طويلة قالها ابن الرومي في اسماعيل بن بلبل طالعها :
أما الزمان إلى سلمى فقد جنحا وعاد معتذرا من كل ما اجترحا
الديوان ، (2) ، ٢ ، 65 .

3) البيت من قصيدة يهجو بها بني حنيفة ، طالعها :
قد غلبتني رواة الناس كلهم إلا حنيفة تفسو في مناحيها
الديوان ، 600 .

وممّا نقصت قسمته من المعاني بتداخل قسم على قسم قول أبي تمّام :

[الكامل – ق – المتواتر]

قسمَ الزمانُ ربوعَها بين الصَّبا   وقبولِها ودَبورِها أثلاثا (1)

فتداخلت القسمة لأنّ القبول هي الصّبا على ما ذكره جماهير أهل اللغة .

5 وممّا تداخلت قسمته أيضا من المعاني قول الآخر :

[المتقارب – ق – المتدارك]

أبادرُ إهلاكَ مستهلِكٍ   لما ليَ أو عبَثَ العابثِ (2)

فأمّا قول هذيل الأشجعي :   [الطويل – ق – المتدارك]

فمَا بَرِحَتْ ترمي إليه بطَرْفها

10 وتُومِضُ أحيانا إذا خَصْمُها غَفَل (3)

فيحتمل أن يكون من القسمة المتداخلة لأنّ الإيماء بالطرف والإيماض به سواء . ويحتمل ألاّ يكون في الكلام تداخل بأن يريد بقوله تومض تبتسم . وهذا الوجه أولى بأن يحمل البيت عليه ليسلم الكلام بذلك من الخلل .

---

1) البيت من قصيدة في مدح مالك بن طوق طالعها :

قف بالطلول الدارسات علاثا   أمست حبال قطيعهن رثاثا

التبريزي ، 1 ، 310 .

2) البيت لوهب بن عبد مناف القرشي وهو واسطة ثلاثة أبيات نصها :

أبادر بالمال إنفاقه   وقول المعوق والرائث

أبادر إنفاق مستحمد   بمالي أو عبث العابث

وأحبس مالي على لذتي   وأوثر نفسي على الوارث

البحتري : **الحماسة** ، 377 .

3) ورد صدر هذا البيت برواية ثانية هي أولى فيما أحسب : فما برحت تومي إلي بطرفها . فلإيماء أكثر انتسابا للطرف من الرماية ، وإنما كثر استعمال الرمي مع العين كقول جميل : رمتني بعيني جؤذر . الخفاجي ، 225 .

[59 — أ] **ز — معلم دالّ على طرق العلم بوقوع / المعاني المتقاربة متمكّنة .**

فمِمّا يُمكّن المعاني أن تُوضع مواضعَها اللائقة بها المهيّأة ، وألاّ توضع موضعا غيرُها من المعاني أولى به ، وإن كان للمعنى الموضوع أيضا موقع من ذلك الموضع لأنّه مقصّر عن موقع غيره من المعاني فيه .

5 ومن طريف ما ورد في ذلك قول الفرزدق : [الطويل — ق — المتدارك]

وإنّكَ إذْ تَهْجو تميما وترتَشِي   سرَابيلَ قيس أو سُحُوقَ العمائِم
كَسُهريق ماء بالفلاة وغَـرّه   سرَابٌ أذاعتْهُ رياحُ السمَائِمِ (1)

وقول ابن هرمة : [المتقارب — ق — المتواتر]

وإنّي وتَرْكي نَدَى الأكرَمين   وقدْحِي بكفّيّ زنادا شحاحا
10 كتَاركةٍ بيضَها بالعرا   ومُلْبِسةٍ بيْضَ أخرى جنَاحا(2)

فإنّ معنى بيت الفرزدق الثاني مناسب لمعنى بيت ابن هرمة الأوّل ، ومعنى بيت ابن هرمة الثاني مناسب لمعنى بيت الفرزدق الأوّل ، حتّى لو أنّ الفرزدق قال :

وإنّك إذ تهجو تميما وترتشي   سرابيل قيس أو سحوق العمائم
15 كتاركة بيضها بالعرا   وملبسة بيض أخرى جناحا

1) يروى البيت الاول بلفظ تبابين بدل سرابيل ، ويروى البيت الثاني بأثارته مكان أذاعته والبيتان من قصيدة طويلة طالعها :
تحن بزوراء المدينة ناقتي   حنين عجول تبتغي البورائم
الديوان ، ٢ ، 856 .
2) المرزوقي ، ٢ ، 737 ، تع 1 .

لكان قد وضع الكلام موضعه الذي يليق به ، وكان المعنى صحيحا متمكّنا ، ولو أنّ ابن هرمة قال :

وإنّي وتركي ندى الأكرمين وقدحي بكفّي زنادا شحاحا

كمهريق ماء بالفلاة وغرّه سراب أذاعته رياح السمائم

5 لكان كلامه صحيحا وتشبيهه واقعا موقعه اللائق به (1) .

1 — **إضاءة** : ومن هذا الباب ما روي أنّ أبا الطيب أنشد سيف الدولة قصيدته التي أوّلها : [الطويل — ق — المتدارك]

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

فلمّا انتهى إلى قوله :

وقفتَ وما في الموت شكٌّ لواقف كأنّكَ في جفن الرّدى وهو نائمُ

10 /تَمرُّ بكَ الأبطالُ كَلْمَى هزيمةً ووجهُكَ وضّاحٌ وثغرُك باسمُ (2) [59 — ب]

قال له سيف الدولة : « قد نَقدنَا عليكَ يا أبا الطيب ما نقدنا على امرىء القيس في قوله : [الطويل — ق — المتواتر]

كأنّيَ لم أركبْ جوادا للذّةٍ

ولم أتبَطّنْ كاعبا ذاتَ خلخالِ

1) أورد بيتي ابن هرمة العسكري : **الصناعتين** ، 145 ؛ المرزباني ، 237 ؛ الخفاجي ، 242 .
2) الأبيات من قصيدة يمدح بها المتنبي سيف الدولة وهي شهيرة . البرقوقي ، (1) ، ٢ ، 273 .

ولم أسبَأ الزِقَّ الرَّوِيَّ ولم أقُل
لخيْلِيَ كُرِّي كَرَّةً بعدَ إجْفَالِ (1)

فقال له المتنبي : « أيّها الأمير ، إنّ البزّاز لا يعرف الثوب معرفة الحائك . وإذا صحّ النقد على امرئْ القيس صحّ عليّ ، وإنّما أراد امرؤ القيس أن يقرن ركوب اللذّة بركوب اللذّة في بيت ، وأن يجمع بين الشجاعة والكرم في بيت » . فاستحسن سيف الدولة ما قاله ، ووصله .

2 — **تنوير** : والنقد الذي أشار إليه سيف الدولة في بيتي المتنبي وبيتي امرئْ القيس هو أنّ صدرَ البيت الأوّل من قول امرئْ القيس يقتضي ظاهرُ الكلام أن يوصل بعجز البيت الثاني ويوصل صدر البيت الثاني بعجز الأوّل ، وكذلك يظهر في باديْ الرأي أنّ صدر البيت الأوّل من قول المتنبي يصلح أن يتمّم بعجز البيت الثاني ويُتمّم صدرُ الثاني بعجز الأوّل . فيقال في قول امرئْ القيس :

كأنّي لم أركب جوادا ولم أقل لخيليَ كرّي كرّة بعد إجفال
ولم أسبأ الزقّ الرويّ للذّة ولم أتبطّن كاعبا ذات خلخال(2)

---

1) السندوبي ، (3) ، 164 . وفي هذين البيتين كلام لم يتناول كما في الأصل هنا بيتي المتنبي ، أورده ابن رشيق في باب النظم . قال : « ورد على سيف الدولة رجل بغدادي يعرف بالمنتخب ، لا يكاد يسلم منه أحد من القدماء والمحدثين . ولا يذكر شعر بحضرته إلا عابه ، وظهر على صاحبه بالحجة الواضحة . فأنشد يوما هذين البيتين ، فقال قد خالف فيهما وأفسد ولو قال :

كأني لم أركب جوادا ولم أقل لخيلي كري كرة بعد إجفال
ولم أسبأ الزق الروي للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

لكان قد جمع بين الشيء وشكله ، فذكر الجواد والكر في بيت ، وذكر النساء والخمر في بيت . فالتبس الأمر بين يدي سيف الدولة ، وسلموا له ما قال . فقال رجل ممن حضر ولا كرامة لهذا الرأي ، الله أصدق منك حيث يقول : « إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى» فأتى بالجوع مع العرى ، ولم يأت به مع الظما فسر سيف الدولة ، وأجازه بصلة حسنة » . واعتبر ابن رشيق هذا تبعا للجاحظ من الفرق المنفصل . ابن رشيق ، 1 ، 173 .

2) ذكر البيتين وما قيل فيهما دون مقارنة مع بيتي أبي الطيب العسكري : **الصناعتين** ، 144 .

ويقال في قول أبي الطيب :

وقفت وما في الموت شكّ لواقف ووجهك وضّاح وثغرك باسم
تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمة كأنّك في جفن الردى وهو نائم (1)

3 – **إضاءة** : وقد احتجّ أبو الطيب لامرىء القيس بما أوردناه . وبقي أن نبيّن وجه الحجّة في قول أبي الطيب . فنقول : إنّ أبا الطيب أراد أن يقرن بين أنّ الردى لا نجاة منه لواقف وبين أنّ الممدوح وقف ونجا منه ، وبين أنّ الأبطال رِيعت وانهزمت وأنّ سيف الدولة / لم يُرع ولم ينهزم ، وابتسام الثغر وانبلاج الوجه ممّا يدلّ على عدم الروع . [60 – أ]

4 – **تنوير** : وإنّما قال : « كأنّك في جفن الردى وهو نائم » لأنّه جعل الردى في هذا الموضع بصورة الناظر المبصر الذي لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه مقتل ، ولأنّ السّبل إلى المهج واضحة له . فلمّا نجا الممدوح تعجّب في سلامته منه وخفائه عنه مع كونه بالموضع الذي يبصر فيه ، فقدّر سببا لخفائه عنه النوم الشاغل للأجفان عن رؤية ما دنا منها .

وقد يكون عدم التمكّن في المعاني من أنحاء أخر قد ذُكِرت في مواضعها من هذا الكتاب (2) . وإنّما نبّهت بهذا المعلم على هذا الضرب الواقع في المعاني التي يوضع بعضها بإزاء بعض لنسب تقتضي ذكر المعنى مع ما يناسبه وإيقاعه إلى جانب ما يليق به .

1) أورد ذكر الأبيات الأربعة من كلام امرىء القيس والمتنبي جميعا منبها على ما فيها من تماثل ابن رشد في **الشرح الوسيط** أرسطو ، (1)، 241 – 242 ؛ وعرضت القصة مع اقتضاب في آخر قسم المطابقة من باب التناسب بين المعاني من غير أن يعقب ذلك بتذييل أو تفصيل لكلام أبي الطيب كما ها هنا في الأصل عند حازم . انظر ابن الاثير ، ٢ ، 303 – 304 .

2) راجع : 147 – 153 ، 223 – 224 .

ح — معرف دالّ على طرق المعرفة بما يكون من المعاني أصيلا في بابي المدح والذمّ ، وما ليس منها أصيلا في ذلك .

لمّا كان الإنسان في جميع ما يحاوله ويسعى نحوه إنّما يلتمس حظوظا يكون فيها صلاح لنفسه أو حظوظا فيها صلاح لبدنه ، وكان استقصاء الإنسان مصالح نفسه وابتغاؤه لها من كلّ وجه لا يصل منه إلى غيره مضرّة ولا ظلم . وكان استقصاؤه حُظوظ بدنه وطلبه لها من كل وجه يؤدّي إلى ضرر غيره وظلمه — والظلم قبيح فما أدّى إليه قبيح — وجب (1) لذلك أن يكون التفضل في القناعة من حظوظ البدن بما لا يؤدّي إلى مزاحمة ذي استحقاق وفي الرغبة في جميع حظوظ النفس .

وحظوظ النفس هي التي يكون لها خيرات وكمالات بالنظر إلى نعيمها الباقي ، وحظوظ البدن هي التي تكون لها خيرات وكمالات بالنظر إلى نعيمها الفاني . فالفاضل من / آثر نعيم نفسه الباقي على نعيم بدنه الفاني . [60 — ب] ومن أنصف غيره من ذوي الاستحقاق فيما فيه نعيم بدنه الفاني أو آثره بذلك على نفسه . والإيثار أفضل ليعتاض بذلك ما يكون له سببا إلى النعيم الباقي كالأجر أو ما يتنزّل في توهّمه منزلة النعيم الباقي كالذكر الجميل .

ا — **إضـــاءة** : ولمّا كان للإنسان كمالات في بدنه تحصل عن اعتياد ما يصدر عنها بعد تحصيلها أو ما ينحو نحوها ليحصلها ملكات تصدر عنها أفعال ، وكمالات في نفسه تصدر عنها أو تنحو نحوها أفعال وانفعالات . وكمالات في عقله تصدر عنها تمييزات وإدراكات ، وكان الإنسان فيما يصدر عن تلك الكمالات وينحو نحوها لا يخلو من أن يروم

1) جواب لما المفتتح بها المعلم .

حظّا يؤثر به نفسه على بدنه أو بدنه على نفسه أو غيره على نفسه أو نفسه
على غيره ، وكان المحمود من ذلك إيثار نفسه على بدنه وإيثار غيره على
نفسه ، والطرفان الآخران مذمومان ، وكانت الأفعال المحمودة والمذمومة
من جميع ذلك تختلف رتبُها في مِقْدارِ ما يجب عليها من الحمد والذمّ
5 بحسب اختلاف الأحوال المطيفة بها – والأحوالُ المطيفةُ بالأفعال هي :
الزمان ، والمكان ، وما منه الفعل ، وما إليه الفعل ، وما عنده الفعل ، وما
به الفعل ، وما من أجله الفعل . فأخذ أبي دؤاد الحقّ من ابنه وإقادته
بجاره الذى قتله يربي على كثير ممّا يجلّ من فواضل الكرم ونوافله ،
وإن كان ذلك نِصفةً منه ؛ وجود كعب على النمري بالجرع التي آثره
10 بها على نفسه حتى مات عطشا في المكان الذي كانا فيه أعظمُ أثرا في الكرم
من وجود غيره بكلّ حظّ جليل لا تعود به النماحة عليه بمثل ما عادت
على كعب . – وجب (1) أن يكون الفعل معتبرا بتلك الأحوال المطيفة .
فيكون بالنسبة إلى حال منها محمودا ، وبالنسبة إلى / حال أخرى مذموما ، [61 – أ]
ويكون بالنسبة إلى بعض تلك الأحوال في أعلى درجات الحمد ، وتارة
15 في أدنى الدرجات من ذلك ، ووسطا بين الحالين . وكذلك تختلف أيضا
حاله في درجات الذمّ بحسب اختلاف تلك الأحوال المطيفة .

2 – **تنوير** : ولما كانت الأشياء الصادرةُ عن تلك الكمالات
والناحيةُ نحوها مِنْهَا مَا للإنسان أن يفعله ، ومنها ما ليس إليه أن يفعله
بل هو مضطرّ اليه ، وكان ما ليس إليه أن يفعله منه ما يدلّ على وجود
20 ما للإنسان أن يفعله ، ومنه ما لا يدلّ على وجود ذلك له ، والذي يدلّ

1) هذا جواب لما في أول الاضاءة .

على وجود ذلك له ولو بتقويّة الظنّ في ذلك منه ما يدلّ على وجود الأفعال المحمودة ، ومنه ما يدلّ على وجود الأفعال المذمومة ، وجب (1) أن تكون الأشياء التي تدلّ على وجود الأشياء المحمودة قد تستعمل في الحمد ، كما أنّ الأشياء الدالّة على وجود الأفعال المذمومة قد تستعمل في الذمّ وليست بأصيلة في ذلك . 5

3 — **إضـــاءة** : وقد يجري مجرى هذه الأشياء ، في كونها يُحْمَدُ بها لدلالتها على ما يحمد ، أشياءُ أُخَر خارجةٌ عن أوصاف الشيء المحمود، كذكر كرم الأسرة وشرف السلف لكون فضل الأصل يدلّ على فضيلة الفرع في كثير من الأمر .

10 4 — **تنـويـر** : وأكثر ما تَعْتَمِدُ العرب به في المدح الأفعال التي تتجشّم الأنفس فيها الضرر لنفع غيرها ممّن له أدنى استحقاق أو حاجة إلى ذلك . ولهذا قال أبو الطيب المتنبي : [البسيط — ق — المتواتر]

لَـوْلاَ المَشقَّـةُ سـادَ الناسُ كلُّهُـمُ ،
الجودُ يُفْقِرُ ، والإقْـدَامُ قَتَّـالُ (2)

15 5 — **إضـــاءة** : والأمور التي تتجشّم فيها النفوس المشقّة والضرر لتنفع بذلك غيرها وتريحها : إمّا أن تكون حقوقا ثابتة قِبَل المتجشّم للمشقّة فيها فيكون ذلك منه نِصفة وعدلا ، وإمّا أن تكون غير واجبة قِبَله بل

1) جـواب لما في أول التنـويـر .

2) البيت من قصيدة مشهورة يمدح بها المتنبي أبا شجاع فاتكا ، طالعها :

لا خيـل عندك تهديها ولا مـال فليسعد النطق إن لم تسعد الحـال

العكبري ، (1) ، ٢ ، 204 .

يسمح بها تبرّعا ويتفضّل بها إيثارا فيكون ذلك منه نافلة وفضلا . وأحسن المدح ما كان بهذا الصنف من الأفعال .

6 — **تنوير** : وقد فرّق الناس / بين ما يكون المدح أو الذمّ حقيقيّا ، [61 — ب] وما ليس بحقيقيّ من ذلك . وقسّموا الفضائل التي يكون بها المدح الحقيقي إلى أربع خلال على ما أنا شارع في ذكره . 5

فمن ذلك قول أبي الفرج قدامة ، وقد سبقه القدماء (1) إلى هذه القسمة قال : « لمّا كانت فضائل الناس ، من حيث هم ناس — لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان — على ما عليه أهل الألباب ، إنّما هي العقل والعفّة والعدل والشجاعة كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيبا وبما سواها مخطئا . وقد قال زهير : [الطويل — ق — المتدارك] 10

أخي ثقة لا تتلفُ الخمرُ مالَه ولكنّهُ قد يتلفُ المالَ نائلُه(2)

لأنّه قد وصفه بالعفّة وبقلّة إمعانه في اللذّات وبأنّه لا ينفد فيها ماله وبإهلاكه ما له في البذل وانحرافه إلى ذلك عن اللذّات وذلك هو العدل ، ثمّ قال :

15 تَراهُ إذا ما جئتَهُ متهلّلا كأنّك تُعطيه الذي أنتَ سائلُه(3)

---

1) المراد بالقدماء هنا الرواة وشراح الأشعار ونقادها ، إذ ليس قبل كتاب قدامة كتب ذات مقاييس وقواعد .

2) ، 3) البيتان من قصيدة شهيرة طالعها :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعري أفراس الصبا ورواحله

ويروى البيت الأول بيهلك مكان يتلف ، وما في الأصل أولى للمشاكلة من حيث اللفظ . الاعلم ، 31 .

أراد أنّ فرحـه بما يعطي أكثر من فرحـه بما يـأخذ ، فزاد في وصف السخاء منه بأن جعله يَـهـشّ ولا يلحقه مضض ولا تـكرّه لفعله ثمّ قال :

ومَنْ مثلُ حِصنٍ في الحروب ومثلُه
لإنـكارِ ضيمٍ أوْ لخصم يُحاوِلُهُ (1)

5 فـأتى في هـذا البيت بالـوصف من جهـة العقـل والشجـاعة ، فـاستـوفى ضروب المادح الأربعة التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة . وزاد مـا هو وإن كان داخلا في الاربعة فـكثير من الناس لا يعرف وجه دخوله فيها حيث قال أخي ثقة ، فوصفهُ بالوفاء ، والوفاء داخل في هذه الفضائـل التي قدّمنـا .

10 وقد يتفنّن الشعراء فيعدّون أنواع الفضائل الأربـع واقسامها ، وكلّ داخل في جملتها ، مثل أن يذكروا ثقافة المعرفة والحياء والبيان والسياسة والصدع بالحجّة والعلم والحلم عن سفاهة الجهلة وغير ذلك ممّا يجري هذا المجرى وهي من أقسام العقل ؛ وكذكرهم القناعة / وقلّة الشره وطهارة [62 — أ] الإزار وغير ذلك وهي من أقسام العفّة ؛ وكذكرهم الحماية والأخـذ 15 بالثأر والدفاع عن الجار والنـكاية في العدوّ وقتل الأقران والمهابة والسّرى في المهامـه والقفـار الموحشة وما شاكل ذلك وهي من أقسام الشجـاعة ؛ وكذكرهم السماحة والتغابن والانظلام والتبرّع بالنائل والإجابة للسائـل وقرى الأضياف وما جانس هذه الأشياء وهي من أقسام العدل .

فأمّا تركيب بعضهـا مع بعض فيحـدث منها ستة أقسام : يحـدث من 20 تركيب العقل مع الشجاعة الصبر على الملمّات ونوازل الخطوب والوفاء

1) هذا البيت مفصول عن البيتين السابقين بستة أبيات ، وقد ورد محرف العجز في الديوان . الاعلم ، 31 .

بالوعود ، وعن تركيب العقل مع السخاء البرُّ والإنجاز للموعد وما أشبه ذلك ، وعن تركيب العقل والعفّة التنزّهُ والرغبة عن المساوي والاقتصار على أدنى معيشة وما أشبه ذلك ، وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الإتلاف والإخلاف وما جانس ذلك ، وعن تركيب الشجاعة مع العفّة إنكار الفواحش والغيرة على الحرم ، وعن تركيب السخاء مع العفّة الإسعافُ بالقوت والإيثار على النفس وما أشبه ذلك » .

قال : « وكلّ واحد من هذه الفضائل وسط بين طرفين مذمومين » (1) .

7 — **إضـــــاءة** : وإذ قد حكينا كلام أبي الفرج قدامة فلنتبع ذلك بإشارة إلى بيان قوله : « إنّ كل واحد من هذه الفضائل وسط بين طرفين مذمومين » . فأقول : إنّ الفعل العائد بمنفعة مّا إنّما يحمد ما لم يعد الإفراط فيه بمضرّة وما لم يكن من القلّة والتقصير بحيث لا يغني ؛ فإذا وقع وسطا بين هذين الطرفين كان محمودا ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : « خير الأمور أوساطها » (2) . ألا ترى أنّ الكرم إذا أفرط عدّ سرفا وتبذيرا ، والإقدام إذا أفرط فهجم بصاحبه على المتالف في كل حين وموطن عدّ ذلك تهوّرا وهوجا ، وإذا وقع التقصير عن الإقدام والبذل بالجملة أو وقع من ذلك ما لا اعتداد به عدّ ذلك بخلا وجبنا . / [62 — ب] وقد تكون قلّة الشيء بحيث لا يوجب عليه حمدا ولا ذمّا .

8 — **تنـــويـــر** : وجميع تلك الأفعال ونقائصها إنّما تعدّ فضائل أو رذائل فيستوجب عليها الثناء المطلق أو الذمّ المطلق ، ويعتقد في صاحبها أنّه خيّر أو شرّير ، إذا حصلت له فيها ملكة وصارت له عادةً لا يفارقها

1) بهذه الجملة انتهى ما نقله هنا مع خلاف قليل في اللفظ . انظر قدامة ، (1) ، 20 — 22 .
2) الحديث مشهور ، وليس موثوقا بلفظه عند علماء الحديث . انظر العجلوني ، 1 ، 391 .

إلى ما ناقضها . فإن وقع الفعل المسمّى فضيلة منه ولم يتبعه بمثله ولا تمادى عليه لم يستحقّ أن يسمّى فاضلا ولا أن يثنى عليه الثناء المطلق . وعلى هذا يجب أيضا أن يكون الاعتبار في وقوع الفعل المسمّى رذيلة ، فاعلم ذلك .

9 — **إضـــاءة** : وكان أبو الفرج قدامة يذهب إلى أنّ المدح بالحسن والجمال والذمّ بالقبح والدمامة ليس بمدح على الحقيقة ولا ذمّ على الصحّة . ويخطّىء من يمدح بهذا ويذمّ بذلك (1) . ويستدلّ بانكار عبد الملك بن مروان قول ابن قيس الرقيّات : [المنسرح — ق — المتراكب]

يـأتلـقُ التـاجُ فـوقَ مَفْـرِقِـه علي جَبِيـنٍ كـأنّـهُ الذّهَـبُ (2)

وقد ردّ عليه هذا الآمدي . وتابعه الخفاجي في الردّ عليه . فقال : « إن كان قدامة يعتقد أنّ ذلك ليس بفضيلة ، لما كان الإنسان قد خلق عليه ، فهذا حكم الفضائل النفسانية . فإنّ الكريم قد خلق كريما والشجاع شجاعا . فكما لا يقدر القبيحُ الوجه أن يستبدل صورةً غير صورته ، فكذلك الجاهل لا يقدر أن يستفيد عقلا فوق عقله » (3) .

---

1) قدامة ، (1) ، 71 .

2) البيت يروى يعتدل بدل يأتلق ، وهو من قصيدة طالعها :

عاد له من كثيرة الطرب فعينه بالدموع تنسكب

الأغاني ، (3) ، ٥ ، 79 .

3) اورد ابن سنان الخفاجي ما سبق ذكره في أول الإضاءة من قضية نقد البيت ، وكلام قدامة فيه ، ثم اتبع ذلك بقوله : « وقد أنكر هذا المذهب على أبي الفرج أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي » ، وقال : « إنه خالف فيه مذاهب الأمم كلها عربيها وأعجميها ، لأن الوجه الجميل يزيد في الهيبة ويتيمن به ويدل على الخصال المحمودة » . ثم قال الخفاجي : « وهذا الذي ذكره أبو القاسم صحيح ، ولو لم يكن في ذلك إلا ما قد جبلت النفوس عليه من الميل إلى الوجوه الحسان لكفى وأغنى » . واتبع هذا بقوله أعلاه : « فإن كان قدامة » .

ويجعل الآمدي والخفاجي انتقاد عبد الملك على ابن قيس الرقيات محمولا على ذكره التيجان وهي زي ملوك العجم ، ولم يكن خلفاء العرب يعرفونها ولذلك قال له : تمدحني كما تمدح ملوك الأعاجم ، وتمدح مصعبا كما تمدح الخلفاء ؛ وهو يشير بهذا إلى قول ابن قيس الرقيات في مصعب :

إنما مصعب شهاب من اللـ ـه تجلت عن وجهه الظلماء

راجع مقالة الخفاجي ، 250 .

واعتراضُه هذا غيرُ صحيح لأنّ الحكماء المتكلّمين في الفضائل قد اتفقوا على أنّ الإنسان قد يقدر على أن يكتسب بعض الفضائل بالتطبّع وان يستكمل كثيرا ممّا نقصه من ذلك بالاعتياد والرياضة ومجاهدة النفس ، فينتقل برياضة النفس في ذلك حالا فحالا حتى يصير الصعب قبل التطبّع 5 والارتياض سهلا بعدها . وما زال الناسُ يُروّضون أخلاقهم بالتأدّب والتدرّب ، فتترقّى بذلك في مراتب الفضل درجاتُهم وتتهذّب بعد الجفاء أخلاقُهم . / قيل للأحنف ابن قيس : ممن تعلّمت الحلم ؟ قال : [63 – أ] من قيس بن عاصم . ولا بدّ في حصول هذا التطبّع من سابق استعداد لتحصيله بالطبع ، فيخرج إلى الفعل بعد كونه في القوّة .

10 فأمّا خِلقةُ الإنسان وصورتُه فليس في قدرته نقل شيء منها عمّا وجد عليه . فحمدُ الإنسان بما يستحسن من هذا القبيل مخادعة له ، وذمُّه بما يستقبح من ذلك تحامل عليه . ويشهد لهذا ما حكاه الرواة من أنّ المغيرة ابن حبناء وزيادا الأعجم لم يزالا يتهاجيان حتّى عيّره زياد بعلل كانت أصابت بعضَ أهل بيته . فقال المغيرة : « ما ذنبُنا فيما ذكره ، هذه 15 أدواء ، وإنّما يُعَيَّرُ المرء بما اكتسبه » .

10 – **تنوير** : فقد تبيّن أنّ رأي من رأى أنّ المدح بما ليس للإنسان فيه تصرّف ولا له قدرة على تغييره عمّا هو عليه ممّا هو خارج عن الفضائل الأربع موافقٌ لما حكي عن العرب في ذلك . وإنّما يمدح بما هو خارج عن الفضائل الأربع إذا كان ممّا شأنه أن توجد الفضائل أبدا 20 بوجوده ، فتورد كالأدلّة على ذلك .

ط – معلم دالّ على طريقة العلم بما يجب أن يعتمد في مدح صنف صنف من الناس .

ويجب أن يقصد في مدح صنفٍ صنفٍ من الناس إلى الوصف الذي يليق به . وأن يعتمد في مدح واحدٍ واحدٍ ممّن يراد تقريظه ما يصلح له من تلك الفضائل وما تفرّع منها . وأن لا يجعل الشيء منها حِلْيَةً لمن لا 5
يستحقّه ولا هو من بابه .

1 – **إضـــاءة** : فأمّا مدح الخلفاء فيكون بأفضل ما يتفرّع من تلك الفضائل وأجلّها وأكملها كنصر الدين وإفاضة العدل وحسن السيرة والسياسة والعلم والحلم والتقى والورع والرأفة والرحمة والكرم والهيبة
[63 – ب] وما أشبه ذلك . وينبغي أن يتخطّى في أوصافهم من جميع / ذلك حدود 10
الاقتصاد إلى حدود الإفراط . وأن يترقّى عن وصفهم بفعال ما يكون حقّا واجبا إلى تقريظهم بما يكون من ذلك نافلة وفضلا .

2 – **تنـويـر** : ومدح الأمراء يكون بالكرم والشجاعة ويُمن النقيبة وسداد الرأي والتيقظ والحزم والدهاء وما ناسب ذلك . ويطمح بهم في
15 الأوصاف إلى حيث يليق بمناصبهم وما انتهت إليه ممالكهم حتّى تكون رتبةُ العظماء منهم ثانيةً عن رتبة الخلفاء ، وتتدرّج مراتبهم في ذلك إلى أدنى ما يتميّز به الملك عن السوقة .

3 – **إضـــاءة** : ومدح الوزراء ومن حلّ محلّهم من الكتّاب يكون بالعلم والحلم والكرم وحسن التدبير وتثمير الأموال ونحو ذلك . وينبغي
20 أن يكون المطمح في وصف كلّ وزير على قدر مستوزره ، فيكون لوزراء

الخلفاء في ذلك مزيّة لا تلحق ورتبة لا تسامى حتّى إنّ مراتب كثير من الملوك العظماء ربّما قصّرت عن مراتبهم ، ثم تتدرج مراتبهم في ذلك على نحو ما ذكرناه في مراتب الملوك .

4 ــ **تنوير** : ومدح القضاة يكون بالعلم والتقى والدين والنزاهة والعدل بين الخصوم وإنصاف المظلوم وما جرى ذلك المجرى . ولهم أيضا مراتب فيما ينبغي أن ينحلوه من الأوصاف ، فيطمح بقضاة الخلفاء ثم بقضاة الملوك ثم بقضاة الأصقاع الكبار إلى حيث لا يطمح بغيرهم . وينبغي أيضا أن يكون تعظيمهم على قدر عظمهم في علومهم وأديانهم وعقولهم .

5 ــ **إضاءة** : فقد تبيّن من هذا أنّ أمداح الخلفاء يجب أن تكون نمطا واحدا يُنحى بأوصافها أبدا نحو الإفراط ، وأنّ أمداح الأمراء والوزراء والقضاة ومن جرى مجراهم من كبار العلماء ينبغي أن يكون كلّ واحد منها ثلاثة أنماط : ينحى بالنمط الأعلى منحى الإفراط ، وينحى بالنمط الأدنى منحى الاقتصاد ، وتكون أوصاف النمط الوسط اقتصادية مشوبة ببعض إفراط وذلك بحسب ما بيّنّاه من اختلاف درجات الممدوحين / في ضخامة الخطط وفخامة الولايات . [64 ــ أ]

6 ــ **تنوير** : فعلى هذا الترتيب يجب أن يكون المدح ، وأن يُحافظ على ما يجب اعتماده في امتداح كل طبقة من الممدوحين . فلا يُسمَى بها إلى الرتب التي فوقها ولا يُنحطّ بها إلى ما دونها .

ي – معرف دالّ على طرق المعرفة بما يكون به وضوح المعاني أو غمـوضهـا .

إنّ المعاني وإن كانت أكثرُ مقاصد الكلام ومواطنُ القول تقتضي الإعراب عنها والتصريح عن مفهوماتها فقد يقصد في كثير من المواضع إغماضها وإغلاق أبواب الكلام دونها . وكذلك أيضا قد نقصد تأديـة المعنى في عبارتين : إحداهما واضحة الدلالة عليه ، والأخرى غير واضحة الدلالة لضروب من المقاصد . فالدلالة على المعاني إذن على ثلاثة أضرب : دلالة إيضاح ، ودلالة إبهام ، ودلالة إيضاح وإبهام معا . 5

1 – **إضـــاءة** . وقد تقدّم (1) التعريف بكثير من الوجوه التي بها يكون إيضاح الدلالات على المعاني في مواضع كثيرة من هذا الكتاب . وبقي أن نذكر الآن ما يتيسّر لنا ذكره من الوجوه التي يكون في المعاني بوجودها فيها أو في عباراتها إغماض لها وبُعدٌ بها عن البيان ليعتمد الشاعر ما يليق بكلامه من تلك الوجوه حيث يقصد كناية أو إلغازا وما أشبه ذلك ممّا لا يقصد في الدلالة عليه التصريح ، ولتجتنب تلك الوجوه حيث يقصد التصريح عن المعاني والإبانة عنها حتّى يأتي في كلّ موضع بما يليق به . 10 51

2 – **تنـويـر** : ووجوه الإغماض في المعاني : منها ما يرجع إلى المعاني أنفسها ، ومنها ما يرجع إلى الألفاظ والعبارات المدلول بها على المعنى ، ومنها ما يرجع إلى المعاني والألفاظ معا .

3 – **إضـــاءة** : فأمّا ما يرجع إلى المعاني أنفسها فمن ذلك أن يكون المعنى في نفسه دقيقا ويكون الغور / فيه بعيدا ، أو يكون المعنى مبنيّا على [64 – ب] 20

1) مما يراجع لهذا الغرض طرق استثارة المعاني ، فان بها إشارات لذلك 37 – 40 .

مقدّمة في الكلام قد صَرف الفهمَ عن التفاتها بعدُ حيّزها من حيّز ما
بني عليها أو تشاغله بمستأنف الكلام عن فارطه أو غير ذلك ممّا شأنه أن
يثني غروب الأفهام كليلة قاصرة عن تحقّق مفهومات الكلام ؛ أو يكون
مضمّنا معنى علميا أو خبرا تاريخيا أو محالا به على ذلك ومشارا به إليه
5 فيكون فهم المعنى متوقّفا على العلم بذلك المضمّن العلمي أو الخبري ؛ أو
يكون المعنى مضمّنا إشارة إلى مثل أو بيت أو كلام سالف بالجملة يجعل
بعض ذلك المثل أو البيت جزءا من أجزاء المعنى أو غير ذلك من أنحاء
التضمين ؛ أو يكون المعنى قد قصد به الدلالة على بعض ما يلتزمه من
المعاني ويكون منه بسبب على جهة الإرداف أو الكناية به عنه أو التلويح
10 به إليه أو غير ذلك — وكلّما كان الملتزم بعيدا كان المعنى بعيدا من الفهم —
أو يكون المعنى قد وضعت صور التركيب الذهني في أجزائه على غير ما
يجب فتنكره الأفهام لذلك ، فقد لا تفهمه على وجهه وقد لا تهدى إلى
فهمه بالجملة ؛ أو يكون بعض ما يشتمل عليه المعنى مظنة لانصراف
الخواطر في فهمه إلى أنحاء من الاحتمالات ؛ أو يكون المعنى قد اقتصر
15 في تعريف بعض أجزائه أو تخييلها على الإشارة إليه بأوصاف تشترك فيها
معه أشياء غير أنّها لا توجد مجتمعة إلاّ فيه . وكلّما كانت الأوصاف
في مثل هذا مؤتلفة من أعراض الشيء البعيدة لم تتهدّ الأفكار إلى فهمه
إلاّ بعد بطء .

4 — **تنوير** : فأمّا ما يرجع إلى الألفاظ والعبارات من تلك الوجوه
20 فمثل أن يكون اللّفظ حوشيّا أو غريبا أو مشتركا فيعرض من ذلك ألاّ
يعلم ما يدلّ عليه اللفظ أو أن يتخيّل أنّه دلّ في الموضع الذي وقع فيه
من الكلام على غير ما جيء به للدلالة عليه فيتعذّر فهم المعنى لذلك . وقد

[65 – أ] يتّفق مثلُ هذا بأن يعرض في تركيب اللفظ اشتباه يصير به / بمنزلة اللفظ المشترك نحو قول امرىء القيس : [السريع – ق – المتدارك]

لَفَتْـكَ لأَمْيَنْـنِ على نـابِـلِ (1)

ومن ذلك أن يقع في الكلام تقديم وتأخير ، أو يتخالف وضع الإسناد فيصير الكلام مقلوبا ، أو يقع بين بعض العبارة وما يرجع إليها فصل 5 بقافية أو سجع فتخفى جهة التطالب بين الكلامين ، أو بأن تفرط العبارة في الطول فيتراخى بعض أجزائها عمّا يستند إليه وما هو منه بسبب فلا يشعر باستناده إليه واقتضائه له لا سيّما إذا وقع في الكلام اعتراضات وفصول وكان مشتملا على أشياء يمكن أن تُرجع إلى كلّ واحد منها ذلك الشيء . وممّا يبعُد به الشيء عمّا يستند إليه الصلات والاعتراضات. 10 ومن ذلك أن ترد العبارة التي يقصد انفصال بعض أجزائها عن بعض في صورة المتّصلة وأن يرد المتّصل في صورة المنفصل ، ومن ذلك فرط الإيجاز الذي يكون بقصر أو حذف . وقد تقدّم ذكر ذلك (2) .

5 – **إضـــاءة** : فكلّ معنى غامض وعبارة مستغلقة فغموضه واستغلاق عبارته راجعان إلى بعض هذه الوجوه المعنويّة أو العباريّة أو إليهما معا أو 15 إلى ما ناسبهما وجرى مجراهما ممّا لعلّنا لم نذكره من وجوه الإغماض الراجعة إلى معنى أو عبارة . فعلى هذه الوجوه ووقوع بعضها مع بعض في

1) صدر البيت : نطعنهم سلكى ومخلوجة . وهذا من قصيدة قالها بعد أن أنجده قرمل بن الحميم الحميري لأخذ الثأر من بني أسد ، وطالع القصيدة :
يـا دار مـاويـة بـالحـائـل فالسهب فالخبتين من عـاقـل
والبيت يروي بكرك بدل لفتك . السندوبي ، (3) ، 172 .
2) إن بحث هذا وتفصيله مما احتوى عليه القسم الأول المفقود كما تدل على ذلك الإحالات الكثيرة عليه .

الكلام مدار الأقاويل التي يقصد بها الكنايات والإلغاز وما جرى مجراهما
ممّا لا يقصد فيه الإبانة والتصريح .

6 ـ **تنوير** : ويحتاج في موضع التصريح والإبانة أن يتحفّظ من
وقوع وجه من هذه الوجوه في لفظ أو عبارة . ومتى اضطرّ وزن أو قافية
5 أو انحصار للكلام في مجال غير متّسع له من مقادير الأوزان إلى وقوع
شيء من ذلك فليجهد في ما يرفع الإبهام أو اللبس الواقع بذلك من القرائن
المخلّصة للكلام إلى ما نحي به نحوه ، فإنّ ورود المعنى غامضا في كلام
قد قُصد به الإبانة ممّا يُوَعِّر / سبيله ويزيله عن الاعتدال والاستواء مع [65 ـ ب]
مناقضته للمقصد .

10 7 ـ **إضاءة** : وجملة الأمر أنّ اشتكال المعاني وغموضها من جهة
ما يرجع إليها أو إلى عباراتها يكون لأمور راجعة إلى مواد المعنى أو مواد
العبارة أو إلى ما يكون عليه إجراؤهما من وضع وترتيب أو إلى مقادير ما
ترتّب من ذلك أو إلى أشياء مضمّنة فيهما أو أشياء خارجة عنهما .

8 ـ **تنوير** : وإذ قد عددت جملة ما به يكون اشتكال المعاني من
15 جهة ما يرجع إليها أو إلى عباراتها فلنذكر بعض وجوه الحيل التي من
شأنها أن يماط بوجه وجه منها ما وقع في المعاني من غموض وإشكال بوجه
وجه ممّا به يكون اشتكال المعاني وغموضها ذكرا موجزا على جهة الإشارة
والإيماء .

9 ـ **إضاءة** : فأمّا طريق الحيل في إزالة الغموض والاشتكال
20 الواقعين بهذه الأشياء فهي أن يعتاض من الشيء الذي وقع به الإغماض
والإشكال أو أن يقرن به ما يزيل الغموض والاشتكال . فالاعتياض

في المعـاني يـكـون بأخـذ مماثلاتهـا ممّا يـكـون في معنـاه أوضح منهـا . والاعتياض في الألفاظ يـكون بما يماثلها من جهة الدلالة . وقد يـكون بين العوض والمعوّض منه مع ذلك مخالفة في الوضع مثل وصل المنفصل وفصل المتّصل وإطالة القصير وتقصير الطويل ، وقد لا يـكون ذلك .

5 10 — **تنـــويـــر** : وقران الشيء بما يزيل الغموض أو الاشتـكال الواقع فيه يـكون بأن يتبع الشيء بما يـكون شرحا له وتفسيرا من جهة ما يـكون في معناه أو تـكون دلالته في معنى دلالته أوْ من جهة ما يناسبه ويشابهه ، ويـكون بأشياء خارجة عن معنى الشيء إلاّ أنّ فيها دلالات على إبانة ما انبهم في الأشياء المقترنة بها .

10 11 — **إضـــــاءة** : ولهذه الجملة تفصيل طويل لا يمكن أن نتقصّاه بالتمثيل في وجهٍ وجهٍ من تلك الأشياء التي من قِبَلِها تشتـكل المعاني في أنفسها ومن جهة عباراتها / إذ بعض الشواغل ومراعاة ما اعتمدته في هذا [66 — أ] الـكتاب من الاكتفاء في كلّ باب منه بالإجمال عن التفصيل وباللّمحة الدالّة عن الجملة الشارحة يمنعان من الزيادة على القسط الواجب فيه بحسب ما اعتمدته ، لـكنّي أورد في ما تعلّق ببعض ذلك كلاما كنت قيّدته فيما 15 تقدّم (1) ،فانّ فيه زيادة إفادة إلى ما ذكرته ، فيجعل الناظر وجـه النظر والعمل في ما لم أذكره من ذلك بحسب الأمر في ما ذكرته ، وليتولّ اعتبار جميع ذلك في وجه وجه منها بنفسه . فقد أوضحت له السبيل إليهاو دمّثت لـه الطريـق الـدالّ عليهـا .

1) الاشارة هنا إلى نفس ما احتوى عليه المعرف ذاته لا رتباط المعلم (يا) إثر ذلك به .

يا – معلم دالّ على طرق العلم بما يزيل الغموض والاشتكال العارضين في المعاني ، من حيث ذكر في المعرف الفارط .

وقد تقدّمت الإشارة إلى بعض ذلك . وأنا شارع في تتميم ذلك وتكميله وإيراد القول فيه مفصّلا والتعريف بما لم يجر له ذكر من ذلك .

5 فأقول : إنّ المعاني منها ما يقصد أن تكون في غاية من البيان على ما تقدّم ، ومنها ما يقصد أن تكون في غاية من الإغماض ، ومنها ما يقصد أن يقع فيه بعضُ غموض ، ومنها ما يقصد أن يُبان من جهة وأن يغمض من جهة .

وبيان المعاني يكون بتعرّيها من الأوصاف التي تبعدها عن البيان . وتلك 10 الأوصاف تنقسم : إلى ما يرجع إلى المعنى وإلى ما يرجع إلى اللفظ المعبّر عنه . وتلك الأشياء الراجعة إلى المعنى أو إلى العبارة : إمّا أن تكون راجعة في كليهما إلى مادة أو إلى وضع وترتيب أو إلى مقدار أو إلى ما يكون متضمّنا لهما أو ملتزما .

1 – **إضـاءة** : فممّا يرجع إلى المعنى من ذلك : أن يكون المعنى في 15 نفسه دقيقا لطيفا يحتاج إلى تأمّل وفهم . ومنها أن يكون / المعنى قد أخلّ [66 – ب] ببعض أجزائه ولم تستوف أقسامه . ومن ذلك أن يكون المعنى مُرَتّبا على معنى آخر لا يمكن فهمه وتصوّره إلاّ به . ومنه أن يكون المعنى منحرفا بالكلام وغرضه عن مقصده الواضح معدولا إليه عمّا هو أحقّ بالمحلّ منـه .

20 2 – **تنـويـر** : فأمّا الوجه الأوّل وهو أن يكون المعنى في نفسه دقيقا لطيفا يحتاج إلى تأمّل وتفهّم فيجب في ما كان بهذه الصفة أن يجهد في

تسهيل العبارة المؤدّية عن المعنى وبسطها حتّى يقابل خفاؤه بوضوحها وغموضه ببيانها حتى تبلغ الغاية المستطاعة في ذلك . فإذا اجتهد الشاعر في توفية العبارة حقّها من البيان وقصد بها الإيضاح غاية ما يستطيع فقد أزال عن نفسه اللوم في ذلك ونفى عنها التقصير ، ووجب عذرُه في خفاء المعنى إذ لا يمكن أن يصيّره في نفسه جليّا . 5

3 — **إضـــاءة** : ويجب أيضا على الشاعر فيما لم يمكنه أن يبين عنه حقّ الإبانة أن يقرن ذلك المعنى بما يناسبه ويقرب منه من المعاني الجليّة ليكون في ذلك دليل على ما انبهم من ذلك المعنى . إذ قد يستدلّ على المعنى بما يجاوِرُه من المعاني وينبّه بعضها على بعض .

10 4 — **تنـويـر** : وأمّا الوجه الثاني وهو الإخلال ببعض أركان المعنى وترك الاستيفاء لها فهذا يقع للشاعر بأن يذهل عن بعض أركان المعنى أو يجهله ، أو بأن يتركه من غير ذهول منه لكن لاضطرار الشعر له بانضمامه إلى القافية أو لأنّ الوزن غير مساعد له . فإذا طرأ في هذا المعنى غموض من هذا الوجه فهو ممّا يرجع إلى العبارة . ويخلّص من ذلك تسريح عنان الكلام يسيرا . فإن ضاق المجال عن استيفاء أجزاء المعنى في بيت واحد 15 فليكن ذلك في بيت وبعض بيت آخر أو في بيتين ، فقد يمكنه استقصاء ما أراده بهذه الطريقة . فإن تعذّر عليه الاستقصاء بالجملة فليسقط ذلك المعنى ، فإنّ نقصه نقص / في حقّه . ولا يزال ذو المعرفة بتصاريف [67 — أ] الكلام والدربة بتأليف النظام يضع اللفظة موضع اللفظة ويبدل صيغة مكان صيغة حتّى يتأتّى له مراده وينال من كمال المعنى بغيته . 20

5 — **إضـــاءة** : وأمّا الوجه الثالث وهو أن يكون المعنى مرتّبا على معنى آخر لا يمكن فهمه إلاّ به فقد يكون المعنى المبني عليه داخل الكلام

وخارجه . ويجب أن يقصد – فيما يبني المعنى عليه ممّا هو خارج الكلام – الشهرة وأن يحسن الدلالة على ذلك من العبارة وألاّ يحال بين المعنى وما يبنى عليه ممّا هو موجود في الكلام بما هو أجنبي عنهما ، وأن يحسن مساق الكلام في ذلك حتى يعلم أنّ أحدهما بسبب من الآخر .

5 6 – **تنوير** : وأمّا الوجه الرابع : وهو أن يكون المعنى متحرّفا بغرض الكلام عن مقصده الواضح معدولا إليه عمّا هو أحقّ بالمحلّ منه حتى يوهم المعنى أنّ المقصود به ضدّ ما يدلّ عليه اللفظ المعبّر به عنه . وأكثر الناس يجعلون هذا النوع من الكلام مقلوبا . وبعض الناس يتأوّل ما ورد من ذلك تأويلا فيه سلامةٌ من القلب ، ويرى أنّ ذلك وإن بعد
10 التأويل أولى من حمل الكلام على القلب ، إذ العبارة إنّما تدلّ على المعنى بوضع مخصوص وترتيب مخصوص . فإن بدّل ذلك الوضع والترتيب زالت تلك الدلالة . وهذا موضع يجب أن يوقف به عند السماع والاّ يقاس عليه لأنّه إن كان الكلام مقلوبا ، وكانت العبارة مقصودا بها غير ما تدلّ عليه بوضعها ، وسوّغ هذا عند حامل الكلام على هذا المذهب أنّ
15 المقصد من الكلام واضح ، وإن كانت العبارة غير دالّة عليه ، فقد ذهب بالكلام مذهب فاسد وكان ذلك خطأً في العبارة . وفي سعة الكلام مندوحة عن المذاهب الفاسدة . وإن كان الكلام غير مقلوب ، ولكنّه قصد به معنى آخر غير المعنى الذي يريد به من يجعل الكلام مقلوبا ، فذلك أيضا قبيح لأنّه وضع المعنى البعيد الذي لم يُؤلف. موضع المعنى / القريب [67 – ب]
20 المألوف ، فلا يجب أيضا سلوك هذا المذهب . فكلا التأويلين في هذا الباب خارج بالكلام عن المهيع الذي يكون للمعنى فيه موقع من النفس ومكانة مكينة من الفهم . فالواجب في فصيح الكلام أن يكون خاليا منه .

7 ــ **إضـــــاءة** : ويشبه أن يكون هذا الضرب من الكلام ممّا غلط فيه من ليس من علية فصحاء العرب وبلغائها[بالحمل](1) على العلية منهم . فكلّ امرىء منهم إنّما يأتمّ في الفصاحة بمن فوقه . فإذا وجد المؤتمّ منهم كلاما لمن يأتمّ به قد قصد به مقصدا يمكن أن يفهم على خلافه بل ربّما كان خلافه أسبق إلى الفهم لكونه أشهر في ما يقال في الغرض المقصود بالكلام ، وكان الشاعر قد عدل عن الأشهر إلى الأخفى إمّا اضطرارا إلى ذلك أو قصدا إلى الافتنان في معاني الكلام والاتّساع في مذاهبه ــ فمن عادتهم أن يأخذوا الكلام من كلّ مأخذ ويجتلبوا المعاني من كل مجتلب وأن يتلاعبوا بالكلام على وجوه من الصحّة ــ فهم (2) الكلام على خلاف ما قصده القائل ورأى العبارة لا تدلّ على ما فهم الاّ بعد القلب ، فظن أنّ هذا مذهب في الكلام لمن يأتمّ به ، وأنّ للشاعر أن يعبّر عن المعنى بما لا يدلّ عليه الاّ بعد القلب ، ويكتفي بما يسبق إلى الأفهام في ذلك فيجعل ذلك مذهبا له فيخطىء فيه .

وعلى هذا النحو وقع كثير من المذاهب الفاسدة في كلام العرب لأنّ أرداف الفصاحة منهم إذا رأوا لصدورهم استعمالا مّا في شيء قاسوا على ذلك ما يرون أنّه مماثل لذلك الشيء ، وقد تكون بينهما مفارقة من وجه أو أوجه فيغلطون في القياس ، وكذلك في كثير ممّا يتأوّلونه عليهم .

فلذلك يجب ألاّ يقبل من الضرائر إلاّ ما وجد في ما اجتمعت عليه الروايات الصحيحة من كلام علية الفصحاء منهم ممّا تُحَقّقُ

1) هذه الكلمة غير موجودة بالاصل ، أضفناها إقامة للجملة .
2) جواب إذا المذكورة في أول الاضاءة .

براعتُـه انتسابَـه إليهم كقصائـد امـرئ القيس والنـابغة وزهير ومن جرى مجراهم (1) .

[68 – أ] 8 – **تنـويـر** : وقد وقعت / أبيات من الشعر حملها قوم على القلب وخرجّها آخرون على وجوه يصحّ الكلام عليها لفظا ومعنى . كقـول الحطيئة : [الطويل – ق – المتدارك]

فلـمّـا خَشِيتُ الهُـونَ والعيرُ ممسِكٌ
على رُغمه ما أمسك الحبلَ حـافـرُه (2)

لأنّ الحبل إذا أمسك الحـافر فالحـافر أيضا قد شغل الحبل وأمسكه عن أن يتخلّى عنه ويتفلّت ،فعلى هذا ليس بمقلوب .

وكذلك قول أبي النجم : [الـرجـز – ق – المتـدارك]

قَبْـلَ دُنُـوِّ الأفْـقِ مِن جَـوْزَائِـهِ (3)

لأنّ الجوزاء إذا دنت من الأفق دنا منهـا .

وقد حمل قوم قول قطري بن الفجاءة : [الكامل – ق – المتواتر]

ثمّ انصَرفْتُ ، وقد أصَبْتُ ولم أُصَب
جـذَعَ البصيـرة قـارحَ الإقـدام (4)

---

1) أورد الخفاجي كلاما شبيها بهذا ترجم له بوضع الألفاظ موضعها اللائق ، وأشار إلى ما يداخل اللفظ والتأليف من أسباب تدخل عليهما الغموض والاشتكال . الخفاجي، 99 ، 107 .

2) يروى البيت بأثبت بدل أمسك ، وهو من قصيدة يذكر فيها الحطيئة الزبرقان ويمدح آل شمـاس ، طـالعهـا :

عفـا مـحلان من سليمى فحـامره تمشـي بـه ظلمـانـه وجـآذره

الخفاجي ، 108 ؛ **الـديـوان** ، 18 .

3) الخفـاجي ، 108 .

4) البيت من قصيـدة طـالعهـا :

لا يـركـننن أحـد إلى الاحجام يـوم الوغـى متخـوفـا لحمـام

المـرزوقي ، 1 ، 138 .

على القلب . وقالوا يريد قارح البصيرة جذع الإقدام كما يقال إقدام غرٍّ ورأيُ مجرّب . والأحسن في هذا البيت حمله على غير القلب ، وذلك على تأويلين : أحدهما أن يريد أنّ هذا الموطن الذي وصفه كان أعظم موطن حضره وأشدّ موقف شهده فيئس فيه من الحياة وأيقن بالتلف حين رأى نفسه دريئة للرماح ودمَه قد خضب سَرجه ولجامه كما ذكر في هذا 5 الشعر ، ثمّ خلص من هول ذلك الموقف ووقع الأمر على خلاف ما كان وقع في نفسه حين انصرف وقد قتَلَ ولم يُقتل ، فحدثت له إذّاك بصيرة أنّ الإقدام غيرُ علّة للحمام وأنّ من يركن إلى الإحجام خيفةً من أن يصاب فليس على بصيرة ، إذ لو شهد ما شهدت ثم انصرف مصيبا لا مصابا لحدثت له بصيرة بأنّ السلامة غير مقصورة على مواطن الدعة وأنّ 10 الهلاك غير موقوف على مواقف المكافحة ، وحمله اجتماع الظفر له والسلامة بالإقدام على ألاّ يركن إلى الإحجام . فعبّر عن قرب عهد حدوث البصيرة له عند انصرافه عن تلك الحرب بأن جعل البصيرة جذعة لأنّ الجذع هو الذي على أوّل سنة الأخذ في الاستحكام وجعل الإقدام قارحا لأنّه كان من سجيّته ثابتا قبل البصيرة . 15

9 — **إضـــاءة** : والتأويل الثاني ما حكاه ابن سنان الخفاجي عن أبي العلاء / صاعد به عيسى الكاتب أنّه جاراه في بعض الأيّام في هذا [68 — ب] البيت ، فقال صاعد : « ما المانع أن يكون مقصوده لم أصب أيْ لم ألف على هذه الحال بل وجدت على خلافها جذع الإقدام قارح البصيرة ، ويكون الكلام على وجه غير مقلوب ، فتمكن الدلالة على أنّ قوله في 20 البيت لم أصب بمعنى لم ألف دون ما يقولون من أنّ مراده لم أجرح من قوله قبل :

لا يركنَنْ أحدٌ إلى الإحجامِ يومَ الوغَى ، متخوّفا لحِمَامِ

فلقـد أراني للرّمـاح دريئـةً مِنْ عَنْ يميني مرّةً ، وأمامي
حتّى خضبتُ بما تحدّر مِنْ دَمي أكناف سرجي أو عِنان لجامي
ثمّ انصرفتُ وقد أصَبْتُ ، ولم أصَبْ جذعَ البصيرة ، قارحَ الإقدام (1)

فكيف يكون لم يصب وقد خضب بدمه أكناف سرجه ولجامه . فأمّا قولهم : إنّه أراد من دمي أي من دماء قومي وبني عمي فمبالغة منهم في التعسّف والعدول عن وجه الكلام ليستمرّ لهم أن يكون الكلام فاسدا غير صحيح » (2) .

ثمّ قال الخفاجي : « وهذا الذي ذكره أبو العلاء وسبق له وجه يجب تقبّله واتّباعه فيه . وفحوى كلام قطريّ تدلّ على أنّه أراد أنّه جرح ولم يمت إعلاما أنّ الإقدام غير علّة في الحمام وحضا (3) على الشجاعة وبغض (4) الفـرار .

وقد حمل قوم قوله سبحانه : (وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوّة) (5) ،وقوله تعالى : (وإنّه لحبّ الخير لشديد) (6) على القلب . وحملُ الكلام على القلب في غير القرآن إذا أمكن حمله على الاستقامة تعسّف شديد ، فكيف في الكتاب العزيز والواجب أن تجعل الباء في قوله تعالى بالعصبة للتعديّة ويكون المراد — والله أعلم — أنّ

1) المرزوقي ، 1 ، 138 .
2) القصة والوجه أوردهما الخفاجي ، 108 .
3) ، 4) ورد اللفظان في المرجع السابق بلفظ حثا ونهيا .
5) الآية قوله تعالى : «إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ، إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين» القرآن ، 28 / 76 .
6) القرآن ، 8/100 .

المفاتح تنوء بالعصبة أي تميلها من ثقلها ، وهو قول الفرّاء (1) ، وأن يكون قوله تعالى لشديد بمعنى بخيل ، أي إنّه لحبّ المال لبخيل والخير المال » (2) .

10 – **تنـــويـــر** : فكلّ كلام يمكن حمله على غير القلب بتأويل لا يبعد معناه ، / فليس يجب حمله على القلب . [69 . أ]

5 وأمّـا ما لا يمكن فيه التأويـل فواجب ألاّ يعمـل عليـه وأن يـوقف عنده (3) . ومنه قول عروة بن الورد : [الوافر – ق – المتواتر]

فلـو أنّـي شهدت أبـا مُعَـاذ بمُهجتِـه غـداتَئِـذ يـفـوق
فدَيْـتُ بنفسـه نفسي ومـالي فمـا آلُـوك إلاّ مـا أُطيـق (4)

يريد فديت بنفسي ، فهذا وأمثاله لا يجب أن يعمل عليه لأنّه كلام خطأ على ما قدّمناه . ويحتمل أن يكون هذا وما أشبهه ممّا غيّره بعض 10 الرواة لتقارب العبارات واشتباه بعضها ببعض . فقد ينحرف محفوظ الراوي عن أصل وضعه قليلا فلا يشعر بذلك : ألا ترى أنّ هذا البيت يتأتّى تغيير العبارة الواقعة في صدره إلى وضع يدلّ على مفهوم صحيح فيقال فيه : جعلت فداءه نفسي ومالي . بدل فديت بنفسه .

15 11 – **إضـــاءة** : وأمّا ما يرجع إلى اللفظ ممّا يوقع في المعاني غموضا واشتكالا فمن ذلك أن تكون الألفاظ الدالة على المعنى أو اللفظة الواحدة

---

1) الزركشي ، ٣ ، 289 ؛ الخفاجي ، 108 ، 109 ؛ السبكي ، 1 ، 491 .
2) الخفاجي ، 108 ، 109 .
3) الخفاجي ، 107 . وما بالأصل هنا من تفصيل حازم أتم وأوفى .
4) رواية البيتين مختلفة عما في النص وإن لم يوجب اختلافها عدم الاستشهاد بها في هذا المحل لبقاء موضع القلب المحتاج إلى التأويل على حاله . هي بالديوان كالآتي :
فإني لو شهدت أبا معاذ غداة غد لمهجته يفوق
فديت بنفسه نفسي ومالي وما آلوه إلا ما أطيق
انظر ابن السكيت ، 205 .

منها حوشيّة أو غريبة فيتوقّف فهم المعنى عليها . والواجب على الشاعر أن يجتنب من هذا ما توغّل في الحوشيّة والغرابة ما استطاع حتّى تكون دلالته على المعاني واضحة وعبارته مستعذبة . ومتى لزّه إلى شيء من ذلك اضطرار وأمكنه أن يقرن باللفظة ما يهتدى به إلى معناها من غير أن يكون
5 ذلك حشوا كان الأمر في ذلك أشبه .

12 — **تنـويـر** : ومن ذلك أن تكون اللفظة أو الألفاظ مشتركة فتدلّ على معنيين أو أكثر لا في حال واحدة ، فيجب للنّاظم أن ينوط باللفظة أو الألفاظ التي بهذه الصفة من القرائن ما يخلّص معناها إلى المفهوم الذي قصده حتّى يكون المعنى مستبينا ، وذلك حيث يقصد البيان . وينبغي ألاّ
10 يكثر من هذا النوع حيث يقصد الإبانة عن المعاني .

وممّا ورد من ذلك فاضطرب الناس في تأويله قول الحرث بن حلّزة :
[الخفيف — ق — المتواتر]

زعموا أنّ كلّ من ضرب العَيْرَ موالٍ لنا وأنّى الولاءُ!(1)

فقيل / أراد بالعير الوتد وأراد بالضاربين العرب لأنّهم كانوا أصحاب [69 — ب]
15 عمد ، وقيل أراد عير العين وهو ما نتأ منها أي كلّ من ضرب عير عينه بجفنه ، وقيل أراد بالعير ما يطفو على الحوض من الأقذاء وأصله التشديد وهو العائر والعيّر ، فخفّف كما قيل هيّن وهين ، وقيل فيه وجوه أخر غير هذه (2) .

---

1) البيت من معلقته وأولها :
آذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء
الزوزني ، 170 .

2) راجع **اللسان** ، باب الراء فصل العين ، ٦ ، 299 — 305 .

13 – **إضـــاءة** : ومن ذلك أن تكون كلمةٌ قد وُصلت بحرف أو حذف منها حرف فتتّصل بكلمة يحتمل لفظها أن يكون الحرف الموصول بالأوّل داخلا عليها أو من جملة حروفها أو يكون قد دخل على الثانية حرف يخيّل لك أنه صلة للأولى أو تتمّة لما نقص منها فيعرض من هذا فهم الكلام على غير وجهه .

ومن هذا قول امرىء القيس : [السريع – ق – المتدارك]

نطعنُهُم سلكى ومخلوجةً لَفْتَكَ لأْمين على نابل (1)

لأنّ الكاف محتملة أن تكون ضميرا مضافا إليها ما قبلها ، وأن تكون حرفا جارا لما بعدها .

ومن هذا ما روي من أنّ الأصمعي أنشد يوما :

[الخفيف – ق – المتواتر]

لم ينالُوا مثلَ الذي نلتُ منهم وسواءٌ مَا نلتُ منهم ونالوا (2)

ثمّ قال لأصحابه : كيف أوجب في آخر البيت ما نفى في أوّله ؟ . – فقالوا : لا ندري ! – قال : قد أجّلتكم فيه شهرا . – قالوا : لو أجّلتنا فيه سنة ما علمناه . – فقال : إنّما هو لمي ترخيم لمياء ثم قال : نالوا لمثل الذي نلت منهم ، فهذا إيجاب أنّهم نالوا وليس بنفي على ما يتوهّم سامعه .

1) تقدم الشاهد 174 .

2) إن وجه كتابة البيت هو أن يرسم لمي وحده ونالوا منفصلا عنه . ولعل المؤلف أراد أن يحدث الحيرة والارتباك ليكون الأثر الحاصل من المطالعة كالأثر الحاصل من السماع ، هذا وقد بحثنا عن البيت فلم نقف عليه في غير هذا المحل .

فيجب أن يتحفّظ في الكلام المقصود به البيان نحو وقوع تلك الحروف التي يسبق الوهم إلى أنّها مستندة إلى غير الحيّز الذي استندت إليه ، فإنّ ذلك مستهلك للمعاني وحاجب للأفكار عن حقائق المقصود بالكلام .

14 — **تنوير** : ومن ذلك الإخلال بوضع الكلام وإزالة ألفاظه عن 5 مراتبها حتّى يصير المتأخّر متقدّما والمتقدّم متأخّرا فتتداخل الألفاظ بعضها على بعض فتشكل العبارة ولا يتحقّق نظامها قبل التقديم والتأخير ولا يعلم كيف كان (.........................) (1) . وهذا المذهب رديء جدّا في / الكلام . [70 — أ]

وكان همّام بن غالب الفرزدق يكثر من هذا النوع — كأنّه كان يقصده — ومنه قوله : [الطويل — ق — المتدارك]

10 وما مثلُه في النّاس إلاّ مملّكا أبو أمّه حيٌّ أبوه يقاربُه (2)

يريد وما مثله في النّاس حيّ يقاربه إلاّ مملّكا أبو أمّه أبوه ، يعني بالمملّك هشاما والممدوح خاله فأبوه أبو أمّه ، فقد أساء العبارة عمّا أراد .

15 — **إضاءة** : وإذ قد ذكرنا جملة ممّا يوقع في المعاني إغماضا من جهاتها أنفسها ومن جهات العبارات ، وأتبعت ذكر بعض تلك الوجوه 15 بذكر ما يميط بعضَ القبح الواقع بها في الكلام ، فحقيقٌ أن نصرف عنان القول عمّا نحن بسبيله من القول في هذا المعلم إلى غير ذلك ممّا يتعلّق بالمعاني ، إذ قد تبيّن أنّ ما قصد به البيان من القول فواجب أن تجتنب فيه تلك الوجوه المذكورة ، وما قصد به الكناية أو الإلغاز والتعمية فهي لائقة به وصالحة له ، فليوقع منها في كلّ نوع من الكنايات وفي كلّ ضرب 20 من ضروب الإلغاز والتعمية ما يليق به ويكون فيه أكثر غناء من غيره .

---

1) بياض بالأصل مقدار ثلاث كلمات .
2) التفتزاني ، 20 ؛ **الديوان** ، 1 ، 108 .

يب ــ معرف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء النظر في المعاني من حيث يكون فهمها متوقّفا على أمر مّا من صناعة أو غيرها أو تكون غير متوقّفة على شيء من ذلك .

إنّ المعاني منها ما يُحتاج في فهمه إلى مقدّمة من معرفة صناعة أو حفظ قصّة . فالتي لا يُحتاج في فهمها إلى مقدّمة هي المعاني الجمهوريّة التي يشترك في فهمها الخاصّ والعامّ ، وعليها مدار معظم المعاني الواقعة في الأغراض المألوفة من الشعر ، وهي مستحسنة فيه . 5

1 ــ **إضـــاءة** : والمعاني التي يُحتاج في فهمها إلى مقدّمة ضربان : ضربٌ يتوقّف فهمه على المعرفة بصناعة مّا / لكون المعنى من تلك [70 ــ ب] الصناعة أو لكون العبارة الدالّة عليه من عبارات أهل تلك الصناعة ، 10 وضربٌ يتوقّف فهمه على حفظ قصّة مّا لكون المعنى متعلّقا بتلك القصّة .

2 ــ **تنــويــر** : فالمعاني التي يتوقّف فهمها على المعرفة بصناعة مّا لا يحسن إيرادها في الشعر إذا وجد عنها مندوحة ، ولا يحسن فيه أيضا أن تؤخذ ألفاظ قد نقلت إلى علم مّا فتجعل العبارة بها صالحة لما تدلّ عليه في 15 ذلك العلم والمتكلّم لا يريد إلاّ المعنى الذى تدلّ عليه في أصل اللغة وإنّما قصد الإلغاز عن مراده . فهذا لا يحسن في المقاصد التصريحيّة .

3 ــ **إضـــاءة** : وأمّا ما يتوقّف فهمه على قصّة فلا يخلو أن تكون تلك القصّة مشهورة أو غير مشهورة ، فإن كانت القصّة مشهورة فذلك حسن ، وإن لم تكن مشهورة فإنّ ذلك لا يستحسن . 20

4 — **تنـويـر** : فأمّا المعاني أو العبارات المتعلّقة بصنائع أهل المهن فينبغي ألاّ يستعمل شيء منها لأنّ استعمالها في الشعر أشدّ قبحا من استعمال الألفاظ السـاقطة المبتذلة .

فأمّا المعاني الخارجة عن صنائع أهل المهن وعمّا يحتاج في فهمه إلى مقدّمة فهي التي يجب أن يُـكـثر من استعمالها ، فإنّ منزلتها من المعاني منزلة الألفاظ المستعملة المفهومة التي ليست بعاميّة ساقطة ، ولا متـوعّرة وحشيّة . وأما المعاني التي يتوقّف فهمها على القصص الشهيرة عند الأدباء ومن جرى مجراهم ممّن طالع التواريخ والأخبار فمنزلتها من المعاني منزلة استعمـال الألفـاظ التي ارتفعت عمّـا يفهمه جميع العامّـة وكان علمهـا مقصورا على الخاصّة . فأما المعاني التي يتوقّف فهمها على المعرفة بعلم أو صناعة فمنزلتها من المعاني منزلة استعمال اللفظ الحوشيّ الذي لا يفهمه إلاّ الأقلّ من خاصّة الأدباء ، وكذلك الإحالة على ما لم يشتهر من الأخبار .

5 — **إضـــاءة** : وملاحظات الشعراء الأقاصيص والأخبار المستطرفة في أشعارهم ومناسبتُهم / بين تلك المعاني المتقدّمة والمعاني المقاربة لزمان [71 — أ] وجودهم ، [والـكائنة] (1) فيها التي يبنون عليها أشعارهم ممّا يحسن في صناعة الشعر . ويجب للشاعر أن يعتمد من ذلك المشهور الذي هو أوضح في معناه من المعنى الذي يناسب بينه وبينه ويعلّقه على طريق التشبيه أو التنظير أو المثل أو غير ذلك . ويُسمّى ما تُسُبّب إلى ذكره من القصص المتقدّمة المأثورة بذكر قصّة أو حال معهودة الإحالة لأنّ الشاعر يحيل بالمعهود على المـأثـور .

---

1) كلمـة غيـر واضحـة بالأصـل .

6 – **تنوير** : وإذا أوقعت الإحالة الموقع اللائق بها فهي من أحسن شيء في الكلام ، فليتذكّر ما مضى من الأمور التي يقلّ نظيرها في ما هي عليه من الأوصاف التي تميل إليها النفوس أو تنفر عنها موقع عجيب من النفوس . فتتحرّك النفوس بما قد ارتسم فيها من صفة القصّة الأولى إلى اعتقاد القصّة الأخرى على مثل تلك الصفة . هذا إذا كانت الإحالة على سبيل المحاكاة . 5

7 – **إضاءة** : وإذ قد تبيّن هذا فالواجب ألاّ يستعمل في الشعر من الأخبار إلاّ ما شُهر ، وألاّ يستعمل فيه شيء من معاني العلوم والصنائع ، ولا شيء من عباراتهم إذا كان الغرض مبنيّا على ما هو خارج عن تلك العلوم والصنائع . فأمّا إذا كان غرض الشعر مبنيّا على وصف أشياء علميّة 10 أو صناعيّة ومحاكاتها والتخييل في شيء شيء منها فإيراد تلك المعاني والعبارات غير معيب في ذلك الغرض ، لأنّ للشاعر أن يحاكي شيئا من جميع الموجودات ويخيّل في واحد واحد منها ما تميل إليه النفوس أو تنفر عنه .

8 – **تنوير** : وممّا تسبّب فيه إلى ذكر ما ليس الكلام مبنيّا عليه 15 من المعاني الكلاميّة والنحويّة قول أبي تمام : [البسيط – ق – المتراكب]

مودّةٌ ذهبٌ ، أثمارُها شَبَهٌ وهِمّةٌ جوهرٌ ، معروفها عَرَضُ (1)

---

1) أورد البيت شاهدا الخفاجي ، 159 . والبيت من قصيدة لأبي تمام يعاتب فيها عياش بن لهيعة طالعها :

ذل السؤال شجى في الحلق معترض من دونه شرق من تحته جرض

الديوان ، (1) ، 235 .

لأنّ الجوهر والعرض من ألفاظ المتكلّمين الخاصّة بصناعتهم . وقوله في ما يرجع إلى صناعة النحو : [الكامل – ق – المترادف]

خَرْقَاءُ يلعبُ بالعقول حَبَابُها كتلاعب الأفعالِ بالأسْمَاءِ (1)

/ وقول أبي العلاء المعري في مثل ذلك : [الطويل – ق – المتواتر] [71 – ب]

5 تلاقٍ تفرّى عن فراقٍ تَذُمُّه

مآقٍ ، وتكسيرُ الصحائحِ في الجمع (2)

وحكي أنّ عزّ الدولة قال لندمائه : « ليُنشِدْنِيْ كلّ واحد منكم أغزل ما يعرفه من الشعر » . فأنشد كلّ منهم ما حضره . فلمّا انتهى القول إلى أبي الخطّاب ابن ثابت الصابي – وكان أبوه طبيبا – أنشد قول

10 أبي العتاهية : [الخفيف – ق – المتواتر]

قال لي أحمدُ ولمْ يَدْرِ ما بي أتُحِبّ الغداةَ عَتْبَةَ حقّا

فتَنَفّسْتُ ثمّ قلتُ : نعمْ حُبّاً جرَى في العُرُوقِ عِرقا فعِرْقا (3)

فقال له بختيار : « لا تخرج بنا يا أبا الخطّاب عن صناعة الطبّ التي لم ترثها عن كلالة ! » .

15 وكان بعض الأدباء إذا سمع قول المهلّبي : [الكامل – ق – المتواتر]

يا منْ لهُ رُتَبٌ مُمَكّنَةُ القواعد من فؤادي (4)

قال : « هذا يصلح أن يكون شعر بنّاء ! » .

---

1) البيت من قصيدة يمدح بها محمدا بن حسان الضبي ، وكان مدح بها من قبل محي الدين ابن ثابت ، طالعها :

قدك اتئد أربيت في الغلواء كم تعذلون وأنتم سجرائي

التبريزي ، 1 ، 33 ؛ الخفاجي ، 159 .

2) البيت من قصيدة قالها عند مغادرته بغداد مودعا ، طالعها :

نبي من الغربان ليس على شرع يخبرنا أن الشعوب إلى صدع

أبو العلاء ، 93 ؛ الخفاجي ، 160 .

3) الخفاجي ، 160 و 161 .

4) الخفاجي ، 161 .

وحكى أبو عثمان الجاحظ قال : « أنشدت أبا شعيب القلاّل أبيات
أبـي نواس التي أوّلها : [الطويل – ق – المتدارك]

ودارِ ندامَى عطّلُوها وأدْلَجُوا بها أثرٌ منهم جديدٌ ودارِسُ (1)

فقال : « هذا شعر لو نقرت فيه طنّ ! » فوصفه من طريق صناعته .

5 وقد أوردنا هذه الأمثلة على غير ما أوردها غيرنا . فكلّ ما انتسب إلى
صناعة من الصنائع ، انتساب ما ذكر من حيث هو معنى راجع إليها أو
عبارة مستعملة فيها ، فليس يحسن استعماله في الشعر ، إذ الواجب أن
يقتصر بالأشياء على ما هي خاصّة به ، وألاّ يخلط فنّ بفنّ بل يستعمل
في كلّ صناعة ما يخصّها ويليق بها ، ولا يشاب بها ما ليس منها .

10 **يـج – معلم دالّ على طرق العلم بأنحاء النظر في المعاني ، من حيث تكون قديمة متداولة ، أو جديدة مخترعة .**

[72 – أ] / إنّ من المعاني ما يوجد مرتسما في كل فكر ومتصوّرا في كلّ خاطر ،
ومنها ما يكون ارتسامه في بعض الخواطر دون بعض ، ومنها ما لا ارتسام
له في خاطر وإنّما يتهدّى إليه بعض الأفكار في وقت مّا فيكون من
15 استنباطه . فالقسم الأوّل هي المعاني التي يقال فيها إنّها كثرت وشاعت ،
والقسم الثاني ما يقال فيه إنّه قلّ أو هو إلى حيّز القليل أقرب منه إلى
حيّز الكثير ، والقسم الثالث هو المعنى الذي يقال فيه إنّه ندر وعدم نظيره.

1 – **إضـــاءة** : **فأمّا** القسم الأوّل فهو مثل ما يتداوله الناس من
تشبيه الشجاع بالأسد ، والكريم بالغمام . وهذا القسم لا سرقة فيه ولا

1) الخفاجي ، 161 ؛ طالع قصيدة له تقع في ثمانية أبيات . **الديوان** ، (1) ، 214 ؛ (2) 37 .

حجر في أخذ معانيه لأنّ الناس في وجدانها ثابتة مرتسخة في خواطرهم سواء ولا فضل فيها لأحد على أحد إلاّ بحسن تأليف اللفظ . فإذا تساوى تأليفا الشاعرين في ذلك فإنّه يسمى الاشتراك ، وإن فضلت فيه عبارة المتأخّر عبارة المتقدّم فذلك الاستحقاق لأنّه استحقّ نسبة المعنى إليه بإجادته نظم العبارة عنه ، وإن قصّر فيه عمّن تقدّمه فذلك الانحطاط . 5

2 — **تنوير** : فأمّا القسم الثاني، وهي المعاني التي قلّت في أنفسها أو بالإضافة إلى كثرة غيرها فما كان بهذه الصفة فلا تسامح في التعرّض إلى شيء منه إلاّ بشروط : منها أن يركّب الشاعر على المعنى معنى آخر ، ومنها أن يزيد عليه زيادة حسنة ، ومنها أن ينقله إلى موضع أحقّ به من الموضع الذي هو فيه ؛ ومن ذلك أن يقلبه ويسلك به ضدّ ما سلك الأوّل، 10 ومن ذلك أن يركّب عليه عبارة أحسن من الأولى ، وذلك كتحسين الشمّاخ العبارة عن معنى قول بشر ابن أبي خازم : [الوافر — ق — المترادف]

إذَا مَا المَكْرُماتُ رفعن يوما وقصّرَ مبتغوها عَنْ مداها
وضاقت أذْرُعُ المثرين عنها سما أوس إليها فاحتواها (1)

فجاء الشمّاخ بهذا المعنى في عبارة أحسن من هذه وأوجز حيث يقول : 15 [الوافر — ق — المتواتر]

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجد تلقّاها عُرَابَةُ باليَمين (2)

فما وُجد فيه شرط / من هذه الشروط أو ما جرى مجراها فسائغة [72 — ب]

---

1) ورد ذكر هذين البيتين في الحديث عن الإيجاز والاشتراك . الخفاجي ، 205 .
2) البيت من قصيدة له يمدح بها عرابة بن أوس ، طالعها :
كلا يومي طوالة وصل أروى ظنون آن مطرح الظنون
الديوان ، 97 .

مجاذبة الشاعر فيه مَن تقدّمه . وما ليس داخلا تحت تلك الشروط وما جرى مجراها ممّا يزيد في المعنى زيادة مقبولة فهو سرقة محضة .

3 ــ **إضاءة** : وأمّا القسم الثالث وهو كلّ ما ندر من المعاني فلم يوجد له نظير ؛ وهذه هي المرتبة العليا في الشعر من جهة استنباط المعاني ، من بلغها فقد بلغ الغاية القصوى من ذلك . لأنّ ذلك يدلّ على نفاذ خاطره وتوقّد فكره حيث استنبط معنى غريبا واستخرج من مكامن الشعر سراً لطيفا . فإذا ساعدته العبارة في ذلك وكانت في شرف صنعتها (.....................) (1) والحسن الظاهر . وما كان بهذه الصفة فهو متحامى من الشعراء لقلّة الطمع في نيله إذ لا يكون المعنى من الغرابة والحسن بحيث مرّت العصور وتعاورت ذلك الموصوف الألسنة فلم تتغلغل الأفكار إلى مكمنه إلاّ وهو من ضيق المجال وبعد الغور بحيث لا يوجد التهدّي إلى مثله والتنبّه إلى مظنّة وجدانه في كل فكر . بل ذلك مقصور على بعض الأفكار وموجود لها في بعض الأحوال دون بعض .

4 ــ **تنوير** : والمعاني التي بهذه الصفة تسمّى العُقم ، لأنّها لا تلقح ولا تحصل عنها نتيجة ولا يقتدح منها ما يجري مجراها من المعاني . فلذلك تحاماها الشعراء وسلّموها لأصحابها . علما منهم أنّ من تعرّض لها مفتضح .

ألا ترى أنّهم عابُوا على ابن الرومي ــ وحظّه من الاختراع الحظّ الأوفر ــ تعرّضه لقول عنترة : [الكامل ــ ق ــ المتدارك]

وخلا الذبّابُ بها يُغَنّي وحده هزجا كفعل الشارب المترنّم

1) بياض بالأصل مقدار أربع كلمات .

غـرِدا يسِـنّ ذراعــه بـذراعــه قدحَ المكبِّ على الزناد الأجذم (1)

بقوله يصف روضة : [الطـويل – ق – المتدارك]

وغـرّد ربعيّ الذّبـاب خـِلاَلَهـا كما حثحث النشوان صنجا مشرّعا

فـكانت لهـا زِنـجُ الذبـاب هنـاكمْ على شدوات الطير ضربا موقّعا (2)

5 / على أنّ ابن الرومي قد نحا بالمعنى نحـوا آخر ، حين جعـل تغـريـد [73 – أ]
الذباب ضربا موقّعا على شدوات الطير . وهذا تخييل محرّك إلى ما قصـد
ابن الرومي تحريك النفـوس إليه وإيلاعهـا به . فمثـل هذه المعاني النادرة
إذا وقع فيها مثل قول ابن الرومي ووقع فيها زيادة مّا من جهة ، وإن كان
فيها تقصير من جهة أخرى ، يجب أن يُصفح عن قائليها في ما وقع لهم
10 من التقصير إذا وقع لهم بإزاء ذلك زيادة وإن كان ما قصّروا عنه أجل
ممّا زادوا . هذا إذا لم يـكن بين المقصّر عنه والمزيد تفاوت كبير .

5 – **إضــــاءة** : وأمّا من نقل المعنى النادر من غير زيادة فذلك من
أقبـح الـسرقات ، لأنّه تعرّض لسرقة ما لا يخفى على أحد أنّه سرقة .

6 – **تنــويــر** : ومَن أبرزَ المعنى النادرَ في عبارة أشرف من الأولى فقد
15 قاسم الأوّل الفضل ، إذ الفضل في اختراع المعنى للمتقدّم ، والفضل في
تحسين العبارة للمتأخّر . والقول الثاني الذي حسُنت فيه العبارة بلا شكّ

1) البيتان من قصيدتـه المعلقة :
هـل غـادر الشعـراء مـن متـردم أم هـل عـرفـت الدار بعـد توهـم
البيت الأول يروى : فليس ببارح بـدل يغني وحـده ، وغردا بـدل هزجا ، والبيـت الثانـي هزجا بدل غردا ويحك بدل يسن . **الـديـوان** ، 19 .

2) البيتان من قصيدة له في ذكر يوم طرد ولهو مع رفقة أنس ، طالعها :
بـكـيـت فلم تتـرك لعينك مدمعـا زمـانـا طـوى شرخ الشباب فودعـا
والبيت الاول في الشاهد يروى في **الـديـوان** خلاله بدل خلالها ، والبيت الثاني في الشاهد يروى في **الـديـوان** أرانين الذباب بدل زنـج الذباب . **الـديـوان** ، (1) ، 301 .

أفضلُ من الأوّل ، لأنّ المعنى لا يؤثّر فيه التقدّم ولا التأخّر شيئا ، وإنّما ترجع فضيلة التقدّم إلى القائل لا المقول فيه .

7 ــ **إضاءة** : فإن زاد المتأخّر على المتقدّم زيادة في المعنى مع تحسين اللفظ فقد استحقّ المعنى عليه كما استحق الطرمّاح معنى النابغة حين زاد عليه في قوله : [الكامل ــ ق ــ المتراكب] 5

مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٌّ أكارعُه
طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد (1)

بقوله : [الكامل ــ ق ــ المتراكب]

يبدو وتُضْمِرُه البلادُ كأنّه سيفٌ على شرف يسلّ ويغمَدُ (2)

فزاد الطرمّاح عليه أن جعله مسلولا في حال ظهوره مغمدا في حال إضمار البلاد له . 10

فمراتب الشعراء فيما يلمّون به من المعاني إذن أربعة : اختراع واستحقاق وشركة وسرقة . فالاختراع هو الغاية في الاستحسان ، والاستحقاق تال له ، والشركة منها ما يساوي الآخِر فيه الأوّل فهذا لا عيب فيه ، ومنها ما ينحطّ فيه الآخِر عن الأوّل فهذا معيب ، والسرقة كلّها معيبة وإن كان بعضها أشدّ قبحا من بعض . 15

---

1) البيت من معلقته ، وهي من عيون شعره ، مدح بها النعمان بعد ما جفاه ، طالعها :
يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد
الديوان ، 27 .

2) ورد البيت في أمثلة التشابيه المختارة . **الخفاجي** ، 238 .

المَباني

/ بسم الله الرحمن الرحيم   صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم تسليما   [73 — ب]

* * *

القسم الثالث في النظم وما تعرف به أحواله من حيث يكون ملائما للنفوس أو منافرا لها من قوانين البلاغة .

المنهج الأوّل في الإبانة عن قواعد الصناعة النظمية والمآخذ التي هي مداخل إليها ، وما تعتبر به أحوال الصنعة في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها . 5

أ — معلم دالّ على طرق العلم بقواعد الصناعة النظميّة التي عليها تقوم مباني النظم ؛ وبتصرّف الخواطر فيها على ما يجب ان تلتئم صناعة النظام الشعري على الكمال .

10 النظم صناعة آلتها الطبع . والطبع هو استكمال للنّفس في فهم (1) أسرار الكلام ، والبصيرة بالمذاهب والأغراض التي من شأن الكلام الشعري أن ينحى به نحوها ؛ فإذا أحاطت بذلك علما قويت على صوغ الكلام بحسبه عملا ، وكان النفوذ في مقاصد النظم وأغراضه وحسن التصرّف في مذاهبه وأنحائه إنّما يكونان بقوى فكريّة واهتداءات خاطريّة / تتفاوت   [74 — أ]
15 فيها أفكار الشعراء .

1) في هامش الأصل بخط الناسخ نفسه ما نصه : صور هيآت الكلام لفظا ومعنى . ويظهر أن هذا من نسخة أخرى قوبلت بالأصل .

فأول : تلك القوى وهي عشر : القوّة على التشبيه فيما لا يجري على السجيّة ولا يصدر عن قريحة بما يجري على السجيّة ويصدر عن قريحة.

الثانية : القوّة على تصوّر كلّيات الشعر والمقاصد الواقعة فيها والمعاني الواقعة في تلك المقاصد ليتوصّل بهذا إلى اختيار ما يجب لها من القوافي ولبناء فصول القصائد على ما يجب نحو ما أشرنا وما نشير إليه . 5

الثالثة : القوّة على تصوّر صورة للقصيدة تكون بها أحسنَ ما يمكن وكيف يكون إنشاؤها أفضلَ من جهة وضع بعض المعاني والأبيات والفصول من بعض ، بالنظر إلى صدر القصيدة ومنعطفها من نسيب إلى مدح ، وبالنظر إلى ما يجعل خاتمتها إن كانت محتاجة إلى شيء معيّن في ذلك .

10 **الرابعة** : القوّة على تخيّل المعاني بالشعور بها واجتلابها من جميع جهـاتهـا .

الخامسة : القوّة على ملاحظة الوجوه التي بها يقع التناسب بين المعاني وإيقـاع تلك النسب بينهـا .

السادسة : القوّة على التهدّي إلى العبارات الحسنة الوضع والدلالة على تلك المعـاني . 15

السابعة : القوّة على التحيّل في تسيير تلك العبارات متّزنة وبناء مباديها على نهاياتها ونهاياتها على مباديها .

الثامنة : القـوّة على الالتفـات من حيّـز إلى حيّـز والخـروج منه إليه والتوصّل بـه إليـه .

20 **التاسعة** : القوّة على تحسين وصل بعض الفصول ببعض والأبيات بعضها ببعض وإلصاق بعض الكلام ببعض على الوجـوه التـي لا تجـد النفـوس عنهـا نبـوة .

العاشرة : القوّة المائزة حسن الكلام من قبيحه بالنظر إلى نفس الكلام وبالنسبة إلى الموضع المُوقَع فيه الكلام . فقد يتّفق للشاعر أن ينظم بيتين قافيتهما واحدة فيكون أحدهما أحسن في نفسه والآخر أحسن بالنسبة إلى المحلّ الذي / يوقعه فيه من جهة لفظ أو معنى أو نظام أو أسلوب . [74 — ب]
5 في مثل هذا الموضع يصير المرجوح راجحا والمفضول فاضلا . وكثير ممّن ليست له هذه القوّة يُسقط أحسن ممّا يثبت بالنسبة إلى المحلّ .

١ — **إضــــاءة** : وللشعراء وذوي الدعوى في مشاركتهم أو وجود بعضها أو عدمها بالجملة ثلاث مراتب . فأهل المرتبة العليا هم الشعراء في الحقيقة . وأهل المرتبة السفلى غير شعراء في الحقيقة . وأهل المرتبة الوسطى
10 شعراء بالنسبة إلى من دونهم ، غير شعراء بالنسبة إلى من فوقهم .

فأمّا المرتبة الأولى فتشتمل على ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى : الذين حصلت لهم هذه القوى على الكمال في الجملة والكمال في بعض دون بعض .

الطبقة الثانية : من كان قسطه من جميع هذه القوى أو من أكثرها
15 متوسّطا أو غير بعيد من التوسّط .

الطبقة الثالثة : من كانت أقساطه ممّا حصل له من هذه القوى مع قلّتها غير عامّة في جميعها .

فالطبقة الأولى هم الذين يقوون على تصوّر كلّيات المقولات ومقاصدها ومعانيها بالقوّة قبل حصولها بالفعل . فيتأتّى لهم بذلك تمكّن القوافي
20 وحسن صور القصائد وجودة بناء بعضها على بعض .

والطبقة الثانية تتصوّر كثيرا من ذلك وإن لم تبلغ في ذلك مبلغ الطبقة الأولى ، فيتأتّى لها بذلك كثير ممّا تأتّى للأولى .

والطبقة الثالثة لا تتصوّر إلاّ القليل من ذلك كأوائل القصائد وصدورها وما يكون من مقاصد الشعر بمحلّ عناية من أنفسها ، فقد يتّفق لهذه الطبقة أيضا أن تبني الكلام والقوافي بناء حسنا .

2 ــ **تنـــويــر** : والمرتبة الثانية : من له أدنى تخيّل في المعاني وبعضُ دربة في إيراد عباراتها متّزنة ، وإن لم يكن له في القوى الباقية إلاّ ما يعتدّ به ، فنظم هذا منحطّ عن نظم من استكمل ما نقصه ومرتفع عن كلام / من لا تخيّل له في المعاني ولا دربة بالتأليف . [75 – أ]

3 ــ **إضـــــاءة** : والمرتبة الثالثة وهم الذين لا ينتسبون إلى هذه الصناعة بغير الدعوى : فمنهم طائفة لا تتقنّص ولكن تتلصّص ولا تتخيّل بل تتحيّل بالإغارة على معاني مَن تقدّمها وإبرازها في عبارات أخر ، والنمط الثاني لا يتخيّل ولا يتحيّل ولكن يُغير ويُغيِّر . والنمط الثالث وهم شرّ العالم نفوسا وأسقطهم همما وهم النقلة للألفاظ والمعاني على صورها في الموضع المنزل منه من غير أن يغيّروا في ذلك ما يعتدّ به .

ب ــ معرف دالّ على طرق المعرفة بكيفيات مآخذ الشعراء في نظم الكلام وإنشاء مبانيه وما يقدّمونه بين يدي ذلك من تصوّر أغراض القصائد والمقاصد اللائقة بتلك الأغراض وتصوّر المعاني المنتسبة إلى تلك المقاصد والمنتمية إليها وتصوّر العبارات اللائقة بجميع ذلك وإعمال الحيل في تقفيتها ووزنها والإعلام بما يتسبّبون به إلى درك البغية في جميع ذلك .

يجب للشاعر إذا أراد نظم شعر ــ وكان الزمانُ له منفسحا والخال مساعدة ــ أن يأخذ نفسه بوصيّة أبي تمّام الطائي لأبي عبادة البحتري في ذلك ويأتمّ به . فإنّها تضمّنت جملا مفيدة بما يحتاجُ إلى معرفته والعمل بحسبه صاحبُ هذه الصناعة .

قال أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري : « كنت في حداثتي أروم الشعر . وكنت أرجع فيه إلى طبع . ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضائه حتّى قصدت أبا تمّام وانقطعت فيه إليه واتّكلت في تعريفه عليه . فكان أوّل ما قال لي : « يا أبا / عبادة تخيّر الأوقات وأنت [75 — ب] قليل الهموم صفر من الغموم ، واعلم أنّ العادة في الأوقات أن يقصد 5 الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت السحر ، وذلك أنّ النفس قد أخذت حظّها من الراحة وقسطها من النوم . فإن أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا وأكثر فيه من بيان الصبابة وتوجّع الكآبة وقلق الأشواق ولوعة الفراق . وإذا أخذت في مدح سيد ذي أياد فأشهر مناقبه وأظهر مناسبه وأبن معالمه وشرّف مقاومه وتقاضَ المعاني واحذر 10 المجهول منها وإيّاك أن تشين شعرك بالألفاظ الزريّة . وكن كأنّك خيّاط يقطع الثياب على مقادير الأجسام . وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل إلاّ وأنت فارغ القلب واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة إلى حسن نظمه فإنّ الشهوة نعم المعين . وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين . فما استحسنَتْه العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد إن شاء الله 15 تعالى » (1) .

فقد تضمّنت هذه الوصيّة جملا ممّا يحتاج إليه في هذا الباب .

(1) وردت الوصيّة بقريب من هذا الوجه فيما نقله لنا زيدان ، ٢ ، 71. وبرواية اخرى مختلفة عن هذه بعض الاختلاف نصّها : « يا ابا عبادة تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم ، واعلم ان العادة في الاوقات اذا قصد الانسان تاليف شيء او حفظه أن يختار وقت السحر وذلك ان النفس تكون قد اخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخف عنها ثقل الغذاء وصفا من أكثر الابخرة والادخنة جسم الهواء وسكنت الغمائم ورقت النسائم وغنت الحمائم ، واذا شرعت في التاليف تغنّ بالشعر فان الغناء مضماره الذي يجري فيه ، واجتهد في ايضاح معانيه ، فان أردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقا ، والمعنى رشيقا ، وأكثر فيه من بيان الصبابة ، وتوجع الكآبة ، وقلق الاشواق ، ولوعة الفراق ، والتعلل باستنشاق النسائم ، وغناء الحمائم ، والبرق اللامعة ، والنجوم الطالعة ، والتبرّم من العذال والوقوف على الاطلال. واذا اخذت في مدح سيد فاشهر مناقبه ، واشهر مناسبه ، وارهب من عزائمه ، ورغّب في مكارمه . واحذر المجهول من المعاني وإياك أن تشين شعرك بالعبارة الزرية والالفاظ الوحشية ، وناسب بين الالفاظ والمعاني في تاليف الكلام ، وكن كانك خياط تقدر الثياب على مقادير الاجسام . واذا عارضك الضجر فأرحْ نفسك ولا تعمل الا وانت فارغ القلب ولا تنظم الا بشهوة . فان الشهوة نعم المعين على حسن النظم ، وجملة الحال ان تعتبر شعرك بما سلف من اشعار الماضين ، فما استحسن العلماء فاقصده وما استقبحوه فاجتنبه ». راجع النواجي ، مع . ابن عاشور ، و . 88 ب س 2 — و . 89 أ س 4 .

1 ـ **إضـــاءة** : وأنا أصل وصيّة أبي تمّام بما يكون تفصيلا لبعض ما أجمل فيها ، وتكميلا لما نقص منها . فأقول :

إنّ الناظم إذا اعتمد ما أمره به أبو تمام من اختيار الوقت المساعد وإجمام الخاطر والتعرّض للبواعث على قول الشعر والميل مع الخاطر كيف مال فحقيق عليه إذا قصد الرويّة أن يحضر مقصده في خياله وذهنه والمعاني 5 التي هي عمدة له بالنسبة إلى غرضه ومقصده ويتخيّلها تتبعا بالفكر في عبارات بدد ، ثمّ يلحظ ما وقع في جميع تلك العبارات أو أكثرها طرفا أو مهيّئا لأن يصير طرفا من الكلم المتماثلة المقاطع الصالحة لأن تقع في بناء قافية واحدة . ثمّ يضع الوزن والرويّ بحسبها لتكون قوافيه متمكّنة تابعة للمعاني لا متبوعة لها . 10

[76 ــ أ] 2 ـ **تنـويـر** : / ثمّ يقسّم المعاني والعبارات على الفصول ويبدأ منها بما يليق بمقصده أن يبدأ به ، ثمّ يتبعه من الفصول بما يليق أن يُتبعَه به ويستمرّ هكذا على الفصول فصلا فصلا ، ثمّ يشرع في نظم العبارات التي أحضرها في خاطره منثرة فيصيّرها موزونة إمّا بأن يبدل فيها كلمة مكان كلمة مرادفة لها أو بأن يزيد في الكلام ما تكون لزيادته 15 فائدة فيه أو بأن ينقص منه ما لا يخلّ به أو بأن يعدل من بعض تصاريف الكلمة إلى بعضها أو بأن يقدّم بعض الكلام ويؤخّر بعضا أو بأن يرتكب في الكلام أكثر من واحد من هذه الوجوه .

3 ـ **إضـــاءة** : ولا يخلو عروض الشعر من أن يكون طويلا أو قصيرا أو متوسطا : فأمّا الطويل فكثيرا ما يفضل مقداره عن المعاني 20 فيحتاج إلى الحشو ، وأمّا القصير فكثيرا ما يضيق عن المعاني ويقصر عنها فيحتاج إلى الاختصار والحذف ، وأمّا المتوسّط فكثيرا ما تقع فيه عبارات

المعاني مساوية لمقادير الأوزان فلا يفضل عنها ولا تفضل عنه فلا يحتاج فيه إلى حذف ولا حشو، لكنه يشارك الطويل والقصير في الاحتياج فيه إلى الوجوه الباقية وهي : العدل والبدل والتقديم والتأخير أو مجموع أكثر من واحد من ذلك .

5 4 – **تنوير** : وللأعاريض اعتبار من جهة ما تليق به من الأغراض واعتبار من جهة ما تليق به من أنماط النظم :

فمنها أعاريض فخمة رصينة تصلح لمقاصد الجدّ كالفخر ونحوه نحو عروض الطويل والبسيط وفئة (..) (1) وكثير من مقصّرات ما سواه من الأعاريض .

10 ومنها أعاريض تليق (..) (2) مقاصد التي تحتاج إلى جزالة نمط النظم يجب أن تنظم في سلك الأعاريض التي من شأن الكلام أن يكون نظمه فيها جزلا نحو عروض [الطويل] والكامل .

وأمّا المقاصد التي يقصد فيها إظهار الشجو والاكتئاب ، فقد تليق بها 15 الأعاريض التي فيها حنان ورقّة ، / وقلّما يخلو الكلام [الرقيق] من ضعف [76 – ب] مع ذلك ، لكنّ ما قصد به من الشعر هذا المقصد ، فمن شأنه أن يُصفَح فيه عن اعتبار القوّة والفخامة ، لأنّ المقصود بحسب هذا الغرض أن تُحاكى الحالُ الشاجية بما يناسبها من لفظ ونمط تأليف ووزن . فكانت الأعاريض التي بهذه الصفة غير منافية لهذا الغرض ، وذلك نحو المديد 20 والرمل . وسيأتي لهذا زيادة بيان (3) .

1) بياض مقدار ثلث سطر .
2) بياض مقدار نصف سطر .
3) راجع لهذا المعرف (د) من المنهج الثاني التابع لقسم المباني 265 – 270 .

5 ـ **إضـــاءة** : واعلم أنّ الخواطر إذا تصوّرت فصول القصائد ومعانيها قبل الشروع في النظم ، وقامت بها العبارات عن تلك المعاني قياما وهميّا متخيّلا . فقد يوجد في عبارة عبارة منها كلم يصلح أن تقع قوافي تكون كلّ عبارة منها فيها كلمة في كلّ ما عداها من العبارات كلمة تماثلها في المقطع . ويوجد فيها أيضا كلم مغايرة مقاطعها المتماثلة لمقاطع الأول 5 ولا تبلغ الثواني مبلغ الأول في الكثرة . ويوجد فيها أيضا كلم لها مقطع ثالث إلاّ أنّها في قليل من تلك العبارات .

6 ـ **تنـويـر** : فللشعراء بالنظر إلى ما يجب في المطالع وما يجب في القوافي ، وبالنظر إلى ملاحظة ما يجب فيها ثلاثة مذاهب :

10 أحدها مذهب المعتنين بالمبادي . وهو أن يجعل مبدأ كلامه دالا على مقصده ، ويفتتح القول بما هو عمدة في غرضه ، وينظر في العبارة عن ذلك المعنى أصلحَ لفظة منها بالقافية ؛ فإن كان مقطعها مماثلا لما تكاثر في معاني القصيدة من المقاطع المتماثلة حصلت له البغية في المبدأ والقوافي وتمكّن ممّا أراد ، وإن كان المقطع في المبدأ مماثلا للمقاطع المتوسّطة في 15 مستأنف العبارات عن معاني القصيدة حصل له أيضا كثير ممّا أراد واحتال في ما لم يكن فيه من العبارات ما يماثل مقطع المبدأ باجتلاب ما يماثله على جهة إلحاقه بالعبارة ويتحرّى أن يكون ذلك مفيدا ، فإن لم يماثل مقطع المبدأ إلاّ المقاطع / التي وقعت قليلة في العبارات احتال في وصل ما عزّ فيه [77 ـ أ] وجود المقطع بما يوجد فيه وتحرّى الإفادة والبعد عن التكلّف ما استطاع 20 وأبدل مكان بعض المعاني التي كان يريد أن يقولها معاني مناسبة لها في ما وقع فيها عمدة أو فضلة مفيدة مقطع مماثل لمقطع المبدإ وحذف ما لم يجد منه بدلا ، فهـذا مذهب .

7 — **إضـــــاءة** : والمذهب الثاني من آثر بنية الرويّ على ما تكاثر من المقاطع وافتتح بعمدة غرضه . فإن كان في العبارة ما يماثل مقطع الرويّ حصلت البغية . وإن لم يكن ذلك في العبارة احتال في تذييل العبارة بما يماثل مقاطع الرويّ إن أمكنه ذلك وتحرّى الإفادة فيما ذيّل به والبعد عن 5 التكلّف أو عدل إلى معنى يناسب ذلك المعنى ممّا يتيسّر له فيه وجود المقطع الموافق . فإن أعوزه ذلك ركب أحد مركبين : إمّا أن يبدأ بأيّ معنى اتفق ممّا يتفق فيه وجود الرويّ متمكّنا . وإمّا أن يترك التصريع ويفتتح بعمدة غرضه كيفما حضرته العبارة ولو واقعا في أوّلها الخَزْم . وبهذا المذهب كان الفرزدق يكمل نحو قوله : [الطويل — ق — المتدارك]

10 مِنّا الذي اخْتُيِّرَ الرجالَ سماحةً
وجُودا إذا هَبَّ الرياحُ الزعازعُ (1)

8 — **تنـويـر** : والمذهب الثالث : أن يرجّح المبدأ على القوافي في ما كانت فيه المقاطع متوسّطة بين الكثرة والقلّة ، ويرجّح القوافي على المبدإ حيث تقلّ المقاطع .

15 9 — **إضـــــاءة** : واعلم أنّ للشعراء في تَهَدِّيهم إلى العبارات التي ترد على الأفكار أوّلَ ما ترد عليها متّزنةً منطبعةً على مقدار الكلام المقفى ومقطعه وإلى العبارة التي ليست توجد أوّل ورودها على الأفكار متّزنة منطبعة على ما يراد صوغ الكلام بحسبه . لكن توجد قابلة لأدنى تغيير يصيّرها منطبعة على ما يراد من ذلك . مراتب ثلاثا : الأولى أن

1) يروى البيت بلفظ وخيرا بدل وجودا ، وهو طالع قصيدة نقيضة لقصيدة جرير التي أولها :
ذكرت وصال البيض والشيب شائع   ودار الصبا من عهدهن بلاقع
الفرزدق ، ٢ : 516

[77 ــ ب] تـكون قوّة الشاعر الناظمة في أكثر أمرها لا تلاحظ / ما يصلح أن يـكون عبـارة عن المعنى ممّا ذمّـة الذكـر به مليّـة عند اقتضائهـا إيّاه أوّل ملاحظتها إلاّ على الهيئات التي تـكون نقل الحركات والسكنات فيها بحسب ما يقتضيه الوزن الذي يريد بناء كلامه عليه فيولج به الخاطر إلى اللسان 5 مـوزونـا .

10 ــ **تنــويــر** : وقد تقصر هذه القوّة التي بهذه الصفة عن هذه الدرجة في كثير من المواضع . وذلك يـكون لعوادي ثمان تعرض : أربـع منهـا راجعة إلى الشاعر ، وأربـع راجعة إلى نفس الشعر .

فأمّا ما يرجع إلى الشاعر من ذلك فمنها :

10 ــ 1 ــ أن يـكـون بالخـاطـر كسل فلا تـسمو تلك القـوّة معه سموّها مـع النشـاط .

ــ 2 ــ وإمّا أن يـكون الخاطر قد شغله تلفّت إلى غير الغرض الذي هو آخذ في صوغ العبارة له . وعاقه ذلك عن تسليط تلك القوّة عن ضروب ما يقوم فيه من العبارات المتخيّلة وإمرارها على ضرب ضرب 15 منها حتّى تميّز القوة بعرض جميعها (.....................) (1) حركاته وسكناته ومستمرّة على ما يجب في ما بنـي الـكلام عليه من الأوزان ممّا ليس التركيب في حركاته وسكناته كذلك (...) (2) إذ ذاك من التصوّر الذهنيّ إلى التلفّظ اللساني كامل (........) (3) وذلك التلفّت منه يـكون إمّا إلى جهة معنى يسنح له ، وإمّا إلى جهة معنى قد

1) بيـاض بـالأصـل مقـدار كلمتيـن .
2) بيـاض نحـو سطـر .
3) بيـاض مقـدار كلمـة .

قدّمه فيسنح له فيما يتعلّق به أو بالعبارة عنه ما يرفع قبحا ويضاعف حسنا. فينتهز الخاطر الفرصة في تحصيله . في حال الانصراف إلى محلّ الالتفات تتوافق القوّة الناظمة عمّا كانت بسبيله من تصفّح العبارة المستمرّة الحركات والسكنات على منهاج الوزن الذي بني الكلام عليه والتغلغل إلى استخراجها
5 من غمار العبارات غير المتّزنة .

3 . وإمّا أن يدركه سهو . فينصرف عن الوزن الذي هو آخذ فيه إلى وزن يقاربه على سبيل الغلط . فيكون الخاطر غير آنس بالوزن الذي خرج إليه ولا / ولع بالاستمرار على ما لم يتقدّم له إلف له ولا سلف [78 — أ]
له عمل فيه . من شأن النفس أن تحرص على إتمامه . ولا استثارَ فائدةً
10 فيه ولَعُه بما قد ألفَه وتقدّمَ له عمل فيه يشتاق إلى إتمامه . فلا ينبعث الخاطر بالقوّة انبعاثا يمكّنها من ملاحظة مّا وضعَه من العبارات موافق لوزن المبني بديها . فيتعذّر على هذا صوغُ الكلام بحسب الوزن المخرج إليه السهو . ولو لم يتعذّر على هذا التقدير أيضا لم يحصل للناظم البغيةُ ممّا أراد من الوزن الأوّل . فوقوع مثل هذا الغلط عائق عن وزن الكلام
15 بحسب العروض المقصود بالقصد الأوّل على كلّ حال . وأكثر ما يقع هذا الغلط للفكر أيضا إذا نال منه الكدّ والكسل . وإن كان هذا إنّما يعرض في الأقلّ . وفي الأوزان المتشابهة نحو مجزوّ الوافر والهزج .

11 — **إضـــاءة** : ولا يعتاصُ وزن الكلام على المطبوعين إلاّ حيث يريدون تضمين المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة ، أو حيث يريدون صوغ
20 الكلام على هيئات بديعة يحتاج فيها إلى إمرار الفكر على الألفاظ التي يحدس أنّ ذلك متأتّ فيها وإلى التنقيب عمّا يهيّء الكلام بتلك الهيئة من ضروب الترتيبات والوضع . فأمّا في ما سوى ذلك فالوزن أيسر شيء على من له أدنى بروع في هذه الصناعة .

12 — **تنـــويـــر** : ولما ذكرته من انبعـاث الخاطـر وولعـه بما قد ألفـه واستثار الفوائد فيه فهو يحرص على إتمامه ما لا يُولع بما لم يألفه ولا تقدّمت له استثارة فائدة فيه قد يعتاص القول على الشاعر في مبادىء القصائد وصدورها ويتيسّر في أوساطها وأعجازها . هذا على كونه في المبادىء أجمّ خاطرا وأشدّ تمكّنا من القوافي . 5

[78 — ب] 13 — **إضـــاءة** : / — 4 — والسبب الرابع من عوادي الشاعر عن التسرّع في وزن الكلام أن تكون مواد العبارات في الذكر قليلة فيعزّ وجود ما يجيء من العبارات عفوا من غير احتيال ولا تـكلّف لذلك .

14 — **تنـــويـــر** : وأمّا ما يرجع إلى الشعر فمن ذلك :

— 1 — أن يكون قدر الوزن فوق قدر المعنى . فيحتاج إلى إعمال الحيلة 10 في ما يستحسن من الحشو ، أو من المعـاني التي يـكون في اقترانها بالمعنى المقصود بالقصد الأوّل تحسين للكلام وإبداع في حسن وضعه ونسقه وترتيب بعضه من بعض ، فيَقلّ أيضا وجود ما يجيء من العبارات عفوا على هذه الصفـة .

— 2 — أو يكون قدر المعنى فـوق قـدر الـوزن فيحتـاج إلى الحـذف 15 والاختصـار .

— 3 — أو يكون المعنى دقيقا داعيا إلى إيراد العبارة عنه على صورة يقلّ ورودها عفـوا .

— 4 — أو يكون المعنى من المعاني التي العبارات عنها قليلة في اللّسان ، فلا يتمكّن الخاطر من إيرادها موزونة إلاّ بتعمّل ومحاولة أو يكون للشاعر 20 اختيارُ أن يورد المعنى في عبارة مخصوصة لـكونها بارعة في نفسـها أو بالنسبة إلى ما يليهـا .

15 — **إضـــاءة** : والمرتبة الثانية من ليس له قوّة على إحضار العبارة متّزنة على البديهة إلاّ في قليل من المواضع ، بل يحضر العبارات بحيث تقبل التغيير والتصيير إلى الوزن المقصود بأدنى سعي .

16 — **تنـويـر** : والمرتبة الثالثة من لا يستطيع على إحضار العبارات متّزنة أوّل إحضارها . ويحضرُها مع ذلك غير قابلة التغيير إلى الوزن إلا بكدّ وتعب . 5

17 — **إضـــاءة** : وكذلك القول في ردّ غير الموزون إلى الوزن بأحد التغييرات ، تتفاوت [القدرة] أيضا في الشعراء . فمنهم من يلوح له التغيير الممكن في العبارة بيسر . ومنهم من يلوح له ذلك ببطء ، ومنهم من يقع في ذلك بين الطرفين . 10

وقد قدّمت أنّ ضروب التغييرات التي تصيّر غير الموزون متّزنا هي : إسكان متحرّك أو تحريك ساكن / أو زيادة في اللفظ أو نقص منه أو عدل صيغة إلى أخرى أو تقديم وتأخير أو إبدال لفظة مكان أخرى أو اجتماع أكثر من واحد من هذه التغييرات . [79 — أ]

18 — **تنـويـر** : واعلم أن ذا القوّة القويّة على النظم قد يوجد أبطأ في القول من ذي القوّة التي ليست متناهية ، وذلك إذا قصد إبعاد الغاية في الرويّة والتنقيح فتطلّب المعاني الشريفة ونزع بها المنازع اللطيفة وجهد في إبرازها من العبارات في صور بديعة ؛ فيحتاج في كلّ ذلك إلى تنقيب وفحص ويحتاج معهما في قليل القول إلى كثير الزمان . فأمّا إذا كان ذو القوّة الفائقة آخذا في مثل نمط ذي القوّة القاصرة من الكلام فإنّ الأقوى قوّة منهما يُربي على الأضعف في سرعة القول ، ويكون التفاوت بينهما في ذلك على قدر ما بينهما من التفاوت في القوّة . فربّما نظم الأقوى 15 20

الثلاثين بيتا فما فوقها خلال ما ينظم الأضعف عشرة الأبيات فما دونها . بل قد يربي عليه إرباء أكثر من هذا .

19 — **إضاءة** : والعوام ومن جرى مجراهم ممّن لم يَحْلَ من هذه الصناعة بطائل يغلطُ في هذا فينسبون سرعةَ الخاطر إلى الشاعر فيما لا يجب فيه أن ينسب إلى السرعة ، وينسبون إليه الإبطاء فيما لا يجب فيه أن ينسب إليه بطء .

ومن هذا ما حكي من أنّ أبا العتاهية قال لشاعر كان قدم مع المأمون من خراسان : « في كم تصنع القصيدة ؟ » . فقال له : « قد أصنع القصيدة تبلغ ثلاثين بيتا في شهر » . فقال أبو العتاهية : « أما إنّي لأُملي على الجارية من ليلتي خمسمائة بيت » . فقال له الخراساني : « أمّا مثل قولك : [الهزج — ق — المتواتر]

الا يا عُتبة الساعة أموتُ الساعة الساعة (1)

فإنّي أملي منه ألف بيت إذا شئت » . فانقطع أبو العتاهية وضحك الحاضرون منه .

20 — **تنوير** : ويجب ألاّ يقتصر على ما للقوّة الناظمة من سليم الذوق / وما يصحّ فيه دون ما يصحّ في العروض . وألاّ ينظم الكلام [79 — ب] إلاّ بحسب ما يصحّ فيهما معا ليكون كلامه مع كونه جاريا على أوضح طرق المناسبات موافقا لكلام العرب في جميع ذلك .

21 — **إضاءة** : وأحوال كلّ واحدة من الطبقات الثلاثة المتقدّم ذكرهم قد تختلف في السرعة في جميع ذلك والإبطاء بحسب ما تكون

1) المرزباني ، 255 .

عليه الخواطر من نشاط أو كسل أو حال بين الحالين ، وبحسب ما تكون عليه دواعي الأفكار إلى استعمال الأقاويل الشعرية وإنشائها والأسباب البواعث على ذلك من توفّر أو غير ذلك .

ج ـ معلم دالّ على طرق العلم بكيفيّة العمل في المروّى والمرتجل .

5 ومآخذ القول في الارتجال قريبة سهلة لكون ضيق الوقت يمنع من بعد المذهب في ذلك . ولا يخلو الارتجال من أن يكون مستقصًى فيه ما كان من صفات الشيء المقول فيه لائقا بغرض القول أو غيرَ مستقصى . وكلاهما لا يخلو من أن يكون مقرونا فيه بين المعاني المتعلّقة بالشيء الموصوف وبين معان أخر يكون لها به علقة ولها إليه نسبة على سبيل تشبيه
10 أو إحالة أو تعليل أو تتميم أو غير ذلك ممّا يكون به بعض المعاني بسبب من بعض ، أو تكون المعاني المتعلّقة بالشيء الموصوف غير مقترن بها شيء من المعاني . .

فأقاويل البديهة إذن أربعة أنماط : — 1 — قول مستقصى مقترن ، — 2 — ومستقصى غير مقترن ، — 3 — ومقترن غير مستقصى ، — 4 — وغير
15 مستقصى ولا مقترن .

وأفضلها الأوّل وأدناها الآخر . فعلى أحد هذه الأربعة الأنحاء يتخيّل المرتجل ما يريد أن يقوله في وصف الشيء ثمّ يأخذ في نظم ذلك الشيء على النحو الذي تقدّم ذكره وعلى ما نقوله بعد إن شاء الله . ويتسامح في كثير ممّا يتأنّق فيه المروّي / ويقبل كثيرا ممّا لا يقبله المهذّب المنقّح [80 — أ]
20 لضيق الوقت عليه واتساعه على ذلك .

1 ـ **إضـــاءة** : فأمّا الرويّة فإنّ المباحث فيها كثيرة والمذاهب فيها بعيدة لكون الزمان فيها يتّسع لطلب الغايات المستطاعة من بناء الكلام على ما قدّمته من أصناف محاسن الألفاظ والمعاني وإبداع النظم والتأنّق في إحكام الأسلوب . والذي يدخل في الرويّة من تلك الأنماط ثلاثة وهي : المستقصى المقترن والمقترن غير المستقصى والمستقصى غير المقترن . 5

والنمط الأوّل هو العريق في طريق الرويّة . وإذا حقّق القول وجد المستقصى المقترن قليل الوقوع في الارتجال . فأنماط الارتجال أيضا كأنّها إذا حقّقت ثلاثة . وهي ما عدا المستقصى المقترن .

2 ـ **تنـويـر** : وللشاعر المروّي في كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة أربعة مواطن للبحث : ـ 1 ـ موطن قبل الشروع في النّظم ، ـ 2 ـ وموطن في حال الشروع ، ـ 3 ـ وموطن عند الفراغ ، يبحث فيه عمّا هو راجع إلى النظم ، ـ 4 ـ وموطن بعد ذلك متراخ عن زمان القول يبحث فيه عن معان خارجة عمّا وقع في النظم لتكمل بها المعاني الواقعة في النظم وتستوفى بها أركان الأغراض ويكمل التئام المقاصد . 10

فأمّا الموطن الأوّل فالغناء [فيه] لقوّة التخيّل . 15

والموطن الثاني الغناء فيه للقوّة الناظمة . ويُعينها حفظُ اللغة وحسنُ التصرّف .

والموطن الثالث الغناء فيه للقوّة الملاحظة كُل نحو من الأنحاء التي يمكن أن يتغيّر الكلام إليها ، ويعينُها حفظُ اللغة أيضا وجودةُ التصرّف والبصيرةُ بطرق اعتبار بعض الألفاظ والمعاني من بعض . 20

والموطن الرابع الغناء فيه للقوّة المستقصية الملتفِتة ، ويعينها حفظُ المعاني والتواريخ وضروب المعارف .

3 — **إضـــاءة** : وبعد استقصاء وجوه المباحث في هذه المواطن الأربعة وكمال انتظام القصيدة المروّاة ، قد يعرضها الناظمُ / على نفسه ، فيظهر [80 — ب] له بعرضها أمور كانت قد خفيت عنه من إلحاقات وإبدالات وتغييرات وحذف . وقد يعرض للشاعر موضع يرى أنّه خليق بالتغيير أو الزيادة فيتعذّر عليه ما يليق بالموضع من التغيير أو الزيادة فيرجيء النظر فيه إلى وقت آخر . 5

وقد يعاود النظر في ذلك المرار الكثيرة فلا يتيسّر له ما يريد إلاّ بعد معاودات كثيرة قد تطرأ عليه معاودة النظر (.....................................) (1) إلى كتب القصيدة . وربّما كان غير ملتفت إلى إصلاح ذلك الخلـل (.............................) (2) ونشأ مع فكره (......................) (3) إعمال خاطر في ذلك . فيغتنم الفرصة إذّاك في إصلاح ذا (.........) (4) وشأن الخواطر في هـذا عجيب . 10

4 — **تنـويـر** : ومن أصحاب الرويّة من يجهد في استجداد العبارات (............) (5) والتـأنّق فيها من جهة الوضع والترتيب . ومنهم من لا يستجدّ ولا يتـأنّق . ومنهم من يستجدّ العبارة دون المعنى أو المعنى دون العبارة . ومن يتأنّق في العبارة دون المعنى أو المعنى دون العبارة . 15

فأمّا من لا يستجدّ ولا يتـأنّق فيهْ فليس يصدر عن مطبوع بروية .

وأعني بالاستجداد الجهدَ في ألاّ يواطيء من قبله في مجموع عبارة أو جملة معنى . وبالتـأنّق طَلَبَ الغاية القصوى من الإبداع في وضع بعض

1) بيـاض بلا صـر مقـدار خمس كلمـات .
2) بيـاض مقـدار ثلاث كلمـات .
3) بيـاض مقـدار كلمتيـن .
4) بيـاض مقـدار كلمـة .
5) بياض مقدار كلمة .

أجزاء العبارات والمعاني من بعض وتحسين هيئات الـكلام في جميع ذلك. فإنّ العبارة إذا استجدّت مادتها وتـأنّق الناظم في تحسين الهيأة التأليفيّة فيهـا وقعت من النفـوس أحسن مـوقـع . وكـذلك الحـال في المعـانـي ، فتـأمّـل ذلك .

د ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بـكيفيّة التصرّف في مقاصد الشعر وجهـاتـه . 5

وجهات الأقاويل الشعريّة هي ما يـكون الـكلام منوطا به من الأشيـاء المقصود وصفها أو الإخبار عنها . والجهات ضربان :

[81 ـ أ] ضرب يقع في الـكلام / مقصودا لنفسه . وهو ما كان له بالغرض المقول فيه علقة وله إليه انتساب بوجه يوجب ذكره . 10

والصنف الثاني ما لم يـكن له بالغرض علقة ، ولـكن له علقة ببعض الجهات المتعلّقة بالغرض ، فيذكر تابعا لما ذكر معتمدا على جهة إحالة أو محاكاة أو غير ذلك ؛ وقد يـكون له بالغرض علقة إلاّ أنّه لم يذكر إلاّ من حيث ما هو تابع لغيره ومتعلّق به .

1 ـ **إضـــاءة** : وكانت للأوائل عناية بتعليق الأوصاف بهذه الجهات 15 الثواني . وذلك حيث يـكون في قوّة الـكلام أن يعود من الأوصاف المتعلّقة بالثواني ما يفيد مبالغة أو غير ذلك في الجهات الأوّل .

2 ـ **تنـويـر** : واعلم أنّ الشعراء تتفاوت طبقاتهم في التصرّف في الجهات الأُوَل ، وتتفاوت في الجهات الثواني . والتفاوت في الثواني أكثر ، لأنّ الجهات الأُوَل يمكن حصرها في كلّ فنّ ، وأمّا الجهات الثـوانـي 20

فقلّما يتأتّى حصرها لكثرة ما يمكن أن يستطرد من الشيء إليه أو يحال به عليه أو يحاكى به أو يعلّق على الجملة به لنسبة في المعنى تقتضي ذلك . فإذا كانت الجهة الواحدة من الأُوَل يمكن أن يناط بها جهات ثوان كثيرة على أنحاء من الاستدراج والاستطراد وما جرى مجرى ذلك من أنحاء 5 الانتقالات المتنوّعة بتنوّع المقاصد ، وكان كلُّ نحوٍ من ذلك ممكنا أن يذهب فيه إلى ضروب كثيرة من الهيئات الحاصلة عن الترتيب الذهني وعن النسب الواقعة بين بعض المعاني وبعض ، صارت الصورُ الحاصلة عن جميع ذلك في تشفيع معاني الجهات الأُوَل بمعاني الثواني وإردافها بها كثيرةَ التشعّب بعيدةً عن الحصر . وعِظَمُ التفاوت بين الشعراء في مقدار 10 التصرّف في ذلك . وإذا كانوا يتفاوتون في مقدار التصرّف في الجهات الممكن حصرها فهم أجدر بالتفاوت فيما يبعد على الحصر .

3 — **إضـــاءة** : فأمّا تصرّفهم في الجهات الأول فمنهم من يقتصر / على [81 — ب] الجهات الأكيدة في الغرض ، ومنهم من يزيد إلى ذلك جهات هي أبعد من غرض الكلام من الجهات المقتصر عليها . ومنهم من لا يستوفي جميع الجهات الأكيدة ويقتصر على ما تيسّر له منها . فهذا نوع من التصرّف .

15 4 — **تنـويـر** : وهناك تصرّف ثان . وهو مقدار ما يتصوّره الشاعر من معاني الجهة . والشعراء في ذلك ثلاث طبقات : منهم من في قوّته أن يستقصي معاني الجهة إذا شاء ، ومنهم من لا يبلغ إلى الاستقصاء ويأتي من ذلك بمقدار كاف . ومنهم من يقصُر عن المقدار الكافي .

5 — **إضـــاءة** : وهناك تصرّف ثالث . وهو ملاحظة ما في الجهة التي 20 عدمت فيها صفات الحسن أو قلّت من الأوصاف التي يرى أنّها حسنة حقيقة أو تمويها ، وملاحظة ما في الجهة التي عدمت فيها صفات القبح أو

قلّت من الأوصاف التي يرى أنّها قبيحة حقيقة أو تمويها ، يقصد بذلك تحسين القبح وتقبيح الحسن . ويتمكّن من هذا الغرض من حصل لـه التصرّف في الأُوَل والتصرّف في الثواني والتصرّف في الجمع بين الأُوَل والثـواني .

5 6 — **تنـويـر** : والشعراء يختلفون أيضا في هذا : فمنهم من يقوى على حشر ما يمكن أن يوصف به الشيء الحسن من صفة يرى أنّها قبيحة حقيقة أو تمويها . وما يمكن أن يوصف به القبيح من صفة يرى أنّها حسنة حقيقة أو تمويها . ومنهم من لا يتهدّى إلاّ إلى الشيء القليل من ذلك . ومنهم من يتوسط بين الطرفين .

10 وهذا النوع من المقاصد من مجالات الشعر الضيّقة . وكان أقوى الناس عارضة وأكثرهم تصرّفا في هذا ابن الرومي . واعتبر قوّته على ذلك بما قال في صفة السوداء في الشعر الذي يقول فيه : [المنسرح — ق — المتراكب]

أكسبَها الحُبَّ أنّهـا صُبِغَـتْ صِبْغَةَ حَبِّ القلوب والحَدَقِ (1)

[82 — أ] وبمـا قال في النرجس والورد وبتحسينـه التصابي في حال المشيب / بشعره الذي أوّله : [الخفيف — ق — المتواتر] 15

لاح شَيْبي فظَلْتُ أَمْرَحُ فيــه مرَحَ الطِّرْف في اللِّجام المُحلّى(2)

ونحـو من ذلك حسنُ تصرّفـه في الشعر الذي رثى فيه بعض القيان ، وهو الذي يقول فيه : [الخفيف — ق — المتراكب]

يشفـع الحورُ فيـه أنّـكِ منهـ نّ بذاك الـدَّلاَل والحَوَرِ (3)

1) البيت من قصيدة طويلة وقع التنبيه عليها ، ولا توجد في القسم المطبوع من الديوان . انظر العبـاسي ، (2) ، ٢ ، 69 .

2) يروى البيت بلفظ فرحت بدل فظلت والعذار بدل اللجام ، وهو طالع مقطوعة صغيرة في الشيب والشباب . **الديـوان** ، (1) ، 26 .

3) البيت من فـرائد المنهاج .

7 — **إضـــاءة** : والتصرّف في الثواني يتفاوت الشعراء فيه بحسب توفّر حظّ كلّ واحد منهم في القوى المتخيّلة والشاعرة بالمناسبات الواقعة بين بعض المعاني وبعض المتهدّية لأنحاء الانتقالات من الأُوَل إلى الثواني والوجوه التي يكون بها بعضها من بعض بسبب من حيث كان تعليق المعنى
5 الثاني بالأوّل إنّما يكون على هذه الأنحاء : فمنهم من حظّه أوفرُ الحظوظ من ذلك ، ومنهم من حظّه أدنى الحظوظ ، ومنهم وسط بين الطرفين .

8 — **تنـويـر** : ومن الشعراء من يحسن القول في جهة واحدة ولا يحسن أن يردف قوله في جهة بقوله في جهة وأن ينتقل من إحداهما إلى الأخرى انتقالا لطيفا ، ومنهم من يحسن إرداف الجهة بالجهة المناسبة لها
10 ولا يحسن إردافها بما لا يناسبها فلا تتأتّى النقلة لذلك من إحداهما إلى الأخرى إلاّ بمآخذ في الانتقالات لطيفة ومنازع في الالتفاتات بديعة ، ومنهم من يحسن إرداف الجهات بالجهات في جميع ذلك .

وطبقات الشعراء في الإحسان في كلّ ذلك تتفاوت بحسب ما تكون عليه أفكارهم من التهدّي إلى ضروب الانتقالات وأنحاء الالتفاتات .

15 9 — **إضـــاءة** : وللشعراء مذاهب في ما يعتمدون إيقاعه في الجهات التي يعتمدون فيها القول من الأنحاء المستحسنة في الكلام كالأوصاف والتشبيهات والحكم والتواريخ . فقلّ ما يشذّ من مستحسن الكلام عن هذه الأنحاء الأربعة شيء .

فمنهم من تشتدّ عنايته بالأوصاف / كالبحتري ، وبالتشبيه كابن المعتزّ، [82 — ب]
20 وبالأمثال كالمتنبّي ، وبالتواريخ كابن درّاج القسطلّي .

ومنهم من يتوفّر قسطه من جميع ذلك كأبي تمّام ، وإن كان غيرُه أشفّ منه في التشبيه والحكم .

ولابن الرومي في الإحاطة بالأوصاف والتشبيهات المجال المتّسع ، وابنُ درّاج أيضا في الأوصاف والتشبيهات متّسع المجال .

10 ـ **تنـويـر** : فأمّا الأوصاف فتقتبس من الجهات التي القول فيها . وأمّا التواريـخ فتقتبس من غير الجهة التي فيها القول . وأمّا التشبيهـات والحكم فتارة تقتبس من الجهة التي فيها القول وتارة تقتبس من جهة ثانية . 5

وأنا أذكر ما تتنوّع إليه هذه الأجناس الأربعة ذكرا إجماليا على سبيل الإشـارة .

11 ـ **إضـاءة** : أمّـا الأوصاف فإنّهـا تتنـوّع إلى وصف مطلق ، وإضافيّ ، وشرطيّ ، وفرضيّ . ولكل واحد منها مواضع يليق بها ولا يصلح فيها غيره . وقد تقدّم (1) التعريف بجملة من أحكام الأوصاف 10 وكيفيات التصرّف فيها يمكن أن تعرف بها ما جرى مجراها . فكان ذلك مغنيا عن أنّ نشغل هذا الموضع بإعادة الكلام في ذلك .

12 ـ **تنـويـر** : وأمّا التشبيهات فمنها ما يتعلّق الشبه فيه بالصور والخلق ومنها ما يتعلّق الشبه فيه بالأفعال والصفات . وكلا التشبيهين لا يخلو من أن يكون تشبيه الشيء فيه بما هو من نوعه أو بما هو من جنسه الأقرب 15 أو بما هو من جنسه الأبعد أو بما ليس من جنسه .

وتشبيه الشيء بالشيء يكون بأن يتّفق معه في صفة تكون في أحدهما على حدّها في الآخر أو بنسبة منها أو في أكثر من صفة ، فأمّا أن يتفق معه في جميع الصفات فلا يمكن ، وإلاّ فكان يلزم لو اتفق معه في جميع ذلك أن يكون حقيقة هذا حقيقة ذلك من جميع الجهات وذلك غير ممكن. 20

1) راجع جملة من أحكام الأوصاف تضمنها المعرف (و) المنهج الثالث لقسم المعاني 98 – 111 .

وقد تقدّم التعريف بأنحاء التشبيهات وأحكامها وكيفيات التصرّف (1) فلا معنى / لإعادته أيضا . [83 – أ]

13 – **إضـــاءة** : وأما التواريخ والقصص فإمّا أن تكون الإحالة فيها إحالة تذكرة أو إحالة محاكاة أو مفاضلة أو إضراب أو إضافة ؛ وقد تكون 5 من جهات أخر غير هذه .

وقد تقدّمت الإشارة إلى جمل من الأمور التي بها يتسبّب إلى ذكر الأخبار الماضية والقصص السالفة فليتأمّل القول في ذلك هنالك . (2)

14 – **تنـويـر** : وأمّا الحكم والأمثال فإمّا أن تكون الأخبار فيها بجري الأمور على المعتاد فيها وإمّا بزوالها في وقت عن المعتاد على جهة 10 الغرابة والندور أو الندور فقط لتوطّن النفوس بذلك على ما لا يمكنها التحرّز منه أو لا يحسن بها التحرّز من ذلك ، ولتحذر ممّا يمكنها التحرّز منه ويحسن بها ذلك ، ولترغب فيما يجب أن ترغب فيه وترهب ممّا يجب أن ترهبه ، وليقرب عندها ما تستبعده ويبعد لديها ما تستقربه ، وليتَبيّنَ لها أسباب الأمور وجهات اتفاقات البديعة الاتّفاق منها .

15 فهذه قوانين في الحكم والأمثال قلّما يشذّ عنها من جزئياتها شيء . وقد أجملت القول فيها إجمالا ، إذ لم يمكن تفصيله في هذا الموضع ، إذ للكلام في تفريع الأمثال المترتّبة عن هذه الأصول الكليّات مجال متّسع . وجريت في ذلك على ما اعتمدته في جميع جهات الكلام والنظر في هذه القوانين الكلّيّة عن تتبّع جزئياتها .

---

1) راجع 111 – 116 .
2) راجع لذلك 39 ، 105 .

هـ ـ معلم دالّ على طرق العلم بتحسين هيآت العبارات والتأنّق في اختيار موادها ، وإجادة وضعها ورصفها .

والتهدّي إلى العبارات الحسنة يكون بأن تكون للشاعر قوّة يستولي
[83 ـ ب] فكره بها على جميع الجهات التي يستكمل حسن الكلام بالترامي به إلى /
كلّ جهة منها والتباعد عن الجهات التي تضادها . وتلك الجهات هي اختيار 5
المواد اللفظيّة أوّلا من جهة ما تحسن في ملافظ حروفها وانتظامها وصيغها
ومقاديرها واجتناب ما يقبح في ذلك وقد تقدّم (1) ، واختيارها أيضا من
جهة ما يحسن منها بالنظر إلى الاستعمال وتجنّب ما يقبح بالنظر إلى ذلك
واختيارها بحسب ما يحسن منها باعتبار طريق من الطرق العرفيّة وتجنّب
ما يقبح باعتبار ذلك . 10

1 ـ **إضـــاءة** : ومن ذلك حسن التأليف وتلاؤمه . والتلاؤم يقع في
الكلام على أنحاء : منها أن تكون حروف الكلام بالنظر إلى ائتلاف بعض
حروف الكلمة مع بعضها وائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة تلاصقها
منتظمة في حروف مختارة متباعدة المخارج مترتّبة الترتيب الذي يقع فيه
خفّة وتشاكل ما ، ومنها ألاّ تتفاوت الكلم المؤتلفة في مقدار الاستعمال 15
فتكون الواحدة في نهاية الابتذال والأخرى في نهاية الحوشيّة وقلّة
الاستعمال ، ومنها أن تتناسب بعض صفاتها مثل أن تكون إحداهما مشتقّة
من الأخرى مع تغاير المعنيين من جهة أو جهات أو تتماثل أوزان الكلم أو
تتوازن مقاطعها ، ومنها أن تكون كلّ كلمة قويّة الطلب لما يليها من الكلم
أليق بها من كلّ ما يمكن أن يوضع موضعها . 20

1) يظهر أن تفصيل ذلك كان في القسم الأول المفقود من هذا الكتاب .

2 – **تنــويــر** : وقد تعدم هذه الصفات أو أكثرها من الكلم وتكون مع ذلك متلائمة التأليف لا يدرى من أين وقع فيها التلاؤم ولا كيف وقع ، ليس ذلك إلاّ لنسبة وتشاكل يعرض في التأليف لا يعبّر عن حقيقته ولا يعلم ما كنهه ، إنّما ذلك مثل ما يقع بين بعض الألحان وبعض وبعض الأصباغ وبعض من النسبة والتشاكل ولا يدرى من أين وقع ذلك . 5

3 – **إضـــاءة** : / ومن ذلك التسهّل في العبارات وترك التكلّف . [84 – أ] والتسهّل يكون بأن تكون الكلم غير متوعّرة الملافظ والنقل من بعضها إلى بعض وأن يكون اللفظ طبقا للمعنى تابعا له جارية العبارة من جميع أنحائها على أوضح مناهج البيان والفصاحة . هذا إذا لم يكن المقصد إغماض المعاني . ومعرفة تفصيل هذا الإجمال تستفاد من أبواب قد قدّمتها (1) . 10

والتكلّف يقع إمّا بتوعّر الملافظ أو ضعف تطالب الكلم أو بزيادة ما لا يحتاج إليه أو نقص ما يحتاج ، وإمّا بتقديم وتأخير ، وإمّا بقلب ، وإمّا بعدل صيغة عن صيغة هي أحقّ بالموضع منها ، وإمّا بإبدال كلمة مكان كلمة هي أحسن موقعا في الكلام منها .

15 ومن هذا إبدال الضمير المخاطب من ضمير الغائب في مثل قول الشاعر (2) : [الطويل – ق – المتواتر]

فَتَاتَانِ بالنَّجْمِ السعيدِ وُلِدْتُمَا (3)

وقول المتنبّي : [الكامل – ق – المتواتر]

---

1) راجع 172 – 176 .

2) هو عبيد الله ابن قيس الرقيات .

3) البيت ثاني بيتين أولهما :

فتاتان أمّا منهما فشبيهة الهلا ل وأخرى منهما تشبه الشمسا

وتمام الشاهد هنا : ولم تلقيا يوما هوانا ولا نحسا .

انظر الخفاجي ، 101 .

قوم تفرّست المنايا فيكُمُ
فرَأتْ لكمْ في الحرب صبرَ كرامِ (1)

وإمّا بتكرار ، وإمّا بالحيدة عن معنى تقصر العبارة عنه إلى معنى مؤدّ عن مثل تأديته تطول العبارة عنه .

5 4 — **تنوير** : ومن ذلك إيثار حسن الوضع والمبني وتجنّب ما يقبح من ذلك . فمن حسن الوضع اللفظي أن يؤاخى في الكلام بين كلم تتماثل في مواد لفظها أو في صيغها أو في مقاطعها فتحسن بذلك ديباجة الكلام . وربّما دلّ بذلك في بعض المواضع أوّل الكلام على آخره . ومن ذلك وضع اللفظ إزاء اللفظ الذي بين معنييهما تقارب وتناظر من جهة ما لأحدهما 10 إلى الآخر انتساب وله به علقة ، وحمله عليه في الترتيب . فإنّ هذا الوضع في تأليف الألفاظ يزيد الكلام بيانا وحسن ديباجة واستدلالا بأوّله على آخره .

ومن قبح الوضع والتأليف أن تكون الألفاظ مع عدم تراخيها بعيدة أنحاء التطالب شتيتة النظم متخاذلا بعضها عن بعض كما قال :

15 [الخفيف — ق — المتواتر]

[84 — ب] / لم يضِرْها ، والحمدُ لله ، شيءٌ فانثنت نحوَ عزْفِ نفسٍ ذهول (2)

5 — **إضاءة** : ومن ذلك ألاّ يزاد على قدر الحاجة من كلّ ما يستحسن وألاّ يجعل التمادي عليه سببا إلى السآمة له والغرض منه .

---

1) البيت من قصيدة في مدح سيف الدولة طالعها :
ذكر الصبا ومواقع الآرام جلبت حمامي قبل وقت حمامي
انظر البرقوقي ، (1) ، ٢ ، 294 .

2) البيت يروى بالواو بدل الفاء في أول العجز ، أورده الخفاجي ، 91 .

6 — تنـــويـــر : وبقوّة التهدّي إلى العبارات الحسنة يجتمع في العبارات أن تـكون مستعذبة جزلة ذات طلاوة . فالاستعذاب فيها بحسن المواد والصيغ والائتـلاف والاستعمـال المتـوسّط . والطـلاوة تـكـون بائتلاف الـكلم من حروف صقيلة وتشاكل يقع في التـأليف ربّما خفي سببه وقصّرت العبارة عنه . والجزالة تـكون بشدّة التطالب بين كلمة وما يجاورها وبتقارب أنماط الـكلم في الاستعمال . وسائرها يتعلّق بالألفاظ المفردة من الشروط المذكورة التي تطرّد الـكلم بوجودها فيها أحسن اطّراد .

فهذه إشارة إلى ما يجب أن يتفقّده الناظم ويلتفت اليه ، على قدر قوّته ، من الجهات التي تحسن منها العبارات أو تقبح ، قد أجملت الـكلام فيها ، وجعلتها كالإحالة على ما قدّمته ، ممّا يتعلّق بالألفاظ وتأليفها في العبا ات عن المعاني . فمن قابل هذا الإجمال بذلك التفصيل ظفر بالبغية والمراد إن شاء الله .

المنهج الثاني في الإبانة عن أنماط الأوزان في التناسب ، والتنبيه على كيفيات مباني الكلام وعلى القوافي وما يليق بكلّ وزن منها من الأغراض ، والإشارة إلى طرف من أحوال القوافي وكيفيّة بناء الكلام عليها وما تعتبر به أحوال النظم في جميع ذلك من حيث يكون ملائما للنفوس أو منافرا لها . 5

[85 – أ] **/ أ – معلم دالّ على طرق العلم بمجاري الأوزان وأبنيتها وضروب تركيباتها ووضعها .**

قد صحّ بالاعتبارات البلاغيّة في تناسب المسموعات وتناسب انتظاماتها وترتيباتها وكون المناسبات الوزنية جزءا يدخل تلك الجملة أنّ الاوزان المستعملة الآن عند أهل النظم – ممّا ثبت استعمال العرب له وما شكّ في ثباته . وما لم يثبت أصلا بل وضعه المحدثون قياسا على ما وضعته العرب – 10 متركّبةٌ من ثلاثة أصناف من الأجزاء خماسيات وسباعيات وتساعيات . وإن لم يسلّم في هذا العروضيون . وليس يجب أن يلتفت إلى تسليمهم في ذلك ولا منازعتهم ، فإنّهم فقراء إلى أن يقتبسوا تصحيح أصول صناعتهم من هذه الصناعة ، فإنّ معرفة صناعتهم موقوفة على معرفة جهات التناسب 15 في تأليف بعض المسموعات إلى بعض ووضع بعضها تالية لبعض أو موازية لها في الرتبة .

ومعرفة طرق التناسب في المسموعات والمفهومات لا يوصل إليها بشيء من علوم اللسان إلاّ بالعلم الكلّي في ذلك وهو علم البلاغة الذي تندرج تحت تفاصيل كليّاته ضروب التناسب والوضع ، فيعرف حال ما خفيت 20

به طرق الاعتبارات من ذلك بحال ما وضحت فيه طرق الاعتبار وتوجد طرقهم في جميع ذلك تترامى إلى جهة واحدة من اعتماد ما يلائم واجتناب ما ينافر .

1 — **إضـــــاءة** : ولنقل الآن مقالا مختصرا في تعديد التركيبات والأبنية
5 الوزنيّة التي يصوغ أهل النظم في هذا الزمان الكلام عليها ممّا ثبت وضعه عن العرب وما لم يثبت وما شكّ في ثباته .

/ فنقول : إنّ الأوزان الشعريّة منها ما تركّب من أجزاء خماسيّة ، [85 — ب] ومنها ما تركّب من أجزاء سباعيّة ، ومنها ما تركّب من أجزاء تساعيّة ، ومنها ما تركّب من أجزاء خماسيّة وسباعيّة ، ومنها ما تركّب من أجزاء
10 سباعيّة وتساعيّة ، ومنها ما تركّب من خماسيّة وسباعيّة وتساعيّة .

2 — **تنـــويـــر** : فأمّا ما تركّب من الخماسيّة الساذجة ، فالمتقارب . وبناء شطره على فَعولن مكرّرا أربعا ، نحو قول أعشى همذان :

[المتقارب — ق — المتواتر]

تقـادَمَ عهـدُك أمّ الحـلال (1)

15 3 — **إضـــــاءة** : وأمّا ما تركّب من السباعيّة الساذجة فإنّ الشطر فيها على ثلاثة أجزاء ، وربّما حذفوا الثالث منها أو بعضه .

---

1) تمـام البيـت : فطاشت نبالك عند النضال .
ويروى الصدر بلفظ ودك بدل عهدك وأم الجلال بدل الحلال . والبيت طالع قصيدة للأعشى .
الديوان ، (2) ، 338 .

فمن ذلك الرجز ، وبنـاء شطره من مستفعلن ثـلاث مرات ، نحو قول جرير : [الـرجـز – ق – المتـدارك]

أقبَلْـنَ من فَـهـلانَ أو جَنْبَـيْ خِيَـم (1)

ومنها الـكـامل ، وبنـاء شطره على متفـاعلن ثلاث مرات ، نحو قول عنترة : [الـكـامل – ق – المتـدارك] 5

طـالَ الثـواءُ على رسـومِ المَنْـزِلِ (2)

ومنها الوافر ، وأصل بناء شطره على مفاعلتن ثلاثا إلاّ أنّ السبب حذف من نهايتي شطره وأسكن ما قبله فبقي الجزء الثالث على فعولن ، فصار تقدير الشطر : مفاعلتن ، مفاعلتن ، فعولن ، نحو قول زهير :

[الوافر – ق – المتواتر] 10

لِـمَـنْ طلـلٌ بـرامـةَ لا يَـرِيـمُ (3)

ومنها الرمل ، وبناء شطره من فاعلاتن ثلاث مرات إلاّ أنّه التزم فيه حذف سبب من جزء العروض – والعروض هي الجزء الذي في نهاية الشطر الأوّل من البيت – فصـار تقدير أشطـاره الأول ، فاعـلاتن ، فاعلاتن ، فاعلـن ، نحو قول نابغة بني شيبان : [الرمل – ق – المتدارك] 15

حَـلَّ قلبي مِـنْ سُلَيْـمَـى نبلُـها (4)

---

1) تمـام البيـت : على قلاص مثـل جيفـان السلم . والبيت طـالع قطعة ذات أربعة أبيات وشطر ، وروايته تختلف في صدره عما في النص ، وهي بلفـظ : أقبلـن من جنبـي فتـاخ وإضـم . **الـديـوان** ، 520 .

2) تمـام البيـت : بيـن اللكيك وبيـن ذات الحـرمـل . والبيـت طـالـع قصيـدة . **الـديـوان** ، 177 .

3) تمـام البيـت : عفـا وخـلالـه حقب قديـم . والبيـت طالع قصيدة له يمدح بها هرم بن سنان . الاعلم ، 78 .

4) البيت طالع قصيدة منسوبة بـالأصل لأعشى ذبيان وتمامه : إذ رمتني بسهـام لم تطش . والصدر بلفظ حل لا حل ومعناه نفذ وثقب . **الاغاني** (3) ، ٧ ، 110 .

ومنها الهزج ، وأصل بناء شطره مفاعيلن ثلاث مرات إلاّ أنّه التزم فيه حذف الجزء الثالث من كلا شطريه ، فصار مجموع الوزن مربّعا وكلا شطريه مثنى على مفاعيلن / مفاعيلن . كقول الشاعر : [86 — أ]

[الهزج — ق — المتواتر]

5 صفَحْنا عن بني ذُهلٍ وقُلنا القومُ إخوانُ (1)

4 — تنوير : وأمّا ما تركّب من التساعيّة الساذجة فالخبَب . وبناء شطره متفاعلتن متفاعلتن مرتان هكذا كقول بعض الشعراء الاندلسيين :

[الخبَب — ق — المتراكب]

أمَّلْتُ لقاءَكِ في الحُلُمِ فزَجَرْتُ العينَ فلمْ تَنَمِ (2)

10 ويدخله الإضمار فيصير متفاعلتن في تقدير (..............................)(3) المتطرّف لوقوعه في (..........) (4) فيصير إلى مفعولاتن . وعلى هذا يجب أن يُتأوّل التشعيث في الجميع لأنّ الوتِد يصير بخبن السبب الذي قبله جزءا من فاصلة فيسكّن رأس الوتد تخفيفا لأنّ الفواصل قد يستثقل توالي الحركات فيها . فهذا هو الرأي الصحيح في التشعيث . وبه أخذ من حقّق

15 من العروضيين إذ لا معنى لقطع الأوتاد في الحشد ، لأنّ القطع في الأوتاد إنّما قصد به تنويع الضروب ، وإنّما يكون ذلك في نهايات الأجزاء لا في صدورها . وهذا الوجه هو بعض الوجوه التي يتبيّن بها فساد رأي من جعل شطر الخبب مركّبا من فاعلن أربع مرّات ، وزعم أنّ الخبنَ التُزِم في جميع أجزائه وجاز فيها القطع . ولا يلتزم خبن ولا يجوز قطع إلاّ في

1) البيت طالع قصيدة أوردها أبو تمام لشهل بن شيبان الزماني . المرزوقي ، 1 ، 32 .
2) البيت من فرائد المنهاج .
3) بياض مقدار ثلاث كلمات .
4) بياض مقدار كلمة .

عروض أو ضرب . وإنّما حملهم على هذا حرصهم على أن يجعلوا الخبب
يساوق في ترتيب حركاته وسكناته المتقارب ، فيكون نظام كلّ واحد منهما
إذا وضعت له أشكال في الخطّ أو تصوّر في الذهن ، ثمّ تأخّرت عن مبدأ
ذلك النظام إلى أوّل جزء يلي الجزء الأوّل الذي هو مبدأ النظام ، فبدأت بأوّل
الجزء الثاني واستمررت على جميع النظام ووصلت بآخره الجزء الذي 5
فاتك منه أوّلا ، حصلت بذلك بنية الوزن الآخر وهيأته . فيجعل العروضيون
أحد العروضين بذلك منفكّا عن الآخر . وهذا من الأعراض الواقعة في
[86 ـــ ب] الأوزان من غير قصد ، إذ النظام / الذي يكون من أجزاء متماثلة إذا ابتدأت
برأس أيّ وتد أو سبب منه خرج لك وزن تامّ من أجزاء متماثلة ، وإذ
النظام الذي يكون من جزئين متغايرين يدخل أحدهما على الآخر إذا 10
ابتدأت برأس أيّ وتد أو سبب منه خرج لك وزن متداخل من جزئين
متغايرين ، وإذ النظام الذي يكون شطره مؤتلفا من ثلاثة أجزاء شفع
ووتر ـــ قدّم الوتر أو وسّط أو أخّر ـــ إذا ابتدأت برأس أيّ وتد أو
سبب منه خرج لك وزن قد ترتّبت أجزاؤه شفعا ووترا على واحد من
الترتيبات الثلاثة . فنشأ من ذلك في النظام المركّب أجزاء خماسيّة متماثلة 15
وزنان ، وفي المركّب من جزئين متغايرين يعاقب أحدهما الآخر خمسة
أوزان ، وفي المركّب شطره من جزئين متغايرين مكرّر أحدهما تسعة
أوزان .

وتوجد بعض هذه الأوزان متلائمة خفيفة ، وبعضها متنافرة ثقيلة .
والتنافر والثقل يكون فيها لوجوه : منها أنْ تقع الأسباب الثقيلة والأوتاد 20
المفروقة في نهايات الأجزاء التي هي مظان اعتمادات وتوقُّرات ومقاطع
أنفاس ، فيكون وقوع الحركات هنالك غير ملائم للنفوس وثقيلا عليها .
وكذلك وقوع الفواصل في نهايات الشطور ، فإنّه مستثقل وليس منافرا .

ولذلك يحتمل وقوعها في المقدار القصير والمتوسّط نحو المقتضب والخبب. ولا يحتمل وقوعها في الطويل نحو الوافر ، لا سيما وقد تكرّرت في الوافر ثلاثا ولم تقع في الخبب إلاّ مرّتين . ومن تلك الوجوه التي يقع بها التنافر والثقل تشافع الأجزاء الطويلة في أوساط الأشطار ونهاياتها ووقوع الجزء 5 المفرد صدرا . ومنها بناء الوزن على أجزاء كلّها يقع الثقيل في نهايته والخفيف في صدره ، وذلك مثل أن يركّب شطر وزن على فاعلن أربع مـرّات .

فلهذه الأسباب وما جرى مجراها ممّا لا يتّسع لذكره هذا الموضع اقتضى النظر / البلاغي أن يعدل بكثير من تقديرات الأوزان عمّا قدّر به [87 — أ] 10 العروضيون ، إذ كانوا جهّالا بطرق التناسب والتنافر حتّى أنّهم جزّءوا كثيرا من الأوزان تجزئة وقعوا بها في حيّز الوضع المتنافر . فلذلك حقّقنا في كلّ وزن تجزئته المتناسبة ، وجعلنا شطر الخبب مبنيا من جزئين تساعيين كلاهما مركّب من سبب ثقيل ووتد مفروق ووتد مجموع ، إذ كانت القسمة تقتضي هذا الوضع اقتضاء ضروريّا إذ كان تركيب الأجزاء من 15 الأسباب والأوتاد لا يخلو من أن يكون بضمّ سبب إلى وتد فيكون الجزء من ذلك خماسيا ، أو بضمّ سببين إلى وتد فيكون الجزء من ذلك سباعيا ، أو بضم سبب إلى وتدين فيكون الجزء من ذلك تساعيا . فباستقصاء هذه القسمة تهدى إلى وضع عروض الخبب.

5 — **إضـــاءة** : وإذ قد تبيّن هذا فينبغي لمن طمحت به همّته إلى 20 مرقاة البلاغة المعضودة بالأصول المنطقية والحكميّة ولم تسفف به إلى حضيض صناعات اللسان الجزئية المبنية أكثر آرائها على شفا جرف هار ألاّ يعتقد في وزن من الأوزان أنّه مفتقر في وضعه إلى أن يفكّ من نظام آخر ، بل إنّما يستنبط الوزن باستقصاء ضروب تركيبات الأسباب والأوتاد

واستقصاء ضروب ما يتركّب من الأجزاء المؤتلفة من تركيبات الأسباب والأوتاد ، ثمّ يلزمه بعد الوضع أن يوجد وزن آخر أو أوزان سياقُ نظامها نظامَه بأن تجعل مبدأها من رؤوس الأسباب والأوتاد متأخرا عن مبدئه على ما تقدّم . فلهذا وجب أن يعتقد أنّ هذه الانفكاكات التي لهذه الأعاريض من الدوائر أمور عارضة لا يفتقر في تصوّر ماهيات الأعاريض 5
وحقائقها إليها ، ولذلك لم يقل بها كثير من العروضيين . ومن أوردها فإنّما أوردها على أنّها ملحة عرضيّة لحقت الأوزان اتفاقا لا أنّها حقيقة بنيت عليها الأعاريض وضعا واعتمادا . فلهذا يجب ألاّ يبلُغَ الحرص [87 ــ ب] بالمتأدّب / على أن يستقصي جميع ما ينفكّ من كلّ دائرة ويروم أن يردّ كثيرا من الأوزان إلى ذلك ولو بتجزئة متنافرة ثقيلة كما فعل ذلك 10
العروضيون ، بل يجب عليه أن يقدّر كلّ وزن بالتجزئة المتناسبة اللائقة به سواء وجد ذلك الوزن بتلك التجزئة مُنْفكّا من بعض الدوائر التي قد وقعت فيها أوزان مستعملة أو وجد أمّة وحده غير منفكّ من وزن مستعمل أو منفكّ منه وزن مستعمل . فقد بينّا أنّ أكثر الدوائر تنفكّ منها أوزان غير ملائمة ولا خفيفة . وهناك أيضا دوائر أخَر لم يستعمل منها شيء . 15
وهي عزيزة الإحصاء لكثرتها ، إذ لكلّ تركيب من تركيبات الأسباب والأوتاد والأجزاء المركّبة منها دائرة تخصّه .

وضروب التركيبات كثيرة جدّا . وإنّما استعملت العرب من جميع ذلك ما خفّ وتناسب وليس يوجد أصلا في ضروب التركيبات والوضع الذي للحركات والسكنات والأجزاء المؤتلفة من ذلك أفضلُ ممّا وضعته 20
العرب من الأوزان . وإذا تصفّحت ما قلته في ترتيب الحركات والسكنات والمسموعات المستطابة من ضروب ترتيباتها في مواضع قد تقدّمت من هذا الكتاب عرفت صحّة ذلك .

ولنرجع الآن إلى ما كنّا بسبيله من الإبانة عن ضروب التركيبات الوزنيّة .

6 – **تنـويـر** : فأمّا الأوزان المتركّبة من خماسية وسباعيّة فإنّ أصل بناء أشطارها على أربعة أجزاء . فمن ذلك الطويل ، وشطره فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ، نحو : [الطويل – ق – المتواتر]

صحَا القلبُ عن سَلْمَى وقدْ كادَ لا يَسْلو(1)

5 إلاّ أنّهم التزموا حذف الخامس من جزء العروض وهو الجزء الرابع ، فلا يثبتون الخامس الساكن إلاّ في التصريع المقابل لضرب تام ، ويسقطونه في جميع الأعاريض الواقعة في تضاعيف القصيدة ، حيث لا تصريع على الصفة المذكورة . وذلك كقول امرىء القيس : [الطويل – ق – المتواتر]

وهلْ يَعِمَنْ إلاّ سَعِيدٌ مُخَلَّدُ (2)

10 فتقدير جزء / العروض في هذا مفاعلن ، بغير ياء ، ويسمّى حذف هذا الساكن الخامس القبض . [88 – أ]

ومنها البسيط . وشطره مربّع متداخل على نحو وضع الطويل ، إلاّ أنّ الخامس فيه يسبق السابع ، وذلك نحو قول النابغة :

[البسيط – ق – المتراكب]

15 يا دارَ ميّةَ بالعلياءِ فالسَّنَدِ (3)

وكان أصل شطوره : مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن ، إلاّ أنّهم التزموا الخبن ، وهو حذف الثاني الساكن في فاعلن في جزأي العروض والضرب مع تصريع وغير تصريع .

---

1) تمام البيت : وأقفر من سلمى التعانيق فالثقل . والبيت طالع قصيدة لزهير بن أبي سلمى يمدح بها سنان بن أبي حارثة المري ، آخره مصحف ، بلفظ فليقل بدل فالثقل . انظر الأعلم ، 15 ؛ العسكري : **الصناعتين** ، (2) ، 447 .

2) تمام البيت : قليل الهموم ما يبيت بأوجال . والبيت تال لطالع القصيدة الشهيرة : الأعم صباحا . السندوبي ، (3) 158 .

3) راجع 196 ، التم ، 1 .

ومنها المديد . وأصل بناء شطره على أربعة أجزاء إلاّ أنّهم التزموا حذف جزء من عروضه وجزء من ضربه ، وهو فاعلن . فصار الشطر : فاعلاتن فاعلن فاعلاتن ، نحو قول مهلهـل : [المديد — ق — المتواتر]

يـا لبَـكْـرٍ ، انشُـروا لِـي كُلَيْـبـا (1)

5 ومنها المقتضب . وأصـل بناء شطـره : فاعلن مفاعلتن فاعلن مفاعلتن ، إلاّ أنّ هذا ثَقُل لكثرة الأوتاد فيه والأسباب الثقيلة وتكرّر الفـاصلـة ووقوعها في النهايات . وقد قدّمنا أنّ ذلك مستثقل . فلهذا لم يستعملوه إلاّ منصوفا أي محذوف النصف من كلّ شطر . فهذا هو الصحيح الذي يشهد به السماع والقياس والقوانين البلاغية في اعتبار تناسب التركيبات ، 10 إذ الدليل يقوم على أنّهم لم يوقعوا الوتد المفروق ولا السبب الثقيل في نهاية جزء خماسي ولا سباعيّ ولا فيما فوق ذلك ، لأنّا قد ذكرنا أنّ قانونهم ألاّ يضعوا الثقيل في النهايات ولا سيما في أواخر الأجزاء التي هي مظان اعتمادات وتوقّرات وتقاطع أنفاس بوقفات خفيّة أو بيّنة عليهم أو روم لذلك وإيمـاء إليـه ، وأيضا فإنّ الزحافـات لا تلتزم في غير تنويع 15 الأعاريض والضروب . وقد لزم ذلك التجزئة التي قدّر بها أهل العروض المقتضب ووقع ذلك في حشوها فدلّ على فساد رأيهم ، وأيضا فإنّهم يلزمهم أن يقابلوا بفعولات فاعلات على أنها من وضع التماثل حيث كان هذان الجزءان قد وضعا في صدر الشطر الأوّل وصدر الشطر الثاني / على [88 — ب] أن يتساوقا في الزمان ويتساويا في الترتيب .

20 وقد وضح في صناعة الموسيقى أنّ فعولات مضاد لفاعلات كما أنّ فعولن مضاد لفاعلن ، لأنّ الوضع فيهما متخالف ، حيث كان أحدهمـا

1) تمـام البيت : يا لبكـر وأيـن أيـن الفـرار . الأغـاني ، (3) ، ٥ ، 52 .

مفتتحا بمتحرّك بعده ساكن ومختتما بساكن بعد متحرّكين ، وكان الآخر مفتتحا بمتحرّكين بعدهما ساكن ومختتما بمتحرّك بعده ساكن . فكانا لذلك متضادّين . فكيف يوضع المتضادان وضع المتماثلين في ترتيب يقصد به تناسبُ المسموع والتنظيرُ بين الأجزاء المتماثلة في الوضع وأن يجعل عمود اللحن ؟ ! .

فهذا ينبغي ألاّ يلتفت إلى ما وضعه أو غيّره العروضيون أو الرواة من الأبيات التي تدفعها المقاييس البلاغيّة والقوانين الموسيقية والاذواق الصحيحة في هذا الوزن وغيره ، نحو ما غيّروه من قول القائل :
[المقتضب – ق – المتراكب]

جانا مُبَشِّرُنا بالبيان والنذر (1)

فصيّروه بتحريفهم وجهلهم بما يضمحلّ في أصول وضع الأوزان إلى هذا التغيير الفاسد وهو :

أتانا مبشّرنا بالبيان والنذر

وذلك ليطّرد لهم رأيهم الفاسد في ما أثبتموه من التراقب الذي لا يصحّ ولا يثبت ، إذ قد ظهر اضمحلاله في هذا الوزن واضمحلال التجزئة التي توجد فيها الأسباب مهيئة لإمكان وقوع ذلك فيها لولا أنّه شيء لا معنى له إلاّ إفساد الوزن والإخلال بوضعه والخروج به عن الوضع الملائم إلى الوضع المنافر بالجملة .

7 – **إضاءة** : فأمّا المتركّبة من السباعيات المتغايرة فبناء أشطارها على ثلاثة أجزاء مزدوجان ومفرد .

---

1) ورد البيت لدى العروضيين في شواهد المقتضب . الدماميني 80 ؛ فان ديك ، 59.

فمن ذلك ما تـأخّر في بنائه المفرد كالسريـع ، وتجزئته الصحيحة التي تشهد بها القوانين البلاغية : مستفعلن مستفعلن فاعلان ، نحو قول حسان :

[السريـع — ق — المتواتر]

مـا هـاج حسّـان ربـوعُ المغـانـي ومظعنُ الحـيّ ومبنى الخيـامِ (1)

[89 — أ] ودعوى العروضيين أنّ نظامه مأخوذ من دائرة المنسرح باطلة / للوجوه التي تقـدّم ذكـرهـا . 5

وليس الجزء الواقع نهـاية كلا الشطرين من هذا الوزن بمحذوف من غيره ولا مغيّر من سواه وإنّما هو مركّب من سبب خفيف ووتد مجموع متضاعف لأنّ الأرجـل التي تتركّب منهـا أجـزاء جميـع الأوزان ستّـة أصنـاف : 10

— 1 — سبب ثقيل وهو متحركان نحو : بمَ ، لكَ ، — 2 — وسبب خفيف وهو متحرّك بعده ساكن نحو منْ ، عنْ ، — 3 — وسبب متوالٍ وهو متحرّك يتوالى بعده ساكنان نحو قالْ بتسكين اللام ، — 4 — ووتد مفروق وهو متحرّكان بينهما ساكن نحو كيْف ، أيْن ، — 5 — ووتد مجموع وهو متحرّكان بعدهما ساكن نحو لَقَدْ ، — 6 — ووتد متضاعف وهو متحرّكان بعدهما ساكنان نحو مَقالْ بتسكين اللام . 15

فالسبب الثقيل والوتد المفروق لا يقع في نهاية جزء ، وإنّما يقعان في صدور الأجزاء وتضاعيفها . والسبب المتوالي والوتد المتضاعف لا يقعان إلاّ في نهايات الضروب والأعـاريض المصرّعـة . والسبب الخفيف والـوتـد المجموع هما اللذان يقعان من صدور الأجزاء وأوساطها وأعجازها كلّ موقع . 20

1) البيت طالع قصيدة له ، وهو في الديوان بلفظ رسوم المقام بدل ربوع المغاني ، وفي رواية الديوان تصريع . **الـديـوان** ، 90 .

8 — **[تنوير]** (1) : ويجب أن تعلم أنّ العرب استقصت القسمة في تركيب المقارنة بين بعض هذه الأرجل وبعض ووضعها في أوزان أخر غير متقارنة فاعتمدت من ذلك في كلّ وزن ما كان مناسبا للوضع الخاصّ به.
فبنوا أكثر الأعاريض من أكثر هذه الأرجل تصرّفا ، وهي الأسباب الخفيفة
5 والأوتاد المجموعة :

فممّا بنوه على ذلك من الأعاريض : الطويل والبسيط والمديد والمتقارب والرجز والهزج والرمل .

وممّا بنوه من الأسباب الثقيلة والخفيفة والأوتاد المجموعة : الوافر والكامل .

وممّا بنوه من الأسباب الثقيلة والأوتاد المجموعة والمفروقة : الخبب .

10 وممّا بنوه من الأسباب الثقيلة والخفيفة والأوتاد المجموعة والمفروقة : المقتضب ، على ما بينّاه قبل .

وممّا بني على الأسباب الخفيفة والأوتاد المجموعة والمفروقة والمضاعفة الضرب الاوّل من المجتثّ . وقد غاب عن العروضيين كونه من المجتثّ وجعلوه ضربا ثالثا من البسيط وقدّروا شطر الضرب منه : / مستفعلن فاعلن [89 — ب]
15 مستفعلان . ومقاييس البلاغة تقتضي أن يكون تقديره : مستفعلن فاعلاتن فاعلان ، لوجوه يطول ذكرها . منها : أنّ زيادة المدّة في مستفعلان في البسيط لا معنى لها ، ومنها أنّ التجزئة التي قدّروا بها المجتثّ — وهي أن يكون أصل شطره : مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن — خارجة عن القوانين التي اعتمدتها العرب في تركيب أوزانها ، فإنّهم لم يضاعفوا جزءا سباعيّا
20 في ما يلي نهايات الأشطار لما قدّمناه من لستثقال ذلك . وإنّما وقع لهم مضاعفا في النهايات وما يليها الخماسيّ لأنّه أخفّ ، نحو العروض المجزوّة المحذوفة من المديد وتقديرها : فاعلاتن فاعلن فاعلن . فلهذا جعلنا نحن

1) هذا العنوان اضفناه الاصل لطول الاضاءة ووجود ما يقتضيه بعده .

تقدير شطر الضرب الأوّل من المجتثّ : مستفعلن فاعلاتن فاعلان . فيكون
تركيبه على هذا من جزء مفرد وجزءين متضارعين وقع أخفّهما في النهاية .
وهذا النحو من الوضع من جملة التركيبات المتناسبة . وهناك ضروب جعلوها
من مقصّرات البسيط ، ويمكن أن تردّ إلى هذا ، وهي به أليق لأنّ مجاريها
5 أوفق بمجاريه لأنّ الخبن في فاعلن من البسيط يحسّن ما لا يحسن في تلك
المقصّرات ، فلهذا كانت أنسب إلى المجتثّ . وأيضا فإنّ الطويل والبسيط
عروضان فاقا الأعاريض في الشرف والحسن وكثرة وجوه التناسب وحسن
الوضع ، فإذا أزيل عنهما بعض أجزائهما ذهب الوضع الذي به حسُن
التركيب وتناهى في التناسب فلم يوجد لمقصّراتهما طيب لذلك . وغيرهما
10 من الأعاريض قد يوجد في مقصّراته ما يكون أطيب منه . فلمّا كانت
مقصّرات الطويل والبسيط تنحطّ عن درجة الوزن التامّ في ذلك انحطاطا
متفاوتا كان لإهمال تلك المقصّرات وجه من النظر إذ كانت الأوزان التامة
كالآباء وهذه المقصّرات المقتضبة كالأبناء . وإذا لم يلد الكريم كريما
[90 — أ] كان أحسن / له أن لا يلد . لكنّ الناس قد نسبوا الوزن الذي صلح عندنا
15 أن يكون ضربا ثانيا من المجتثّ إلى البسيط ، فلنسامحهم في ذلك . وحكم
مخلّع البسيط الذي تجيء نهاياته على مثال مفعولن هذا الحكم . وكلاهما
صالح أن ينسب إلى المجتثّ .

فأمّا الوزن المضارع لهذا المخلّع وهو الذي اعتمد المحدثون إجراء
نهاياته على مثال فعولن ، فليس راجعا إلى واحد من هذه الأوزان . وإنّما
20 هو عروض قائم بنفسه مركّب شطره من جزءين تساعيين على نحو تركيب
الخبب وتقديره : مستفعلاتن مستفعلاتن ، وكأنّهم يلتزمون حذف السين
من الجزء الثاني لأنّ السواكن في كلّ وزن إذا توالى منها أربعة ليس بين
كلّ ساكن منها وساكن إلاّ حركة تأكّد حذف الساكن الثالث وحسن
الوزن بذلك حسنا كثيرا .

فممّا ورد من ذلك محذوف الساكن قول عليّ بن الجهم :

[مخلع البسيط ـ ق ـ المتواتر]

بِسُرَّ منْ رَا إمَامُ عَدْلٍ تَغْرِفُ مِنْ جُودِهِ البِحَارُ
لَم تَأتِ منه اليمينُ شيئاً إلاّ أتَتْ مثلَهُ اليسارُ (1)

ومِمّا جاء على أصل الوزن قول بعض الأندلسيين :

[اللاحق ـ ق ـ المتواتر]

وحَيٍّ عَنّي إن فزت حيّا أمضى مواضيهم الجفون (2)

وقول أبي بكر بن مُجْبَر : [اللاحق ـ ق ـ المترادف]

إنْ سَلَّ سيفاً بناظِريْهِ لمْ ترَ فينا إلاّ قَتيلا (3)

فمثل هذه النون من قوله « إن فزت » مقبولة في الذوق ، وإن كان حذفها أخفّ . فواجب أن تجعل تجزئة الوزن بحسب ما وجد مقبولا فيه لتسلمَ أقاويل كثير ممّن يوثق بصحّة ذوقه من الكسر ، لأنّه كالمستحيل عليهم . فإنّ طباعهم لا تقبل ذلك إلاّ وله وجه . وليس يمكن أن يقع هذا الساكن في مثل قوله (4) : [مخلع البسيط ـ ق ـ المتواتر]

أقفر من أهله ملحوبُ (5) .

لأنّ اجتماعها مع اللام في قوله(ملحوب)لا يقبله الذوق إذا كانت السواكن في ذلك الوزن الذي لا يثبت فيه مثل اللام الساكنة في(ملحوب)

1) البيتان من قطعة له في مدح المتوكل ، ذات خمسة أبيات، أولها البيت الأول وآخرها البيت الثاني في الأصل . الديوان ، 136 .
2) الشاهد من فرائد المنهاج .
3) » » »
4) هو عبيد بن الأبرص الأسدي .
5) تمام البيت : فالقطبيات فالذنوب . وهو طالع معلقته . الزوزني ، 207 .

قد تناهت في الكثرة ، فكانت أربعَ أخماس المتحرّكات . ولا
[90 – ب] يمكن / أن تكون نسبة السواكن من المتحرّكات أكثر من هذا . فلهذا
اقتضى النظر البلاغي أن يجعل وزنا برأسه . وليس أخذ هذا الوزن عن
العرب يثبت بل هو مثل الخبب في ذلك .

9 – **إضـــاءة** : وقد قصدوا أيضا في بعض مقصّرات الأوزان أن 5
يوقعوا فيها من اقترانات الأسباب والأو [تاد] ما لم يوقعوه في مطوّلاتها .

فمن ذلك اقتران السببين الثقيل والخفيف والوتد المجموع والمضاعف
في الضرب السادس من الكامل . وهو الذي آخر أجزائه متفاعلان ،
واقتران الوتد المجموع والسبب الخفيف والسبب المتوالي في الرمل في
الضرب الذي آخر أجزائه فاعليان . 10

10 – **تنـويـر** : ولنرجع إلى ما كنّا شرعنا فيه من الكلام في الأوزان
المتركّبة من السباعيات المتغايرة فنقول : إنّ عروض السريع وعروض
كلّ وزن كانت غاية ضربه سببا متواليا أو وتدا متضاعفا بأن تردّ السبب
والوتد إلى أصليهما بحذف الساكن الأخير من كليهما .

11 – **إضـــاءة** : ومن تركيب السباعيات المتغايرة ما يتوسّط فيه المفرد 15
ويتطرّف الجزءان المتماثلان كالخفيف ، وتقدير كلا شطريه : فاعلاتن
مستفعلن فاعلاتن ، نحو قول أبي دهبل : [الخفيف – ق – المتواتر]

صاح حيّ الإلـهُ أهـلا ودارا عند أصل القناة من جيّرونِ (1)

فأمّا ما يتقدّم فيه المفرد على المزدوجين فمهمل في أوزان العرب ، لأنّ

1) رواية البيت يختلف صدرها عما هاهنا قليلا ، فهو بكلمة حي بدل اهل . والبيت طالع قصيدة لابي دهبل في شامية أراد أن يتزوجها . **الاغاني** ، (3) ، ٧ ، 127 .

الجزءين المتكرّرين أثقل من المفرد . فالصدر أولى بهما على قياساتهم ، وتصدير الأشطار أيضا بما يظهر فيه التناسب أولى من تصديرها بما لا يظهر فيه تناسب . ولهذا ولاعتبارات أخر أيضا أهملوا هذا الضرب من الأبنيـة الوزنيّـة .

5 وقد وضع بعض الشعراء الأندلسيين على هذا البناء وزنا إلاّ أنّه جعل الجزءين المزدوجين خماسيين فرارا من الثقل الواقع بتشافع السباعيين في النهاية ، فكان التشافع في ذلك الوضع أخفّ في الخماسي / وذلك قولـه : [91 – أ]
[— ق — المتـدارك]

أقْصَـرَ عـن لَـوْمِـيَ الـلاّئِــمُ لَـمَّـا دَرَى أنّنِـي هـائـمُ (1)

10 تقدير شطره : مستفعلن فاعلـن فاعلن .

وقد تقدّم أنّ من مقصّرات المديد ما يصير إلى هذا الوضع أعني الوضع الذي يصدّر الشطر فيه بالجزء المفرد ويعقّب بالجزءين المتشافعين .

12 — **تنــويـــر** : فأمّا المتركّب من سباعيّ وتساعيّ فهو من وضع المتأخّرين من شعراء المشرق . جعلوا الجزء المفرد فيه تساعيّا والمتشافعين 15 سباعيين ، فقدّموا التساعي وتلوه بما يناسبه من السباعيات . وجعلوا الجزء الثاني من السباعيين في أكثر استعمال — وهو المستطاب في الذوق والأحسن في الوضع — ينقص عن الأوّل ليكون كلّ واحد من الأجزاء أخفّ مما قبله . وتحرّوا في ذلك أن يكون كل جزء مناسبا لما قبله ، وذلك هو الوزن الذي يسمّونه الدبيتي وشطره المستعمل : مستفعلتن مستفعلن مفتعلن ؛ نحو 20 قول القائل : [الدبيتي — ق — المتراكب]

1) الشـاهد من فـرائـد المنهـاج .

هـذَا وَلَهْـوِي ، وقـد كـتمـتُ الـوَلَـهَـا
صَوْنا لِحَدِيث مَنْ هَوَى النفسِ لَهَا
يـا آخـر محبَّـتِـي ويـا أوَلَـهَــا
أيَّـامُ عَـنَـائِـي فيكِ ما أطْوَلَها (1)

وقد يجيء الجزء الأخير على مستفعلن ، وهو الأصل ، ولكن في الأقلّ. 5
ويستعمل أيضا مقطوعا فيصير مستفعلن الى مفعولن نحو قول بعضهم :
[الـدبيتي – ق – المتواتر]

مـا أشْـوَقَـنِـي إلَى نسيـمِ الـرَّنْــدِ
يَشْفِـي كَـمَدِي،إذَا أتَى مِن نَجْدِ (2)

ويشعّثون الفاصلة التي في الجزء الأوّل فيصير مستفعلتن إلى مفعولاتن . 10
نحو قوله : [الدبيتي – ق – المتواتر]

شوقِـي شوقِـي بهِ ووَجْدِي وَجْدِي (3)

13 – **إضــــاءة** : فأمّا المتركّب من خماسيّ وسباعيّ وتساعيّ فبنته
العرب على أن تكون النقلة فيه من الأثقل إلى الأخفّ ومن الجزء إلى ما
يناسبه فبدأوا بالتساعيّ وتلوه بسباعيّ يناسبه وتلوه بخماسيّ يناسب السباعيّ، 15
والتزموا الخبن في الضرب وهو جزء القافية . وهذا الوزن هو المنسرح .
[91 – ب] وبناء / شطره : مستفعلاتن مستفعلن فاعلن . والخبن في فاعلن في العروض
أحسن .

1) الشـاهـد من فـرائـد المنهـاج .
2) الشـاهـد من فـرائـد المنهـاج .
3) الشـاهـد من فـرائـد المنهـاج .

14 ــ **تنـــويــــر** : فالأوزان التي ثبت وضعها عن العرب أربعة عشر وزنا . وهي : الطويل ، والبسيط ، والمديد ، والوافر ، والكامل ، والرجز ، والرمل ، والهزج ، والمنسرح ، والخفيف ، والسريع ، والمتقارب ، والمقتضب ، والمجتثّ . وإن كان المقتضب والمجتثّ ليس لهما تلك الشهرة 5 في كلامهم .

والذي يشكّ في وضع العرب له الخبب .

والذي لم يثبت للعرب أصلا بل هو من وضع المحدثين الوزن الذي يسمّى الدبيتي ، ولا بأس بالعمل عليه ، فانّه مستطرف ووضعه متناسب .

15 ــ **إضــــــاءة** : فأمّا الوزن الذي سمّوه المضارع ، فما أرى أنّ 10 شيئا من الاختلاق على العرب أحقّ بالتكذيب والردّ منه ، لأنّ طباع العرب كانت أفضل من أن يكون هذا الوزن من نتاجها . وما أراه أنتجه إلاّ شعبة بن برسام خطرت (1) على فكر من وضعه قياسا . فيا ليته لم يضعه ولم يدنّس أوزان العرب بذكره معها ، فإنّه أسخف وزن سمع ، فلا سبيل إلى قبوله ولا العمل عليه أصلا .

15 16 ــ **تنـــويــــر** : فعلى ما قدّمته من ضروب تقادير التجزئة في الأوزان العربيّة والملحقة بها والمشكوك في كونها عربيّة أو ملحقة يجب أن يعتمد ؛ فإنّ استيفاء قسمة الوضع المتناسب في الأوزان يقتضي أن تكون تقديرات هذه الأوزان على النحو الذي ذكرته وأن تكون تجزئتها على الصفة التي قدّمتها .

1) كذا بالأصل ، والتقدير صورته ، أي صورة الوزن .

فمن كان له أدنى بصيرة لم يتخالجه الشكّ في أنّ الصحيح ما ذكرته لاستناد ما قلته إلى علم اللسان الكلّي الذي لا تتبيّن أصول علوم اللسان الجزئيّة ومباديه إلاّ فيه ، ولكون علم اللسان الكلّي منشأ على أصول منطقيّة وآراء فلسفيّة موسيقيّة وغير ذلك . فلذلك كان كلامنا في ذلك أهلا لأن يوثق به ويركن إليه . 5

[92 — أ] 17 — **إضـــاءة** : وأكثر / الأوزان التي ذكرتها تتنوّع أعاريضها وضروبها . وذلك إمّا أن يكون بحذف جزء برأسه ، أو بحذف ساكن من وتد أو سبب متطرّف في جزء العروض أو الضرب وإسكان ما قبله ، أو بحذف ساكن ضوعف به سبب أو وتد ، أو بحذف الوتد أو السبب رأسا ، أو بإسكان ما قبل الوتد أو السبب بعد حذفه ، أو بالتزام بعض 10 الزحافات في جزأي العروض والضرب ، أو بزيادة سبب على جزء الضرب ويسمّى ذلك ترفيلا ، أو بزيادة ساكن مصوّت قبل آخر حرف من جزء الضرب ويسمّى ذلك إسباغا وإذالة .

18 — **تنـويـر** : ووقوع هذه العلل والتغايير في عروض عروض وضرب وضرب من أعاريض الأوزان التي قدّمت ذكرها وضروبها على 15 التفصيل يعرفها من تلقاء نفسه من له ذوق صحيح وحصّل له قسطٌ مقنع من الاستقراء وشدا مع ذلك شيئاً من هذه الصناعة . ومن لم يكن له ذوق، ولا استقراء الأوزان فليتولّ عرفان ذلك من الكتب المؤلّفة في العروض . فإنّهم حصروا عامّة ما نوّعت العرب إليه نهايات الأشطار من أبنيّة أوزانها من الأعاريض والضروب . 20

فإنّ هذه الصناعة لا يليق بها أن تخرج إلى محض صناعات اللسان الجزئيّة ، وأن تستقصى فيها تفاصيل تلك الصناعات . وإنّما نتكلّم من

ذلك في ما له علقة بصناعة البلاغة أو في ما عسى المتكلّم في هذه الصناعة
أن يستطرد إليه من ذلك . وأكثر ما يتكلّم البليغ أيضا من ذلك في قوانين
كلّيّة يمكن أن تستنبط منها أشياء في صناعات اللسان الجزئيّة . فلهذا
وكلنا ذكر ما وقع من تغيير تغيير في عروض عروض وضرب ضرب من
5 وزن وزن لصاحب صناعة العروض . فليتصفّح هنالك ، وبالله التوفيق .

ب ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بما وقع في أوزان العرب من ضروب التركيبات / المتلائمة ، وأنواع الترتيبات المتناسبة ، وما لوحظ فيها [92 ـ ب] **ممّا حسن عندهم أن يهيّئوها بهيئته ، وبمقدار ما أوقعوه في وزن وزن من ذلك .**

10 لمّا كان جميع ما يدركه الإنسان لا يخلو من أن يكون شيئا بسيطا لا
تنوّع فيه أصلا أو يكونَ له تنوّع من جهة ما يكون من الأشياء المركّبة ،
وكانت شيمةُ النفس التي جُبِلت عليها حبَّ النقلة من الأشياء التي لها بها
استمتاع إلى بعض ، كانت جديرةً أن تسأم التمادي على الشيء البسيط الذي
لا تنوّع فيه بنقلها من شيء إلى شيء ما لا تسأم الشيء الذي له تنوّع يمكنها
15 معه المراوحة بين تأمّل الشيء وتأمّل غيره ممّا يكون تنوّع ذلك الشيء
إليه ، وإن كانت أيضا تحبّ النقلة من الشيء المتنوّع إلى غيره من المتنوّعات
لكنّها تحتمل من التمادي عليه ما لا تحتمل من التمادي على ما لا تنوّعَ
له أصلا .

1 ـ **إضـــاءة** : وكلّما وردت أنواع الشيء وضروبه مترتّبة على
20 نظام متشاكل وتأليف متناسب كان ذلك أدعى لتعجيب النفس وإيلاعها
بالاستماع من الشيء ، ووقع منها الموقع الذي ترتاح له .

فلهذا كانت المتحرّكات والسواكن إذا ركّبت منها أجزاء أول ، أعني أنّها في أوّل تركيب إذ لا تنحلّ إلاّ إلى جزءين بسيطين أو إلى بسيط ومركّب في أدنى تركيب — وهذه هي الأسباب والأوتاد — ثمّ ألّف من ضمّ بعض تلك الأجزاء إلى بعض على الأنحاء المتناسبة ثمّ وضعت في مقادير من المسموعات ، تحتمل منها : أربعة أجزاء خماسيّة أو خماسيين وسباعيين ، أو ثلاثة أجزاء سباعيّة أو سباعيين وسداسيّا أو تساعيّا وسباعيين أو تساعيّا وسباعيّا وخماسيّا ، أو جزءين ثمانيين ، أو تساعيين . ونُسق في / ذلك بعض المتماثلات على بعض أو قورن بين الجزء وما يضارعه على نحوين من الوضع : [93 — أ]

— 1 — أحدهما أن يضاعف كلاهما ويراوح بينهما في الوضع فيرد أحدهما أبدا عقب الأخر ، فتكون لأحدهما المراتب الأفراد أبدا ، مثل أن يقع أوّلا وثالثا وخامسا وسابعا ، وتكون للآخر المراتب الأزواج بأن يقع ثانيا ورابعا وسادسا وثامنا ، وذلك نحو الطويل والبسيط .

— 2 — والآخر أن يوضع أحد المتضارعين مكرّرا والآخر مفردا ، فيقدّم المتشافعان على المفرد ، أو يوسّط المفرد بينهما ، أو يؤخّران ويقدّم المفرد . وهذا الوضع الأخير لم يقع للعرب إلاّ في فروع الأوزان دون أصولها ، لأنّ هذا الوضع بالنسبة إلى ما قبله قليل التناسب : إذ لا استفتاح فيه بغير مظنّة التناسب ، وإذ الأثقل فيه موضوع طرفا ، وإذ هو من بناء الكثير على القليل ، وبناء القليل على الكثير أنسب ، اللّهم إلاّ إذا كان الجزء المضاعف يقصر على الجزء المفرد الذي بني عليه ، فإنّ ذلك يستساغ .

وعلى هذا النحو استعملت العرب في فروع أوزانها هذا الوضع . وعلى ذلك قيس ما وضع من الأوزان المحدثة ، فضوعف فيه السباعيّ بعد التساعيّ ، أو وضع ذلك على نحو لا ينسق فيه بعض المتماثلات على بعض

ولا يراوح بين جزء يورد متكرّرا في مواضع غير متّصلة وبين جزء مضارع له يورد أيضا متكرّرا في المواضع المتخلّلة لمواضع الآخر ، ولا يضاعف فيه أحد الجزءين وينفرد الآخر ؛ بل يكون الموضع بالاطّراد من بعض المتضارعات إلى بعض والانحدار فيها من الأثقل إلى الأخفّ والاستمرار 5 في ثلاثة الأجزاء على هذا التدريج .

وقد يقع نقلة الترقّي المضادة لهذا الوضع في المضارعات أيضا تناسب في الوضع وحسن مسموع ، ولكن في بعض الاقترانات لأسباب موجبة لذلك قد ذكرناها (1) في غير هذا الموضع .

2 ــ **تنـــويـــر** : والتضارع بين الأجزاء / هو أن يكون ترتيب جزء مّا [93 ــ ب]
10 يماثل ترتيب صدر جزء نحو فعولن ومفاعيلن ، أو يماثل ترتيب الجزء ترتيب عجز جزء آخر نحو فاعلن ومستفعلن ، أو تكون نسبة صدر الجزء إلى صدر الجزء فيما ينقص عنه نسبة عجزه إلى عجز الآخر أيضا فيما ينقص عنه نحو فاعلن ومفاعلتن ، أو يكون صدر أحدهما يماثل صدر الآخر أو يماثل عجزُه عجزَه أو صدرُه عجزَه أو عجزُه صدرَه .

15 والجزء المضاد للجزء هو الذي يكون وضعه مخالفا لوضعه نحو مستفعلن ومفاعيلن . فإنّ الوتد في أحدهما مقدّم على السببين ، وفي الآخر مؤخّر عنهما ، ومثله مفاعلتن ومتفاعلن .

والمنافر هو الذي لا يضارع ولا يضاد وذلك بألاّ يكون بين الجزءين تقارب في الترتيب ولا تضاد فيه نحو متفاعلن ومفاعيلن .

1) انظر الفقر المواليه .

فالتركيبات المتناسبات إنّما تكون باقتران المتماثلات والمتضارعات . ولا يقع في اقتران المتضادات والمتنافرات تركيب متناسب أصلا . وقد يكون الجزء مضادا للآخر من وجه ، مضارعا له من وجه آخر ، مثل فاعلن وفعولن ، فإنّهما وإن تضادا من جهة الوضع بأن قدّم في أحدهما ما أخّر في الآخر ، فقد ضارع أحدهما صاحبه من جهة أن صدره مماثل لعجزه . 5

ويشترط في التضارع مساواة (1) أكثر الجزءين . فإن كان في جزء يسير منهما أو من أحدهما لم يعتدّ به . وأحسن التركيب ما وُضع فيه أحد المتضارعين ممّا يلي الحيّز الذي ضارعه من صاحبه نحو وضع الطويل والبسيط . ولهذا رُفض مقلوب وضعهما لأنّ الجزء فيه ليس موضوعا ممّا يلي الجزء الذي ضارعه من صاحبه . 10

3 — **إضـــاءة** : فإذا وضعت (2) مقادير من المسموعات مؤلّفة من الأجزاء المتقدّمة الذكر على الأنحاء الخمسة التي وضعت عليها العرب أبنية أوزانها — وهي : — 1 — الوضع الذي تتّسق فيه المتماثلات نحو المتقارب — 2 — أو الذي / تتداخل فيه المتضارعات نحو الطويل — 3 — أو الذي [94 — أ] 15 يتقدّم فيه المتشافعان على المفرد نحو السريع — 4 — أو الذي يتوسّط فيه المفرد بين المتشافعين نحو الخفيف — 5 — أو الذي تتّسق فيه المتضارعات نسق انحدار ؛ وعلى ما يناسب من الوضعين الباقيين ، وهو : — 1 — تقديم المفرد على المتشافعين — 2 — ونسق المتضارعات نسق ارتقاء ؛ 20

---

1) بالاصل بمساواة

2) فعل إذا وجوابها يأتي بعد منبها عليه .

وربّعت الخماسيات في نسق المتماثلات في الشطر الموزون وثلّثت السباعيّات فيه وثنّيت الثمانيات والتساعيات في ذلك وربّعت المتداخلات من الخماسيات والسباعيات وثلّثت الواقعة بتشافع وإفراد ، وكذلك المتضارعات أيّ عدد كانت ـ كان (1) ذلك مسموعا متناسبا من شأن 5 النفس أن تستطيبه ويداخلها التعجب من تأتّي نسقه واطّراد هيئاته وترتيباته المحفوظة .

ويسمّى ما كان على هذه الصفة شطر بيت . فإن أردف مقدار موضوع على بعض تلك الأنحاء قد تهيّأ بتلك الهيأة التي تستطيبها النفس وتستبدعها بمقدار آخر يساويه في الوضع والترتيب زادت النفس ابتهاجا بذلك 10 وتضاعفت لها المناسبة وقوي التعجيب المخامر لها فوقع الكلام منها بذلك أحسن موقع وأكمله مناسبة . وهذا المقدار المجموع من المقدارين هو المسمى بيتا .

4 ـ **تنوير** : ولمّا كان أحقّ البواعث بأن يكون هو السبب الأوّل الداعي إلى قول الشعر هو الوجد والاشتياق والحنين إلى المنازل المألوفة 15 وألآفها عند فراقها وتذكّر عهودها وعهودهم الحميدة فيها ، وكان الشاعر يريد أن يبقي ذكرا أو يصوغ مقالا يخيّل فيه حال أحبابه ويقيم المعاني المحاكية لهم في الأذهان مقام صورهم وهيآتهم ويحاكي فيه جميع أمورهم حتّى يجعل المعاني أمثلة لهم ولأحوالهم أحبّوا أن يجعلوا الأقاويل ـ التي يودعونها المعاني المخيّلة لأحبابهم المقيمة في 20 الأذهان / صورا هي أمثلة لهم ولأحوالهم ـ مرتّبة ترتيبا يتنزّل من جهة [94 ـ ب]

1) جواب إذا أول الإضاءة .

موقعه من السمع منزلة ترتيب أحويتهم وبيوتهم . ويوجد في وضع تلك بالنسبة إلى ما يدركه السمع شبه من وضع هذه بالنسبة إلى ما يدركه البصر . فقد تقدّم أنّ المسموعات تجري من الأسماع مجرى المرئيات من البصر . وتوجد لحال حال من هذه أشياء من حال حال من تلك . فقصدوا أن يحاكوا البيوت التي كانت أكنان العرب ومساكنها ، وهي بيوت الشعر ، 5 لكونهم يحنّون إلى ادّكار ملابسة أحبابهم لها واستصحابهم لها واشتمالها عليهم بالأقاويل التي يقيمون المعاني المنوطة بها في الأذهان مقام صورهم وهيآتهم ويجعلونها أمثلة لهم ولأحوالهم . فيكون اشتمال الأقاويل على تلك المعاني مشبها لاشتمال الأبيات المضروبة على من قصد تمثيله بها وأن تجعل تذكرة له . ويكون ما بين المعنى والقول من الملابسة مثل ما كان بين 10 الساكن والمسكن . ومتى أمكن أن يهيّء الشيء الذي يجعل تذكرة لشيء آخر ويقصد به تمثيله في الأفكار بهيأة تشبه هيأة ذلك الشيء المقصود تذكرة من وجوه كثيرة يتّسق بها الشبه كان أنجع في التحريك إليه والانصباب في شعب الولوع به .

5 ــ **إضـــاءة** : ولمّا قصدوا أن يجعلوا هيئات ترتيب الأقاويل 15 الشعريّة ونظام أوزانها متنزّلة في إدراك السمع منزلة وضع البيوت وترتيباتها في إدراك البصر تأمّلوا البيوت فوجدوا لها كسورا وأركانا وأقطارا وأعمدة وأسبابا وأوتادا .

فجعلوا الأجزاء التي تقوم منها أبنيّة البيوت مقام الكسور لبيوت الشعر .

وجعلوا اطّراد الحركات فيها الذي يوجد للكلام به استواء واعتدال 20 بمنزلة أقطار البيوت التي تمتدّ في استواء .

وجعلوا ملتقى كلّ قطرين وذلك حيث يفصل بين بعضها وبعض بالسواكن ركنا لأنّ الساكن / لمّا كان يحجز بين امتواء القطرين [95 – أ] المكتنفين له صار بمنزلة الركن الذي يعدل بأحد القطرين اللذين هما ملتقاهما عن مساواة الآخر ومسامتته ، ولأنّ الساكن له حدّة في السمع 5 كما للركن في رأي العين .

وجعلوا الوضع الذي يبنى عليه منتهى شطر البيت وينقسم البيت عنده بنصفين بمنزلة عمود البيت الموضوع وسطهُ .

وجعلوا القافية بمنزلة تحصين منتهى الخباء والبيت من آخرهما وتحسينه من ظاهر وباطن ، ويمكن أن يقال : إنّها جعلت بمنزلة ما يعالى به عمود البيت 10 من شعبة الخباء الوسطى التي هي ملتقى أعالي كسور البيت وبها مناطها .

وقد يقال : إنّهم جعلوا العروض والضرب وهما نهايتا شطري البيت في أن وضعوهما وضعا متناسبا متقابلا منزلة القائمتين في وسط الخباء اللتين يكون بناؤه عليها .

وجعلوا الاعتماد على السواكن وحفظ نظام الوزن بانبثاثها أثناء متحركاته 15 على النحو المناسب وتحصين وضعه من الاختلال باعتراضها في المواضع المقدّرة لها وإمرارها سلك الكلام وتلافيها له بما فيها من القوّة والجزالة عند توقّع وقوع الفترات بتضاعف الحركات وتواليها بمنزلة الأوتاد التي تحفظ وضع الخباء وتمسك جوانبه . فاذا تُلُوفِيَ ذلك في مظان تلافيه طاب الكلام واعتدل ، وإذا حوفظ في إطابته بذلك وتعديله على مذهب 20 واحد في تقدير المواضع التي يقصد تدارك الكلام فيها بذلك وتعيين المراتبَ التي يجب فيها إيقاع ذلك استبدَعت النفسُ حفظ ذلك الترتيب واشتدّ ولعُها به وتعجبُها منه . فهذا أيضا من الوجوه التي حسّنت موقع الكلام الموزون من النفس .

6 ــ **تنـويـر** : ولمّا كانت الأوتاد : منها ما ثباته ضروري في إمساك الخباء وتحصينه . ومنها ما في ثباته تحصين مّا وقد / تحتمل إزالته . [95 ــ ب] جعل الخليل الضروريّات من السواكن أوتادا وجعل غير الضروريّة أسبابا . والأحسن أن يقال : إنّ هذه وتلك أوتاد . لكنّ ثبات إحداهما ضروريّ في حفظ بنية البيت ، فهو بمنزلة الوتد الذي لا بدّ منه في الخباء ، وثبات الأخرى ليس ضروريا في حفظ بنية البيت بل يستقلّ البيت به ودونه ، فهي بمنزلة الأوتاد التي تستعمل في إمساك جوانب البيوت وقد يستغنى عنها.

وفي الأسباب ما لا يمكن الاستغناء عنه كألف متفاعلن مع السلامة من الإضمار ونون مفاعلتن مع السلامة من العصب . فسواكن هذه الأسباب مع سلامة الأجزاء ضروريّة الثبات في حفظ بنية الوزن . فهي جارية مجرى الأوتاد بل هي أوتاد كما قلناه . وكأنّ حركة ما قبل كلّ وتد منها سبب له . ولكنّ الخليل سمّى كلّ حركة وساكن مقترن بها لا يعتمد عليه في أكثر المواضع سببا . فإذا اعتمد على ساكن بعد متحرّكين أو بينهما سمّي مجموع ذلك وتدا . ولا تشاحّ في الألفاظ كما أنّه لا حرج على من عَدَل عمّا تقتضيه تلك الأسامي في المسمّيات إذا أراد الإفصاح عن جهات مشابهاتها لما نقلت إليها منه التسمية والتمثيل الصحيح في ذلك .

7 ــ **إضـاءة** : ولنقل الآن في كيفية تركب الاسباب والاوتاد من المتحرّكات والسواكن . وكيفية تركّب الأجزاء منها ، وفي كيفيّات مواقع هذه وتلك مطّردة وغير مطّردة في الأوزان ، وكيف تتهيّأ أجزاء المسموعات التي تقع فيها بالتقاذف بها إلى شتّى ترتيباتها بالهيآت التي تصير بها متشكّلة بأشكال الأبيات المضروبة .

فأقول : إنّه إذا تركّبت حركتان كان ذلك سببا ثقيلا نحو لَكَ ، لِمَ ، فإن زدت عليه ساكنا كان وتدا مجموعا نحو لَقَدْ ، فإن زدت على ذلك

ساكنا ثانيا صار الوتد مضاعفا نحو مَقَال ْ مسكّن اللام ، فإن تركّب متحرّك مع ساكن كان ذلك سببا خفيفا نحو قَدْ ، فإن زدت عليه ساكنا / ثانيا كان سببا متواليا . فإن زدت على السبب الخفيف الذي لم يتوال متحرّكا كان وتدا مفروقا نحو كَيْفَ . [96 – أ]

5 8 – **تنوير** : فالسبب الخفيف والوتد المجموع يقعان كلّ موقع من أوائل الأجزاء وأوساطها وأواخرها . والسبب الثقيل والوتد المفروق لا يقعان إلاّ في أوائل الأجزاء وأوساطها . والسبب المتوالي والوتد المضاعف لا يقعان إلاّ في نهايات أجزاء الضروب ومصرّعات الأعاريض . وأسباب ذلك معروفة ممّا تقدّم .

10 9 – **إضاءة** : وبعض هذه الأجزاء يتركّب مع بعض على الإطلاق . وذلك الأسباب الخفيفة مع الأوتاد المجموعة والمفروقة .

ومنها ما لا يتركّب أحدهما مع الآخر في خماسيّات الأجزاء وسباعياتها ويتركّب فيما فوق ذلك . وذلك كالأسباب الثقيلة والأوتاد المفروقة . ولا تتركّب معها إلاّ متقدّمة عليها كما أنّ الأسباب الثقيلة أيضا لا تتركّب 15 مع الأوتاد المجموعة إلاّ متأخّرة عنها .

ومنها ما لا يركّب مع جميع الأجزاء إلاّ متأخّرا عنه . ومنها السبب المتوالي والوتد المتضاعف . ولا يتركب أحدهما مع الآخر . وتسمّى هذه الأجزاء الأرجل .

10 – **تنوير** : ولا يخلو التركيب من أن يكون من رجلين سبب ووتد، 20 فيكون الجزء المركّب منهما خماسيّا إن لم يكن هناك سبب متوال أو وتد متضاعف . فإنّ الجزء يكون مع كليهما على ستة أحرف ، وكذلك

ينفسان جميعَ الأجزاء إذا وقعا في نهاياتها ؛ أو يكون من ثلاثة أرجل ولا يخلو ذلك من أن يكون من سببين ووتد فيكون الجزء سباعيّا ، أو من سبب ووتدين فيكون الجزء ثمانيا ؛ أو يكون من أربعة أرجل فيتركّب منها ثلاث تركيبات : — 1 — سبب وثلاثة أوتاد — وهو تركيب مستثقل غير ملائم — 2 — وسببان ووتدان والتركيب منهما ينحلّ إلى الخماسيات ، 5
— 3 — وتركيب لا يستثقل المتناسب منه ولا ينحلّ إلى غيره ، فالقياس يوجب إثباته وقبوله وهو تساعيّ نحو مستفعلاتن .

11 — **إضـــاءة** : ولنقل الآن في ما قصدوه في وضع الأبنية الشعريّة من حيث / جعلوا اطّراد الحركات في الأوزان واستقامة جرية اللسان عليها [96 — ب] واستواء الكلام بها بمنزلة امتداد أقطار البيوت واستقامتها واستوائها ، 10 وجعلوا السواكن مطّردة بمنزلة الأركان .

فأقول : إنّ أقلّ ما يعدّ من توالي المتحرّكات قطرا المتحرّكان ، فإنّه القطر الأصغر . فأمّا الحركة بين ساكنين فإنّها كالفرجة بين طنبين . ويليه القطر الأوسط وهو ثلاثة متحرّكات ، ثمّ القطر الأكبر وهو أربعة متحرّكات ، وهو أقصى ما يوجد عليه اطّراد الحركات في الأوزان . 15
وأقلّ ما يعدّ من السواكن ركنا الواحد ثمّ الاثنان ثمّ الثلاثة ثمّ الأربعة . وهي أقصى ما يوجد من اطّراد السواكن في الأوزان .

12 — **تنـــويـــر** : ولا تستحسن الأركان والأقطار التي تناهت إلى هذا الحدّ ، بل الواجب أن يحذف ثالث السواكن من هذه ويثبت ما يفصل في تلك بين بعض المتحرّكات وبعض بإعادة بعض السواكن المحذوفة من أثناء 20

ذلك لأنّ المتحرّكات لا تنتهي إلى أربعة في الأوزان على اطّراد ونسق إلاّ بحذف بعض السواكن .

13 — **إضـــاءة** : ويجب أن تعلم أنّ أبيات الشعر ، وإن كانت أوائلها منفصلة عن أوائلها ، فإنّ النظام فيها في تقدير الاتّصال على استدارة إذ كان وضع الأوزان الشعريّة وترتيبها ترتيبا زمانيا لا يمكنك فيه أن ترجع بالنهاية إلى زمان المبدأ بل تكون بينهما فسحة من الزمان ولا بدّ . وترتيب البيت المضروب ترتيب مكاني إذا بدأت بأيّ موضع شئت منه ثم درت عليه تأتّى لك أن ترجع إلى الموضع الذي بدأت منه بنقلة مستديرة على اتّصال من غير أن يكون بين المبدإ والنهاية فسحة . والأوزان وإن لم يمكن أن يعاد بالنهاية فيها إلى زمان المبدإ فإنّها في تقدير ذلك ، إذ نسبة سرد الشطر الأوّل من أيّ بيت وقع تاليا لبيت بعد الانتهاء إلى قافية البيت المتقدّم وإعطاء كلّ متحرّك وساكن منه حقّه من التلفّظ نسبةُ سرد الشطر الثاني / وإعطاء متحرّكاته وسواكنه حقوقها من التلفّظ بعد الانتهاء إلى مقطع الشطر الأوّل . فلذلك يجب أن يجعل ساكن القافية الأخير مع ما يتقدّمه من السواكن أو يتلوه من ذلك في أوّل البيت التالي له أو على حدته ركنا فاصلا بين ما وقع في صدر جزء القافية الذي هو فيها من اطّراد المتحرّكات الذي هو بمنزلة بعض أقطار البيت التي تمتدّ بين بعض أركانه وبعض وبين ما وقع من ذلك في صدر الجزء المفتتح به البيت الذي يليه أو وسطه أو آخره . [97 — أ]

14 — **تنـــويـــر** : فتجد على هذا أركان الأبيات الباقية على وضعها الأصلي مزدوجة (1) إذ التي في الشطر الأوّل منها مساوية للتي في الشطر الثاني في العدد . ولا ينقص أحدهما عن الآخر في ذلك إلاّ بتغيير .

1) بـ الأصل من درجة .

فأقصى ما نجدهم بنوا عليه أشطار البيوت ستة أركان . فيكون لمجموع البيت على ذلك اثنا عشر ركنا ، وذلك في الكامل وحده لأنّ بناء شطره من متفاعلن ثلاث مرّات . ثمّ يقطعونه فيصير إلى أحد عشر ركنا ثمّ يصير بوقوع الحذذ في الأعاريض والضروب إلى عشرة أركان مع السلامة من الإضمار وإلى تسعة بالإضمار . 5

ويليه في كثرة الأركان الوافر لأنّ في كلّ شطر منه خمسة أركان . فجميع أركانه إذا عشرة .

ويليه في ذلك المربّعة الأشطار ، كالطويل والبسيط والمتقارب ، فإنّ في كلّ جزء منها ركنا ، فكلّ واحد منها ثمانية أركان . وتصير أركان الطويل والبسيط بالزحاف إلى اثني عشر . والخبب مثل المربّعات الأشطار 10 في أنّه مبنيّ على ثمانية أركان .

فأمّا السباعيات الأجزاء المثلّثة الأشطار ممّا لم يقع فيه سبب ثقيل فهي مبنيّة على ستة أركان ، وتصير بإعلالات الضروب إلى خمسة .

وممّا بني على أربعة أركان الوزن الذي قدّمت (1) أنّ المحدثين هم الذين علم من أقوالهم ، ولا يبعد أن يكون من وضع العرب فإنّه متناسب الوضع. 15 فيجب أن يلحق بما يستعمل من الأوزان ولنصطلح على تسميته باللاحق ، لهذا المعنى . فقد / قدّمنا (2) أنّه يوجد فيه ساكن لا يوجد في مخلّع [97 ـــ ب] البسيط ولا يقبله . ويوجد في مخلّع البسيط ساكن لا يوجد في هذا اللاحق ولا يقبله ، فلهذا حكمنا أنّه وزن قائم بنفسه ، وبناء شطره : مستفعلاتن مستفعلاتن . 20

1) راجع 238 :

2) مثله .

وقد خصّوا الرجز بأن أبقوا مشطوره على ثلاثة أركان ، وهو أقلّ ما تُقوّمُ منه الأشكال . ويشبه أن يكون هذا بعض ما أوجب احتمالها لاطّراد المتحرّكات في أقطاره لأنّ الأشكال المثلّثة أطول الأشكال عروضا وأقطارا . وكأنّهم جعلوا الأبيات المسدّسة الوضع وسطا في ذلك 5 حيث ترقّوا في ذلك إلى ضعفها وانحطّوا الى نصفها .

15 – **إضـــاءة** : ولقائل أن يقول : إنّ أجزاء الشطور الأول تنزّل منزلة ما يلي الأرض من كسور البيت ، وإنّ أجزاء الشطور الثواني تنزّل منزلة ما يلي السمك منها . ولهذا قد تقصر دائرة نظام الأشطار الثواني في كثير من الضروب عن دائرة نظام الأشطار الأولى نحو ضربي عروض 10 الكامل المقطوع والمضمر ، فإنّ دائرة ما يلي السمك من الأخبية أضيق من دائرة ما يلي الأرض . وليست ملاحظة هذا الوجه في الأوزان بضربة لازب ، وعلى هذا التقدير يحسن في القافية أن يقال فيها إنّها جعلت بمنزلة رأس الخباء وما يعالى به العَمود ، فأحكمت هيآتها لذلك وجعل العروض القاسم للبيت بنصفين بمنزلة مُوصِل قائمة الخباء العليا بقائمته السفلى . وجعلوا 15 اطّراد النظام المتناسب ما بين مبدأ البيت ومنتهى القافية بمنزلة استقامة قوائم البيوت . وممّا يقوّي أنّ العروض كموصل القائمتين أنّ كثيرا من الأعاريض القصار والتي قد نقص بعض أجزائها لا يجعلون لها أعاريض كمشطورات الرجز أو لا يحافظون على وضعها ولا يرتبطون في ذلك إلى هيآت محفوظة نحو ما ورد (1) في مخلّع البسيط لعبيد بن الأبرص 20 وغيره.

---

1) ومنه : اصبحت والشيب قد علاني ادعو حثيثا إلى الخضاب .
الخزرجي ، 71 .

16 ـ **تنـويـر** : واعلم أنّ السواكن التي تفصل بين قطرين أصليين لا يجوز حذفهما وإن كانت من أسباب. وكذلك الساكن الذي / يؤدّي [98 ـ أ] حذفه إلى اتّصال قطر ثلاثي أي متّسق فيه ثلاث حركات بركن رباعي أي متوالٍ فيه أربع سواكن ؛ فإنّ هذا أيضا لا يجوز حذفه ، وذلك كالنون من مستفعلن في الخفيف. وينبغي أن تسمّى هذه الأسباب بالأسباب 5 المضارعة للأوتاد في مواقعها . وأحكام الأوزان تختلف في ما يسوغ حذفه من سواكن الأسباب في الزحاف المفرد والمزدوج بحسب اختلاف أنحاء الاعتمادات على نهايات الأجزاء وبحسب مواقع الأسباب من مواضع تلك الاعتمادات . ولذلك يسوغ من الزحاف المزدوج في سببي البسيط ما لا يسوغ في سببي الطويل . كذلك الزحافات المفردة لا تسوغ في الأسباب 10 حيث تكون مظان اعتمادات وتحصينات للأوزان من توالي ما لا يسوغ فيها .

وهذه لمحة تدلّ الذكيّ الألمعيّ على ما يتفصّل إليه القول المجمل فيها بحسب وزن وزن وتجزئة تجزئة .

17 ـ **إضـاءة** : فهذا الذي قلته في مجاري الأوزان وأنحاء تركيباتها وما يسوغ فيها هو الرأي الصحيح الذي تعضّده الآراء البلاغيّة والقوانين 15 الموسيقيّة ويشهد به الذوق الصحيح والسماع الشائع عن فصحاء العَرب . فدع عنك ما غيّره أو وضعه العروضيّون (1) أو الرواة (2) من الأبيات المضمحلّة التي لا يوجد لها نظير في الأشعار الفصيحة الصحيحة الرواية . فقد ردّ بعض (3) العروضيين ما استشهد به بعضهم من الأبيات الفاسدة ،

---

1) راجع فصل وايل ، د. م. ا. ، (2) ، 688 — 698 .
2) مثال ذلك ، البيت الوارد 235 س 10 .
3) راجع في هذا الخزرجي ، 37 — 43 .

وزيّن بعضهم شواهد بعض . وكثير أيضا ممّا وضع واختلق أو غيّر جاز عليهم أو على أكثرهم . فلهذا يجب أن لا يقبل شيء يخالف ما قلناه لأنّا وضعنا هذه القوانين بحسب ما شهدت به أصول علوم جليلة ، بها يتميّز الصريح المحض من الزائف البهرج في كلّ مذهب من مذاهب اللسان 5 ومأخذ من مآخذ البيان .

ولاستقصاء الكلام في صناعة العروض طول لا يحتمله هذا الموضع قد فرغت منه في موضع خاص (1) بصناعة العروض . فمن هنا يعرف تفصيل هذا المجمل .

ج — / معلم دالّ على طرق العلم بمقادير تناسب الأوزان وما يسوغ [98 — ب]
10 **فيها من التغايير وما لا يسوغ على الوجه المختار .**

أوزان الشعر منها متناسب تامّ التناسب متركّب التناسب متقابله متضاعفه، وذلك كالطويل والبسيط . فإنّ تمام التناسب فيها مقابلة الجزء بمماثله ، وتضاعف التناسب هو كون الأجزاء التي لها [لها] مقابلات أربعة ، وتركّب التناسب هو كون ذلك في جزءين متنوّعين كفعولن ومفاعيلن في الطويل ، 15 وتقابل التناسب هو كون كلّ جزء موضوعا من مقابله في المرتبة التي توازيه . فإن كان الواحد في صدر الشطر الأوّل كان الآخر في صدر الشطر الثاني . وإن كان ثانيا كان مقابله ثانيا . وإن ثالثا فثالث . فالأعاريض التي بهذه الصفة هي الكاملة الفاضلة . وكلما نقص عروضا شرط من هذه

1) نعرف لحازم رسالة في القوافي لعلها هي التي يعنيها هنا ، أما في فن العروض خاصة فذلك ما لم نقف عليه إلا من لفظه .

الشروط أو أكثر كان في الرتبة من مقاربة الكلام أو مباعدته بقدر ما نقص منه .

1 — **إضاءة** : وأوزان الشعر منها سبط ، ومنها جعد ، ومنها ليّن ، ومنها شديد ، ومنها متوسّطات بين السباطة والجعودة ، وبين الشدّة واللين وهي أحسنها . والسبطات هي التي تتوالى فيها ثلاثة متحرّكات ، والجعدة هي التي تتوالى فيها أربعة سواكن من جزءين أو ثلاثة من جزء ، وأعني بتواليها ألاّ يكون بين ساكن منها وآخر إلاّ حركة . والمعتدلة هي التي تتلاقى فيها ثلاثة سواكن من جزءين ، أو ساكنان في جزء . والقويّة هي التي يكون الوقوف في نهاية أجزائها على وتد أو سببين . والضعيفة هي التي يكون الوقوف في نهاية أجزائها على سبب واحد ، ويكون طرفاه قابلين للتغيير . وإذا تركّب الضعيف مع القويّ فربّما غطّى على ضعفه ، وخصوصا إذا حدثت في التركيب جعودة كالحال في الخفيف . فإنّ تركّب الضعيف مع معتدل لم يخف معه ضعفه / كالحال في المديد . [99 — أ]

2 — **تنوير** : فأمّا التغييرات اللاحقة للأوزان فمنها ما يكون بنقص بعض أجزاء الوزن ، ومنها ما يكون بزيادة . فأمّا النقص فضروب الزحاف الواقع في الأسباب بحذف بعض سواكنها وإسكان بعض متحرّكاتها . وكذلك أيضا قد يقع التغيير في الأوتاد بتسكين أوّل متحرّكاتها ، وذلك حيث تكون جزءا من فاصلة لم يتضاعف فيها تغيير ، أو بحذف ثواني الأسباب الثقيلة وأوائل الأوتاد المجموعة في صدور البيت ويسمّى خرما . وحذف أوّل الوتد في صدور البيوت أحسن من حذف ثاني السبب الثقيل . ويجب أن يكون لمُورد الأبيات ، قاصدا إقامة أوزانها ، فضلُ اعتماد وتوقّرات وإشباعات الحركات وما ينتسب إليها من الحروف القابلة للمدّ

والإطالة في ما يكشف مواضع المحذوفات ويتّصل بها ليكون ذلك سادّا مسدّها وجاريا مجرى البدل منها .

3 — **إضـــاءة** : فأمّا التغييرات (1) التي تكون بزيادة فمنها ما يقع في القوافي ومنها ما يقع في الأعاريض . فأمّا ما يقع في القوافي فإنّ الأعاريض التي يكون لها ضربان : ضرب مقطعه على سبب متوالٍ أو وتد متضاعف ، وضرب مقطعه على سبب خفيف غير متوالٍ أو وتدٍ غير مضاعف قد يجوز فيما بنيت قافيته من ذلك على سبب غير متوالٍ أن يوالي السبب في بعض الضروب وإن كان ذلك مستقبحا . ويجوز فيما بنيت قافيته على وتد غير متضاعف أن يضاعف الوتد في بعض الضروب من ذلك ، وإن كان أيضا ذلك قبيحا . وإنّما استساغ بعض العرب هذا لأنّ العروض تقبل نسق كلا الضربين عليها . وإن وقعت بذلك بين بعض الضروب وبعض مخالفة ، فليس ذلك من المخالفة التي يصير بها الجزءان طرفي نقيض في الوضع ، بل هما متناسبان لم يختلفا إلاّ بالأزيد والأنقص . ويشبه أيضا أن يكون العرب إنّما تفخّم الساكن في هذا الوضع الذي قد يستسيغونه في القوافي إذا كان ممّا يجري فيه الصوت ويكون التلفّظ به قبل الساكن التالي له وأسهل من غيره / وأخفى موقعا ، ليكون ذلك الساكن توجد فيه مضارعة [99 — ب] للحروف المصوّتة من جهة ما يوجد له بعض تصويت ، ويوجد الهواء متسرّبا مع التلفّظ به ، وذلك نحو الهاء والعين والحاء والنون وما جرى مجرى ذلك .

وممّا ورد من ذلك قول نابغة بني شيبان من قصيدة يقول فيها :

[الرمل — ق — المتدارك]

1) بالأصل التغيير بصيغة المفرد .

امدح الكأسَ ومنْ أعمَلَهَا واهجُ قوما قتلونا بالعَطَش
إنَّمَا الكأسُ ربيعٌ باكِرٌ فإذا ما غابَ عَنّا لم نَعِش

ثم قال في وصف الخيل :

فيها يَحْوُون أسْلابَ العِدَى ويصيدون عليها كلّ وَحْش(1)

وأورد بيتين آخرين على هذا النحو . 5

ويجب ألاّ يعمل على هذا وإن كان وقع في أشعار العرب .

وأمّا الذي يقع في الأعاريض . فإنّ العروض التي يمكن أن تبنى على سبب متوالٍ أو وتد متضاعف إذا صرّعت يسوغ أن يوقع فيها الكلم التي التقى فيها ساكنان بالإدغام بعد المدّ فيكون الساكنان نهاية العروض ويكون مبدأ الشطر الثاني ثاني المتضاعفين . وذلك نحو عروض المتقارب وعروض 10 مربّع الكامل . وينبغي أن يسامح الشعراء في هذا وألاّ يضايقوا فيه حيث يكونون مضطرّين إلى ذكر اسم قد لزمه التشديد بعد المدّ . فأمّا إذا وجد مندوحة عن ذكر ذلك اللفظ بوجدان مرادف له وما يغني غناءه فينبغي له ألاّ يرتكب ذلك ولا يجعله سبيلا إلى انتقاد نظمه مع إضلال ضالّة العذر في ذلك . 15

4 — **تنوير** : **فأمّا** ما رام العروضيون إثباته في متون الأوزان من الزيادة التي يسمّونها الخزم بالزاي فإنّهم غلطوا في ذلك لأنّ العرب لم

1) الأبيات الثلاثة من قصيدة له في الخمر ووصف الخيل والفخر . أولها :

أيها الساقي سقتك مزنة من ربيع ذي أهاضيب وطش

الأغاني ، (3) ، ٧ ، ١٠٩ .

وقد تقدمت الاشارة إلى هذه القصيدة بذكر طالعها :

حل قلبي من سليمى نبلها إذ رمتني بسهام ولم تطش

228 ، التنبيه 4 .

تـكن تعدّ تلك الزيادات من متون الأوزان . وإنّما كانوا يجعلونها توطئات وتمهيدات ووُصُلا لإنشاد البيوت وبناء عباراتها عليها ، وإن كانت متميّزة في التقدير والإيراد عنها بأزمنة قصيرة قد تخفى على السامع فيظنّ أنّهـم قد جعلوها من متون الأبيات . وذلك غير ممكن أصلا . فإنّ الأوزان ممّـا
5 يتقوّم به / الشعر ويعدّ من جملة جوهره . والوزن هو أن تـكون المقـاديـر [100 — أ] المقفّاة تتساوى في أزمنة متساويـة لاتّفاقهـا في عدد الحركات والسكنـات والترتيب . فما حذف من بعضها على بعض الوجوه التي بينّاها أمكن أن يتوفر على ما بني منه وأن يتلافى لتمكين الحركات والسكنات المكتنفة لـه قدر ما فات من زمان النطق به . فيعتدل المقداران بذلك فيـكونان متوازيين .
10 والزيادة على المقدار المساوي لسائر المقادير ليس فيها حيلة يمكن معها تساوي المقدارين المزيد فيه والباقي على أصله . وإنّما ساغ ذلك في السواكن حيث كانت أقصر الحروف زمانا ، وكان لها أصل ترجع إليه في أبنيّة الأوزان ، فوجدت مقبولة في الاذواق لذلك .

فهذا هو الرأي الصحيـح في الخزم الذي عوّل عليه الحذّاق بأخذ الـكلام
15 عن العرب وفهم مذاهبهم فيه . وقد وجدنا الـكتّـاب والبلغـاء يرصّعـون الأسجاع بالأبيات ويجعلونها مبادي للأبيات والأبيات خواتم لها ، حتّى ربّما أنّهم لم يقدّموا قبل البيت أكثر من لفظة واحدة وربّما اكتفوا في ذلك بواو العطف . ولا يعتقدون أنّ تلك الألفاظ والحروف من متون . وهـكذا كانت مـآخذ العرب في ذلك . وإنّما خفي هذا المذهب على من
20 جهل مـآخذ الـكلام ومقاطعه وضروب وضعه وأفانين منازعه .

5 — **إضـــــاءة** : وإذ قد تبيّن هذا فلنعد إلى ذكر ما يستحسن مـن ضروب الزحاف ويستقبـح ، ونؤصّل في ذلك أصلا يعرف بما يجب أن يعتمد من ذلك عند الحاجة إليه ، وما يجب أن يجتنب . فأقول : إنّ ممّـا

يخلّ بالأوزان من ضروب الزحاف ، ويزيل كثيرا من حلاوتها وتناسبها، فيجب أن يجتنب على كلّ حال ، أربعة أشياء :

الزحاف المزدوج كلّه .

والزحاف المؤدّي إلى أن يصير الجزء الذي وضع لأن يماثل جزءا آخر ويقابله مضادا له ، وقد تقدّم (1) التعريف بذلك . 5

والوجه الثالث السواكن التي تكون أواخر أجزاء هي مظان وقفات واعتمادات ولا سيما إذا كان ذلك نهاية شطر بيت كالسواكن الأخيرة من فاعلاتن / في عروض الخفيف ، والحال في ساكن فاعلاتن الذي في أوائل [100 ــ ب] أشطاره على نحو من ذلك في أنّه يقبح حذفه .

والوجه الرابع ممّا يجب اجتنابه من الزحافات حذف السواكن التي يؤدّي حذفها إلى توالي ثلاثة متحرّكات عقيب توالي أربعة سواكن كالنون من مستفعلن في الخفيف . 10

فهذا هو الرأي الصحيح الذي يشهد بصحّته الذوق والقياس والسماع .

6 ــ **تنـــويـــر** : وجملة ما يجب أن يعتمد في اعتبار مجاري النظم ، من جهة ما يزاحف أو يعلّ من أسبابه وأوتاده ، أن يجعل قانون الاعتبار الصحيح في ما يجب أن يؤثر من ذلك أن توجد الأوزان جارية من جميع ذلك على ما يحسن في السمع ويلائم الفطرة السليمة الذوق ، ويوجد مع ذلك كثيرا مطّردا في أشعار فصحاء العرب . فيكون حينئذ موافقا لمجاري كلام العرب الصحيحة مع كونه وفقا للنفوس والأسماع . ومن كان 15

1) انظر الفقر السابقة من هذا الفصل .

صحيح الذوق وحصر مجال النظر ومواضع البحث في الأعاريض والقوافي ومجاري الأوزان ثمّ تصفّح كلام المجيدين من العرب والمحدثين ونظر منها في كلّ موضع للنظر ، فأثبت ما كان ملائما ومطّردا ونفى ما كان منافرا غير مطّرد ، فقد استضاء بآية التوفيق المبصرة وورد صوب
5 الإصابة من منشإ سحائبه المطرة .

7 — **إضـــاءة** : وأمّا من لا ذوق له فقلّما يتأتّى له التوصّل إلى تمييز ما يحسن في مجاري الأوزان ومباني النظم ممّا يقبح فيهما ، إذ أكثر من ألّف في هاتين الصناعتين مشفق من أن يَنْسب إلى العرب قبحا في مجرى من مجاري كلامها إلاّ في الندرة . فهم يتلقّون كلّ ما رُوي لهم من
10 كلامهم — صحّت الرواية أو لم تصحّ — بالتسويغ والتحسين . ولا ينسبون إليهم إساءة إلاّ حيث تعييهم الحيلُ في الاعتذار عنهم .

فهذا رأي نحوي هو في الطرف ممّا يراه البلغاء من ألاّ يتسامح في وقوع ما يقبح وقبوله على أنّه غير قبيح لعربيّ ولا محدث . ولا يعتبر الكلام بالنسبة إلى قائل ولا زمان البتة . وإنّما يعتبر بحسب ما هو عليه في نفسه من
15 استيفاء شروط البلاغة والفصاحة بحسب ما وقع فيه أو استيفاء أكثرها / أو [101 — أ] وقوع أقلّها فيه أو عدمها بالجملة منه ووجود نقائضها أو أكثرها . فبهذا النحو يصحّ الاعتبار .

د — معرف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء النظر في بناء الأشعار على أوفق الأوزان لهـا .

20 لمّا كانت الأوزان متركّبة من متحرّكات وسواكن اختلفت بحسب أعداد المتحرّكات والسواكن في كلّ وزن منها ، وبحسب نسبة عدد المتحرّكات إلى عدد السواكن ، وبحسب وضع بعضها من بعض وترتيبها ،

وبحسب ما تكون عليه مظانّ الاعتمادات كلّها من قوّة أو ضعف أو خفّة أو ثقل ، وصار لكلّ وزن بحسب مخالفته لجميع الأوزان في الترتيب والمقدار ومظانّ الاعتماد ونسبة عدد المتحرّكات إلى عدد السواكن أو في بعض هذه الأنحاء الأربعة دون بعض ، ميزةٌ في السمع وصفة أو 5 صفات تخصّه من جهة ما يوجد له رصانة في السمع أو طيش ، ومن جهة ما يوجد له سباطة وسهولة أو يوجد له جعودة وتوعّر ، ومن جهة ما يوجد باهيا أو حقيرا وغير ذلك ممّا يناسب فيه المسموع المرئي . ولا بدّ أن يكون كلّ وزن مناسبا لغيره من إحدى هذه الجهات مناسبة قريبة أو بعيدة .

1 — **إضـــاءة** : ولمّا كانت أغراض الشعر شتّى وكان منها ما يقصد 10 به الجدّ والرصانة وما يقصد به الهزل والرشاقة ، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم وما يقصد به الصغار والتحقير ، وجب أن تحاكى تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيّلها للنفوس . فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة ، وإذا قصد في موضع قصدا هزليّا أو استخفافيا وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكى ذلك بما يناسبه من 15 الأوزان الطائشة القليلة البهاء ، وكذلك في كلّ مقصد . وكانت شعراء [101 — ب] اليونانيين تلتزم لكلّ / غرض وزنا يليق به ولا تتعدّاه فيه إلى غيره .

وهذا الذي ذكرته من تخييل الأغراض بالأوزان قد نبّه عليه ابن سينا في غير موضع من كتبه ، ومن ذلك قوله في **الشفاء** ، في تعديد الأمور التي تجعل القول مخيّلا : « والأمور التي تجعل القول مخيّلا : منها أمور 20 تتعلّق بزمان القول وعدد زمانه وهو الوزن ، ومنها أمور تتعلّق بالمسموع من القول ، ومنها أمور تتعلّق بالمفهوم من القول ، ومنها أمور تتردّد بين المسموع والمفهوم » (1) .

1) أرسطو ، (1) ، 163 ، س 3 — 5 .

2 – **تنـويـر** : والأجزاء التي تأتلف منها مقادير الأوزان : منها ما يتناسب نحو فاعلن وفاعلاتن وفعولن ومفاعيلن ، ومنها ما تناسبه على الضدّ من هذا نحو مستفعلن فاعلن . ألا ترى أنّ هذين الجزءين يتساوقان من أوّل الخماسيّ وثاني سبب من السباعيّ . وكذلك الأجزاء الأُول تتساوق
5 الخماسيات والسباعيات منها ما عدا السبب الآخر من السباعيات فإنّه يفضل عن ذلك . ومن الأجزاء ما يتدافع ويتخالف نحو مفاعيلن مستفعلن.

فالتأليف من المتناسبات له حلاوة في المسموع ، وما ائتلف من غير المتناسبات والمتماثلات فغير مستحلى ولا مستطاب . ويجب أن يقال في ما ائتلف على ذلك النحو شعر ، وإن كان له نظام محفوظ لأنّا نشترط في نظام
10 الشعر أن يكون مستطابا . وما ائتلف من أجزاء تكثر فيها السواكن فإنّ فيه كزازة وتوعّرا . وما ائتلف من أجزاء تكثر فيها المتحرّكات فإنّ فيه لدونة وسباطة . والكثير السواكن إذا حذف بعض سواكنه ولم يبلغ ذلك الحذف الإجحاف به اعتدل . وهم يقصدون أبدا أن تكون السواكن حائمة حول ثلث مجموع المتحرّكات والسواكن إمّا بزيادة قليلة أو نقص
15 وَلأن تكون أقلّ من الثلث أشدُّ ملاءمة من أن تكون فوقه .

3 – **إضـاءة** : وما كان متشافع أجزاء الشطر من غير أن يكون متماثل جميعها فهو أكمل الأوزان مناسبة . وما كان متشافع بعض أجزاء الشطر تالٍ له في المناسبة ، وما لم يقع في شطره تشافع أدناها درجة في التناسب . وما وقع التشافع / والتماثل في جميعه استثقل ولم يستحل أيضا [102 – أ]
20 للتكرار .

فبحسب تضاعف التشافع في الشطر أو اتّحاده أو عدمه ، وبحسب اتحاد الجنس في جميع أجزائه أو تنوّعه ، وبحسب قوّة المشاكلة والمناسبة

بين جزء وجزء وضعفها ، وبحسب ما تكون عليه الأجزاء من كزازة أو سباطة أو اعتدال . وبحسب ما يكون عليه مظان الاعتمادات وما تنتهي إليه مقادير الأوزان . تكتسبُ الأوزانُ أوصافا من المتانة والجزالة والحلاوة واللين والطلاوة والخشونة والرصانة والطيش وغير ذلك .

4 — **تنوير** : ومن تتبّع كلام الشعراء في جميع الأعاريض وجد الكلام الواقع فيها تختلف أنماطه بحسب اختلاف مجاريها من الأوزان . ووجد الافتنان في بعضها أعمّ من بعض . فأعلاها درجة في ذلك الطويل والبسيط . ويتلوهما الوافر والكامل . ومجال الشاعر في الكامل أفسح منه في غيره . ويتلو الوافر والكامل عند بعض الناس الخفيف . فأمّا المديد والرمل ففيهما لين وضعف . وقلّما وقع كلام فيهما قويّ إلاّ للعرب وكلامهم مع ذلك في غيرهما أقوى . وقد نبّه على هذا في المديد أبو الفضل ابن العميد (1) . فأمّا المنسرح ففي اطراد الكلام عليه بعض اضطراب وتقلقل . وإن كان الكلام فيه جزلا . فأمّا السريع والرجز ففيهما كزازة. فأمّا المتقارب فالكلام فيه حسن الاطّراد إلاّ أنّه من الأعاريض الساذجة المتكرّرة الأجزاء . وإنّما تستحلى الأعاريض بوقوع التركيب المتلائم فيها. فأمّا الهزج ففيه مع سذاجته حدّة زائدة . فأمّا المجتثّ والمقتضب فالحلاوة فيهما قليلة على طيش فيهما . فأمّا المضارع ففيه كلّ قبيحة . ولا ينبغي أن يعدّ من أوزان العرب ، وإنّما وضع قياسا ، وهو قياس فاسد لأنّه من الوضع المتنافر على ما تقدّم (2) .

---

1) انظر حوله الثعالبي ، (2) ، ٣ ، 154 — 181 .
2) انظر 243 .

5 — **إضـــاءة** : فالعروض الطويل تجد فيه أبدا بهاء وقوّة . وتجد للبسيط سباطة وطلاوة . وتجد للكامل جزالة وحسن اطّراد . وللخفيف جزالة / ورشاقة . وللمتقارب سباطة وسهولة . وللمديد رقّة ولينا مع [102 — ب] رشاقة . وللرمل لينا وسهولة . ولما في المديد والرمل من اللين كانا أليق بالرثاء وما جرى مجراه منهما بغير ذلك من أغراض الشعر . وقد أشرنا (1) الى حال ما بقي من الأوزان .

6 — **تنــويــر** : ومما يبيّن لك أنّ لكلّ وزن منها طبعا ، يصير نمط الكلام مائلا إليه ، أنّ الشاعر القويّ المتين الكلام إذا صنع شعرا على الوافر اعتدل كلامه وزال عنه ما يوجد فيه مع غيره من الأعاريض القويّة من قوّة العارضة وصلابة النبع . واعتبر ذلك بأبي العلاء المعرّي فإنّه إذا سلك الطويل (2) توعّر في كثير من نظمه حتّى يتبغّض . واذا سلك الوافر (3) اعتدل كلامه وزال عنه التوعّر . وما شئت أن تجد شاعرا إذا قال في المديد والرمل ضعف كلامه وانحطّ عن طبقته في الوافر كانحطاطها في الوافر عن الطويل إلاّ وجدت . فهذا يدلّك على صحّة ما ذكرته . فأمّا الضعفاء فكلامهم في الوافر وما أشبهه من الأعاريض المتوسّطة أقلّ قبحا . فأمّا الأعاريض الطويلة التي تفضل عن المعاني فيعبّرون فيها بركاكة الحشو وقبح التذييل وتخاذل بعض أجزاء الكلام عن بعض لطوله . وأمّا

---

1) انظر 265 .

2) ، 3) اعتبر ذلك في الطويل بمثل قصيدته التي طالعها :

طربن لضوء البارق المتعالي ... ببغداد وهنا ما لهن ومالي

وفي الوافر بمثل قصيدته التي افتتح بها ديوانه **السقط** والتي طالعها :

أعن وخد القلاص كشفت حالا ... ومن عند الظلام طلبت مالا

المعري : **التنوير** ، ٢ ، 52 — 63 ؛ 1 ، 21 — 43 .

الأعاريض القصيرة التي تفضل المعاني عنها فيضطرّون فيها إلى التكلّف والحذف المخلّ ، فلذلك كان حالهم في نظم الشعر مضادا لحال الأقوياء من الشعراء .

7 — **إضاءة** : فيجب لما ذكرته أن يعتبر الكلام الواقع في كلّ عروض بحسب ما اعتيد فيه أن يكون نمط الكلام عليه ، وألاّ يفضّل 5 شاعر وجدت له قصيدة في الطويل والكامل مائلة إلى القوّة على شاعر وجدت له قصيدة في المديد أو الرمل مائلة إلى الضعف . فقد يجيء شعر الشاعر الأضعف في الأعاريض التي من شأنها أن يقوى فيها النظم مساويا لشعر الشاعر الأقوى في الأعاريض التي من شأنها أن يضعف فيها النظمُ ، ليس ذلك إلاّ لشيء يرجع إلى الأعاريض لا إلى الشاعرين . وإنّما يطرأ 10 هذا إذا لم يكن بين الناظمين كبيرُ تفاوت . وكذلك الشاعران المتساويان إذا قال أحدهما في وزن من شأن الكلام / أن يقوى فيه والآخر في وزن [103 — أ] من شأن الكلام أن يضعف فيه ظهر شعر أحدهما أقوى من شعر الآخر من جهة أنّ عروضه أقوى لا من جهة أنّ طبقته ارتفعت فوق طبقة صاحبه .

8 — **تنوير** : وإنّما يحكم بتفضيل أحد الشاعرين على الآخر إذا 15 عرف أنّ كليهما نظم شعره على حال واحدة من النشاط وقوة الباعث وانفساح الوقت . وكانا قد سلكا مسلكا واحدا وذهبا من المقاصد مذهبا مفردا أو كان مذهب أحدهما مقاربا لمذهب الآخر ومناسبا له ، وكان شعرهما في عروض واحد أو عروضين غير بعيد نمط الكلام في أحدهما عن نمطه في الآخر ؛ ثمّ يقاس ما بين الكلامين من البعد بما بين النمطين، 20 فيظهر الترجيح أو المساواة عند ذلك . وللمفاضلة بين الشعراء أحكام كثيرة وشروط تأتي (1) في القسم الرابع من هذا الكتاب إن شاء الله .

1) راجع 374 — 379 .

هـ – معلم دالّ على طرق العلم بما قصد في أبنية القول من أنحاء التناسب وذهب فيها من مذاهب البلاغة التي يكون لها بها تحصين في الوضع وتحسين في السمع .

فأمّا ما يجب اعتماده في وضع القوافي وتأصيلها فإنّ النظر في ذلك من أربع جهات : الجهة الأولى جهة التمكّن ؛ الثانية جهة صحّة الوضع ؛ الثالثة جهة كونها تامّة أو غير تامّة ؛ الرابعة جهة اعتناء النفس بما وقع في النهاية لكونها مظنّة اشتهار الإحسان أو الإساءة .

ولكون القافية يجب أن يتحفّظ فيها من هذه الجهات الأربع قال بعض العرب لبنيه : « اطلبوا الرماح فإنّها قرون الخيل وأجيدوا القوافي فإنّها حوافر الشعر أي عليها جريانه واطّراده ، وهي مواقفه . فإن صحّت استقامت جريته وحسنت مواقفه ونهاياته » .

1 – **إضاءة** : فأمّا من جهة تمكّن القافية فقد ألمعت بالوجوه الموصّلة إلى ذلك / في ما تقدّم (1) . [103 – ب]

2 – **تنوير** : وأمّا جهة صحّة الوضع في القافية فالنظر فيها مستند إلى المعرفة بعلم القوافي . وأنا أشير إلى ما يرشد إلى ذلك مجملا بعون الله . فأقول : إنّ القوافي لا بدّ فيها من التزام شيء أو أشياء . وتلك الأشياء حروف وحركات وسكون . فقوافي الشعر يجب فيها ضرورة على كلّ حال إجراء المقطع وهو حرف الرويّ على الحركة أو السكون .

1) انظر لذلك مثلا 150 ، ف 5 .

3 ــ **إضـــــاءة** : والذي يجب اعتماده في مقاطع القوافي أن تكون حروف الرويّ في كلّ قافية من الشعر حرفا واحدا بعينه غير متسامح في إيراد ما يقاربه معه . وقد وقع ذلك لبعض من لا يحفل به من العرب ، الذين كانت بضاعتهم في الشعر مزجاة (1) . وممّا يوجبه الاختيار أيضا أن تكون حركات حروف الرويّ من نوع واحد لا يجمع بين رفع وخفض ولا غير ذلك . وقد وقع الجمع بين ذلك للفصحاء (2) على قبح .

4 ــ **تنـــويـــر** : ومن ذلك أيضا وجوب التزام حروف العلة الواقعة سواكن بين أقرب متحرّك يتلوه ساكن إلى الرويّ وبين حرف الرويّ . واختصاص الألف بأوّل محلّ من ذلك . وهو ما كان بينه وبين حرف الرويّ حرف . وتلك الألف المختصّة بذلك الموضع تسمّى تأسيسا .
نحو : [الطويل ــ ق ــ المتدارك]

كليني لهمّ يا أميمة ناصب (3)

وقد وقع ما فيه الألف مع ما ليس فيه على قبح (4) . وأكثر ما وقع من هذا أيضا ما كان الحرف المتحرّك الذي بين التأسيس والرويّ فيه مفتوحا

---

1) هذا العيب يسمى الإكفاء ، ومنه ما أنشده أبو عبيدة لامرأة من خثعم .
بنت سماكا يحبر ربابه يقاد إلى أهل الغضا بزمام
فيشرب منه جحوش ويشيمه بعيني قطامي أغبر يماني
انظر المرزباني . 19 ــ 20 .
2) هذا العيب يسمى الاقواء ، وقع للنابغة ولدريد بن الصمة وحسان وأمثالهم .
انظر المرزباني ، 18 ــ 19 .
3) البيت طالع قصيدة للنابغة يمدح بها عمرو بن الحرث ، وتمامه :
وليل أقاسيه بطيء الكواكب . **الديوان** ، 9 .
4) ويسمى هذا سنادا . ومنه قول العجاج :
يا دار سلمى يا اسلمي ثم اسلمي .
ثم قوله : بسمسم وعن يمين سمسم . انظر المرزباني ، 15 .

أو مضموما . وهما صيغتان غير عريقتين في الوضع التأسيسي ، إذ الوضع العريق في التأسيس أن يكون المتحرّك بين التأسيس والرويّ مكسورا ، وأن يكون حرف التأسيس وحرف الرويّ من كلمة واحدة ، فإن كانا من كلمتين جاز أن يقع ما فيه صورة التأسيس مع ما ليس فيه تأسيس في قافية 5 واحدة ، ولم يقبح ذلك .

5 ــ **إضـــاءة** : فأمّا المحلّ الأقرب إلى القافية من مظانّ وقوع الحروف التي تلتزم ــ وهو ما يلي حرف الرويّ ــ فتتعاقب فيه الياء مكسورا ما قبلها والواو مضموما ما قبلها ويتواردان / على قافية واحدة . وكذلك [104 ــ أ] أيضا يتواردان مفتوحا ما قبلهما معا . هذا على الوجه المختار الذي عليه 10 العمل . وقد جاء ضمّ ما قبل حرف العلّة وفتحه معا ، وكذلك كسره وفتحه ، كلّ ذلك على قبح . ويسمّى سنادا .

6 ــ **تنــويــر** : وقد يجيء أيضا مع الياء والواو المفتوح ما قبلهما ما ليس فيه ياء ولا واو على قبح أيضا . فأمّا إذا كانت الواو مضموما ما قبلها والياء مكسورا ما قبلها فلا يرد معهما ما ليس فيه حرف علّة للطول 15 الذي فيهما ، إذا كانت حركة ما قبل كليهما من جنسه . فيصير حكمهما حكم الألف في ذلك الموضع في كونها لا بدّ من إعادتها . ونخصّ الألف في ذلك أنّها لا يجوز أن يدخل معها غيرها من حروف العلّة . وتسمّى الألف المتميّزة عن غيرها في هذا الموضع والياء والواو المتواردتان معا أردافا .

20 7 ــ **إضـــاءة** : ويستحسن في القوافي المقيّدة أن تكون حركة ما قبل الرويّ إمّا فتحة ملتزمة وإمّا ضمّة وكسرة متعاقبتين . وقد وردت الفتحة

معهما في مقيّدات شعراء الإسلام . فأمّا شعراء الجاهليّة فيقلّ ذلك في قوافي أشعـارهم .

8 — **تنـويـر** : ويستحسن أيضا في ما كان من كافات الضمائر وتاءات التـأنيث مقطعَ الشعر أن يلتزم قبلها حرف بعينه ، ويلتزم فيه حركة بعينها . ويجوز أن لا يلتزم قبل ذلك حرف . فإن لم يلتزم كان الوجه أن تُلتزمَ 5 حركة بعينها ، لئلا ينضاف إلى كَوْن الرويّ ليس بمقطع كلمة وإنّما هو حرف زائد يعاد مع كلم مختلفة المقاطع أن يكون ما قبله متغيّرا بأنواع الإعراب ، فتبعدُ مقاطع الأبيات بذلك عن التناسب ويقع فيها اختلاف .

وممّا التزمت الحركة فيما قبلـه من ذلك قـول الحسين ابن الضحـاك :
10 [الطويـل — ق — المتـدارك]

سقى اللهُ بالقاطولِ مَطرَحَ طرفكا وخصّ بسقياه منـاكبَ قصركا
ولا زالت الأقـدارُ في كلّ حـالـة عُداةً لمن عاديت سِلما لسِلمكا(1)

وقد أجـازوا وقـوع التغـاير بـأنـواع الحركات وما قبـل هذه الحروف [104 — ب] الزوائد / المقفّى بها . ولعلّ ذلك قياس لا سماع ، وهو قبيـح كيف مـا كان . 15

فأمّا هاءات الضمائر وهاءات التـأنيث المسكّنة وهاءات السكت فـلا يـكون جميعها إلاّ صلات لمجاري القوافي ، ومجرى القافية هي حركتها . وإذا كانت القافية مطلقة ولم توصل بشيء من هذه الحروف الروادف فإنّما

1) البيتان من قصيدة طويلة يمدح بها الشاعر الخليفة الواثق ، والبيت الثاني مفصول عن الأول بأبيات كثيرة ، وروايته بلفظ مسرح بدل مطرح ، ورواية البيت الثاني بلفظ لمن عاداك بدل عاديت . **الأغاني** ، (3) ، ٧ ، 158 .

تكون صلاتها حروفَ مدّ ولين من جنس حركة القافية ، وقد يكون إطلاق القافية بالتنوين .

9 – **إضـــاءة** : وللقوافي من جهة ما يكون ترتيب الحركات والسكنات فيها صور خمسة ، وهي :

5 – 1 – أن يتوالى في القافية ساكنان من غير فصل بحركة ويسمّى المترادف نحو : قالْ بتسكين اللام .

– 2 – وأن يتوالى فيها ساكنان مفصول بينهما بحركة ويسمّى المتواتر نحو : أيها الطلل البالي .

– 3 – وأن يتوالى فيها حركتان نحو منزِلِ ويسمّى المتدارك .

10 – 4 – وأن يتوالى فيها ثلاث متحرّكات نحو السَنَدِ ويسمّى المتراكب

– 5 – وأن يتوالى فيها أربع حركات ولا يكون ذلك إلاّ في الرجز (1).

والقافية هي ما بين أقرب متحرّك يليه ساكن إلى منقطع القافية وبين منتهى مسموعات البيت المقفّى .

فهذه إشارة إلى بعض أحكام القوافي وما يجب في مقاطع الأبيات من 15 جهة كونها قوافي .

10 – **تنـوير** : فأمّا ما يجب في القافية من جهة عناية النفس بما يقع فيها واشتهار ما تتضمّنه ممّا يحسن أو يقبح فإنّه يجب ألاّ يوقع فيها

1) يبدو في الكلام نقص ، وإن لم يشتمل الأصل هنا على بياض أو نحوه مما يدل عليه ، وهو أن يقال : (ويسمى المتكاوس نحو : زلت به إلى الحضيض قدمه) .
انظر القرطاجني : **رسالة القوافي** ، مخط . 146 أ ، س 4 ؛ فان ديك ، 117 .

إلاّ ما يكون له موقع من النفس بحسب الغرض ، وأن يتباعد بها عن المعاني المشنوءة والألفاظ الكريهة ولا سيما ما يقبح من جهة ما يتفاءل به . فإنّ ما يكره من ذلك إذا وقع في أثناء البيت جاء بعده ما يغطّي عليه ويشغل النفس عن الالتفات إليه ؛ وإذا جاء ذلك في القافية جاء في أشهر موضع وأشدّه تلبّسا بعناية النفس وبقيت النفس متفرّغة لملاحظته والاشتغال 5 به ولم يعقها عنه شاغل ، ومثل هذا قول الصاحب في عضد الدولة :
[الطويل – ق – المتدارك]

ضممتَ على أبناءِ تغلبَ تاءَها
فتغْلِبُ ما كرّ الجديدانِ تُغْلَبُ (1)

[105 – أ] / فقال له عضد الدولة : « يقي الله ! » . 10

11 – إضاءة : فأمّا ما يجب فيها من جهة كونها مستقلّة منفصلة عمّا بعدها أو متّصلة به فلا يخلو الأمر في هذا من أن تكون الكلمة الواقعة في القافية غير مفتقرة إلى ما بعدها ولا مفتقر ما بعدها إليها (2) ، أو يكون كلاهما مفتقرا إلى الآخر ، أو تكون هي مفتقرة إلى ما بعدها ولا يكون ما بعدها مفتقرا إليها ، أو يكون ما بعدها مفتقرا إليها ولا تكون هي 15 مفتقرة إليه .

فالقسم الاول هو المستحسن على الإطلاق . والأقسام الثلاثة أشدّها قبحا مناقض القسم المستحسن . ويسمّى افتقار أوّل البيتين إلى الآخر تضمينا لأنّ تتمّة معناه في ضمن الآخر .

1) راجع 150 ، تع 2 .
2) بالاصل اليه .

12 – **تنوير** : والتضمين يكثر فيه القبح أو يقلّ بحسب شدّة الافتقار أو ضعفه . وأشدّ الافتقار افتقار بعض أجزاء الكلمة إلى بعض . وربّما صنع شعر قوافيه على هذا الوضع ليعمّى موضع القافية وهو قبيح جدا . ويتلوه في شدّة الافتقار افتقار أحد جزءي الكلام المركّب المفيد إلى الآخر . وأمّا افتقار العمدة إلى تتمّة الفضلة والفضلة إلى الاستناد إلى العمدة فأقلّ قبحا من ذلك . وإنّما يكون هذا حيث تقوم الدلالة على المراد بالإضمار . وافتقار المعطوف إلى ما يعطف عليه إذا كان المعطوف كلاما تامّا أخفّ من ذلك وأقلّ قبحا ، فإن كان المعطوف ناقصا كان أمر الإضمار أسهل .

13 – **إضاءة** : وإذا اجتمع الإضمار والعطف وكان المعطوف تامّا سهل الأمر فيه من جهة العطف وصعب أمر الإضمار . فإن أظهر المضمر لم يعدّ ذلك تضمينا ولا افتقارا وإن كان الكلام عطفا لأنّ الكلام يستقلّ بتقدير حذف الحرف العاطف ، وأيضا فقد يعطف على المقدّر فيقع الحرف العاطف صدرا .

14 – **تنوير** : ولكون إظهار المضمر يصيّر الكلام مستقلاّ غير مفتقر إلى ما قبله قد يحتملون ما في التكرار من ثقل ، وذلك مثل قول الخنساء : [البسيط – ق – المتواتر]

وإنّ صخرا لوالينا وسيّدُنا ... وإنّ صخرا إذا نشتو لنحّارُ
/ وانّ صخرا لتأتَمُّ الهُداةُ به ... كأنّهُ علمٌ في رأسه نارُ (1) [105 – ب]

1) البيتان من قصيدة طالعها :
قذى بعينك أم بالعين عوار ... أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار
الديوان ، 69 – 70 .

ولو قالت وإنّه لتأتمّ الهداة به فأضمرت لكان البيت ناقصا مفتقرا . فإنّما أظهرت لفظ صخر ثانيا وثالثا تباعدا بالكلام عن الافتقار، وقصدا لتعديل أقطاره وحسن تفصيله وتقديره . وهذا يعرف ممّا تقدّم . وربّما بسط عذر الشاعر في مثل هذا أيضا كونه يستعذب اسم محبوبه ويريد الإشادة باسم ممدوحه فلا يستثقل ذلك . وهذان أمران لا يحسّنان التكرار وإنّما يبسطان العذر فيه فقط . 5

و — معرف دالّ على طرق المعرفة بتأصيل القوافي وبناء ما قبلها عليها وبنائها على ما قبلها .

لا يخلو الشاعر من أن يكون يبني أوّل البيت على القافية أو القافية على أوّل البيت . وكلا صاحبي هذين المذهبين لا يخلو أن يكون ممّن يعتمد أن 10 يقابل بين المعاني ويناظر بينها أو ممّن لا يقابل بين شيء منها اعتمادا .

1 — **إضـــاءة** : فأمّا معتمد التقابل الذي صدور أبياته مبنيّة على القوافي فإنّه يتأتّى له حسن النظم لكون الملاءمة بين أوائل البيوت وما تقدمها — التي هي واجبة في النظم — متأتّية له في أكثر الأمر ، إذ لكلّ معنى معان تناظره وتنتسب إليه على جهات من المماثلة والمناسبة والمخالفة 15 والمضادّة والمشابهة والمقاسمة . فإذا وضع المعنى في القافية أو ما يلي القافية وحاول أن يقابله ويجعل بإزائه في الصدر معنى على واحد من هذه الأنحاء لم يبعد عليه أن يجد في المعاني ما يكون له علقة بمعنى القافية وانتساب إليه من بعض هذه الجهات ، وعلقة بما تقدّم من معنى البيت الذي قبله ، أو بأن يقدّم على المعنى المقابل لمعنى القافية ما يكون له علقة بما تقدّم ، يبني نظمه 20 متلائما بهذا .

2 – **تنــويــر** : وأمّا معتمد التقابل الذي قوافيه مبنيّة على الصدور فإنّه يضع المعنى في أوّل البيت ثم ينظر / [106 – أ] فيما يمكن أن يكون بنفسه قافية أو ما يمكن أن توصل به قافية ممّا يكون له زيادة إفادة في المعنى ، فيقابل به المعنى الأوّل . لكنّ صاحب هذا المذهب وإن وسّع على نفسه أوّلا ، في كونه يختار ما يضعه في صدر بيته ويبني عليه كلامه ممّا له علقة بما تقدّم ، فقد ضيّق على نفسه بكونه لا يمكن أن يقابل المعنى المتقدّم من المعاني المتناظرات إلاّ بما مقطع عبارته وصيغتها موافق للرويّ أو بما يمكن أن يوصل بما يصلح للرويّ بالصيغة والمقطع . والأوّل معوز جدّا ، والثاني قريب منه في العوز . فكثيرا ما يتكلّف هذا ويسامح نفسه في أخذ المنافر على أنّه مخالف أو مناسب ، ونحو من هذا قول المتنبي :

[الخفيف – ق – المتواتر]

كاثَـرَتْ نَـائِلَ الأَمِيرِ مِنَ المَا لِ بِمَا نَوَّلَتْ مِنَ الإيرَاقِ (1)

3 – **إضــــاءة** : وقليلا ما يذهب هذا المذهب مَن تنبّه لحسن تقابل المعاني وتَفَطّن إلى طريق الوضع فيها واعتمده ، أعني أن يبني أعجاز البيوت على صدورها لأنّه أصعبُ شيء بالنسبة إلى وضع التقابل ، كما أنّ الأمر في بناء صدور البيوت على أعجازها بالنسبة إلى وضع التقابل أسهلُ شيء لأنّ وجودَ مناظر أو صلة لمناظر ملتزمٍ أن يكون مقطعه حرفا معيّنا في صيغة معيّنة أعزُّ من وجود مناظر أو صلة له غير ملتزم أن يكون مقطعُها حرفا معيّنا بل لا نسبة لأحدهما إلى الآخر في اليسر والعوز والكثرة والقلّة .

1) البيت من قصيدة بديعة يمدح بها أبا العشائر الحسن بن علي بن حمدان العدوي ، ومطلعها :
أتــراهــا لكثرة العشــاق تحسب الدمع خلقة في المــآقــي
البرقوقي ، (1) ، 1 ، 498 .

4 ــ **تنـــويــر** : وإنّما يتّفق هذا أعني بناء العجز على الصدر لمعتمدي التقابل في الشعر المروّى إذا كملت لهم فصول القصائد وحاولوا أن يصلوا بعض الفصول التي لم يتّفق أن توصل بدءا (1) ببعض ، فعند ذلك تتقارب هذه الأحوال في الصعوبة لأنّ القوافي قد انحصرت له وضاقَتْ عليه . فإذا بنى على القافية ووضع فيها معنى قد اضطرّه إليه كون عبارته موافقة للقافية ، وكونها لم تتقدّم في قوافي القصيد ، فقد يكون ذلك المعنى بعيدا من جملة نهايات فصول القصيدة فضلا عن الموضع الذى اضطرّ فيه إليه . فلا يجد له مُناظرا ولا صلة يكون له أوْلَها علقة بما تقدّم / [106 ــ ب] إلاّ على سبيل التكلّف. فربّما خالف في هذا الموضع عادته في البناء ، فبنى آخر الكلام على أوّله ، فوضع المعنى المقابل للمعنى المتقدّم قريبا من القافية ، ثم تطلّب ما يصله به ممّا يصلح أن يكون قافية ، ويكون مع ذلك لمعنى البيت الذي يلي تلك القافية ويأتي إثرها علقة بها أو بمقابلها أو بما وقع حشوا بينهما أو بمجموع ذلك ، فيبني البيت حينئذ على غير ما عادته أن يبنيه عليه . وربّما ترك ملاحظة التقابل في هذا الموضع بالجملة ونظر طريقا آخر يؤدّيه إلى القافية غير هذا الطريق .

5 ــ **إضــــاءة** : فأمّا من لايقابل بين الكلام ومَن شأنه أن يبني صدور البيوت على أعجازها فإنّه يتطلّب للكلمة التي يريد وضعها قافيةً معنى يمكن أن يكون للكلام به علقة بما تقدّم ، ثمّ يحتال في زنة العبارة ووضع أوّلها وضعًا يليق بما تقدّمه ويناسبه .

6 ــ **تنـــويــر** : ومن كان من شأنه أن يبني أواخر الأبيات على أوائلها فإنّه يتطلّب معنى يناسب ما تقدّم ويمكن في عبارته مع ذلك أن يتأتّى في

1) في الأصل بلا همزة .

ما يلائم تلك القافية منها أن تؤخّر فتكون القافية . وكثيرا ما تتبّع معانيَ من شأنُه هذا ألفاظُه في القوافي ، وذلك عيب .

7 — **إضـــاءة** : وقد تختلف حال من يبني أوائل الكلام على آخره بحسب ما يعرض من أحوال الخاطر . فتارة يبني على القافية جميع البيت ، 5 وتارة شطره أو أكثره ، ثمّ يسدّ الثلمة الباقية بما يناسب الكلام وما تقدّمه . وكذلك من يبني آخر الكلام على أوّله قد يعرض له نقيض هذه الحال فيبني الكلام من أوّله إلى آخره إذا سنحت له القافية بيسر ، أو يكمّل بناء الشطر الأوّل أو أكثر من الشطر ، ثمّ يتمّ الباقي بما تتيسّر له فيه القافية .

10 8 — **تنـــويـــر** : فقد تبيّن أنّ الشعراء لهم مذهبان في بناء الشعر ، وأنّ كلّ مذهب له ثلاثة مآخذ .

فالمذهب المختار — وهو بناء البيت على القافية — يحسن فيه بناء البيت بأسره على القافية إذا لم يحتج فيه إلى مناسبة متقدّم ، أو إذا احتيج وتيسّر وجه المناسبة ، ويحسن أن يبني عليها من أوّل الشطر / الثاني أو ما يتّصل [107 — أ] 15 به ممّا قبله حيث يكون البيت وُصلة بين فصلين أو طرفي فصل ، ثم يبنى الشطر الأوّل بعد عدم صعوبة القافية على عبارة تليق بما تقدّم عليها وتأخّر عنها ، وذلك غير عزيز .

9 — **إضـــاءة** : فأمّا بناء أكثر البيت على القافية فيقع فيه التكلّف كثيرا ، لأنّه لا يخلو من أن يكون الطرف المتقدّم في المبني من المعنى مناسبا 20 للبيت الذي قبله فيكون ما يقدّم عليه لتكميل البيت فضلا لا يحتاج إليه ، وإن لم يكن مناسبا لما تقدّم فبعيد أن تقع قبله لفظة أو لفظتان تنتسب إليه وإلى ما تقدّم انتسابا قويّا ، فيقع التكلّف أيضا .

10 ـــ **تنـويــر** : وأمّا المآخذ الثلاثة في المذهب الثاني فقلّ ما تخلو من التكلّف . وأشدّها إعراقا في التكلّف ما بني أكثر البيت على أوّله ثمّ استؤنف بعد ذلك النظر في القافية .

11 ـــ **إضــاءة** : وقد يعرض للخواطر في حال جمامها نهزّ في نظم الكلام فينتظم البيت كلّه دفعة في غاية السهولة والبعد عن التكلّف. 5
واتّفاق مثل هذا للمطبوعين كثير . ووجوه اجتلاب الخواطر للكلام وطروّه عليها كثيرة . وإنّما ذكرت منها ما تيسّر .

ز ـــ معلم دالّ على طرق العلم بما يجب في المطالع والمقاطع على رأي من قال : هي أوائل البيوت وأواخرها .

10 فأمّا ما يجب في المطالع على رأي من يجعلها استهلالات القصائد فمن ذلك ما يرجع إلى جملة المصراع . وهو أن تكون العبارة فيه حسنة جزلة ، وأن يكون المعنى شريفا تامّا ، وأن تكون الدلالة على المعنى واضحة ، وأن تكون الألفاظ الواقعة فيه لا سيّما الأولى والواقعة في مقطع المصراع مستحسنة غير كريهة من جهة مسموعها ومفهومها . فإنّ النفس تكون
15 متطلّعة لما يستفتح / لها الكلام به . فهي تنبسط لاستقبالها الحسن أولا ، [107 ـــ ب]
وتنقبض لاستقبالها القبيح أوّلا أيضا .

1 ـــ **إضــاءة** : ومن ذلك ما يرجع إلى الكلمة الواقعة في مقطع المصراع . ويجب أن تكون مختارة متمكّنة حسنة الدلالة على المعنى تابعة له . ويحسن أن يكون مقطعها مماثلا لمقطع الكلمة التي في القافية ، وأن يكون ما بين
20 أقرب ساكن منها إلى المقطع من الحركات عددُ ما بين أقرب ساكن من

كلمة القافية وبين نهايتها من الحركات أيضا ، وأن يكون ملتزما فيها من حركة المجرى أو التقييد أو التأسيس والردْف والوصل بالضمائر وحروف الإطلاق وغيْر ذلك ممّا يلزم القوافي مثلُ ما التزم في كلمة القافية وسائر قوافي القصيدة التي ذلك المصراع أوّلها ، ليكون البيت بوجدان الشروط 5 التي ذكرت مصرّعا .

فإنّ للتصريع في أوائل القصائد طلاوة وموقعا من النفس لاستدلالها به على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها ، ولمناسبة تحصل لها بازدواج صيغتّي العروض والضرب وتماثل مقطعها لا تحصل لها دون ذلك . وقد قال حبيب : [الطويل – ق – المتدارك]

10 وتقْفُو إلى الجَدْوَى بِجَدْوَى وَإنّمَا
يَرُوقُكَ بَيْتُ الشِعْرِ حينَ يُصَرّعُ (1)

2 – تنوير : ويجب أن يلاحظ فيها جميع ما يجب أن يلاحظ في الكلمة الواقعة قافية على ما أذكره بعد (2) ، إن شاء الله .

15 ويكره أن يكون مقطع المصراع الأوّل على صيغة يوهم وضعُها أنّها مصراع ثُمّ تأتي القافية على خلاف ذلك ، فيخلف ظنّ النفس في القافية لذلك . وقد سمّي هذا تجميعا .

فهذه إشارة إلى ما يجب في اللفظة الواقعة في مقطع المصراع .

---

1) البيت من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمدا بن يوسف الثغري طالعها :
أما إنه لولا الخليط المودع وربع عفا منه مصيف ومربع
التبريزي، ٢ ، 322 .

2) انظر لذلك 285 ف . 6 .

3 — **إضـــــاءة** : فأمّا ما يرجع إلى مفتتح المصراع فأن يكون دالا على غرض القصيدة ، وأن يكون مع ذلك عذبَ المسموع ، ولا يكون ذلك ممّا تردّد على ألسنة الشعراء في المطالع حتّى أخلق وذهبت طلاوته كلفظة خليليّ ، أو ممّا اختص به شاعر ولم يتعرّض أحد لأخذه منه ، كقول امرىء القيس : « قفا نبك » . 5

[108 — أ] 4 — **تنـــويـــر** : ويستحسن أن يقدّم في صدر المصراع ما يكون / لطيفا محرّكا بالنسبة إلى غرض الكلام كالمناجاة والتذكّر في النسيب وما جرى مجراهما ، وإن قرن ذلك بمعنى من المعاني التي هي أحوال تعتري الإنسان كالتعجّب والتشكّك نحو قول حبيب : [البسيط — ق — المُتراكب]

يـا بُعـدَ غـايةِ دَمْعِ العَيْـنِ إنْ بَعُـدُوا (1) 10

وقول المتنبي : [الخفيف — ق — المتواتر]

أتَـراهـا لِـكَـثْـرةِ العُـشّــاقِ
تَحْسَبُ الدّمْعَ خِلْقَةً في المآقِـي (2)

كان ذلك منزعا بديعا ومأخذا حسنا .

15 5 — **إضـــــاءة** : ويجب أن يكون المصراع الثاني مناسبا للمصراع الأوّل في حسن عبارته وتمامها وشرف معناه بالجملة ، ويكون مقطعه على ما ذكرته وأشرت إليه في مقطع المصراع الأوّل . فأمّا صدر المصراع الثاني فلا يشترط فيه كثير ممّا يشترط فيما جاء في صدر المصراع الأوّل ،

1) تمام البيت : هي الصبابة طول الدهر والسهد . والشاهد طالع قصيدة في مدح محمد ابن يوسف الطائي . **الديوان** ، (1) ، 49 .
2) انظر 279 ، تع 1 .

وإنّما حكم صدر المصراع الثاني حكم الألفاظ الواقعة حشوا . وأعني بالحشو هنا ما ليس بمبدأ ولا نهاية قد تميّز كلاهما بأحكام تخصّه .

فهذا إلماع بما يجب في المطالع على الرأي الأوّل .

6 — **تنـويـر** : فأمّا ما يجب في المقاطع على ذلك الاعتبار وهي أواخر القصائد فأن يُتَحرّى أن يكون ما وقع فيها من الكلام كأحسن ما اندرج في حشو القصيدة ، وأن يتحرّز فيها من قطع الكلام على لفظ كريه أو معنى منفّرٍ للنّفس عمّا قَصَدت إمالتَها إليه أو مُميلٍ لها إلى ما قصَدت تنفّرها عنه . وكذلك يتحفّظ في أوّل البيت الواقع مقطعا للقصيدة من كلّ ما يكره ولو ظاهره وما توهمه دلالة العبارة أوّلا وإن رفعت الإيهام آخرا ودلّت على معنى حسن ؛ ومن هذا قول المتنبّي : [البسيط — ق — المتراكب]

فلا بَلَغْتَ بها إلاّ إلى ظَفَرٍ ولا وَصَلْتَ بِهَا إلاّ إلى أمَلِ (1)

وإنّما وجب الاعتناء بهذا الموضع لأنّه منقطع الكلام وخاتمته . فالإساءة فيه مُعفية على كثير من تأثير الإحسان المتقدّم عليه في النفس . ولا شيء أقبح من كدَر بعد صفو وترميد بعد إنضاج .

فهذا ما يجب في المطالع / والمقاطع بهذا الاعتبار على المذهب المختار . [108 — ب]

7 — **إضـاءة** : ومن الشعراء من يأخذ في النقيض من هذا فلا يعتني بالمبدأ ولا المقطع . فيختم كيفما اتّفق ويبدأ كيفما تيسّر له . ويعتمد هذا

---

1) يروى البيت :

فلا هجمت بها إلا على ظفر ولا وصلت بها إلا إلى أمل

وهو من قصيدة طالعها :

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل والطعن عند محبيهن كالقبل

وبهذه الرواية التي نشير إليها في البيت ورد البيت في نسخ **الديوان** . العكبري ، (1) ، ٢ ، 47 ؛ البرقوقي (1) ، ٢ ، 43 ؛ **الديوان** ، 181 .

مَن يريد إعفاء خاطره ، أو من يريد أن يظهر أنّه لم يعتمد الرويّة والتنقيح في كلامه وإنّما أخذ الكلام أخذا اقتضابيا على الصورة التي عنّ له فيها أوّلا . فلا يحفل بعدم التصريع ولا يبالي بوقوع خرم في صدر البيت إن وقع له ، ليُوهم بذلك أنّه أعفى قريحته وأنّ في قوّته أن يقول أحسن ممّا قـال . 5

8 ــ تنــويــر : فأمّا ما يجب في المطالع والمقاطع على رأي من يقول إنّها أوّل الأبيات وأواخرها فإنّ مطالع الأبيات يجب أن تكون سالمة من الخرم ، غير مفتقرة إلى ما قبلها افتقارا يجعلها غير مستقلّة بأنفسها أو في قوّة المستقلّة . وأمّا ما يستحبّ فيما كان منها رأس فصل أو خاتمتَه فإنّي أذكره بعد ــ إن شاء الله ــ في الكلام في تأسيس الفصول وترتيبها . 10

ومحاشاةُ مطالع الأبيات من كلّ ما يكره من جهتي المسموعات والمفهومات مستحبّة لأنّها أوّل ما يقرع السمع . فهي رائد ما بعدها إلى القلب . فإذا قبلتها النفس تحرّكت لقبول ما بعدها ، وإن لم تقبلها كانت خليقة أن تنقبض عمّا بعدها . وعلى نحو ما يشترط فيها من جهة المسموع يشترط فيها من جهة المفهوم . فإنّ النفس تكون مترقبة لما يرد 15 عليها في استئناف كلّ فيقبضها ما تستقبله من كراهة المسموع أو المفهوم أوّلا عن كثير من نشاطها بما يرد بعد . ويحسن ألاّ تتكرّر الألفاظ الواقعة في المطالع على قرب ما أمكنت المندوحة عن ذلك .

وأمّا ما يجب في المقاطع التي هي أواخر الأبيات فقد ألمعنا من الكلام في ذلك بلمحة دالّة وقدّمنا ذَروا من القول فيه ، فليتصفح هنالك ، 20 وبالله التوفيق .

/ — المنهج الثالث في الإبانة عمّا يجب في تقدير الفصول وترتيبها ووصل بعضها ببعض وتحسين هيآتها ، وما تعتبر به أحوال النظم في جميع ذلك من حيث يكون ملائما للنفوس أو منافرا لها . [109 — أ]

أ — معلم دالّ على طرق العلم بأحكام مباني الفصول وتحسين هيئاتها ووصل بعضها ببعض . 5

اعلم أنّ الأبيات بالنسبة إلى الشعر المنظوم نظائر الحروف المقطّعة من الكلام المؤلّف ، والفصول المؤلّفة من الأبيات نظائر الكلم المؤلّفة من الحروف ، والقصائد المؤتلفة من الفصول نظائر العبارات المؤلّفة من الألفاظ . فكما أنّ الحروف إذا حسنت حسنت الفصول المؤلفة منها إذا 10 رتّبت على ما يجب ووُضع بعضها من بعض على ما ينبغي كما أنّ ذلك في الكلم المفردة كذلك . وكذلك يحسن نظم القصيدة من الفصول الحسان كما يحسن ائتلاف الكلام من الألفاظ الحسان إذا كان تأليفها منها على ما يجب . وكما أنّ الكلم لها اعتباران : اعتبار راجع إلى مادتها وذاتها ، واعتبار بالنسبة إلى المعنى الذي تدلّ عليه ، كذلك الفصول تعتبر في أنفسها 15 وما يتعلّق بهيآتها ووضعها ، وتعتبر بحسب الجهات التي تضمّنت الفصول الأوصاف المتعلّقة بها .

وقد تقدّم (1) التعريف بالجهات وأنحائها . وأنَا أخصّ هذا المعلم بالقول فيما يجب اعتماده في الفصول من جهة ما يرجع إلى موادّها ، وإلى

---

1) انظر 77 .

هيـآتها في أنفسها وما يجب في وضعها وترتيب بعضها من بعض . وأفرد
[109 ــ ب] للكلام في ما يتعلّق بذلك من جهة اشتمالها على أوصاف / الجهات وعلى
الأقاويل المخيّلة والمقنعة معرفا أقفو به هذا المعلم .

1 ــ **إضــــاءة** : والكلام في ما يرجع إلى ذوات الفصول وإلى ما يجب
في وضعها وترتيب بعضه من بعض يشتمل على أربعة قوانين . 5

القانون الأوّل : في استجادة مواد الفصول وانتقاء جوهرها .

القانون الثاني : في ترتيب الفصول والموالاة بين بعضها وبعض .

القانون الثالث : في ترتيب ما يقع في الفصول .

القانون الرابع : في ما يجب أن يقدّم في الفصول وما يجب أن يؤخّر
فيهـا وتختتم بـه . 10

2 ــ **تنـويـر** : فأمّا القانون الأوّل في استجادة موادّ الفصول وانتقاء
جوهرها ، فيجب أن تكون متناسبةَ المسموعات والمفهومات حسنةَ الاطّراد
غير متخاذلة النسج غيرَ متميّز بعضها عن بعض التمييزَ الذي يجعل كلّ
بيت كأنّه منحاز بنفسه لا يشمله وغيره من الأبيات بنية لفظيّة أو معنويّة
15 يتنزّل بها منه منزلة الصدر من العجز أو العجز من الصدر . والقصائد التي
نسجها على هذا ممّا تستطاب. وينبغي أن يكون نمط نظم الفصل مناسبا للغرض.
فتعتمد فيه الجزالة في الفخر مثلا والعذوبة في النسيب ، وأن تكون الفصول
معتدلة المقادير بين الطول والقصر . وتقصيرُ الفصول سائغ في المقطّعات
والمقاصد التي يذهب بها مذهب الرشاقة ، وتطويلُها مستثقل في ذلك . فأمّا
20 القصائد المطوّلة والمقاصد التي يذهب بها مذهب التهويل والتفخيم فإنّ
تطويل الفصول سائغ فيها ومحتمَل لموافقته مقصد الكلام وكونِ القصيدة
فيها رحبٌ لذلك وسعة .

3 — **إضـــاءة** : فأمّا القانون الثاني وهو ترتيب بعض الفصول إلى بعض ، فيجب أن يقدّم من الفصول ما يكون للنفس به عناية بحسب الغرض المقصود بالكلام . ويكون مع ذلك متأتّيا فيه حسن العبارة اللائقة بالمبدأ . ويتلوه الأهمّ فالأهمّ إلى أن تتصوّر التفاتة ونسبة بين فصلين تدعو
5 إلى تقديم غير الأهمّ على الأهمّ . فهناك يُترك القانون الأصلي في الترتيب.

4 — / **تنـويـر** : وتقديم الفصول القصار على الطوال أحسن من أن [110 — أ] يكون الأمر بالعكس .

5 — **إضـــاءة** : فأمّا القانون الثالث في تأليف بعض بيوت الفصل إلى بعض فيجب أن يبدأ منها بالمعنى المناسب لما قبله ، وإن تأتّى مع هذا أن يكون
10 ذلك المعنى هو عمدة معاني الفصل والذي له نصاب الشرف كان أبهى لورود الفصل على النفس ، على أنّ كثيرا من الشعراء يؤخّرون المعنى الأشرف ليكون خاتمة الفصل . فأمّا من يردف الأقوال الشعريّة بالخطابيّة فإنّ الأحسن له أن يفتتح الفصل بأشرف معاني المحاكاة ويَختِمَه بأشرف معاني الإقناع . وإلى هذا كان يذهب أبو الطيب المتنبي — رحمه الله —
15 في كثير من كلامه .

6 — **تنـويـر** : ويَحسُن أن يُصاغ رَأس الفصل صيغة تدلّ على أنّه مبدأ فصل ، وإن تمكّن مع هذا أن يُناط به معنى يحسن موقعُه من النفوس بالنسبة إلى الغرض كالتعجّب والتمنّي والدّعاء وتعديد العهود السوالف وما أشبه ذلك فهو أحسن .

20 7 — **إضـــاءة** : ويشترط في المذهب المختار أن يكون لمعنى البيت مع كون أوّله مبدأ كلام ومصدّرا بكلمة لها معنى ابتدائي أن يكون لمعنى البيت علقة بما قبله ونسبة إليه .

8 ــ **تنــويــر** : ويجب أن يردف البيت الأوّل من الفصل بما يكون لائقا به من باقي معاني الفصل مثلَ أن يكون مقابلا له على جهة من جهات التقابل أو بعضُه مقابلا لبعضه ، أو (1) يكون مقتضى له مثل أن يكون مسبّبا عنه ،أو تفسيرا له ، أو محاكي بعضُ ما فيه ببعض ما في الآخر ، أوغير ذلك من الوجوه التي تقتضي ذكر شيء بعد شيء آخر . وكذلك الحكم 5
في ما يُتلى به الثاني والثالث إلى آخر الفصل .

9 ــ **إضـــاءة** : وربّما ختم الفصل بطرف من أغراض الفصل الذي يليه أو إشارة إلى بعض معانيه .

10 ــ **تنــويــر** : فأمّا القانون الرابع في وصل بعض الفصول ببعض فالتأليف في ذلك على أربعة أضرب : 10

ــ 1 ــ ضرب متّصل العبارة والغرض .

ــ 2 ــ وضرب متّصل العبارة دون الغرض .

ــ 3 ــ وضرب متّصل الغرض دون العبارة .

ــ 4 ــ وضرب منفصل الغرض والعبارة .

[110 ــ ب] 11 ــ / **إضـــاءة** : فأمّا المتّصل العبارة والغرض فهو الذي يكون 15
فيه لآخر الفصل بأوّل الفصل الذي يتلوه علقة من جهة الغرض وارتباط من جهة العبارة ، بأن يكون بعض الألفاظ التي في أحد الفصلين يطلب بعض الألفاظ التي في الآخر من جهة الإسناد والربط .

(1) بالاصل أن يكون بدون أو .

12 ــ **تنــويــر** : وأمّا المتّصل الغرض المنفصلُ العبارة فهو الذي يكون أوّل الفصل فيه رأس كـلام ، ويـكون لذلك الـكلام علقـة بما قبله من جهـة المعنى .

وهذا الضرب إذا نيط برأس الفصل فيه معنى تعجيبـيّ أو دعائيّ أو غير
5 ذلك ممّا أشرنا إليـه هو أفضـل الضـروب الأربعة ، لـكون النفوس تنبسط ويتجدّد نشاطها بإشعارها الخروج من شيء إلى شيء واستئناف كلام جديد لها مع ما يشفع به إليها في قبول الـكلام من نياطة ما ذكرناه من تعجيب أو دعاء أو غير ذلك ممّا له بالمعنى علقة بالـكلام وتصديره به . وهذا الضرب على كلّ حال أفضل الضروب الأربغة . وقد يقرن الحرف الرابط بهـذا
10 النحو فلا يغضّ من طلاوته ولا ينقص ممّا تجده النفس من حلاوته .

13 ــ **إضـــاءة** : فأمّا الضرب الثالث وهو ما كان منفصل الغـرض متّصل العبارة فإنّه منحطٌ عن الضربين اللذين قبلـه .

14 ــ **تنــويــر** : فأمّا الضرب الرابـع وهو الذي لا توصل فيه عبـارة بعبارة ولا غرض بغرض مناسبٍ له ، بل يهجم على الفصل هجوما من
15 غير إشعار به ممّا قبله ولا مناسبة بين أحدهمـا والآخر ، فإنّ النظم الذي بهذه الصفة متشتّت من كلّ وجه . وإنّـما تسامح بعض المجيدين في مثل هذا عند الخروج من نسيب إلى مديـح . وربّـما فعلوا ذلك عند خروجهم منـه إلى الـذمّ .

وهـذا القـدر من الإشارة إلى ما يجب في الفصـول ، وإن كان قـولا
20 إجماليّا ، مقنع لمن له فـكر متصرّف يستدلّ به بما ذكر على ما لم يذكر .

[111 – أ] **ب – معرف دالّ على طرق المعرفة بما يجب / اعتماده في الفصول من جهة اشتمالها على أوصاف الجهات التي هي مسانح أقناص المعاني ومعاضدة التخييل فيهما بالإقناع على الوضع الذي يليق بذلك ويحسن بـه مـوقعـه من النفـوس .**

إنّ من الشعراء من يقصد المبالغة في تكثير الأوصاف المتعلّقة بالجهـة 5
التي القول فيها ، فيستقصي من ذلك ما كانت له حقيقة ، وربّما تجاوز ذلك إلى أن يخيّل أوصافا يوهم أنّ لها حقيقة في تلك الجهة من غير أن يكون كذلك في الحقيقة بل على أنحاء من المجاز والتمويه ليبالغ بذلك في تمثيلها للنفس على أحسن أو أقبـح ما يمكن بحسب غرض الكلام من حمد أو ذمّ . ويكون في ذلك بمنـزلة من يقصـد في المحاكاة والاقتصاصات 10
الكلم التي تعطي المبالغة في الوصف ، ومنهم من يقصر في أوصاف الجهات على الحقيقة وما قاربها . كما أنّ فيهم من لا يدلّ بألفاظه إلاّ على الحقيقة أو ما قاربها ، ومنهم من يتوخّى تضمين الفصل لحقيقة مّا في الجهة ، كما فيهم من يتوخّى مطابقة اللفظ لحقيقة ما يدلّ عليـه .

1 – **إضـــــاءة** : وكما أن في الشعراء من يستوعب أركان المعاني كذلك 15
فيهم من يستقصي الأوصاف التي بها يكمل اتّساق الفصول . وكما أنّ فيهم من يكتفي باستيفاء المقدار الذي منه يلتئم المعنى الذي رتبته في أوّل درجة من الاستقلال وترك ما وراء حدّ الاستقلال ممّا هو كالتتميم والتبيين كذلك فيهم من يأخذ من أوصاف الجهة ما يكون فيه إقنـاع وكفاية فـلا يضمّن الفصل أكثر من هذا المقدار . 20

2 – **تنـــويـــر** : وكما أنّ فيهم من يخلّ بالمعاني ويترك كثيرا من أركانها ، وربّما أدخل ما ليس منها ، كذلك فيهم من يتخطّى أوصاف

الجهة اللائقة بمقصده ويذكر من ذلك ما تيسّر له — أكيدا كان ذلك بالنسبة إلى غرضه أو غير أكيد — فيكون قد أخلّ بالفصول بالنظر إلى الجهات ، وربّما أقحم فيها ما لا يصلح بها .

3 — **إضـــاءة** : وكما أنّ في الشعراء من يجعل أكثر معانيه وألفاظه [111 — ب] مخيّلة ولا يعرّج على الإقناع الخطابيّ إلاّ في قليل من / المواضع . وفيهم من يقصد الإقناع في كثير من معانيه — لأنّ صناعة الشعر تستعمل يسيرا من الأقوال الخطابيّة كما أنّ الخطابة تستعمل يسيرا من الأقوال الشعريّة لتعتضد المحاكاة في هذه بالإقناع والإقناع في تلك بالمحاكاة . وإنّما يعاب الشاعر إذا كان أكثر أقاويله أو ما قارب مساواة الباقي بزيادة قليلة أو نقص خطابيّة ، والخطيب إذا كانت أقاويله أو ما قارب المساواة بزيادة قليلة أو نقص شعريّة . فأمّا إذا استعملت إحداهما الأقلّ من الأخرى فإنّ ذلك يحسن لاعتضاد إحداهما بالأخرى وإراحة النفس وجمومها لتجدّد الأقاويل الشعرية بعد الخطابيّة والخطابيّة بعد الشعرية عليها وإجمامها بالواحد لتلقى الآخر . — فكذلك في الشعراء أيضا من يجعل أكثر أبياته وما تتضمّنه الفصول بالجملة مخيّلة ولا يستعمل الإقناع الاّ في القليل منها . ومنهم من يستعمل الإقناع في كثير من الأبيات التي تتضمنها فصول القصيدة .

وقد كان أبو الطيب يعتمد هذا كثيرا ويحسن وضع البيت الإقناعي من الأبيات المخيّلة لأنه كان يصدر الفصول بالأبيات المخيّلة ثم يختمها ببيت إقناعي يعضد به ما قدّم من التخييل ويجمّ النفوس لاستقبال الأبيات المخيّلة في الفصل التالي . فكان لكلامه أحسن موقع في النفوس بذلك . ويجب أن يعتمد مذهب أبي الطيب في ذلك ، فإنّه حسن .

4 — **تنـــويـــر** : والذي يجب أن يعتمده من له قوّة يتسنّم بها أيّة شاء من رتب الشعراء في إعطاء الفصول حقّها أو فوق حقّها أو دون حقّها في

ما هو فيها بالنظر إلى الجهات بإزاء المبالغة والاستيعاب في العبارات بالنظر الى المعاني ، هو الاقتصار في ما كانت موصوفاته في أعلى رتبـة من الحسن أو القبح على الحقيقة أو ما قـاربها ممّا هو غير مستحيل . هذا إذا قصد تحسين الحسن وتقبيح القبيح .

5 وما كان في أدنى رتبة منها وقصد تحسينه أو تقبيحه على ذلك النحو فسائغ / للشاعر أن يلحقه بذي الرتبة العليا ويصفه بمثل ذلك من الأوصاف [112 – أ] التي لا يستحيل تصورها وإن كانت ممتنعة . والمستحسن أن يكون ذلك من الأمور الممكـنة .

وإنما ساغ في الشعر وقوع الكذب في الممكـنات ولـم يسغ في المستحيلات لأن الأمر إذا كان ممكـنا سكـنت إليه النفس وجاز تمويهـه 10 عليهـا ، والمحال تنفر عنه النفس ولا تقبلـه البتة ، فـكان منـاقضا لغـرض الشعر إذ المقصـود بالشعـــر الاحتيـــال في تحريك النفس لمقتضى الكـلام بـإيقـاعه منها بمحـلّ القبول بما فيه من حسن المحاكـاة والهيئـة بل ومن الصدق والشهرة في كـثير من المواضــع .

15 5 – **إضـــــاءة** : وأما الاستقصاء فإنه مستحسن في الجهات التي معانيهـا مع شرفها قليلة .

فأمّا الجهـات التي تـكـثـر معانيهـا وليـست كلّهـا بشريفة بالنسبـة إلى المقصد فإنما يسوغ استقصـاؤها في القصائـد الطوال كقصائـد ابن الرومي . فـأما في القصائد القصـار والمتوسطة فـلا يحسن الا التخطّي إلى الأشـرف 20 فالاشرف منها كما وجب التخطّي أيضا في المعاني المتنـاظـرات إذا كـثرت على ما قدّمته . لـكن ذلك قد يستساغ في القصائد الطوال ، ولـكل مقام مقال .

6 ــ **تنــويــر** : وقد يكون الفصل مشتملا على معاني جهتين أو أكثر ، ويكون تعليق الأوصاف الواقعة في بعضها ببعض على سبيل محاكاة أو التفات أو غير ذلك . وما جاء غير متكلّف من هذا القبيل فهو حسن .

7 ــ **إضــــاءة** : ومن القصائد ما يكون اعتماد الشاعر في فصولها على أن يضمنها معاني جزئية تكون مفهوماتها شخصية ، ومنها ما يقصد في فصولها أن تضمّن المعاني الكليّة التي مفهوماتها جنسيّة أو نوعيّة ، ومنها ما يقصد في فصولها أن تكون المعاني المضمّنة ايّاها مؤتلفة بين الجزئيّة والكليّة . وهذا هو المذهب الذي يجب اعتماده لحسن موقع الكلام به من النفس . وأحسن ما يكون عليه هيأةُ الكلام في ذلك أن تصدّر الفصول بالمعاني الجزئيّة وتردف بالمعاني / الكليّة على جهة تمثّل بأمر عام على أمر خاص أو استدلال على [112 ــ ب] الشيء بما هو أعمّ منه أو نحو ذلك . فكثيرا ما يقع بوضع معاني الفصول على هذه الصفة تعجيبٌ للنفس وانقيادٌ الى مقتضى الكلام ، لكون المعاني الكليّة مظنّة لوقوع الاقتداء والائتساء بها للسامع أو عدمها حيث يقصد التأنيس بوجودهما أو التنفير من فقدان ذلك ، ولوقوع المراوحة التي قدّمنا أنّ فيها استجماما للنفوس .

وللكلام في هذا طول لا يحتمله هذا الموضع ، إذ قصدنا اقتضاب ما تيسّر من هذه القوانين الكليّة واعتماد ما معرفته أكيدة في هذه الصناعة من ذلك ، فلذلك اكتفينا من القول في ما قصدنا الإبانةَ عنه بهذه الإضاءة بهذه اللمحة الدالّة .

ج ــ مأمّ من مذاهب البلاغة المستبانة بهذا المنهج وهو مذهب التسويم .

إنّ الحذّاق من الشعراء ــ المهتدين بطباعهم المسدّدة إلى ضروب الهيئات التي يحسن بها موقع الكلام من النفس من جهة لفظ أو معنى أو نظم أو

أسلوب ـ لمّا وجدوا النفوس تسأم التمادي على حال واحدة وتؤثر الانتقال من حـال إلى حـال ، ووجدوها تستريـح إلى استئنـاف الأمر بعد الأمر واستجداد الشيء بعد الشيء ، ووجدوها تنفر من الشيء الذي لم يتناه في الكثرة إذا أخذ مأخذا واحدا ساذجا ولم يتحيّل فيما يستجدّ نشاط النفس لقبوله بتنويعه والافتنان في أنحـاء الاعتماد به ، وتسكن إلى الشيء 5 وإن كان متناهيا في الكثرة إذا أُخذ من شتّى مـآخذه التي من شأنها أن يخرج الكلام بها في معاريض مختلفة واحتيل في ما يستجدّ نشاط النفس لقبوله من تنويعه والافتنان في أنحاء الاعتماد به اعتمدوا (1) في / القصائد [113 ـ أ] أن يقسّموا الكلام فيها إلى فصول يُنحى بـكلّ فصل منها منحـى من المقاصد ليـكون للنفس في قسمة الكلام إلى تلك الفصول والميل بالأقاويل 10 فيها إلى جهات شتّى من المقاصـد وأنحـاء شتّى من المآخـذ استراحـةٌ واستجداد نشاط بانتقالها من بعض الفصول إلى بعض وترامي الكلام بها إلى أنحاء مختلفة من المقاصد ـ فالراحـة حاصلة بهـا لافتنان الكلام في شتّى مذاهبه المعنويّة وضروب مبانيه النظميّة ـ واعتنوا (2) باستفتاحات الفصول وجهدوا في أن يهيّؤوهـا بهيئات تحسن بها مواقعها من النفوس وتوقظ 15 نشاطها لتلقّي ما يتبعها ويتّصل بها ، وصدّروها بالأقاويل الدالّة على الهيئات التي من شأن النفوس أن تتهيّأ بها عند الانفعالات والتأثّرات لأمور سارّة أو فاجعة أو شاجية أو معجبة بحسب ما يليق بغرض الكلام من ذلك ، وقصدوا أن تكون تلك الأقاويل مبادىء كلام من جهة ما نُحي بها من أنحاء الوضع أو محكوما لها بحكم المبادىء وإن وصلها بما قبلها واصل لكونها مستقلّة 20 بأنفسها من جهة الوضع الذي يخصّها ، فيكون استئناف الكلام على ذلك النحو وصوغه على تلك الهيآت مجدّدا لنشاط النفس ومحسّنا لموقع الكلام منها .

1) خبر إن في أول المام .
2) معطوف على الخبر الاول .

1 ــ **إضـــاءة** : ولمّا كان اعتماد ذلك في رؤوس الفصول ووجوهها أعلاما عليها وإعلاما بمغزى الشاعر فيها ، وكان لفواتح الفصول بذلك بهاء وشهرة وازديان حتى كأنّها بذلك ذوات غرر رأيت أن أسمّي ذلك بالتسويم وهو أن يعلّم على الشيء وتجعل له سيمى يتميّز بها . وقد كثر 5 استعمال ذلك في الوجوه والغرر ، كما قال ابن الرومي :

[الطويل ــ ق ــ المتدارك]

سَمَا سَمْوَةً نَحو السَّمَاءِ بِغُـرَّة
مُسَوَّمَةٍ قِدْماً بِسِيمَى سُجُودِها (1)

فلذلك كان هذا اللقب لائقا بما وضع عليه . وأيضا فإنّا سمّينا تحلية 10 أعقاب الفصول بالأبيات الحكميّة والاستدلاليّة بالتحجيل ليكون / اقتران [113 ــ ب] صنعة رأس الفصل وصنعة عجزه نحوا من اقتران الغرّة بالتحجيل في الفرس.

2 ــ **تنـويـر** : فإذا اطّرد للشاعر أن تكون فواتح فصوله على هذه الصفة واستوسق له الإبداع في وضع مباديها على أحسن ما يمكن من ذلك صارت القصيدة كأنّها عقد مفصّل ، وتألّفت لها بذلك غرر وأوضاح وكان 15 اعتماد ذلك فيها أدعى إلى ولوع النفس بها وارتسامها في الخواطر لامتياز كلّ فصل منها بصورة تخصّه .

3 ــ **إضـــاءة** : وإذا اتّجه أن يكون الانتقال من بعض صدور الفصول إلى بعض على النحو الذي يوجد التابعُ فيه مؤكّدا لمعنى المتبوع ومنتسبا إليه من جهة ما يجتمعان في غرض ومحرّكا للنفس إلى النحو الذي حرّكها الأوّل

1) البيت من فرائد المنهاج .

أو إلى ما يناسب ذلك ، كان ذلك أشدّ تأثيرا في النفوس وأعون على ما يراد من تحسين موقع الكلام منها .

4 — **تنوير** : وممّن كان يحسن الاطراد في تسويم رؤوس الفصول على النحو الذي ذكرته أبو الطيب المتنبّي ، وذلك نحو قوله :

5 [الطويل — ق — المتدارك]

أغَالِبُ فيكَ الشوقَ ، والشوقُ أغْلَبُ
وأعْجَبُ مِن ذَا الهَجْرِ ، والوَصْلُ أعْجَبُ

فضمّن هذا البيت من الفصل الأوّل تعجيبا من الهجر الذي لا يعاقبه وصل ، ثمّ أكّد التعجيب في البيت الثاني الذي هو تتمّة الفصل الأوّل ، 10 ثمّ ذكر من لجاج الأيّام في بُعد الأحبّاء وقرب الأعداء ، وكان ذلك مناسبا لما ذكر في الهجر .

5 — **إضاءة** : ثمّ افتتح الفصل الثاني بالتعجّب من وشك بينه وسرعة سيره فقال :

ولله سَيْرِي مَا أقَلّ تَئِيَّةً عَشِيَّةَ شرقيّ الحَدَالَى وغُرّبُ

15 فكان هذا الاستفتاح مناسبا للبيتين المتقدّمين من جهة التعجّب وذكر الرحيل ، ثم بيّن حالَه وحال من ودّعه عند الوداع .

6 — **تنوير** : ثمّ استفتح الفصل الثالث بتذكّر العهود السارّة وتعديدها / فقال : [114 — أ]

وكمْ لِظَلام اللّيْلِ عندك مِنْ يَدٍ
20 تُخَبِّرُ أنّ المَانَوِيّةَ تَكْذِبُ

فكان هذا مناسبا لمفتتح الفصل الثاني في أنّه تَذَكّر فيه موطن البين فتلا

ذلك بتذكّر موطن الوصل والقرب في صدر هذا الفصل الثالث ، ثمّ تمّم
هذا الفصل بذكر ما اقترن بذلك الوصل من محاذرة الرقبة .

7 ـ **إضـــاءة** : ثمّ استفتح الفصل الرابع بتذكّر الحال التي حاذر
فيها الرقبة عند رحيله عن سيف الدولة ، فشبّه اليوم الذي كان فيه ذلك
5 بليل العاشقين في [الطول] (1) وفي أنّهم يحذرون فيه الرقبة فقال :

ويوم كليلِ العاشقين كمَنْتُه أراقِبُ فيه الشمسَ أيّانَ تغرُبُ

ثم اطّرد كلامه في هذا الفصل في وصف الفرس وانتقل فيه من معانٍ
جزئيّة إلى معانٍ كلّيّة يمكن معها أن يعتقد في الكلام أنّه فصل واحد،
وأن يعتقد أنّه فصلان ويكون رأس الفصل الثاني قوله :

10 وما الخيلُ إلاّ كالصديق قليلةٌ وإن كثُرت في عين من لا يُجرِّبُ

8 ـ **تنـويـر** : ثمّ استفتح الفصل الخامس أو السادس على الاعتبار
الثاني بذمّ الدنيا وما تؤول إليه أحوالها وتعقب به صروفها من مثل ما قدّم
من ذكر الفراق والبعاد والهجر ومكابدة الأعداء ، وتوجّعَ ممّا يصيب كلّ
بعيد الهمّ فيها فقال :

15 لحى الله ذي الدّنيا مُناخا لراكبٍ فكلُّ بعيدِ الهمّ فيها معذّبُ (2)

فاطّرد له الكلام في جميع ذلك أحسن اطّراد ، وانتقل في جميع ذلك
من الشيء إلى ما يناسبه وإلى ما هو منه بسبب ويجمعه وإيّاه غرض . فكان
الكلام بذلك مرتّبا أحسن ترتيب ومفصّلا أحسن تفصيل وموضوعا بعضه
من بعض أحكم وضع .

1) بالاصل بياض مقدار كلمة .
2) هذا البيت وما قبله من الابيات الباقية التي أولها : أغالب فيك الشوق والشوق أغلب ،
من قصيدة للمتنبي يمدح بها كافورا . البرقوقي ، (1) ، 1 ، 123 ـ 124 .

فعلى هذا النحو يجب أن تكون المآخذ في استفتاحات الفصول ووضع بعضها من بعض . وهذا الفنّ من الصناعة ركن عظيم من أركان الصناعة النظميّة لا يسمو إليه إلاّ من قويت / مادّته وفاق طبعه . وقد أرشدنا الى السبيل المؤدّية إلى حسن التصرّف في ذلك . فمن ائتمّ بما رسمته في ذلك لم يضلّ إن شاء الله . [114 — ب]

5

د — مأمّ من المذاهب المستشرفة ممّا تقدّم أيضا ،وهو مذهب التحجيل .

وإذا ذيّلت أواخرُ الفصول بالأبيات الحكميّة والاستدلاليّة واتّضحت شيّات المعاني التي بهذه الصفة على أعقابها . فكان لها ذلك بمنزلة التحجيل — زادت الفصول بذلك بهاء وحسنا ووقعت من النفوس أحسن موقع .

10

1 — **إضـــــاءة** : ولا يخلو المعنى الذي يقصد تحلية الفصل به وتحجيله من أن يكون متراميا إلى ما ترامت إليه جملة معاني الفصل إن كان مغزاها واحدا أو يكون متراميا إلى ما ترامى إليه بعضها . فيورد على جهة الاستدلال على ما قبله أو على جهة التمثيل . ويكون منحوّا به منحى التصديق أو الإقناع ، مقصودا به إعطاء حكم كلّي في بعض ما تكون عليه مجاري الأمور التي للأغراض الإنسانية علقة بها ممّا انصرفت إليه مقاصد الفصل ونحي بها نحوه . فيكون في ورود البيت الأخير الذي يتضمّن حكما أو استدلالا على حكم ، إثرَ المعاني التي لأجلها بُيّن ذلك الحكم أو الاستدلال عليه ، إنجادٌ للمعاني الأول وإعانة لها على ما يراد من تأثّر النفوس لمقتضاها . فكان ذلك من أحسن ما يعتمد في الفصول وأزينه لها .

15

20

2 — **تنـــويــر** : وهذا الفنّ من صناعة النظم شريف جدا . وينبغي أن يكون اللفظ والتركيب فيه سهلا جزلا . وأن تورد القافية فيه متمكّنة . وإن كانت مراعاة هذه الأشياء واجبةً في غير ذلك من أبيات الشعر فإنّها في هذه الأبيات / التي تجعل اختتامات للفصول ونصولا على عواملها أوجب. [115 — أ]

5 3 — **إضـــــاءة** : وممّن سبق إلى وضع هذه المعاني المذهوب بها مذهب الحكمة والتمثّل في نهايات الفصول ومقاطع القول فيها وسبَك القول فيها أحسن سبك زهير ، نحوُ ما تمثّل به في آخر مذهّبته :

[الطويل — ق — المتدارك]

أمِـن أمّ أوفـى دمنـة لم تـكَلّـم (1)

10 ونحو ما ختـم به آخر فصل من قصيدتـه اللاّميـة . وذلك قـولـه :

[الطويـل — ق — المتواتر]

فما يك من خير أتـوه فـإنّمـا تـوارثـه آبـاء آبـائهم قبـل
وهل ينبت الخطّـيَ إلاّ وشيجهُ وتُغرَسُ إلاّ في منابتها النخـلُ (2)

ثم جـاء أبو الطيب المتنبّي في المولّدين فولـع بهذا الفنّ من الصنعة وأخذ
15 خاطره به حتّى برّز في ذلك وجلّى وصار كلامه في ذلك منتميا إلى الطراز الأعلى .

4 — **تنـــويــر** : وينبغـي ألاّ يسرف في الاستكثار من هذا الفنّ من الصنعة ، فإنّه مؤدٍ إلى التكلّف وسآمة النفس . ولـكن يلمع بذلك في

1) هذا البيت هو طالع المعلقة . انظر الاعلم ، 2 .
2) البيتان من قصيدة يمدح بها سنان ابن ابي حارثة المري طالعها :
صحا القلب من سلمى وقد كان لا يسلو واقفـر من سلمـى التعـانيق والثقـل
وفي هذا البيت بالديوان تحريف بآخره . انظر الاعلم 23 .

بعض نهايات الفصول دون بعض ، بحسب ما يعنّ للخاطر من ذلك ويسنح من غير استكراه ولا تكلّف في وزن أو قافية أو هيأة نظاميّة بالجملة .

وإنّما يجب أن يقتضب الخاطر من ذلك ما ناسب الغرض ووسعه مقدار الشعر وتمكّن فيه رويّه ولم يكن قلقا في موضعه من جهة لفظ ولا معنى . وإنّما يسنح الكلام على هذا في بعض المواضع . 5

فلذلك كان اعتماد التمثّل والحكمة على أعقاب كلّ فصل دليلا على التكلف وداعيا إليه . ولذلك عيب كلام قوم من قدماء المولّدين حيث اعتمدوا ذلك في أكثر كلامهم ، فدلّ ذلك على التكلّف وأوقع في السآمة ، ولم يُبق للحكمة جدّة ولا طراءة .

10 وإنّما يحسن الكلام بالمراوحة بين بعض فنونه وبعض والافتنان في مذاهبه وطرقه ، فيزداد حبّ النفس لما يرد عليها من ذلك إذا كانت زيارته غبّا .

/ — المنهج الرابع في الإبانة عن كيفيّة العمل في إحكام مباني القصائد [115 — ب]
وتحسين هيآتها ، وما تعتبر به أحوال النظم في جميع ذلك من حيث يكون ملائما للنفوس أو منافرا لها .

أ — معلم دالّ على طرق العلم بإحكام مباني القصائد وتحسين هيآتها
5 **وما تجب العناية بالتأنّق فيه من ذلك وما تتأكّد العناية به وما تتأكّد فيه عند قوم ولا تتأكّد عند آخرين .**

إنّ من القصائد ما يقصد فيه التقصير ، ومنها ما يقصد فيه التطويل ، ومنها ما يقصد فيه التوسّط بين الطول والقصر .

فأمّا المقصّرات فإنّ القول فيها إذا كان منقسما إلى غرضين لم يتّسع
10 المجال للشاعر لأن يستوفي أركان المقاصد الّتي بها يكمل التئام القصائد على أفضل هيئاتها ، وربّما استوفى ذلك الحذّاق مع ضيق المجال عليهم باقتضاب الأوصاف الضرورية في الجهات بالنسبة إلى الغرض والتلطّف في إبداع النقلة من بعضها إلى بعض على الوجوه الملائمة الموجزة .

فأمّا المتوسّطات والمطوّلات فالمجال فيها متّسع لما يراد من ذلك .

15 1 — **إضاءة** : والقصائد : منها بسيطة الأغراض ومنها مركّبة . والبسيطة مثل القصائد الّتي تكون مدحا صرفا أو رثاء صرفا . والمركّبة هي الّتي يشتمل الكلام فيها على غرضين مثل أن تكون مشتملة على نسيب ومديح . وهذا أشدّ موافقة للنفوس / الصحيحة الأذواق لما ذكرناه من ولع [116 — أ]
النفوس بالافتنان في أنحاء الكلام وأنواع القصائد .

2 – **تنـــويـــر** : فأمّا كيفية العمل في القصائد المشتملة على نسيب ومديح فإنّ كلّ قول نسيبيّ لا يخلو من أن يكون متعلّقا بوصف المحبوب ومحاكاته أو وصف بعض أحواله وما له بذلك علقة من زمان أو مكان أو غير ذلك ، أو يكون متعلّقا بوصف المحبّ أو وصف بعض أحواله وما له بذلك علقة ، أو يكون متعلّقا بوصف حال تقاسماها معا . 5

فأكثر ما تبدأ القصائد الأصيليّة بما يرجع من ذلك إلى المحبّ : كالوقوف على الربوع والنظر إلى البروق ومقاساة طول الليل .

وأكثر ما تبدأ بعد هذا بما يرجع إلى المحبّ والمحبوب معا ممّا يسوء وقوعه كوصف يوم الفراق وموقف الوداع .

والافتتاحُ بما يخصّ المحبوب أقلّ من ذلك . 10

3 – **إضــــاءة** : ويستحسن إرداف ما يرجع إلى المحبّ والمحبوب معا ممّا يشجو وقوعه بذكر بعض ما هو راجع إليهما ممّا يسرّ وقوعه ، إذ في ذلك ضرب من المقابلة وتدارك للنفوس من إيلامها بالشاجي الصرف ، بأن تعرض عليها المعاني التي تلتذّ بتخيّل ما يعنى بها وإن آلها مغيبه أو انقضاؤه .

4 – **تنـــويـــر** : وأحسن ما ابتدىء به من أحوال المحبّين ما كان مؤلما 15 من جهة ملذّا من أخرى كحال التذكّر والاشتياق وعرفان المعاهد . فإنّ هذه الأحوال وإن كانت مؤلمة للنفوس فإنّ لكثير من النفوس في تخيّل ما يتذكّر ويشتاق إليه ويحنّ إلى عهده لذة مّا وتشفّيا ، يكاد ينقع الغلّة من حيث أذكاها ويُسِر لنفس من حيث أشجاها وأبكاها . ثمّ يتدرّج من ذلك إلى ذكر ما يؤلم من بعض الأحوال التي لها علقة بهما معا ، ثم إلى 20 ذكر ما يؤلم ويلذّ من الأحوال التي لها بهما أيضا علقة ، ثمّ ينتقل من

ذلك إلى ما يخصّ المحبوب من الأوصاف والمحاكاة ، ثمّ يحتال في عطف أعنّة الكلام إلى المديح ، فهذا هو الموضع التامّ المتناسب . وهو الذي يعتمده امرؤ القيس في كثير من قصائده / . ولا يحسن أن يبدأ بالمؤلم [116 — ب] المحض . وقد يقع ذلك لكثير من الشعراء . ويكون الترتيب على غيرما
5 ذكرته . لكنّ الذي ذكرته أحسن .

5 — **إضـــــاءة** : فأمّا المديح المتخلّص إليه من نسيب فالوجه أن يصدّر بتعديد فضائل الممدوح ، وأن يُتلى ذلك بتعديد مواطن بأسه وكرمه وذكر أيامه في أعدائهم . وإذا كان للممدوح سلف حسن تشفيع ذكر مآثره بذكر مآثرهم ثمّ يختتم بالتيمّن للممدوح والدعاء له بالسعادة ودوام
10 النعمة والظهور على الأعداء وما ناسب ذلك .

والمحدثون أكثر اعتمادا لهذا في مقاطع القصائد من القدماء ، وإن كان ذلك أيضا موجودا في أشعارهم .

6 — **تنـــويـــر** : فأمّا القصائد البسيطة فأحسن ما تبدأ به وصفُ ما يكون في الحال ممّا له إلى غرض القول انتساب شديد كافتتاح مدح القادم
15 من سفر بتهنئته بالقدوم والتيمّن له بذلك ، وكافتتاح مدح من ظفر بأعدائه بوصف ذلك وتهنئته به ، ثمّ يتبع ذلك بذكر فضائل الممدوح ونشر فضائله ويستمرّ في الأغراض التي لها من الأنحاء التي لا يوجد للكلام معها اضطراب ولا تنافر .

7 — **إضـــــاءة** : ويجب أن تكون المبادىء جزلة ، حسنة المسموع
20 والمفهوم ، دالّةً على غرض الكلام ، وجيزةً ، تامّة . وكثيرا ما يستعملون

فيها النداء والمخاطبة والاستفهام ويذهبون بها مذاهب من تعجيب أو تهويل أو تقرير أو تشكيك أو غير ذلك ممّا تقدّمت (1) الإشارة إليه فيما سلف .

8 — **تنـــويـــر** : ويجب أن تكون الصدور متناسبةَ النسج ، حسنةَ الالتفاتات ، لطيفةَ التدرّج ، مشعشعةَ الأوصاف بالتشبيهات . ويجب أن يكون التخلّص لطيفا ، والخروجُ إلى المدح بديعا . 5

9 — **إضـــــاءة** : ويجب أن يكون صدر المديح حسنَ السبك ، عذبَ العبارات ، مستطابَ المعاني ، ليناسب ما اتّصل به من النسيب . ويجب أن تعتمد فيه مع ذلك الجزالة والمبالغة في الأوصاف .

[117 — أ] 10 — **تنـــويـــر** : / وممّا يجب اعتماده حيث يقع وصف الحرب أن تُفخَّم العبارات وتُهوَّل الأوصاف ويحسن الاطّراد في اقتصاص ما وقع من ذلك ، وأن تراح النفوس حيث يقع التمادي في ذلك بإيراد معاني تستطيبها وتبسط ما قبض منها تهويل وصف الحرب . وتحسن الإحالة على التواريخ في هذا الموضع . 10

11 — **إضـــــاءة** : فأمّا الاختتام فينبغي أن يكون بمعانٍ سارّة فيما قصد به التهاني والمديح ، وبمعانٍ مؤسية فيما قصد به التعازي والرثاء . 15 وكذلك يكون الاختتام في كلّ غرض بما يناسبه . وينبغي أن يكون اللفظ فيه مستعذبا والتأليف جزلا متناسبا ، فإنّ النفس عند منقطع الكلام تكون متفرّغة لتفقّد ما وقع فيه غير مشتغلة باستئناف شيء آخر .

12 — **تنـــويـــر** : فأمّا ما تجب العناية بالتأنّق فيه على الوجه المختار فتحسين المبدأ والتخلّص . 20

---

1) راجع 282 وما بعدها .

وأمّا ما تتأكّد به العناية ولا سيّما عند من أخذ بمذهب أيمّة المحدثين فتحسينُ البيت الثاني للبيت الأوّل من القصيدة ليتناصر بذلك حسن المبدأ .

ومثل هذا قول أبي تمّام : [الطويل – ق – المتواتر]

شهدتُ لقد أقْوَتْ مغانيكمْ بعْدِي
ومَحّتْ كما مَحّتْ وشَائعُ من بُرْدِ 5
وأنجدتمُ من بعد إتهامِ دَارِكُمْ
فيا دمعُ أنجدْني على ساكِنِي نَجْدِ (1)

ومن ذلك قول أبي الطيّب المتنبّي : [البسيط – ق – المتواتر]

مَن الجآذِرُ في زِيّ الأعَارِيبِ
حُمْرُ الحُلَى والمَطَايَا والجَلاَبيبِ 10
إن كُنْتَ تسألُ مِثْلاَ في معارفِهَا
فمَنْ بلاكَ بتسهِيدٍ وتعذِيبِ (2)

وقوله : [الطويل – ق – المتدارك]

لعينيكِ ما يلقى الفؤادُ وما لقِي
وللحُبِّ ما لم يبقَ منّي وما بَقِي 15
وما كنت ممّن يدخل العشقُ قلبَه
ولكنّ من يُبْصِرْ جُفُونَكِ يَعْشَقِ (3)

وقوله : [الطويل – ق – المتدارك]

فراقٌ ومن فارقتُ غيرُ مذمّمِ وأمٌّ ومن يمّمتُ غيرُ ميَمّمِ
20 وما منزلُ اللذّاتِ عندي بمنزلٍ إذا لَمْ أُبَجَّلْ عنده وأكرَّمِ (4)

1) البيتان طالع قصيدة مدح بها الشاعر ابا المغيث الرافقي . راجع التبريزي ، ٢ ، 159 .
2) طالع قصيدة في مدح كافور ، والبيت الثاني يروى بلفظ شكلا بدل مثلا في الديوان . البرقوقي ، (1) ، 1 ، 114 ، العكبري ، (1) ، 103 .
3) طالع قصيدة في مدح سيف الدولة . البرقوقي ، (1) ، 1 ، 457 – 458 .
4) البيتان طالع قصيدة في مدح كافور . البرقوقي ، (1) ، ٢ ، 389 ، العكبري ، (1) ، ٢ ، 366 .

[117 – ب] وأكثر ما يتوخّون هذا إذا كان البيت الثاني تتمّة الفصل الأول. فأمّا / إذا كان الفصل الأوّل أكثر من بيتين فإنّهم يوجّهون العناية إلى تحسين نهاية الفصل . وكلّما قرب ذلك إلى المبدأ فكان ثانيا أو ثالثا كان أحسن مثل قول أبي تمّام الطائي – رحمه الله – : [الخفيف – ق – المتواتر]

أيُّها البرقُ بِتْ بأعلى البُراقِ ... واغدُ فيها بوابلٍ غيداقِ
وتعلَّم بأنّهُ ما لأنـوا ... ئِكَ إنْ لم تُروِّها مِنْ خلاقِ
دِمَنٌ طالما التقتْ أدمُعُ المزْ ... نِ عليها وأدْمُعُ العشّاقِ (1)

وإذا لم يكن البيت الثاني مناسبا للأوّل في حسنه غَضَّ ذلك من بهاء المبدأ وحسن الطليعة ، وخصوصا إذا كان فيه قبح من جهة لفظ أو معنى أو نظم أو أسلوب ، وذلك نحو قول أبي الطيّب المتنبّي : [الخفيف – ق – المتواتر]

أتراها لكثرةِ العُشّاقِ ... تحسبُ الدَّمْعَ خِلقةً في المآقي
كيفَ ترثي التي رأت كلَّ جفنٍ ... راءَها غيرَ جفنها غيرَ راقِ (2)

وتحسين البيت التالي لبيت التخلّص إلى المدح يجري من بيت التخلّص مجرى تحسين البيت الثاني من البيت الأوّل في أنّ إتباع تحسين أحدهما بتحسين الآخر أكيد .

فأمّا ما تتأكّد به العناية عند قوم ولا تتأكّد عند آخرين فمقاطع الفصول وأبياتها الأواخر ، وذلك من جهة ما يرجع إلى هيئات الوضع والتأليف والاطّراد في الألفاظ والمعاني والنظام والأسلوب . فأمّا من جهة

1) راجع 45 ، تع 2 .
2) تقدم ذكر البيتين والاشارة اليهما في 279 تع 1 و في 284 ، والاحالة في التعليق عدد 2 على التعليق السابق .

وقوع لفظ مكروه أو معنى مشنوء في منقطع الكلام فالرأي فيه واحد في
أنّ التحفّظ منه واجب على كلّ ناظم أو ناثر .

فهذه مذاهب الحذّاق المطبوعين : تحسين هيئات القصائد وتحصين مبانيها
قد أبنتها ، فمن سلك ذلك السبيل وذهب ذلك المذهب فقد سرى على سواء
5 المنهج من هذه الصناعة ، إن شاء الله .

ب ــ مأمّ من مذاهب البلاغة المستشرفة / بهذا المعلم وهو مذهب الإبداع في الاستهلال . [118 ــ أ]

وتحسين الاستهلالات والمطالع من أحسن شيء في هذه الصناعة . إذ
هي الطليعة الدالّة على ما بعدها المتنزّلة من القصيدة منزلة الوجه والغرّة .
10 تزيدُ النفس بحسنها ابتهاجا ونشاطا لتلقّي ما بعدها إن كان بنسبة من
ذلك . وربّما غطّت بحسنها على كثير من التخوّن الواقع بعدها إذا لم
يتناصر الحسن فيما وَلِيَها .

1 ــ **إضــــاءة** : ولا يخلو الإبداع في المبادىء من أن يكون راجعا الى
ما يقع في الألفاظ من حسن مادّة واستواء نسج ولطف التقاء وتشاكل
15 اقتران وإيجاز عبارة وما جرى مجرى ذلك ممّا يستحسن في الألفاظ . أو
إلى ما يرجع إلى المعاني من حسن محاكاة وتقسيمة مفهوم وتعيين متخصص
بالنسبة إلى الغرض وما جرى مجرى ذلك ممّا يستحسن في المعاني . أو إلى
ما يرجع إلى النظم من إحكام بنية وإبداع صيغة ووضع وما تناسب ذلك ممّا
يحسن في النظم ، أو إلى ما يرجع إلى الأسلوب من حسن منزع ولطيف
20 منحى ومذهب وما جرى مجرى ذلك ممّا يستحسن في الأساليب .

2 — **تنـويـر** : وملاك الأمر في جميـع ذلك أن يـكون المفتتح مناسبا لمقصد المتـكلّم من جميـع جهاته . فإذا كان مقصده الفخر كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ والنظم والمعاني والأسلوب ما يـكون فيه بهاء وتفخيم ، وإذا كان المقصد النسيب كان الوجه أن يعتمد منها ما يـكون فيه رقّة وعذوبة من جميـع ذلك ، وكذلك سائر المقاصد . فإنّ طريقة البلاغة فيها أن تفتتح بما يناسبها ويشبهها من القول من حيث ذكر . 5

3 — **إضـــاءة** : وممّا تحسن به المبادىء أن يصدّر الـكلام بما يـكون فيه تنبيه وإيقاظ لنفس السامع أو أن يشرب ما يؤثّر فيها انفعالا ويثير لها حالا من تعجيب أو تهويل أو تشويق أو غير ذلك ممّا تقدّمت الإشارة إليه.

10 4 — **تنـويـر** : وفي الـكلام ما له صورة يصير بها لائقا أن يـكون رأسَ كلام ومفتتحَ قول ، ومنـه مـا لا / يليـق بالمبـادي ولا يـكون له هيـأة تصلـح لهـا . [118 — ب]

ويجب أن يجتلب القول للمبادىء من المعدن الأوّل .

5 — **إضـــاءة** : وأحسن المبادي ما تناصر فيه حُسن المصراعين وحسن البيت الثاني على ما تقدّم ذكرُه في المعلم قبل هذا . 15

وأكثر ما وقع الإحسان في المبادىء على هذا النحو للمحدثين . فأمّا العرب المتقدّمون فلم يـكن لهم بتشفيـع البيت الأوّل بالثاني كبير عناية . وكثيرا ما كانوا يتسلسلون فيه في ذكر المواضع نحو قول امرىء القيس :

[الطويـل — ق — المتواتر]

20 فغَول ، فحلّيتٍ ، فنَفْيٍ فمنعجٍ إلى عاقل ، فالجُبِّ ذي الأمرات(1)

---

1) البيت من قصيدة يصف فيها الوحوش وصيده لها ، طالعها :

غشيت ديار الحي بالبكرات فعارمة فبرقة العيارات

السندوبي ، (3) ، 73 .

والرتبة الثانية في حسن المبادي أن يتناصر الحسن في المصراعين دون البيت الثاني ، نحو قول أبي الطيب : [الخفيف – ق – المتواتر]

أتراها لكثرة العشّاق تحسب الدمع خلقة في المآقي (1)

والرتبة الثالثة أن يكون المصراع الأوّل كامل الحسن ، ولا يكون
5 المصراع الثاني منافرا له وإن لم يكن مثلَه في الحسن ، ومثل هذا يوجد كثيرا .

6 – **إضاءة** (2) : وقد تكون المبادي ، التّي حسن فيها المصراع الأوّل وكان ما وليه نمطا وسطا في الكلام ، من الشرف بما وقع فيها بحيث تفوق المبادي التّي تناصر الحُسن في مصراعيها والبيت التالي لهما ، وذلك
10 نحو قول امرىء القيس : [الطويل – ق – المتدارك]

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللّوى بين الدخول فحومل (3)

فالمصراع الأوّل في غاية الإبداع ونهاية الانطباع ، وليس المصراع الثاني كذلك ، وإن كان له قسط من الفصاحة لأنّ كثيرا من الشعراء
15 الفحول يجاريه في مثل صيغة المصراع الثاني ويتمّم مبدأه بمثل ما تمّمه به ، وليس يجاريه أحد في كمال المصراع الأوّل وشرف ما وقع فيه بالنظر إلى ما يجب أن يفتتح به القول في البكاء على الديار .

7 – **تنوير** : وليس يجب أن يعتبر في حسن المبادى ما وقع الإحسان في مصراعه الثاني إذا كان المصراع الأوّل قبيحا .

1) راجع 279 تع ، 1 .
2) الوجه ان يعنون لهذه الفقرة بتنوير ، مخالفة للفقرة قبلها . ولعل ذلك ذهول من الناسخ او المؤلف .
3) السندوبي ، (3) ، 143 .

8 — إضـــاءة : وممّا اختير من المبادي قول النابغة :

[الطويل — ق — المتدارك]

[119 — أ] / كليني لهمّ يا أميمةُ ناصبِ (1)

وقول الأعشى : [الطويل — ق — المتدارك]

كفى بالذي تولينه لو تجنّبا (2) 5

وقول القطامي : [البسيط — ق — المتراكب]

إنّا محيّوكَ فاسلمْ أيّها الطّللُ (3)

وقول بشّار : [الطويل — ق — المتدارك]

أبى طلل بالجزع أن يتكلّما (4)

وقول حبيب : [البسيط — ق — المتراكب] 10

يا بُعدَ غايةِ دمعِ العين إن بَعُدوا (5)

وقول البحتري : [الكامل — ق — المتدارك]

عارَضْنَنا أُصُلًا فقلنا الربرب (6)

ومن المراثي قول الشاعر : [الطويل — ق — المتدارك]

أيا جارتَا من يجتمع يتفرّقِ ومن يكُ رهنا للحوادث يغلقِ (7) 15

---

1) [illegible] 273 ، التمهيد .

2) البيت طالع قصيدة للأعشى الأكبر ، وتمامه : شفاء لسقم بعد ما كان أشيبا [illegible] الديوان ، (3) ، 113 عدد 14 .

3) [illegible] هذا الشطر مفردا . الأغاني (3) ، [illegible] ، 130 .

4) هذا صدر أحد بيتين وتمامه : وماذا عليه لو أجاب متيما . الأغاني ، (3) ، [illegible] ، [illegible] .

5) تقدم البيت 284 تم عدد 1 .

6) صدر البيت طالع قصيدة في مدح اسحق بن ابراهيم ، وتمامه : حتى أضاء الاقحوان الاشنب . الديوان ، ٢ ، 681 .

7) البيت من فرائد المنهاج .

وقول أوس بن حجر : [الخفيف — ق — المتراكب]

أيّتها النفسُ أجْمِلِي جزَعا (1)

وقول حبيب : [البسيط — ق — المتراكب]

أيّ القلوبِ عليكُم ليس ينصدِعُ (2)

9 — **تنوير** : ومّما أستحسنه أنا قول منصور النّمري :

[البسيط — ق — المتراكب]

ما تنقضي حسرةٌ منّي ولا جزَعُ   إذا ذكرت شبابا ليس يُرتجَعُ (3)

وقول أبي الطيّب : [الطويل — ق — المتدارك]

أغالبُ فيكَ الشوقَ والشوقُ أغلبُ (4)

وقول أبي عمر بن درّاج القسطلّي : [البسط — ق — المتراكب]

أهلّ بالبيْنِ ، فانهلّتْ مدامعُه (5)

وقول يوسف بن هارون : [الكامل — ق — المتواتر]

مَن حاكِم بيني وبيْن عذولي (6)

---

1) صدر البيت من طالع قصيدة مشهورة له يرثي بها فضالة الأسدي . وتمامه : إنّ الذي تحذرين قد وقعا . المعري : الأفصياق ، 444 ؛ المرصفي ، 8 ، ... ؛ ... ، ج 2 ، 492 .

2) صدر البيت من طالع قصيدة في رثاء ... بن حميد تمامه : وأيّ نوم عليكم ليس يمتنع . الديوان ، (2) ، 371 .

3) هذا طالع قصيدة له في مدح الرشيد . أورد قطعا منها ابن المعتز . الطبقات ، 245 .

4) انظر 299 ، تع 2 .

5) البيت طالع قصيدة تمامه : وآنس النفر فاستكت مسامعه . **الديوان** ، 137 عدد 41 .

6) صدر البيت من طالع قصيدة له يمدح بها أبا علي اسماعيل بن القاسم عند دخوله الأندلس وتمامه : الشجو شجوي والعويل عويلي . **الحميري** ، 347 .

وقول أبـي اسحق بن خفاجة : [الطويل — ق — المتدارك]

لكَ اللهُ من برق تراءى فَسلّما (1)

ولو قـال قائـل : « إنّه لم يُستفتَح في قافية الهمـزة بأحسن من قول أبـي جعفر بن وضّاح : [الـكامل— ق — المتواتر]

يـا سرحـة العلميـن من تيمـــاء حدبت عليك روائمُ الأنواء (2) » 5

لـكان حقيقا أن يصدّق وأن يُسلّمَ له في ما قال .

ج — مَعرّف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء التخلّصات من حيّز إلى حيّز وعطف أعِنّة الـكلام من جهة إلى أخرى ومن غرض إلى غرض .

[119 — ب] / اعلم أنّ الانعطاف بالـكلام من جهة إلى أخرى أو غرض إلى آخر لا يخلو من أن يـكون مقصودا أوّلا ، فيذكر الغرض الأوّل لأن يستدرج 10 منه إلى الثاني وتجعل مآخذ الـكلام في الغرض الأوّل صالحة مهيّأة لأن يقع بعدها الغرض الثاني موقعا لطيفا وينتقل من أحدهما إلى الآخر انتقالا مستطرفا، أوْ لاَ يـكون قُصد أوّلا في غرض الـكلام الأوّل أن يجعل ذكره سببا لذكر الغرض الثاني ولا توطئة للصيرورة إليه والاستدراج إلى ذكره بل لا ينوي الغرض الثّاني في أوّل الـكلام ، وإنّما يسنح للخاطر سنوحًا بديهيًا 15 ويلاحظه الفـكر المتصرّف بالتفاتاته إلى كلّ جهة ومنحى من أنحاء الـكلام.

فما كان من قبيل هذا القسم الثاني فإنّه الذي يعرف بالالتفات . وأمّا القسـم الأوّل فـإنّ منه ما يـكون بصورة الالتفات ، ومنه ما لا يـكون بتلك

1) هذا الصدر من طالع قصيدة له أثبتها كـرم البستاني وعنون لها بسرحة واد : وتمام البيت : وصافح رسما بالعذيب وسلما . الـديـوان ، 136 .

2) البيت من فرائد المنهاج .

الصورة . وفي ما لا ينبني الكلام عليه أيضا من أوّل ما لا يكون بصورة الالتفات .

1 — **إضـــاءة** : والصورة الالتفاتيّة : هي أن يجمع بين حاشيتي كلامين متباعدي المآخذ والأغراض ، وأن ينعطف من إحداهما إلى الأخرى
5 انعطافا لطيفا من غير واسطة ، تكون توطئة للصيرورة من أحدهما إلى الآخر على جهة من التحوّل .

والانعطاف غير الالتفاتي يكون بواسطة ، بين المنعطف منه والمنعطف إليه ، يوجد الكلام بها مهيّئا للخروج من جهة إلى أخرى ، وسبب يجعل سبيلا إلى ذلك يشعر به قبل الانتهاء إليه .

10 2 — **تنـويـر** : وأصناف الالتفاتات كثيرة . وأكثر ما يعني المتكلّمون في البديع ، من ضروبه ، ثلاثة أصناف :

— 1 — ممّا أوهم ظاهره أنّه كريه وهو مستحب في الحقيقة فيلتفت الشاعر إلى ذكر ما يزيل ذلك ، نحو قول عوف بن محلّم :

[السريع — ق — المتواتر]

15 إنّ الثمانين وبلغتها   قد أحوجت سمعي إلى ترجمان (1)

— 2 — الثاني أن يلتفت الشاعر عند ذكر شيء إلى ما له في نفسه من غرض جميل أو / غير ذلك ، فيصرف الكلام إلى جهة ذلك الغرض ، [120 — أ]
نحو قول جرير : [الكامل — ق — المتدارك]

طرب الحَمامُ بذي الأراك فهاجني   لا زلت في غلل وأيك ناضر (2)

1) البيت من قصيدة قالها عوف بن محلم الشيباني لعبد الله الطاهر . ذلك أن عبد الله دخل عليه وسلم فلم يجبه عوف ، ولما اعلم بذلك دنا منه وأنشده هذا البيت من قصيدة طالعها :
يا ابن الذي دان له المشرقان   طرا وقد دان له المغربان .
الصفدي : **الغيث** ، 2 ، 57 ؛ العباسي ، (2) ، 1 ، 362 ، عدد 68 .

2) البيت طالع قصيدة له . **الديوان** ، 304 .

ــ 3 ــ الثالث أن يلتفت إلى نقض خفيّ داخل عليه في مقصد كلامه أو يخشى تطرّق النقض إليه ، فيحتال في ما يرفع النقض ويزيل التطرّق ، ويشير إلى ذلك ملتفتا كقول طرفة : [الكامل ــ ق ــ المتواتر]

فسقى ديارك غير مفسدها صوبُ الربيع وديمةٌ تَهمي (1)

وقول ابن المعتزّ : [الطويل ــ ق ــ المتدارك] 5

صَببنا عليها ، ظالمين ، سياطَنا فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ (2)

3 ــ **إضـــاءة** : وإذ قد تبيّن أنّ ما قصد به الاستدراج أوّلا . أو سنح فيه الالتفات آخرا ، كلاهما منه ما يترامى فيه من الغرض الأوّل إلى الثاني من بعد على سبيل التدرّج ، ومنه ما يُخلّص فيه إلى الشيء ممّا يليه من الكلام بغير تدرّج ، فلنذكر الآن مآخذ الشعراء فيما يتدرّجون إلى 10 مدحه أو ذمّه ، أو يخلصون إليه خلوصا التفاتيّا على جهة الاستطراد ، أو لا يتدرّجون إليه ولا يستطردون بل يهجمون على المدح أو الذمّ هجوما .

وأهل البديع يسمّون ما كان الخروج فيه بتدرّج تخلّصا ، وما لم يكن بتدرّج ولا هجوم ولكن بانعطاف طارىء على جهة من الالتفات استطرادا ، ومثله قول حسّان : [الكامل ــ ق ــ المتواتر] 15

إن كنتِ كاذبةَ الذي حدّثتني فنجوت منجى الحرث بن هشام (3)

---

1) هذا آخر بيت من قصيدة لطرفة يمدح بها قتادة بن سلمة الحنفي . طالعها :
ان امرأ سرف الفؤاد يرى عسلا بماء سحابه شتمي
الأعلم ، 90 ــ 93 عدد 71 ؛ شيخو ، 316 .

2) البيت من قصيدة له طالعها :
أجابك أم لا بالذويرة منزل يجد هبوب الريح فيه مهلل
الديوان ، 59 .

3) البيت من قصيدة له يذكر فيها الحرث بن هشام المخزومي ، وهزيمته يوم بدر ، ثم حسن السلامة ، و طالع القصيدة .
تبلت فؤادك في المنام خريدة تسقي الضجيع ببارد بسام .
الديوان ، 84 .

وربّما اجتمع التخلّص والاستطراد ، كقول مسلم :

[الطويل — ق — المتدارك]

أجِدَّكِ لا تدرين أن ربّ ليلة كأنّ دجاها من قرونِكِ تنشر
أرِقتَ لها حتّى تجلّت بغرّة كغرّة يحيى حين يُذكرُ جعفرُ (1)

5 فتخلّص إلى مدح يحيى واستطرد منه إلى ذكر جعفر .

وإنّما أخذ هذا اللقب من استطراد الفارس ، وهو أن يريك أنّه فرّ وإنّما يريد بذلك / اغترارَ من ينقطع في طلبه ، فيسرع الكرّ إذ ذاك عليه . [120 — ب]

ولا ينبغي أن يشترط في الاستطراد ألاّ يرجعَ فيه إلى وصف المستطرد منه ، بل كيف ما وقع الكلام المتحوّل فيه عن جهة إلى أخرى على النحو 10 الذي ذكرناه مرجوعا فيه إلى وصف المستطرد منه أو غير مرجوع ، مستطردا فيه من المستطرد إليه إلى غيره ومن ثان من المستطرد إليها إلى ثالث أو مقتصرا على واحد من المستطرد إليها ، فإنّه استطراد يتنوّع بحسب ما يتوجّه الكلام بعده إليه .

4 — تنوير : وشعراء المحدثين أحسنُ مأخذا في التخلّص والاستطراد 15 من القدماء ، لأنّ المتقدّمين إنّما كانت قُصاراهم في الخروج إلى المديح أن يقول : دع ذا ، وعدّ القول في هذا ، أو يصف ناقته ويذكر أنّ إعمالها إنّما كان من أجل قصد الممدوح ، على أنّهم كانوا معتمدين في الخروج على تعدية القول أو تعدية العيس فقد ندر لهم من التخلّص ما يستحسن ومن الاستطراد ما لا ينكر الإبداع فيه . وقد كان في المحدثين من

1) البيتان مفردان في مدح يحيى بن خالد ، والرواية بصرت بدل أرقت . الديوان ، 316 .

يعني خاطره في الخروج إلى المديح اقتداء بالمتقدّمين فيهجم على المديح من غير توطئة له كقول البحتري : [الكامل- ق — المتدارك]

تأبى رُباه أن تجيب ، ولم يكن مستخبرٌ ليجيب حتّى يفهما

ثم قال :

الله جار بني المدبّر كلّما ذُكر الأكارمُ ما أعفّ وأكرما(1) 5

5 — **إضـاءة** : وكلا ضربي الخروج إلى المديح — متّصلة بما قبله ومنقطعة — لا يخلو من أن يقفّيَ البيت فيه باسم الممدوح أو المذموم ، أو اسم الأب ، أو بوضع ذلك في تضاعيف البيت ويقفى البيت بغير ذلك .

وكلّما أمكن وضعُ الاسم في القافية كان أحسنَ موقعا وأبلغَ في اشتهار الاسم ، والناس يسمّون هذا النوع الشقّ على الاسم ، كقول البحتري : 10 [الكامل — ق — المتواتر]

ولو أنّني أعطيت فيهنّ المنى لَسَقَيْتُهُنّ بكفّ إبراهيما (2) .

6 — **تنـويـر** : فالذي يجب أن يعتمد في الخروج من غرض إلى غرض أن يكون / الكلام غير منفصل بعضه من بعض ، وأن يُحتال في ما يصل [121 — أ] بين حاشيّي الكلام ويجمعُ بين طرفي القول حتّى يلتقي طرفا المدح 15 والنسيب أو غيرهما من الأغراض المتباينة التقاء محكما ، فلا يختلّ نسق

---

1) البيتان متواليان من قصيدة في مدح احمد وابراهيم ابني المدبر طالعها :
أمحلتي سلمى بكاظمة اسلما وتعلما ان الجوى ما هجتما
الديوان ، 1 ، 229 .

2) البيت في الديوان مفتتح بفاءلا بواو ، وهو من قصيدة له في مدح ابراهيم بن الحسن بن سهل طالعها :
احرى المخطوب بأن يكون عظيما قول الجهول الا تكون حليما
المرجع السابق ، 1 ، 286 .

الكلام ولا يظهر التباين في أجزاء النظام ؛ فإنّ النفوس والمسامع إذا كانت مقدرّجةً من فنّ من الكلام إلى فنّ مشابه له ، ومنتقلةً من معنى إلى معنى مناسب له ، ثمّ انتقل بها من فنّ إلى فنّ مباين له من غير جامع بينهما وملائم بين طرفيهما وجَدَت الأنفسُ في طباعها نفورا من ذلك ونَبَت
5 عنه . وكانت بمنزلة المُستمرّ على طريق سهل ، بينَا هو يسير فيه عفوا إذ تعرّض له في طريقه ما ينقله من سهولة المسلك إلى حزونته ومن لينه إلى خشونته . وكذلك النفوس والأسماع إذا قرعها المديح بعد النسيب دُفعةً من غير توطئة لذلك ، فإنّها تستصعبه ولا تستسهله ، وتجدُ نبوةً مّا في انتقالها إليه من غير احتيال وتلطّف في ما يجمع بين حاشيَي الكلام ويصلُ
10 بين طرفيه الوصلَ الذي يُوجد للكلام به استواءٌ والتئامٌ .

د ــ مأمٌّ من مذاهب البلاغة المستشرفة بهذا المعرّف وهو مذهب الإبداع في التخلّص والاستطراد .

وطريقة التخلّص ينحى بها أبدا نحوان : نحو يُتدرّجُ فيه إلى ما يراد التخلّص إليه وينتقل بتلطّف إليه ممّا يناسبه ويكون منه بسبب ؛ ونحو لا
15 يكون التخلّص فيه بتدرّج وانتقال من الشيء إلى ما يناسبه ويشبهه ولكن بالتفات الخاطر حيّزا من حيّز وملاحظته طَرفا من طرف ، فيعطف إلى ما يريد التخلّص إليه بما يكون / مناقضا له أو مخالفا أوشك انعطاف من [121 ــ ب] غير مقدّمة تُشعر بذلك أو واسطة تنظم بين الطرفين ولكن بالخروج من أحدهما والتخلّي عنه دفعة إلى الآخر على جهات من المآخذ . وذلك بأن
20 يلاحظ في المتخالفين صفة يجتمعان فيها من حيث لا يشعر فيكون ذلك طريق النقلة من أحدهما إلى الآخر على سبيل تشبيه أو محاكاة ، أو بأن

يضرب عن أحدهما في مقصد ويعتدّ بالآخر فيه ، أو بأن يسلب عن أحدهما ما أوجب للآخر . وقد يكون المأخذ في ذلك على غير هذه الأنحاء مما يعرف في مواضع أخر من هذا الكتاب .

1 — **إضـــاءة** : ولا يخلو التخلّص من أن يكون في شطر بيت أو في بيت بجملته أو في بيتين . وكلّما قرب السبيل في ذلك كان أبلغ . 5
وقد يستحسن التخلّص الواقع في البيت بأسره ويقع من النفوس أحسن موقع ، وذلك حيث يقصد التفخيم وزيادة المعنى بها . فربّما قدّرت العبارة لذلك على المعاني تقديرا إضافيا ، فحسُن ذلك .

2 — **تنـويـر** : ولا يخلو المتخلَّصُ إليه من أن يرد في مبنى القافية ونهاية الكلام الموزون ، أو يقع حشوا وتكون التقفية بمعنى آخر . 10

وإذا وقع ما يراد التخلّص إليه في القافية كان أشهر له وأحسن موقعا من النفس . وليس يحسن ما وقع حَشوا من ذلك حُسنَ ما وقع نهاية . وإذا قُفّـي البيت بما يكون تتميما لما وقع من ذلك حشوا كان أحسنَ من أن يقفّى بما ليس له إليه نسبة . وإذا وقع الشيء المتخلّص إليه في القافية فهو الذي يسمّيه الناس الشقّ على الاسم ، وقد تقدّم ذكره (1) . 15

3 — **إضـــاءة** : ولا يخلو الاسم في ذلك من أن يكون بسيطا أو مركّبا . والمركّب لا يخلو من أن يكون في أدنى تركيب ، أو يكون في أقصى ما تحتمله الأوزان في ذلك ، أو يكون في رتبة وسط بين الطرفين .

وما كان في أقصى الرتب من ذلك وما يليها من الأوساط فهو الذي يسمّى الاطّراد ، / نحو قول دريد بن الصمّة : [الطويل — ق — المتدارك] 20 [122 — أ]

1) انظر 318 .

قتلنا بعبد الله خيرَ لداته
ذُؤابَ بن أسماءَ بنِ زيدِ بنِ قاربِ (1)

وربّما كان الاطّراد على أنحاء أخر من التسلسل في الكلام المتعلّق بعضُه ببعض ، ولا يقال إلاّ في ما يحسن من ذلك .

4 — **تنوير** : والأمور التي يجب اعتمادها في التخلّص هي التحرّزُ من انقطاع الكلام ومن التضمين والحشو والإخلال واضطراب الكلام وقلّة تمكّن القافية والنقلة بغير تلطّف والاضطرار في ذلك إلى الكناية عمّا يجب التصريحُ به والإبانةُ عنه ، والتلطّفُ في ما يوقع الكلام أحسنَ مواقعه ويُجريه على أقوم مجاريه من أضداد هذه الأشياء .

5 — **إضاءة** : وممّا يجب اعتماده في التخلّص : أن يجهد في تحسين البيت التالي لبيت التخلّص ، فإنّه أوّل الأبيات الخالصة للحمد أو الذمّ ، وأوّلُ منقلة من مناقل الفكر في ما تخلّصت إليه ، فيجب أن يعتمد فيه ما يكون محرّكا للنفس لتستأنف هزّة ونشاطا لتلقّي ما يرد ، فإنّ العناية بهذا البيت نحوٌ من العناية بالبيت الثاني من مطلع القصيد ، بل ربّما كانت الحاجةُ إلى استثارة الهزّة عند الانعطاف آكدَ منها في استثارة ذلك عند المبدأ ، لكون صدر القصيدة وسماعه يذهب بقسط من نشاط النفس ربّما لم يكن يسيرا ، فكانت الحاجةُ إلى استثارة النشاط عند أخذه في الضعف آكدَ من الحاجة إلى استثارته في حال توفّره وجمومه .

---

1) البيت ثالث أبيات ثلاثة أولها :

جزينا بني عبس جزاء موفرا بمقتل عبد الله يوم الذنائب
ولولا سواد الليل أدرك ركضنا بذي الرمث والارضى عياض بن ناشب

شيخو ، ق ٥ ، 761

6 — **تنوير** : وقد قسّم الناس الخروج من جهة ما ينحى به منحى التدرّج ، أو الانعطاف من غير تدرّج ، إلى تخلّص واستطراد . وتخيّروا ممّا وقع للشعراء في ذلك فصولا وأبياتا .

فممّا اختاروه من باب التخلّص قول البحتري :

[الطويل — ق — المتدارك] 5

شقائق يحملن الندى فكأنّه   دموع التصابي في خدود الخرائد

[122 — ب] / كأنّ يد الفتح بن خاقان أقبلت   تليها بتلك البارقات الرواعد (1)

وقول محمد بن وهيب : [الكامل — ق — المتراكب]

ما زال يلثمني مراشفه   ويعلّني الإبريقُ والقدحُ

10 حتّى استردّ الليل خلعته   وبدا خلالَ سواده وضَحُ

وبدا الصباح كأنّ غرّته   وجهُ الخليفة حين يُمتدحُ (2)

وممّا ذُهب به مذهب الاستطراد من ذلك قول همّام بن غالب الفرزدق :

[الطويل — ق — المتدارك]

وركب كأنّ الريح تطاب عندهم   لها ترة من جذبها بالعصائب

15 سروا يخبطون الريح وهي تلفّهم   إلى شُعَب الأكوار ذات الحقائب

إذا أنسوا نارا يقولون : ليتها ،   وقد خصرت أيديهم ، نارُ غالب(3)

---

1) البيتان في القصيدة ليسا على التوالي ، وبينهما أربعة أبيات . والقصيدة في مدح الفتح بن خاقان وابنه ، وطالعها :
مثالك من طيف الخيال المعاود   ألم بنا من أفقه المتباعد
الديوان ، 1 ، 54 .

2) الأبيات من قطعة شريفة له يمدح بها المأمون ، طالعها :
العذر إن أنصفت متضح   وشهيد حبك أدمع سفح
الاغاني ، (3) ، ١٧ ، 148 .

3) يروى البيت الثاني بلفظ الليل مكان الريح ، وبعل شعب الاكوار من كل جانب بدل الى شعب الاكوار ذات الحقائب . والبيت الثالث بلفظ اذا ما راوا بدل اذا انسوا وبين البيت الاول و الثاني بيت ساقط هنا مثبت بالديوان .
يعضون أطراف العصي كأنها   تخزم بالاطراف شوك العقارب
الديوان . ١ ، 30 — 31 .

ومما اختير من ذلك قول جرير : [الكامل — ق — المتدارك]

لمّا وضعت على الفرزدق ميسمي
وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل (1)

ومن جيّد الاستطراد قول حبيب في وصف الفرس :

5 [البسيط — ق — المتواتر]

فلو تراه مشيحا والحصى زيَمٌ ما بين رجليه من مثنى ووحدان
أيقنتَ إن لم تثبّت أنّ حافره من صخر تَدمُر أو من وجه عثمان(2)

هـ — معلَم دالّ على طرق العلم بالفرق بين المقصّد والمقطّع .

إذا كان (3) الشاعر مقتدرا على النفوذ من معاني جهة إلى معاني جهة أو
10 جهات بعيدة منها من غير ظهور تشتّت في كلامه ، وكان حسن المأخذ في ما
يعضد به المعاني التي هي عمدة في كلامه من الأشياء التي يحسن اقترانها
بها ، بصيرا بأنحاء التدرّج من بعض الأغراض والمعاني إلى بعض ، بالغا
الغاية القصوى في التهدّي إلى أحسن ما يمكن أن تكون / بنية غرضه وكلامه [123 — أ]

1) البيت يروى وضعا البعيث بدل وعلى ، وهو من قصيدة يهجو بها الفرزدق طالعها :
لمن الديار كأنها لم تحلل بين الكناس وبين طلح الأعزل
الديوان ، 443 .

2) البيتان من قصيدة في عثمان بن ادريس السامي ، طالعها :
وسابح هطل التعداء هتان على الجراد أمون غير خوان
ورواية البيتين مخالفة لما في الاصل ، وهي بهذا الوجه :
فلو تراه مشيحا والحصا فلق بين السنابك من مثنى ووحدان
حلفت إن لم تثبت أن حافره من صخر تدمر أو من وجه عثمان
الديوان ، (1) ، 201 .

3) فعل إذا وجوابها يأتي عقب المعطوفات عليه .

عليه من المعاني الشديدة العلقة بغرضه والانتساب إلى مقصده وإلى أحسن ما يمكن أن يزيّن به تلك المعاني المعتمدة ويبهّيها ممّا يكون فيه إفادة مناسبة لما أفادته تلك المعاني فيكون في ذلك تقويةٌ وتكميلٌ لما اعتمد من المعاني الأُوَل أو حياطة لها من الضعف والنقص . ويكون مع ذلك موفّيا للمعاني المعتمدة وما بني عليها وألحق بها حقّها من المبالغات وحسن الوضع ، وكان 5 مع ذلك مقتدرا على وضع العبارات عن جميع ذلك على أحسن ما يمكن أن توضع عليه حتّى يتناصر إبداعه في المعاني بإبداعه في العبارات عنها ، قيل (1) فيه إنّه بعيد المرامي . وهذا إنّما يتّفق بقوّة العارضة ومعانة الطبع وكمال تصرّف الفكر . وهؤلاء هم المقصّدون من الشعراء المقتدرون على تعليق بعض المعاني ببعض واجتلابها من كلّ مجتلب . 10

1 ــ إضـــــاءة : فأمّا من لايقوى من الشعراء على أكثر من أن يجمع خاطره في وصف شيء بعيّنه ويحضر في فكره جميع ما انتهى إليه إدراكه من صفاته التي تليق بمقصده ثم يرتّب تلك المعاني على الوجه الأحسن فيها ويلاحظ تشكّلها في عبارات منتشرة ثمّ يختار لتلك العبارات من القوافي ما تجيء(2) فيها متمكّنة ثمّ ينظم تلك العبارات المنتشرة من غير أن يستطرد 15 من تلك الأوصاف إلى أوصاف خارجة عن موصوفها ، فهذا لا يقال فيه بعيد المرامي في الشعر ، وهؤلاء هم المقطّعون من الشعراء .

1) جواب اذا في أول المعلم .
2) بالاصل تجد .

الأسْلوبْ

/ بسم الله الرحمن الرحيم   صلى الله على سيّدنا محمد وآله وسلّم [123 – ب]

* * * *

القسم الرابع في الطرق الشعريّة وما تنقسم إليه وما ينحى بها نحوه من الأساليب ، والتعريف بمآخذ الشعراء في جميع ذلك وما تعتبر أحوال الكلام المخيّل المقفّى الموزون في جميع ذلك ، من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها من القوانين البلاغيّة .

– المنهج الأوّل في الإبانة عن طرق الشعر من حيث تنقسم إلى جدّ وهزل ، وما تعتبر به أحوالها في كلّ ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها .

والشعر ينقسم أوّلا إلى طريق جدّ وطريق هزل . وله قسمة أخرى من جهة ما تتنوّع إليه المقاصد والأغراض ، سأذكرها (1) بعد إن شاء الله .

فأمّا طريقة الجدّ فهي مذهب في الكلام تصدر الأقاويل فيه عن مُروءة وعقل بنزاع الهمّة والهوى إلى ذلك .

وأمّا طريقة الهزل فإنّها مذهب في الكلام تصدر الأقاويل فيه عن مجون وسخف بنزاع الهمّة والهوى إلى ذلك .

وأنا أذكر ما تختصّ به كلتا الطريقتين ، وما يسوغ في كلّ واحدة منهما ممّا هو خاصّ أو كالخاصّ بالأخرى .

1) راجع تفصيل ذلك في ق . ٤ ، 2 ، أ ، 336 – 341 .

أ ـ معلم دالّ على طرق العلم بما يجب اعتماده في طريقة الجدّ .

[124 ـ أ] / فأمّا ما يجب في طريقة الجدّ فألاّ يُنحرف في ما كان من الكلام على الجدّ إلى طريقة الهزل كبير انحراف ، أو لا ينحرف إلى ذلك بالجملة ، لأنّ الكلام المبنيّ على الجدّ إنّما قُصد به إلقاؤه بمحلّ القبول من أهل الجدّ . وكثير من أهل الجدّ يكره طرق الهزل ، ومن لا يكرهها منهم 5 كبيرَ كراهة لا ينغّصه خلوّ الكلام منها ؛ فكان وجودها في الكلام منغّصا على بعضهم وفقدانها غير منغّص على جميعهم ، فلذلك يجب ألاّ يُتعرّض إليها كبير تعرّض ، أو لا يتعرّض إليها بالجملة في طرق الجِدّ .

1 ـ **إضــــاءة** : وجملة ما يجب أن يُتجنّب في ذلك هي الجهات المختصّة بالهزل ، والمعاني الواقعة في تلك الجهات ، والعبارات عن تلك 10 المعاني ، والجزء الواحد من العبارة الواقعة في ذلك إذا كانت قد وقعت لشهرة بجهة من جهات الهزل .

ويجب أيضا أن يُتحفّظ بالنظم الجِدّي من أن يكون التأليف فيه على صيغة تأليف قد اشتهر وقوعه في طريقة هزليّة كأنّما قد حذي بذلك حذو هذا . 15

وجملة الأمر ألاّ يتعرّض فيها إلى منحى من مناحي الهزل ـ ولو بإشارة ـ إلاّ حيث يليق ذلك بالحال والموطن ، فيتصوّر إذ ذاك التعرّض إلى ما خفّ من الهزل ، ولكلّ مقام مقال .

2 ـ **تنــويــر** : وتختصّ الطريقة الجِديّة بأن يجتنب فيها الساقط من الألفاظ والمولّد ، ويقتصر فيها على العربيّ المحض وعلى التصاريف 20 الصريحة في الفصاحة المطّردة في كلامهم . ولا يعرّج من ذلك على ما لا

يدخل في كلامهم إلاّ بوجوه تستضعف ويُتسامح في إيراد الحوشيّ والغريب فيها في بعض المواضع .

3 — **إضـــاءة** : ويجب في معاني الطريقة الجِدّية أن تكون النفس فيها طامحة إلى ذكر ما لا يشين ذكره ولا يسقط من مروءة المتكلّم ، وأن تكون
5 واقفة دون أدنى ما يحتَشِم من ذكره ذو المرءة أو يُكبر نفسه عنه ، وأن تطّرح من ذلك ما له ظاهر شريف في الجِدّ وباطن خسيس في الهزل .

4 — / **تنــويــر** : وممّا تختصّ به العبارات في الطريقة الجِدّية أن [124 — ب] يُتحرّى فيها المتانة والرصانة كما تُتحرّى في طريقة الهزل الحلاوة والرشاقة . وقد تأخذ الطريقة الجِدّية بطرف من الرشاقة كما تأخذ الطريقة الهزلية
10 بطرف من المتانة .

ب — معرف دالّ على طرق المعرفة بما يجب أن يُعتَمد في طريقة الهزل

لمّا كان (1) أهل طريقة الهزل يشاركون أهل طريقة الجِدّ في كثير من المعاني والعبارات ويستعملون ذلك في كلامهم وطريقتهم بساطا إلى ما يريدونه من معاني الهزل التي هي غاية طريقتهم ، وتلك المعاني والعبارات المشترك
15 فيها هي التي هي في أنفسها كلام جدّي ليس فيه تعرّض لما يقدح في الطريقة الهزلية ، ولم يحتج في طريقة الجدّ إلى شيء يكون لها بساطا من معاني الهزل ، وكانت طريقة الهزل بجملتها منافية لأهل طريقة الجدّ ، ولم تكن طريقة الجِدّ بجملتها منافية لأهل طريقة الهزل وجب (2) أن تأخذ

1) فعل لما وجوابهـا يأتي بعد المعطوفات على فعلها الأول .
2) جواب لما في أول المعرف .

طريقة الهزل من طريقة الجِد ّ أخذا خاصّا ، وألا ّ تأخذ طريقة الجِد ّ من طريقة الهزل شيئا — اللهم — إلا ّ أن يشير مشير إلى غرض من أغراضها ممّا لا يقدح في طريقة الجِد ّ كبير قدح وتكون مع ذلك إشارته في المظنّة اللا ّئقة بها ، فإن ّ ذا الجِد ّ قد يأتي من الهزل بما يخف ّ في بعض المواضع — فإن ّ الكريم قد يطرب ، وقد يحتاج إلى إطرابه ، ولكل ّ مقام مقال — 5
لكنّه يحتاج من بنَى كلامه على الجِـد ّ — ثم ّ أراد أن يُلم ّ بشيء من الهزل — أن يتلطّف في التدرّج من الجِد ّ إلى الهزل ، وأن يشعر بأن ّ ما ألم ّ به من ذلك شيء ٌ لا حقيقة له ، وإنّما هو على جهة المزح والدعابة ليبسط بذلك من النفوس ويحرّك . فكثير من معاني الهزل تحرّك ذا الجِد ّ وتطربه
[125 — أ] وإن لم يكن من شأنه . وقد / قال ابن الرومي معتذرا عن شيء وقع له من 10
الهزل في قصيدة مدحيّة : [الخفيف — ق — المتواتر]

وأرى أن ّ معشـرا سيقـولـو ن : سخيف من الرجـال لَعوب
أيـن عنه ، وأيـن مـا يـدّعيـه من علـوم لحـامليهـا قطـوب
ولعمـري إن ّ الحـكيـم وقـور ولعمـري إن ّ الكـريم طـروب (1)

وقد قال سقراط : « حكاية الهزل لذيذة سخيف أهلها ، وحكاية الجِد ّ 15
مكروهة ، وحكاية الممزوج منهما معتدل . ولا يُقبل شاعر يحكي كل جنس ، بل نَطرده وندفع ملاحته وطيبه ، ونُقبل على شاعرنا الذي يسلك مسلك الجِد ّ فقط » .

1) يروى صدر البيت الثاني بلفظ أين عنه وقار ما يدعيه ، والابيات من قصيدة مطولة كتب بها ابن الرومي الى القاسم بن عبيد الله ، طالعها :
سيدي انت شاخص مصحوب وضياعي اليكم منسوب
الديوان ، 2 : 1 ، 539 .

1 — **إضـــاءة** : وممّا تختصّ به طريقة الهزل ويجب اعتماده فيها أن تكون النفس في كلامها مُسِفّة إلى ذكر ما يقبح أن يوثر ، وألاّ تقف دون أقصى ما يوقع الحشمة ، وألاّ تكبر عن صغير ولا ترتفع عن نازل ، وألاّ تطّرح ما له باطن هزلي وإن كان له ظاهر جِدّي ، وأن تردّ ما يفهم منه الجدّ إلى ما يفهم منه الهزل بتخليص ذلك إلى حيّز الهزل بما يجعل مخلصا إلى ذلك من توطئة أو غير ذلك . ويقع مثل هذا بتضمين ، ويقع بغير تضمين . وأكثر ما يتّفق هذا مع اللفظ المشترك .

ومن هذا النوع تضمين بعضهم قول مهلهل : [الوافر — ق — المتواتر]

فلولا الريح أسمَعَ من بنجد صليلَ البيض تُقرع بالذّكور (1)

أبيات هجاء ، فصرف البيت إلى غير مقصد مهلهل حيث وجد الألفاظ المشتركة صالحة لأن يدلّ بها على ذلك .

2 — **تنـويـر** : ومن ذلك أن تتحرّى في عباراتها الرشاقة ، وألاّ يتسامح في كثير من التكلّف المتسامح فيه في طريقة الجدّ .

3 — **إضـــاءة** : ومن ذلك شيوع استعمال العبارات الساقطة والألفاظ الخسيسة ككثير من ألفاظ الشطّار المتماجنين وأهل المهن والعوام والنساء والصبيان على الوجه الذي تَقبل به الطريقةُ ذلك ، وربّما أوردوا ذلك على سبيل الحكاية . وهذا موجود (2) في مجون أبي نواس كثيرا وغير منقود عليه ، ذلك لأنّه لائق بالموضع الذي أورده فيه من أشعاره التي يقصد بها

1) البيت من قصيدة ، طالعها :
أليلتنا بذي حسم أنيري اذا أنت انقضيت فلا تحوري
شيخو ، 170 .

2) راجع **الديوان** ، (2) ، 567 . وغير هذا كثير حذفه الناشر .

[125 ـ ب] الهزل . وليس يسوغ إيراد شيء من ذلك / ولا حكايته لمن طريقته الجدّ .
فقد عاب بعض المتكلّمين (1) في هذه الصناعة قول أبي نصر ابن نباتة :
[الوافر ـ ق ـ المتواتر]

وقال لنا الزمان : ظلمتموهم فقلنا للزمان : دعِ الفضولا (2)

لأنّ هذا ليس من نمط ما بنى عليه كلامه من الجِدّ ، وهو أشبه 5
بكلام الشطّار . ولو ورد مثل هذا في شعر ابن حجّاج وأضرابه من أهل
الهزل والمجون لكان مرضيا مختارا بالنسبة إلى طريقته .

4 ـ **تنوير** : ويستساغ في طريقة الهزل استعمال التصاريف التي
شاعت في ألسن الناس وتكلّم بها المحدثون وإن لم تقع في كلام العرب إلاّ
على ضعف وقلّة . فأمّا العبث في العبارات والزيادة في حروف الكلم على 10
ما سمع من العرب كقول بعضهم : [الهزج ـ ق ـ المتواتر]

شَرِبْرِبْتُ بماخور على دُفٍّ وطنبور (3)

فليس يقع مثل هذا لمن يقصد أن يكون كلامه عربيّا . وإنّما يقع لمن
قصده العبثُ وشوب الفصاحة باللّكنة والعروبة بالعُجمة . فليس على مثل
هذا كلام . 15

---

1) يريد النقاد والادباء .

2) البيت من قصيدة طويلة له يمدح بها سيف الدولة لانتصاره في بعض وقائعه وذلك سنة 355 هـ . وطالع هذه القصيدة :

أقم في القول من نفسي دليلا لأن الصدق ما زرع القبولا
وأكدار المشارب ليس يشني غليل فتى يعاف السلسبيلا

الديوان ، مخط . و. 12 ، س 6 ، 7 .

3) محل الشهادة فيه اللفظ الاول بما وقع فيه من زيادة وتغيير في استعمالات العامة . واصله في غير الغناء شربت .

ج ـ معلم دالّ على طرق العلم بما تأخذه طريقة الجِدّ من طريقة الهزل.

فأمّا ما تأخذه طريقة الجِدّ من طريقة الهزل فهي المعانِي التي في ذكرها في بعض المواضع إطراب وبسط للنفوس ومذهب في ما خفّ من الإحماض بحسب الأحوال التي تكون بها مستعدّة لقبول ذلك .

5 1 ـ **إضـــاءة** : وهذه المعانِي منها ما لا يقدح في طريقة الجِدّ كبير قدح ، ومنها ما يقدح فيها أعظم القدح .

ومزايا القدح يختلف اعتبارها بحسب ما تكون عليه النفوس من التصميم في الجِدّ أو الاقتصاد والاعتدال فيه . فيجب عند تسامح من طريقته الجِدّ / في الإحماض أن يورد من المعانِي اللاّئقة بذلك مقدار ما يناسب [126 ـ أ]
10 طبع المخاطب . فربّما عظم ما لم يكن فيه كبير قدح عند المصمّم في الجِدّ ، وربّما صغر عند المقتصد في الجِدّ والمعتدل فيه ما قدحُه كبير في ذلك . ولكن يجب على من طريقته الجِدّ أن يكون ما يُلمّ به من الإحماض في تفاريق كلامه والفلتات من أحواله ممّا لا يعظم قدحه في طريقة الجِدّ . فيجب أن يضرب بها عن الإلمام بالمعانِي العظيم قدحُها ، وعن التعرّض
15 لجهات تلك المعانِي . وقد تقدّم معنى الجهة في ما تقدّم (1) .

2 ـ **تنـــويـــر** : وتشارك طريقة الجدّ طريقةَ الهزل في أن ينحى بعباراتها نحو الرشاقة في المواضع التي يحسن ذلك فيها ، أو يقال إنّ طريقة الجدّ تأخذ هذا من طريقة الهزل لأنّ طريقة الهزل به أخلق وهو بها أوْلَى وأليق.

1) راجع 61 ، 1 . و لا تلتبس عليك معاني الجهات بالنسبة للمعاني بمعاني الجهة بالنسبة الى اللفظ أو القافية المبحوثين في 216 وفي 222 ـ 225 .

3 — **إضاءة** : وكلّ كلام اعتمدت فيه المراوحه بين المعاني الجدية وما لا ينافيها كلّ المنافاة من معاني الهزل فإنه من القسم الممتزج من جدّ وهزل . وهو الذي تقدّمت الإشارة إليه في قول سقراط (1) .

د — معرف دالّ على طرق المعرفة بما تأخذه طريقة الهزل من طريقة الجدّ .

فأمّا ما تأخذه طريقة الهزل من طريقة الجدّ ، فتأخذ منها المعاني التي ليس فيها تعرّض للقدح فيها وجميع ما يتعلق بها من جهات وعبارات ليجعل ذلك بساطا للتدرّج إلى الهزل . 5

1 — **إضاءة** : وقد تأخذ من معانيها أيضا ما يقدح فيها لكن على جهة حكايتها والردّ عليها والتفنيد لها بعد التقرير . وأمّا أخذ جميع ذلك على جهة صرفه إلى طريقة الهزل بما في العبارة الجدّية لذلك من الاحتمال بكون 10 العبارة الجدّية يمكن فيها أكثر من مفهوم من قبل اشتراك يكون في بعض / العبارات أو إبهام اشتراك يعرض في التركيب أو غير ذلك من [126 — ب] الوجوه التي لا يكون الكلام بها نصّا على معنى واحد فسائغ فيها .

2 — **تنوير** : وممّا تأخذه طريقة الهزل من طريقة الجدّ أيضا إيراد بعض المعاني العلميّة على نحو من الإحالة عليها ببعض معاني الهزل والمحاكاة 15 بها ، كقول أبي نواس : [السريع — ق — المتواتر]

صرت له رفعا على الابتداء وصار لي نصبا على الحال (2)

---

1) انظر 330 .

2) البيت غير موجود فيما جمع من شعر ابي نواس . وقد ورد منسوبا تغليطا للفرزدق في اختراع الخراع للصفدي . وهو مسبوق ببيت . ونصهما :

ان زارني يوما على خلوة أو زرته في موضع خال
قمت له رفعا على الابتدا وقام لي نصب على الحال

انظر الصفدي . مخط . العاشورية ، 103 ب س . 26 — 104 أ س 1 .

3 — **إضـــاءة** : وتشارك طريقة الهزل طريقة الجِدّ في الأخذ بطرف من المتانة ، أو يكون ذلك ممّا تأخذه طريقة الهزل منها لأنّه أليق بطريقة الجدّ وأنجعُ فيها وأكثر استصحابا لها .

4 — **تنـويـر** : فهذه قوانين مقنعة فيما يتعلّق بالطريقة الجدّية وما
5 يتعلق بالطريقة الهزلية وما يتعلّق بهما معا . ومعرفتها أكيدة في صناعة النقد والبصيرةِ بطرق الكلام وما يجب فيها . فكثير من وجوه النقد والنظر في هذه الصناعة يتعلّق بها . وأيضا فإنّه إذا أريد الحكم بين شاعرين متماجنين أيّهما أشعر أو بين جادّ وماجن أيّهما أمضى في طريقته وأبرع فيها لم يكن بدّ من معرفة هذه القوانين في الطريقتين ، إذ بها يتبيّن نمط كلامه
10 وإعراقه في الطريقة الّتي هو مبنيّ عليها وسلامته بحسب ما يجب فيها . فلهذا ألمعت إلى ما يجب في الطريقتين ببعض القول ، فمن تفهّم ذلك وكان اعتبارهَ بحسبه يُصب إن شاء الله .

— المنهج الثاني في الإبانة عن طرق الشعر من حيث تنقسم إلى فنون الأغراض ، وما تعتبر به أحوال الشعر في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها .

[127 — أ] **/ أ — معلم دالّ على طرق العلم بما ينقسم إليه الشعر بحسب ما قصد به من الأغراض .** 5

اختلف الناس في قسمة الشعر . فقسّمه بعض من (1) تكلّم في ذلك إلى ستّة أقسام : مدح وهجاء ونسيب ورثاء ووصف وتشبيه .

وقال بعضهم (2) : الصحيح أن تكون أقسامه خمسة لأنّ التشبيه راجع إلى معنى الوصف .

10 وممكن أيضا أن يقول قائل : إنّ قسم الوصف أيضا داخل في قسم الحمد أو قسم الذمّ ، وإن كان جاعل الوصف قسما إنّما يعني الأوصاف الّتي ليس بالإنسان حاجة إلى حمد موصوفاتها ولا إلى ذمّها ولا هي أيضا يصل إليها من ذلك شيء ، وإنّما القصد بوصفها سبر الخواطر ورياضتها . وقد يكون الباعث على ذلك اعتبار أو استغراب .

15 وقال بعضهم (3) : « أركان الشعر أربعة : الرغبة والرهبة والطرب والغضب » . وقال بعضهم (4) : « الشعر كلّه في الحقيقة راجع إلى معنى الرغبة والرهبة » .

---

1) قدامة ، (3) ، 23 .
2) هو قول الرماني . انظر ابن رشيق ، 1 ، 78 .
3) انظر ابن رشيق ، 1 ، 77 .
4) انظر ابن رشيق ، 1 ، 78 .

وهذه التقسيمات كلّها غير صحيحة لكون كلّ تقسيم منها لا يخلو من أن يكون فيه نقص أو تداخل .

وأنا أذكر الوجه الصحيح والمأخذ المستقيم في القسمة التي لا نقصَ فيها ولا تداخل .

5 1 – **إضـــاءة** : فأمّا طريق معرفة القسمة الصحيحة التي للشعر من جهة أغراضه فهو أنّ الاقاويل الشعريّة لمّا كان (1) القصد بها استجلاب المنافع واستدفاع المضارّ ببسطها النفوس إلى ما يراد من ذلك وقبضها عمّا يراد بما يخيّل لها فيه من خير أو شرّ ، وكانت الأشياء التي يرى أنّها خيرات أو شرور منها ما حصل ومنها ما لم يحصل ، وكان حصول ما
10 من شأنه أن يطلب يسمّى ظفرا ، وفوته في مظنّة الحصول يسمّى إخفاقا ، وكان حصول ما من شأنه أن يُهرب عنه يسمّى أذاة أو رزءا ، وكفايته في مظنّة الحصول تسمّى نجاة ، سمّي (2) / القول في الظفر والنجاة [127 – ب] تهنئة ، وسمّي القول بالإخفاق إن قصد تسلية النفس عنه تأسّيا ، وإن قصد تحسّرها تأسّفا ، وسمّي القول في الرزء إن قصد استدعاء الجَلَد
15 على ذلك تعزية ، وإن قُصِدَ استدعاء الجزع من ذلك سمّي تفجيعا . فإن كان المظفور به على يدي قاصد للنفع جوزي على ذلك بالذكر الجميل وسمّي ذلك مديحا ، وإن كان الضارّ على يدي قاصد ، لذلك فأدّى ذلك إلى ذكر قبيح سمّي ذلك هجاء ، وإذا كان الرزء بفقد شيء فندب ذلك الشيء سمّي ذلك رثاء .

1) فعل لما وبعده سائر المعطوفات عليه .
2) جواب لما .

2 — **تنوير** : ولمّا كانت (1) المنافع كأنّها تنقسم إلى ما يكون بالنسبة والملاءمة مثل ما يوجد من مناسبة بعض الصور لبعض النفوس فيحصل لها بمشاهدة تلك الصورة المناسبة لها نعيم وابتهاج — وذلك الابتهاج نوع من المنافع لتلك النفس — وإلى ما يكون بالفعل والاعتماد مثل ما يعتمده الإنسان من إسعاف آخر بطِلبته فيكون في إسعافه بها منفعةٌ 5 له ، وإلى ما يكون منفعة بالقوّة والمال أو بتشفّي النفس فقط مثل ما تحِلّ مضرّةٌ بعدوٍّ إنسان فتنفع ذلك الإنسان بأن تضعفه له وتقوّيه على مقاومته والانتصاف منه ، وربّما لم ينتفع من ذلك إلاّ بسرور التشفّي فقط ، وكانت المضارّ أيضا تنقسم إلى أضداد ما ذكرته اقتضى (2) ذلك انقسام الذكر الجميل إلى ما يتعلّق من المنافع بالأشياء المناسبة لهوى النفس وسمّي 10 ذلك نسيبا ، وإلى ما يتعلّق بالأشياء المستدعية رضى النفس وسمّي ذلك كما تقدّم مديحا . وكان ما يتعلّق من الذكر القبيح بالأشياء المنافرة لهوى النفس والأشياء المباعدة عن رضاها كلاهما داخل تحت قسمة واحدة وهي الهجاء .

3 — **إضاءة** : فالطرق قد تختلف بحسب اختلاف المنافع وكذلك 15 بحسب اقتران الأحوال التي للقائلين والمقول فيهم ، مثل أن يقترن في القول وصفُ حال / مرتاح بحال مرتاح له أو حال مكترث بحال مكترث [128 — أ] له ؛ فتختلف الطرق أيضا بحسب اختلاف ذلك . ألا ترى أنّ الميزة بين المديح والنسيب إذا لم يتعرّض المشبّب لوصف حاله إنّما هو بأنّ النسيب يكون بأوصاف مناسبة لهوى النفس ويكون مع ذلك مقترنا به 20

1) فعل لما ، وجوابها يأتي بعدما عطف على الفعل الاول من قوله بعد و كانت المضار .
2) جواب لما كانت المنافع في أول التنوير و كانت المضار المعطوفة عليها .

وصف حال توجّع المشبّب في كثير من الأمر ، والمديح يكون بأفعال شريفة دالّة على كمال الإنسان مستدعية لرضى النفوس من غير أن يقرن بذلك من صفة حال القائل ما اقترن بالتشبيب . والفرق بين النسيب المقترن به وصف حال توجّع القائل ورثاءِ النساء المقترن به حال توجّعه أيضا أنّ النسيب بِـمَوجود والرثاء لمفقود . فهذه أيضا من الجهات التي تختلف الطرق بها .

4 — **تنوير** : ولمّا كان ما يهرب منه قد يقع ممّن يحتمل منه ذلك ولو أدنى احتمال — فلا يؤاخَذ به جملة أو لا يؤاخذ به كبير مؤاخذة ، ومنهم من يؤاخذ به أشدّ المؤاخذة — سمّي ما يتعلّق من القول بذلك بحسب طبقات من يقع ذلك منهم ونسبتهم إلى القائل معاتبةً وتعديدا وتوبيخا وتقريعا . فإن صدر ما يكون منه الهرب من القائل إلى المخاطب ثمّ أعفاه منه وتعلّق القول بذلك سمّي إعتابا . فإذن تنقسم الأقوال فيما حصل ممّا شأنه أن يطلب أو يهرب عنه إلى تهانٍ وما معها ، وتعازٍ وما معها ، ومدائح وما معها ، وأهاجٍ وما معها .

5 — **إضاءة** : ولا يخلو الشيء الحاصل ممّا شأنه [أن] يطلب أو يهرب عنه من أن يكون ذو العناية به واحدا — كان القائلَ أو غيرَه — ويكون هو حاكيا ذلك عنه ، أو يكون قد عُني به متنازعان في استجلابه أو مدافعته — كان القائل أحد المتنازعين أو لم يكن — غير أنّه يحكي حالهما أو يكون حاكما بينهما ، فيكون الكلام على هذا إمّا اقتصاصا وإمّا مشاجرة وإمّا فصلا في مشاجرة ؛ وقد تكون المشاجرة والفصل فيها متعلّقين بما يستقبل .

[128 ــ ب] 6 ــ / **تنــويــر** : فأمّا الأمور التي لم تحصل ممّا شأنه أن يطلب أو يُهرب عنه فلا يخلو من أن يكون المتكلّم هو الطالبَ لها أو الهاربَ منها من تلقاء السامع ، أو يكون السامع هو الطالبَ لها أو الهاربَ عنها من تلقاء المتكلّم . فما كان من المتكلّم إلى السامع ممّا شأنه أن يطلب يسمّى إذا لم يُعلم رأيُه فيه غرضا . وما كان من تلقاء السامع إلى المتكلّم وكان طلبا 5 جزما سمّــي اقتضاء . فإن كان بتلطّف سمّي استعطافا . وإن كان يرى أنّه قد جاوز الوقت الذي كان يجب فيه سمّــي استبطاء ، فإن كان ممّا شأنه أن يهرب منه وَأَنْذَرَ به المتكلّمُ من تلقاء نفسه أو من غيره سمّي ذلك إيعادا وتهديدا وإنذارا وتخويفا ونحو ذلك . فإن خافه من تلقاء السامع واستدفعه إيّاه سمّي ذلك استعفاء أو استقالة أو ترضيّا أو نحو ذلك . 10

فقد حصل بهذا الاعتبار إذن أقاويلُ عرضيات وترهيبات وتخويفيات واستدفاعيات ومنها الإطماعيات أيضا ومقابلتها وهو ما أطمع القائل فيه أو أيأس منه .

7 ــ **إضـــاءة** : وقد يكون الشيء المطلوب أو المهروب منه أحدَ شيئين فيشتكل على القائل أو السامع فيما يجب أن يطلب وأيّهما يجب أن 15 يهرب منه ، أوْ يشتكل الطريق الهادي إلى ذلك فيشير القائل على غيره بالواجب طلبه من ذلك أو يستشير غيره فيكون الكلام على هذا إشارة أو استشارة . وقد يستشير أيضا في الفصل بين المتنازعين فينقسم القول على هذا إلى قصص ومشاجرة وحكم وإشارة واستشارة وغرض واقتضاء وكفاية واستكفاء وترغيب وترهيب وإطماع وإياس . وفي كلّ نحو من هذه 20 المقاصد يطلب ما يجلب سرورا أو حمدا أو يهرب ممّا يجتلب حزنا أو ذمّا.

فقد تبيّن أنّ أمّهات الطرق الشعرية أربع ، وهي التهاني وما معها ، والتعازي وما معها ، والمدائح وما معها ، / والأهاجي وما معها ، وأنّ كلّ ذلك راجع إلى ما الباعث عليه الارتياح ، وإلى ما الباعث عليه الاكتراث ، وإلى ما الباعث عليه الارتياح والاكتراث معا . [129 – أ]

5 **ب – مَعرف دالّ على طرق المعرفة بما يوجد لبعض الخواطر من قوّة على التشبّه فيما لا يجري على السجيّة – من تلك الأغراض – بما يجري على السجيّة من ذلك .**

1 – **إضـــاءة** : (1) اعلم أنّ خير الشعر ما صدر عن فكر وَلِع بالفنّ والغرض الذي القول فيه ، مرتاح للجهة والمنحى الذي وجّه إليه 10 كلامه لإقباله بكلّيته على ما يقوله وتوفير نشاط الخاطر وحدّته بالانصباب معه في شعبه والميل معه حيث مال به هواه . ولهذا كان أفضل النسيب ما صدر عن سجيّة نفس شجيّة وقريحة قريحة . وكذلك الإخوانيات والمراثي وما جرى هذا المجرى .

2 – **تنوير** : وقد توجد لبعض النفوس قوّة تتشبّه بها في ما جرت 15 فيه من نسيب وغير ذلك على غير السجيّة بما جرى فيه على السجيّة من ذلك . فلا تكاد تفرّق بينهما النفوس ولا يُماز المطبوع فيها من المتطبّع ، فإذا اتفق مع هذا حسن النظم تناصر الحسن في النظام والمنحى واعتمّ فلم يكن فيه مقدح .

---

1) يظهر تبعا لتصحيح ورد في الأصل يقتضي أن تكون الفقرة الموالية تنويرا أنه وقعت الغفلة عن المنونة هنا بلفظ إضاءة .

3 — **إضـــاءة** : واعلم أنّ المنحى الشعري نسيبا كان أو مدحا أو غير ذلك فإنّ نسبة الكلام المقول فيه إليه نسبة القلادة إلى الجيد ، لأنّ الألفاظ والمعاني كاللآلي ، والوزن كالسلك ، والمنحى الذي هو مناط الكلام وبه اعتلاقه كالجيد له . فكما أنّ الحُليّ يزداد حُسنه في الجيد الحسن ، فكذلك النظم إنّما يظهر حسنُه في المنحى الحسن . فلذلك وجب أن يكون مَن له قوّة التشبّه المذكورة أكملَ في هذه الصناعة ممّن ليست له تلك القوّة . 5

4 — **تنـويـر** : وكلّ من قويت فيه هذه القوّة فلا يبعد عليه أن يلتفت إلى بعض مناحي شُكاة الهوى في / أشعارهم الجارين على سجاياهم ممّا لطُف أسلوبه وظَرُف منزعه ، وإن وقع ما كان بهذا الوصف تفاريقَ في تلك الأشعار ، فيُحضر ما كان بهذا الوصف في خاطره ، ويسلّط الفكر والتصوّر على استبانة الطرق التي من أجلها حسُن الكلامُ في منحاه وأسلوبه ومنزعه . فإذا استبان تلك الطرقَ على ما بها من الخفاء على كثير من الأفكار استَظهَر بالقوّة التشبيهَ على انتهاج مثل تلك الطرق في كلامه ، ونصَبَ ما قام بخاطره من تصوّرها تمثالا يصوغ كلامه بحسَبه ومنوالا يَنسج نظامه عليه ، جاء كأنّه هو. [129 — ب] 10 15

5 — **إضـــاءة** : وربّما اقتفى من له هذه القوّة في منحى كلامه وأسلوبه ومنزعه آثارَ شعراء لم يتواطأوا في مجموع ذلك ، لكن حسُنَ منحى كلام هذا ولطفَ أسلوب كلام ذلك ومنزعُ كلام الآخر ، فأخذ هو من كلّ واحد منهم ما اختصّ به وبنى على مجموع ذلك كلامه ، وما أجدر أبا الحسن مهيارا الديلمي بأن تكون هذه صفته . 20

6 — **تنـويـر** : وهذه القوّة تتفاوت في الشعراء . فمنهم من لهُ قوّة على التشبّه في جميع كلامه أو أكثره ، ومنهم من لا ينسحب تأثير تلك

القوّة على جميع كلامه ولا أكثره بل يكون ذلك في بعضه على سبيل الإلماع والندور أو فوق ذلك قليلا .

7 — **إضـــاءة** : فأمّا من ينسحب تأثير تلك القوّة على جميع كلامه أو أكثره فهم الذين لا تحتاج فيهم تلك القوّة إلى معاونة من أمر خارج
5 عن الذهن من الأمور الباعثة على قول الشعر ، لتوفير تلك القوّة فيهم على كلّ حال . ومن أيمة هذا الصنف : الشريف ومهيار وابن خفاجة .

وأمّا من لا ينسحب تأثير تلك القوّة التشبيهيّة إلاّ على الأقلّ من كلامه فهم الذين تحتاج تلك القوّة فيهم إلى معاونة بالأمور الباعثة على قول الشعر .
فقد توجد تلك البواعث وقد لا توجد ، وقد تتوفّر في / وقت وقد تقلّ [130 — أ]
10 في وقت .

8 — **تنـويـر** : واعلم أنّ هذه القوّة لا تُدرَك بحرص ولا تُنَال بجُهد بل قد يُمنَعُها الحريصُ ويُمنَحُها غيرُ الحريص . واعتبر ذلك بجرير والفرزدق — فإنّ جريرا على عفّته ، نسيبُه في غاية الرقّة وحسن الأسلوب ، والفرزدق على عهره وشدّة ولوعه بالنساء ، نسيبُه في نهاية الجفاء
15 وقبح الأسلوب ، مع حرصه على أن يُرِقّه ويُحَسِّن أسلوبه — وحسَدِه لجرير حيث أنشد له فصولا من نسيب منها : [الوافر — ق — المترادف]

متى كان الخيام بذي طلوح سقيت الغيث أيتها الخيام (1)

فقال : « قاتله الله ! ما كان أحوجَني مع فسقي إلى رقّة شعره وما كان أحوجَه مع عفّته إلى خشونة شعري ! » . وكان الفرزدق قد أجّل عاما في
20 أن يصنع بيتا رقيقا في النسيب ، فقال بعد حول : [الكامل — ق — المتدارك]

1) البيت طالع قصيدة له ، **الديوان** ، 512 .

يا أخت ناجية بن مـرّة إنّني أخشى عليك بَنِيّ إن طلبوا دمي(1)

فغلبه بعد هذه المطاولة طبعُه واعتاص عليه ما ليس في قوّته .

9 – **إضـــــاءة** : وقد تحصل بحفظ الكثير ممّا حسن منحاه وأسلوبه ومنزعه ، وريِّ الذكر من ذلك ، وتعليل النفس به أبدا . ومطارحتها القولَ على نحو من ذلك ، والترامي بالخاطر أبدا إلى جهات من المعارضة 5 لذلك ، دربةٌ يوصل بها أيضا إلى التشبّه ، ولا سيما إذا تُفهِّم ما قلته في الوجوه التي بها تحسين الأساليب والمنازع . فكانت تلك الوجوه متحصّلة في ذهنه . فهذه بعض منافع القول في الأساليب والمنازع . لكنَّ من لم يتوصل إلى التشبّه إلاّ بالدربة من غير أن تكون له القوّة التي ذكرت فربّما وقع له ما يعدّه ذو القوّة البصيرُ بطرق النقد متكلّفا أو فاترا ، وإن خَفِي 10 ذلك على أكثر الناس .

[130 – ب] **ج – معلم دال على طرق العلم بما ينقسم إليه / الشعر بحسب اختلافات أنحـاء التخـاطب .**

لمّا كان الكلام أولى الأشياء بأن يجعل دليلا على المعاني التي احتاج الناس إلى تفاهمها بحسب احتياجهم إلى مُعاونة بعضهم بعضا على تحصيل 15 المنافع وإزاحة المضارّ وإلى استفادتهم حقائقَ الأمور وإفادتها وجبَ أن يكون المتكلّم يبتغي إمّا إفادة المخاطب ، أو الاستفادة منه . إمّا بأن يلقي إليه لفظا يدلّ المخاطب إمّا على تأدية شيءٍ من المتكلّم إليه بالفعل أو تأديّة معرفة بجميع أحواله أو بعضها بالقول ، وإمّا بأن يلقي إليه لفظا يدلّه

1) البيت طالع قصيدة له . وهو في الديوان بلفظ ابن سامة . **الديوان** ، ٢ ، 778 .

على اقتضاء شيء منه إلى المتكلّم بالفعل أو اقتضاء معرفة بجميع أحواله أو بعضها بالقول ؛ وكان الشيء المؤدّى بالقول لا يخلو من أن يكون بيّنا فيقتصر به على الاقتصاص أو يكون مشتكلا فيؤدّى على جهات من التفصيل والبيان والاستدلال عليه والاحتجاج له .

5 فكلام المتكلّم فيما يؤدّيه قسمان : قسم يقع فيه الاستدلال وقسم الاستدلال فيه .

وكلامه فيما يقتضيه من المخاطب قسم واحد في أكثر الأمر ، لأنّ الإجابة بالاستدلال أو عدمها في ذلك للمخاطب . وليس ذلك من كلام المتكلّم إلاّ أن يحكي ما دار بينه وبين مخاطبه ؛ فيكون ذلك كالتركيب من 10 القسمين ، وليس به على الحقيقة لكون ذلك ليس من كلام واحد .

1 — **إضـــاءة** : ولا يخلو في ما حكاه من ذلك أن يكون مُسلّما أو محاجّا . فإن كان مُسلّما فهو الذي أشرنا إليه ، وإن كان محاجّا كان ذلك من باب المشاجرة . وهو متركّب من تأديّة المخاطب نقيضَ ما أدّاه المتكلّم، والمتكلّم نقيضَ ما أدّاه المخاطب ، كما أنّ باب الإشارة أيضا مركّب 15 من تأديّة واقتضاء ، لأنّ المتكلّم يؤدّي إلى المخاطب رأيَه ويقتضي قبوله.

2 — **تنـويـر** : وجملة ما ينقسم إليه الكلام من جهة ما يقع فيه من تأدية واقتضاء باعتبار البساطة فيهما والتركيب / ستّة أقسام : [131 — أ]

— 1 — تأدية خاصّة .

— 2 — أو اقتضاء خاصّة .

20 — 3 — أو تأديّة واقتضاء معا .

— 4 — وتأديتان من المتكلّم والمخاطب .

ـ 5 ـ أو اقتضاءان منهما : فكان هذا يكون على جهة من الحيدة بأن يقتضي المتكلّم من المخاطب شيئا فيقتضي المخاطب من المتكلّم شيئا آخر قبل أن يؤدّي إلى المتكلّم ما اقتضاه .

ـ 6 ـ أو يكون مركّبا من اقتضاء المتكلّم تتبعُه تأديةٌ من المخاطب على جهة السؤال والجواب . 5

فإذا حكى المتكلّمُ كلامَ المخاطب مع كلامه ، أو حكى كلامَهما معا غيرُهما ، وُجد الكلام ينقسم على هذا الاعتبار بحسب البساطة والتركيب ستّة أقسام .

د ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بما ينقسم إليه الشعر بحسب إيقاع الحيل الشعريّة فيه . 10

والأقاويل الشعريّة أيضا تختلف مذاهبها وأنحاء الاعتماد فيها بحسب الجهة أو الجهات التي يعتني الشاعر فيها بإيقاع الحيل التي هي عمدة في إنهاض النفوس لفعل شيء أو تركه أو التي هي أعوان للعمدة . وتلك الجهات هي ما يرجع إلى القول نفسه ، أو ما يرجع إلى القائل ، أو ما يرجع إلى المقول فيه ، أو ما يرجع إلى المقول له . والحيلة فيما يرجع إلى 15 القول وإلى المقول فيه وهي محاكاته وتخييله بما يرجع إليه أو بما هو مثال لما يرجع إليه هما عمودا هذه الصناعة ، وممّا يرجع إلى القائل والمقول له كالأعوان والدعامات لها .

1 ـ **إضـــاءة** : وتفصيل هذه الجملة أنّ القول في شيء يصير مقبولا عند السامع في الإبداع في محاكاته وتخييله على حالة توجب ميلا إليه أو 20 نفورا عنه بإبداع الصنعة في اللفظ وإجادة هيأته ومناسبته لما وضع بإزائه

وبإظهار القائل من المبالغة في تشكيه / أو تظلمه أو غير ذلك وإشراب [131 — ب]
الكآبة والروعة وغير ذلك كلامه ما يوهم أنه صادق . فيكون ذلك بمنزلة
الحال فيمن ادعى أن عدوا وراءه وهو مع ذلك سليب ممتقع اللون ، فإن
النفوس تميل إلى تصديقه وتقنعها دعواه ، أو بأن يحتال في انفعال السامع
5 لمقتضى القول باستلطافه وتقريظه بالصفة التي من شأنها أن يكون عنها
الانفعالُ لذلك الشيء المقصود بالكلام ومدحه إياه بأن تلك عادته وأنها
من أفضل العادات .

2 — **تنـويـر** : وقد تُعضد هذه الأشياء باستدلالات خطبية محضة أو
موجود فيها شروط الشعر والخطابة معا بكون المحاكاة توجد فيها مع
10 الإقناع ؛ وما كان بهذه الصفة فهو أفضل موقعا في الشعر ، والصنف الآخر
أيضا قد يقع في الشعر ولا يقدح ذلك فيه لأن صناعة الشعر لها أن تستعمل
شيئا من الإقناع كما أن صناعة الخطابة لها أن تستعمل شيئا يسيرا من
المتخيلات .

3 — **إضـاءة** : وإذ قد تبين أن الكلام يهيأ للقبول من جهة ما
15 يرجع إليه وما يرجع إلى القائل وما يرجع إلى المقول فيه والمقول له فواجب
أن يُعلم أن للكلام في كل مأخذ من تلك المآخذ التي بها تغتر النفوس
لقبوله هيآت من جهة ما يلحقه من العبارات وما يتكرر فيه من المسموعات
الدالة على مأخذ مأخذ من ذلك . فربما أدى الاطراد على نحو من ذلك
إلى تكرار يستثقل ويزول به طيب الكلام . وأنا أنبه على ما يكثر في مأخذ
20 مأخذ من ذلك .

4 — **تنـويـر** : فأما المأخذ الذي من جهة الحيلة الراجعة إلى القائل فمن
شأنه أن تقع معه الكلم المستندة إلى ضميري المتكلم كثيرا . فأما ما يرجع

إلى السامع من ذلك فكثيرا ما تقع فيها الصيغ الأمريّة وما بإزائها . وبالجملة تكثر فيها المسموعات التي هي أعلام على المخاطبة . فأمّا ما يرجع إلى المقول به فكثيرا ما تقع / فيها الأوصاف والتشبيهات . وأكثر ما يستعمل [132 – أ] ذلك مع ضمائر الغيبة . وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلّم أو ضمير مخاطب فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة ، وكذلك أيضا يتلاعب 5 المتكلّم بضميره فتارة يجعله ياء على جهة الإخبار عن نفسه وتارة يجعله كافا أو تاء فيجعل نفسه مخاطبا وتارة يجعله هاء فيقيم نفسه مقام الغائب . فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير متكلّم أو مخاطب لا يستطاب ، وإنّما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض .

10 5 – **إضـــاءة** : وكذلك لا ينبغي أن يستمرّ في كلام طويل على وصف حالة ساذجة ، بل التركيبُ في الأحوال واقتران بعضها ببعض ممّا يجب أن يعتمد ، مثل اقتران وصف حالة المحبّ بوصف حالة المحبوب ؛ فإنّ الترامي بالكلام إلى أنحاء شتّى في جهة ٍ جهة ٍ وتركيب ٍ تركيب ٍ وصيغة ٍ صيغة ٍ وضرب بعضه ببعض على الهيآت الملائمة في كلّ مذهب 15 يذهب فيه ونحو ينحى به ألذّ وأطيب من الجمود به على حالة واحدة في كلّ نحو من أنحاء الكلام .

6 – **تنـويـر** : وبحسب الميل به إلى نحو ٍ نحو ٍ من جميع ما ذكرناه من أنحاء الأقاويل الشعرية وما توجّه إليه وتجري عليه من الجهات والمجاري التي أشرت إليها اختلفت طرقُ الناس في الشعر ، ووُجد لكلّ شعر ذوق 20 يخصّه وسمةٌ يمتاز بها من غيره . فتباينت طرق الناس وأساليبهم ومنازعهم ومآخذهم في جميع ذلك ، لأنّ طرق التركيب في جميع ذلك لا تنحصرُ ،

فلذلك ينبغي أن يقتصر من قسمة الشعر على أربعة الأقسام (1) التي ذكرنا .
وأمّا من قسّمه إلى مديح ونسيب وهجاء ورثاء فإنّما قسّمه بحسب الأهمّ
فالأهمّ والأوقع فالأوقع من الأغراض التي هي أصول بأنفسها أو فروع
عن غيرها . لأنّ وقوع الأقاويل الشعرية في هذه الأغراض أكثر من
5 وقوعها في / غيرها . [132 — ب]

7 — **إضـــاءة** : ولمّا كان الأكثر وقوعا من أغراض الشعر (.......
................) (2) مقاصدهم أشدّ كان من تلك الأغراض ما يكثر
وقوعه وما يقلّ وما يتوسّط . فأمّا ما كثر وقوعه فكالنسيب والمديح
والرثاء [وأمّا ما قلّ فكالمُنَافَرات ومشا] جرات الأعداء ومفاخرتهم
10 ومهاجاتهم . على أنّ بعضهم قد يُكثر من هذا ، وأمّا ما توسّط فكالمعاتبات
والاستعطافات والاستعذارات .

هـ — معلم دالّ على طرق العلم بما يجب اعتماده في كلّ غرض من أغراض الشعر المتقدّم تقسيمُه إليها .

قد أشرنا إلى كيفيّة انقسام الشعر بحسب البساطة والتركيب ، ولم
15 يمكن استقصاء أنواع التركيب إذ لا جدوى لذلك . وإنّما الواجب أن
يعرف الإنسان طرق التركيب ، وأن يعرف أمّهات تلك الطرق ، ويعرف
جميع ما يجب في ذلك بالنظر إلى بساطته أو إلى ترْكيبه ولما هو متركّب
منه . فيُجري كلاّ على ما يجب فيه ويَعتبرُ فيه ما يليق به .

---

1) انظر 341 ، س 1 — 4 .
2) بياض مقدار ثلاث كلمات .

1 ـ **إضـــــاءة** : فممّا يجب تأصيله في هذا المعلم إعطاء قانون فيما يحسن وما يقبح من الجمع بين كلّ غرضين متضادّين من هذه الأغراض. ويقبح من ذلك أن يكون الغرضان المتضادّان كالحمد والذمّ أو الإبكاء والإطراب قد جمع بين أحدهما والآخر من جهة واحدة ونيطا بمحلّ واحد وكان ظاهرهما وباطنهما متساويين في التناقض ، مثل أن يحمد الإنسان شيئا ويذمّه من جهة واحدة ويكون ظاهر الكلام يعطي الحمد والذمّ معا ، وكذلك باطنُه .

2 ـ **تنـــويــر** : وأمّا ما يسوغ ويحسن في كثير من المواضع فأن يكون المقصدان غيرَ منصرفين إلى محلّ واحد أو غيرَ منبعثين من محلّ واحد .

3 ـ **إضــــاءة** : وأمّا ما يحسن من ذلك ويعدّ بديعا فأن يكون أحد المتضادّين يُقصد به في الباطن غيرُ ما / يقصد به في الظاهر . فيكون في الحقيقة موافقا لمضادّه فيما يدلّ عليه على جهة من المجاز والتأويل ، وذلك نحو قول النابغة : [الطويل ـ ق ـ المتدارك] [133 ـ أ]

ولا عيبَ فيهم غير أنّ سيوفهم   بهنّ فلول من قراع الكتائب (1)

فجمع بين الحمد وما يوهم أنّه ذمّ ، وهو في الحقيقة مدح .

ونقيضه قول ابن الرومي : [الخفيف ـ ق ـ المترادف]

خيرُ ما فيهمْ ، ولا خيرَ فيهم ،   أنّهم غيرُ آثمي المغتاب (2)

فجمع بين الذمّ وما أوهم قبل استيفاء العبارة بصفته أنّه حمد وهو في الحقيقة من أكبر الذمّ .

1) البيت من قصيدة له سبقت الإشارة الى طالعها 272 تع 3 ؛ 312 تع 1 ؛ **الديوان** ، 11 .
2) البيت من مطولة له قالها في أبي سهل بن نوبخت . **الديوان** ، (2) ، 1 ، 442 .

4 — **تنوير** : وأنا أشير إلى بعض ما يجب اعتماده في ما يكثر استعماله من أغراض الشعر وتتعاوره القرائح من فنون الطرق الشعرية البسيطة والمركّبة . وأذكر في غرضٍ غرضٍ من ذلك طرفا يستدلّ به على ما سواه .

5 فمن ذلك طريقة المدح . ويجب فيها السموّ بكلّ طبقة من الممدوحين إلى ما يجب لها من الأوصاف . وإعطاء كلّ حقّه من ذلك ؛ ويجب أن يتوسّط في مقادير الأمداح التي لا يحتاج فيها إلى إطالة في وصف فتح وما يجري مجرى ذلك ممّا قد تحتمل الإطالة فيه ؛ فإنّ الإطالة مدعاة إلى السآمة والضجر . وخصوصا إذا كان الممدوح من غلبة نعيم الدنيا عليه بحيث 10 يقلّ احتماله لذلك ويتأذّى به ؛ ويجب ألاّ يمدح رجل إلاّ بالأوصاف التي تليق به ؛ ويجب أن تكون ألفاظ المديح ومعانيه جزلة مذهوبا بها مذهب الفخامة في المواضع التي يصلح بها ذلك ، وأن يكون نظمه متينا ، وأن تكون فيه مع ذلك عذوبة .

5 — **إضاءة** : وأمّا النسيب فيحتاج أن يكون مستعذب الألفاظ 15 حسن السبك حلو المعاني لطيف المنازع سهلا غيرَ متوعّر ، وينبغي أن يكون مقدار التغزّل قبل المدح قصدا لا قصيرا مخلاّ ولا طويلا مملاّ .

6 — **تنوير** : وأمّا الرثاء فيجب أن / يكون شاجيَ الأقاويل مُبكيَ [133 — ب] المعاني مثيرا للتباريح ، وأن يكون بألفاظ مألوفة سهلة في وزن متناسب ملذوذ ، وأن يستفتح فيه بالدلالة على المقصد ولا يصدّر بنسيب لأنّه مناقض لغرض 20 الرثاء ، وإن كان هذا قد وقع للقدماء نحو قصيدة دريد يرثي أخاه التي أوّلها : [الطويل — ق — المتدارك]

أرَثَّ جـديـدُ الـوصل من أمّ معبد (1)

وقصيدة النابغة يرثـي بعض آل جفنة : [الطويل – ق – المتدارك]

دعاكَ الهـوى واستجهلتك المنـازل (2)

وقصيدة عديّ بن زيد يرثـي ولده علقمة : [السريـع – ق – المتواتر]

أعَـرفتَ أمس من لميس طلـل (3) 5

7 – **إضـــاءة** : فأمّا الفخر فجار مجرى المديـح ولا يـكاد يـكون بينهما فرق إلاّ أنّ الافتخار مدح يعيده المتـكلّم على نفسه أو قبيله . وأنّ المادح يجوز له أن يصف ممدوحه بالحسن والجمال ولا يسوغ للمفتخر أن يصف نفسه بذلك .

10 8 – **تنــويــر** : فأمّا طرق الاعتذار والمعاتبات والاستعطافات وما جرى مجراها فملاك الأمر فيها التلطّف والإئلاج إلى كلّ معتذر إليه أو معاتب أو مستعطف من الطريق الذي يعلم من سجيّته أو يقدّر تأثّره لذلك .

9 – **إضـــاءة** : وطريق الهجاء أيضا يقصد فيه ما يعلم أو يقدّر أنّ المهجوّ يجزع من ذكره ويتألّم من سمعه ممّا له به علقة .

15 10 – **تنــويــر** : فأمّا طرق التهاني فيجب أن تعتمد فيها المعاني السارّة والأوصاف المستطابة ، وأن يستـكثر فيها من التيمّن للمهنّإ ، وأن يؤتى في ذلك بما يقع وفقه ، ويتحذّر من الإلمـام بما يمكن أن يقع منـه في نفس

---

1) تمام البيت : بعاقبة أم أخلفت كـل موعد . شيخو ، 756 .

2) تمام البيت : وكـيف تصابي المرء والشيب شامل . **الـديـوان** ، (2) ، 87 .

3) الرواية في **الاغاني** :

تعرف أمس من لميس الطلل مثل الكتاب الدارس الاحول

الاغاني ، (3) ، ٢ ، 153 .

المهنّى شيء ، ويجتنب ذكر ما في سمعه تنغّص له . ويحسن في التهاني أن تستفتح بقول يدلّ على غرض التهنئة ، فإنّ موقع ذلك حسنٌ من النفوس .

فهذه إشارة إلى بعض ما يجب في الطرق الشعرية اكتفينا بها عن بسط
5 الكلام في ذلك ، إذ لا يخفى / على من له أدنى نظر في هذه الصناعة أنّ ذلك [134 — أ]
محوج إلى إطالة كثيرة ، وكلّ ما أدّى إلى ذلك فإنّما أشرنا إليه بقوانين كلّية ، يَعْرِف بها أحوالَ الجزئيات من كانت له معرفةٌ بكيفيّة الانتقالات من الحكم في بعض الأشياء إلى الحكم به في بعض ، إذا كان المتنقل إليه ممّا يشتمل عليه المتنقل منه ، أو كانا مشتركين في علّة الحكم ،
10 أو كانا متماثليْن أو متناسبين أو متشابهين . فإنّه يحكم للشيء بمثل حكم مماثله ، وبمناسب حكم مناسبه . وبمشابه حكم مشابهه ، وكذلك بمضادّ حكم مضادّه . فعلى هذه الأنحاء يجب أن تكون نقلة الناظر في هذه الصناعة ممّا ذكرناه إلى ما لم نذكره ، وبالله التوفيق .

— المنهج الثالث في الإبانة عن الأساليب الشعرية وأنحاء الاعتمادات فيها ، وما يجب أن تعتبر به أحوالها في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها .

أ — معلم دالّ على طرق العلم بالأساليب الشعرية وما تتنوّع إليه ، وينحى بها نحوه . 5

إنّ أساليب الشعر تتنوّع بحسب مسالك الشعراء في كلّ طريقة من طرق الشعر ، وبحسب تصعيد النفوس فيها إلى حزونة الخشونة أو تصويبها إلى سهولة الرقّة أو سلوكها مذهبا وسطا ، بين / ما لان وما خشن من ذلك . [134 — ب]
فإنّ الكلام منه ما يكون موافقا لأغراض النفوس الضعيفة الكثيرة الإشفاق ممّا ينوبها أو ينوب غيرها ، ومنه ما يكون موافقا لأغراض النفوس الخشنة 10
القليلة المبالاة بالأحداث ، ومنه ما يكون موافقا للنفوس المقبلة على ما يبسط أنسها المعرضة عمّا (....) (1) به كلا الفريقين .

1 — **إضـــــاءة** : فللكلام بحسب هذه الأنحاء المتركّبة في الأسلوب ثلاثة أساليب ينحى بالكلام فيها بحسب البساطة والتركيب عشرة أنحاء يختلف الناس فيما تميل بهم أهواؤهم إليه من ذلك بحسب اختلاف طباعهم 15

وتلك الأنحاء هي : — 1 — أن يكون أسلوب الكلام مبنيّا على الرقّة المحضة ، — 2 — أو على الخشونة المحضة ، — 3 — أو على المتوسّط بينهما ، — 4 — أو يكون الكلام مبنيّا على الرقّة ويشوبه بعض ما هو راجع إلى الأسلوب الوسط ، — 5 — أو يكون مبنيّا على الوسط ويشوبه بعض ما

1) كلمة غير واضحة بالاصل .

هو راجع إلى الرقّة ، — 6 — أو بعض ما هو راجع إلى الخشونة ، — 7 — أو يكون مبنيّا على الخشونة ويشوبه بعض ما يرجع إلى الأسلوب الوسط ، — 8 — أو يكون مبنيّا على الرقّة ويشوبه بعض خشونة ، — 9 — أو على الخشونة ويشوبه بعض رقّة ، — 10 — أو يكون مبنيّا على الأسلوب
5 المتوسّط ويشوبه بعض ما هو راجع إلى الطرفين .

2 — **تنوير** : فأمّا الأنحاء الثلاثة الأخيرة وهي التي وقع في جميعها الجمع بين طرفين بأن تسلّط الطرفان أعني الخشونة والرقّة على شيء واحد ، وكان انبعاثهما من ضمير واحد . فإنّ هذا يقبح مثل إرداف الرقّة في الحبّ بالخشونة فيه ، فإن انصرف أحدهما إلى غير ما انصرف إليه الآخر،
10 وتعلّق بغير ما تعلّق به ساغ ذلك ، مثل ما نجمع بين التغزّل والحماسة في شعر واحد . وذلك يكون على ثلاثة أنحاء :

1 — مقابلة معنى بيت أو شطر / بيت غزليّ بمعنى بيت أو شطر بيت حماسي . [135 — أ]

2 — والنحو الثاني على جهة الالتفات ، وذلك أن يكون مثلا يتغزّل
15 ويصف نفسه بالإفراط في الرقّة والصبابة ، فيتوقّع أن يظنّ ظانّ أنّ ذلك لضعف نفس منه ، فيلتفت إلى ما يدرأ عنه ذلك الظنّ ويشير إلى ما يدلّ على ذلك بلفظ مختصر يُلحقه في تضاعيف كلامه أو عقبه ، وذلك مثل قول الشريف : [الكامل — ق — المتدارك]

مالوا على شعب الرحال وأسندوا أيدي الطعان إلى قلوب تخفق .(1)

---

1) البيت روايته خروا بدل مالوا ، وهو من قصيدة له في الخليفة القادر ، طالعها :
لمن الحدوج تهزهز الأنيق والركب يطفو في السراب ويغرق
الديوان ، ٢ ، 541 .

فـأشار إلى الشجاعـة أثنـاء الوصف بالرقّـة بأوجـز لفظ وهو قولـه : « أيـدي الطعـان » .

3 — والنحو الثالث ، أن يتحوّل الشاعر عمّا له فيه رقّة إلى ما له فيـه خشونة ، وينصرف عن أحد الغرضين إلى الآخر بالجملة . فيصيّره غرضَ كـلامـه . 5

فبهذه القوانين يعتبر أسلوب الكلام ، فإنّ كلّ كلام شعريّ لا ينفك عن أحد هذه الأنحاء . فمن يتأمّلها يجدها كما ذكرت ، إن شاء الله .

ب — معرف دالّ على طرق المعرفة بما ينحى بالأساليب نحوه من جهة ما يقصد حسن موقعها من النفوس .

10 لمّا كان (1) الناس بحسب تصاريف أيّامهم وتقلّب أحوالهم كأنّهم ثلاثة أصناف : — 1 — فصنف عظمت لذّاته . وقلّت آلامه حتّى كأنه لا يشعر بها . — 2 — وصنف عظمت آلامه . وقلّت لذّاته حتّى كأنّه لا يشعر بها — 3 — وصنف تكافأت لذّاتهم وآلامهم ، [و] كانت (2) أحوال الصنف الأوّل أحوالا مُفرحة وأحـوال الصنف الآخـر أحـوالا مُفجعة وأحوال الصنف الوسط في كثير من الأمر شاجية . وجب (3) أن 15 تـكون الأقـاويل منقسمة بهذا الاعتبار بحسب البساطة والتركيب إلى سبعة أقسام : — 1 — أقوال / مفرحة — 2 — وأقوال شاجية — 3 — وأقوال [135 — ب] مفجعة — 4 — وأقوال مؤتلفة من سارّة وشاجية — 5 — ومن سارّة ومفجعة

1) 2) فعل لمّا وما عطف عليـه .

3) جواب لمـا .

— 6 — ومن شاجية ومفجعة — 7 — ومؤتلفة من الثلاث . وكانت (1) النفوس تختلف فيما تميل إليه من هذه الأقسام بحسب ما عليه حالها ، فإنّها ليست تميل إلاّ إلى الأشبه بما هي فيه . فيجب (2) أن يُمال بالقول إلى القسم الذي هو أشبه بحال من قُصد بالقول وصُنع له . وإن لم يقصد
5 به قصد إنسان فليقتصر به على ذكر الأحوال السارّة المستطابة والشاجية ، فإنّ أحوال جمهور الناس والمتفرّغين لسماع الكلام حائمةٌ حول ما ينعم أو يشجو .

1 — **إضـــاءة** : فأمّا ما يجب اعتماده في تحسين موقع الأسلوب من النفوس فذكر أفضل الأحوال الطيّبة والسارّة وأجدرها ببسط النفوس ،
10 وذكر أعلق الأحوال الشاجية بالنفوس وأجدرها بأن ترقّ لها النفوس ، وذكر أدعى الأحوال الفاجعة إلى الإشفاق والجزع حيث يُقصد قصدُ ذلك.

2 — **تنـويـر** : والأحوال المستطابة هي التي تكون فيها المُدْركات مُنعِّمة . والتي عليها مدار الشعر من ذلك هي مدركات الحسّ ، مثل أن يذكر العناق واللّثم وما ناسب ذلك من الملموسات ، والماء والخضرة وما
15 يجري مجراهما من المُبصَرات . ونسيم الطيب والروض ونحو ذلك من المشمومات ، وذكر الخمر ونحوها من المطعومات ، وذكر الغناء والزمر والعزف ونحو ذلك من المسموعات . وهذه تدخل في الأحوال السارّة .

3 — **إضـــاءة** : والأحوال السارّة نحو مجالس الأنس ومواطن السرور ومشاهد الأعراس والأعياد والمواسم وما ناسب ذلك .

---

1) فعل مستأنف للمـــا .
2) جواب لما مقترن بالفـــاء .

4 — تنوير : والأحوال الشاجية : منها أحوال أعقبت فيها الوحشة من الأنس والكدر من الصفاء ، نحو إعقاب التنعّم بالحبيب بالتألّم لفراقه / وإعقاب التنعّم بالشبيبة بالتألّم لفراقها ، وإعقاب التنعّم بالوطن [136 — أ] المؤنس بالتألّم لفراقه ، وإعقاب التنعّم بالزمن المُسعد بالتألّم لفراقه ؛ ومنها أحوال كان الجور فيها وضع موضع العدل والإساءة موضع الإحسان، 5 فهي شاجية أيضا . ومن هذا تشكّي جور الزمان وخون الإخوان وجري الأمور على غير ما يلائم ذا الفضل .

وكثيرا ما كان أبو الطيّب المتنبّي يقصد هذا الضرب والذي قبله من الشاجية . فكان ذلك ممّا حسُن موقعه من النفوس ، إذ أكثر الناس لا يخلو عن بعض هذه الأحوال . 10

5 — إضاءة : والأحوال المفجعة هي التي يذكر فيها الإنسان ما يلحق العالم من الغِيَر والفساد ومآل بني الدنيا إلى ذلك .

وكان أبو العتاهية يلمّ بذكر هذه الأحوال كثيرا في شعره ، بل كان يعتمدها وذلك كثير موجود في شعره .

6 — تنوير : ويجب أن تؤنسَ النفوس عند استجمامها من توالي 15 المعاني التي من شأنها أن تقبضها بمعان يناسب بينها وبين تلك ممّا شأنه أن يبسطها .

وكذلك لا ينبغي أن يُنحى بالمعاني أبدا منحى واحدا من التخييل أو الإقناع ولكن تردف التخييليّة في الطريقة الشعريّة بالإقناعيّة ، والإقناعية في الخطابة بالشعريّة . 20

فبالتصرّف في المعاني على هذه الأنحاء يحسن موقع الأساليب من النفوس. فمن نحا هذا النحو وحمّل كلتا الصناعتين من الأخرى ما تحتمله ، وسلك في الطرق والأساليب المسالك المؤثّرة المتقدّم ذكرها ، وذهب بها المذاهب الملائمة للأغراض ، وآنس بعض المعاني ببعض ، وراوح بينها على النحو
5 المشار إليه ، كان جديرا أن ترتاح النفوس لأسلوبه وأن يحسن موقعه منها .

ج — مأمّ من المذاهب المستشرفة بهذا المعرف / وهو مذهب تأنيس [136 — ب] **المعاني بعضها ببعض .**

إنّه إذا تمادى استمرار الشاعر في الأسلوب على معانٍ من شأن النّفس أن تنقبض عنها وتستوحش منها فقد يحقّ عليه أن يؤنس النفوس من
10 استيحاشها ويبسطها من قبضها بمعانٍ يكون حالُ النفس بها غيرَ تلك الحال لكونها ملائمة للنفوس باسطة لها . فيميل بالأسلوب في صغوها ويلتفت من جهات تلك المعاني الموحشة إلى جهات هذه المونسة ويتلطّف فيما يجمع بين القبيلين من بعض الوصل والمآخذ الّتي بها ينتقل من بعض المعاني إلى بعض، على ما تقدّمت الإشارة إليه في مواضع .

15 1 — **إضـــاءة** : وإنّما تتوالى المعاني الموحشة في الأساليب الّتي تذكر فيها أحوال لا تستطاب إلاّ لغرض . وذلك مثل ما يذكر من أحوال الخطوب وأوصاف الحروب . فقد يستطيب الإنسان ذكر إيقاع له بأعدائه ، وليس كلّ إنسان يتشفّى بذلك تشفّيه ، وكذلك المراثي قد يقع الإفراط في ذكر المعاني المفجعة فيها من خُلصان المرثي أشفى موقع .

20 2 — **تنــويــر** : وليس يستعمل الكلام بالنظر إلى من قصد بالقول أولى ممّن اتّفق له بالعرض سُكونُ نفس إلى ما لا تسكن النفوسُ إليه خاصّة

بل بالنظر إليه وإلى غيره ممّن يقدّر مرور ذلك الـكلام على سمعه عامّة .
فلذلك ينبغـي أن يشعشع المعاني الموحشة من جهةٍ ما يُراد إلقاؤه بمحلّ
القبول من كلّ سامع بمعانٍ مؤنسة تتعلّق بغير الجهة التي تعلّقت الموحشة
بها ، لـكن يتلطّف فيما يجمع بين القبيلين على النحو الذي أشرنا إليه أوّلا ،
حتّى لا يـكون الـكلام بذلك منافرا من قَصَد به قصدا أوّليّا خاصّا أو 5
قصداً ثانيا عامّا .

ومثل هذا قول المتنبّـي في ما تعلّق بصفة الحرب :
[البسيط — ق — المتـراكب]

مـا زال طِـرفُك يجـري في دمـائهـمُ
حتّى مشى بك مَشْيَ الشارب الثمِـل (1) 10

[137 — أ] / ومن ذلك تصويـر الشريـف الرضـي ما يبسط النفس من ذكر الـكون
والنشء والحمل والرضاع في مظنّة ما يقبضها من حالي البلى والهمود ،
وذلك قوله : [البسيط — ق — المتراكب]

أرسَى النسيمُ بواديـكم ، ولا برَحت حوامل المزن في أجداثـكم تضَع
ولا يزال جنينُ النبت ترضعــه على قبوركم العرّاصة الهمعُ (2) 15

3 — **إضـــاءة** : وينبغي ألاّ يطّـرد في هذه المعـاني المؤنـسة اطّـرادا
كثيرا ، فإنّه خروج بالأسلوب عن مهيعه ، ولـكن يؤتى من ذلك بالمعنى
والمعنيين ونحو ذلك في الفصل بعد الفصل ويُلمَع كذلك في الموضع بعـد
المـوضـع .

---

1) تقدمت الاشارة الى موضع هذا الشاهد ، 285 .
2) البيت الثاني للعراضة بدل العراصة ، والبيتان من قصيدة في الرثاء طالعها :
قف موقف الشك لا يأس ولا طمع وغالـط العيش لا صبر ولا جزع
الـديـوان ، 1 ، 493 .

د — مأمّ من المذاهب المستشرفة بالمعلم المتقدّم أيضا ، وهو مذهب المراوحة بين المعاني الشعريّة والمعاني الخطابيّة .

قد تقدّم الكلام في أنّ التخييل هو قوام المعاني الشعريّة والإقناع هو قوام المعاني الخطابيّة (1) . واستعمال الإقناعات في الأقاويل الشعريّة سائغ، 5 إذا كان ذلك على جهة الإلماع في الموضع بعد الموضع ، كما أنّ التخاييل سائغٌ استعمالُها في الأقاويل الخطابيّة في الموضع بعد الموضع . وإنّما ساغ لكليهما أن يستعمل يسيرا فيما تتقوّم به الأخرى ، لأنّ الغرض في الصناعتين واحد ، وهو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحلّ القبول لتتأثّر لمقتضاه . فكانت الصناعتان متؤاخيتين لأجل اتّفاق المقصد والغرض فيهما .
10 فلذلك ساغ للشاعر أن يخطب لكن في الأقلّ من كلامه ، وللخطيب أن يشعر لكن في الأقلّ من كلامه .

1 — **إضاءة** : ولمّا كانت النفوس تحبّ الافتنان / في مذاهب [137 — ب] الكلام ، وترتاح للنقلة من بعض ذلك إلى بعض ، ليتجدّدَ نشاطها بتجدّد الكلام عليها ، وكانت معاونةُ الشيء على تحصيل الغاية المقصودة به بما 15 يجدي في ذلك جدواه أدعى إلى تحصيلها من ترك المعاونة ، كانت المراوحة بين المعاني الشعريّة والمعاني الخطابيّة أعودَ براحة النفس ، وأعونَ على تحصيل الغرض المقصود . فوجب أن يكون الشعر المراوَحُ بين معانيه أفضلَ من الشعر الذي لا مراوحةَ فيه ، وأن تكون الخطبةُ التي وقعت المراوحةُ بين معانيها أفضلَ من التي لا مراوحة فيها . ولتواخي الصناعتين 20 وتداخل أقاويل كلتيهما على الأخرى قال القائل : [الطويل — ق — المتدارك]

وما الشعر إلاّ خطبة من مؤلِّف يجيء بحقّ أو يجيء بباطل (2)

1) انظر 62 — 71 .
2) البيت من فرائد المنهاج .

2 — **تنـويـر** : وينبغي أن تكون الأقاويل المُقنعة ، الواقعة في الشعر ، تابعةً لأقاويل مخيِّلة ، مؤكِّدة لمعانيها ، مناسبةٍ لها في ما قُصد بها من الأغراض ، وأن تكون المُخيِّلةُ هي العمدةَ . وكذلك الخطابة ينبغي أن تكون الأقاويل المخيِّلة الواقعةُ فيها تابعةً لأقاويل مقنعة مناسبةٍ لها مؤكِّدةٍ لمعانيها ، وأن تكون الأقاويل المقنعةُ هي العمدةَ . 5

3 — **إضـــاءة** : وينبغي ألاّ يستكثر في كلتا الصناعتين ممّا ليس أصيلا فيها كالتخييل في الخطابة ، والإقناع في الشعر ، بل يؤتى في كلتيهما باليسير من ذلك على سبيل الإلماع .

4 — **تنـويـر** : فإن ساوى بعض الناس بين المخيّلات والمقنعات في كلتا الصناعتين ، أو حام حول مساواة المخيِّلات بالمُقنعات في الشعر ، أو 10 مساواة المقنعات بالمخيِّلات في الخطابة ، كان قد أفرط في كلتا الصنعتين في الاستكثار ممّا ليس أصيلا فيه ولا (................) (1) مع ذلك مقبولا.

5 — **إضـــاءة** : فإن جاوز حدّ التساوي في كلتيهما ، فجعَلَ عامّة الأقاويل / الشعريّة خطابيّة ، وعامّة الأقاويل الخطابيّة شعرية ، كان قد [138 — أ] أخرج كلتا الصناعتين عن طريقتهما ، وعدل بها عن سواء مذهبها ، ووجب 15 ردُّ قوله (................) (2) ولنسبة كلامه إلى ما ذهب به من المذاهب المعنوية ، لا إلى ما هيّأه به من الهيئات اللفظيّة . وأن تعدّ الخطابة في ذلك شعرا ، والشعر خطابة ، فيكون ظاهر الكلام وباطنه متدافعين ، وهو مذهب مذموم في الكلام .

1) بياض مقدار كلمتين بالأصل .
2) بياض مقدار كلمتين بالأصل .

وكان أبو الطيّب المتنبّي يعتمد المراوحة بين معانيه ، ويضع مُقنعاتها من مخيّلاتها أحسنَ وضع ، فيتمّم الفصول بها أحسن تَتِمّة ، ويقسم الكلام في ذلك أحسن قسمة . ويجب أن يؤتمّ به في ذلك ، فإنّ مسلكه فيه أوضحُ المسالك .

5 **هـ ــ معلم دالّ على طرق العلم بكيفيّة الاستمرار في الأساليب والاطّراد عليها وما يحسن اعتماده فيها .**

لمّا كانت (1) الأغراض الشعريّة يوقع في واحد منها الجملة الكبيرة من المعاني والمقاصد ، وكانت (2) لتلك المعاني جهات فيها توجد ومسائلُ منها تقتنى كجهة وصف المحبوب وجهة وصف الخيال وجهة وصف الطلول 10 وجهة وصف يوم النوى وما جرى مجرى ذلك في غرض النسيب ، وكانت (3) تحصل للنفس بالاستمرار على تلك الجهات والنقلة من بعضها إلى بعض وبكيفيّة الاطّراد في المعاني صورةٌ وهيأة تسمّى الأسلوب ، وجب (4) أن تكون نسبةُ الأسلوب إلى المعاني نسبةَ النظم إلى الألفاظ ، لأنّ الأسلوب يحصل عن كيفيّة الاستمرار في أوصاف جهة جهة من 15 جهات غرض القول وكيفيّة الاطّراد من أوصاف جهة إلى جهة . فكان بمنزلة النظم في الألفاظ الذي هو صورة كيفيّة / الاستمرار في الألفاظ [138 ــ ب] والعبارات والهيئة الحاصلة عن كيفيّة النقلة من بعضها إلى بعض وما يُعتمد فيها من ضروب الوضع وأنحاء الترتيب .

1 ، 2 ، 3) أفعال لما .
4) جواب لما .

فالأسلوب هيأة تحصل عن التأليفات المعنويّة . والنظمُ هيأة تحصل عن التأليفات اللفظيّة .

1 — **إضاءة** : ولمّا كان الأسلوب في المعاني بإزاء النظم في الألفاظ وجب أن يلاحظ فيه من حُسن الاطّراد والتناسب والتلطّف في الانتقال عن جهة إلى جهة والصيرورة من مقصد إلى مقصد ما يُلاحَظ في النظم من حُسن الاطّراد من بعض العبارات إلى بعض ومراعاة المناسبة ولطف النقلة . 5

2 — **تنوير** : وممّا يجب أن يكون حال الأسلوب فيه على نحو ما يكون النظم عليه ملاحظةُ الوجوه التي تجعلهما معا مخيّلين للحال التي يريد تخيّلَها الشاعرُ من رقّة أو غلظة أو غير ذلك .

10 فإنّ النظام اللّطيف المأخذ ، الرقيق الحواشي ، المستعمل فيه الألفاظُ العرفيّة في طريق الغزل ، تخيّل رقّةَ نفس القائل . ولو وقع ذلك مثلا في طريقة الفخر لم تُخيّل الغرضَ ، بل تخيّل ذلك الألفاظُ الجزلةُ والعباراتُ الفخمة المتينةُ القويّةُ . وكذلك لطف الأسلوب ورقّته يخيّلان لك أنّ قائله عاشق ، وخشونة الأسلوب وجفاؤه لا يخيّلان ذلك نحو أسلوب الفرزدق في النسيب . 15

3 — **إضاءة** : وإنّما وجب أن يستعمل في كلّ طريق الألفاظ المستعملةُ فيه عرفا ، لأنّ ما كثر استعماله في غرض مّا واختصّ به أو صار كالمختصّ لا يحسن إيرادُه في غرض مناقضٍ لذلك الغرضِ ، ولأنّه غير لائق به لكونه مألوفا في ضدّه وغيرَ مألوف فيه ، وذلك مثل استعمال السالفة والجيد في النسيب ، واستعمال الهادي والكاهل في الفخر والمديح 20 ونحوهما ، واستعمال الأخدع والقذال في الذمّ .

/ **المنهج الرابع في الإبانة عن المنازع الشعريّة وأنحائها وطرق المفاضلة** [139 – أ]
بين الشعراء في ذلك وغيره من أنحاء التصاريف في هذه الصناعة وما يعتبر به أحوال الكلام وأحوال القائلين في جميع ذلك .

أ – معلم دالّ على طرق العلم بما يجب اعتماده في المنازع الشعريّة الّتي يكون للكلام بها حسنُ موقع من النفوس . 5

ومنازع الشعراء في الشعر تختلف . ويجب أن نبيّن أوّلا ما المنزع ؟ ثم نبيّن مذاهب الشعراء في ذلك . فأقول :

إنّ المنازع هي الهيئات الحاصلة عن كيفيات مآخذ الشعراء في أغراضهم ، وأنحاء اعتماداتهم فيها ، وما يميلون بالكلام نحوه أبدا ، 10 ويذهبون به إليه ، حتّى يحصل بذلك للكلام صورة تقبلها النفس أو تمتنع من قبولها . والذي تقبله النفس من ذلك ما كانت (1) المآخذ فيه لطيفة ، والمقصدُ فيه مستطرفا . وكان للكلام به حسن موقع من النفس . والمعين على ذلك أن ينزع بالكلام إلى الجهة الملائمة لهوى النفس من حيث تسرّها أو تعجبها أو تشجوها . حيث يكون الغرض مبنيا على ذلك ، نحو منزع عبد 15 الله ابن المعتزّ في خمرياته . والبحتري في طيفياته ، فإنّ منزعهما ، فيما ذهبا إليه من الأغراض ، منزع عجيب .

1 – **إضـــاءة** : والذي لا تقبله النفس من ذلك ما كان بالضدّ ممّا ذكرته .

---

1) بالأصل كان بالتذكير .

والناس يختلفون في هذا . فيستحسن بعضهم من المنازع ما لا يستحسنه آخر . وكلّ منهم يميل إلى ما وافق هواه .

2 – **تنــويــر** : ومن الشعراء من يمشي على نهج غيره في المنزع ويقتفي في ذلك / أثَر سواه ، حتّى لا يكون بين شعره وشعر غيره ممّن [139 – ب] حذا حذوه في ذلك كبيرُ ميزة ، ومنهم من اختصّ بمنزع يتميّز به شعره 5 من شعر سواه ، نحو منزع مهيار ومنزع ابن خفاجة .

وهذا الامتياز يكون بأحد طريقين : إمّا بأن يوثر في شعره أبدا الميلَ إلى جهة لم يوثر الناس الميلَ إليها ولم يأخذوا فيها مأخذَه ، فيتميّز شعرُه بهذا عن شعرهم ، وإمّا بأن لا يسلك أبدا في جميع الجهات الّتي يميل بكلامه إليها مذهبَ شاعر واحد ولكن يقتفي أثَرَ واحد في الميل إلى جهة 10 وأثَر آخر في الميل إلى جهة أخرى ، وكذلك في جهةٍ جهةٍ يأخذُ بمذهب شاعرٍ شاعرٍ . فتكونُ طريقته طريقةً مركّبةً ، فيتميّز كلامه بذلك وتصيرُ له صورة مخصوصة .

3 – **إضـــاءة** : وقد يعنى بالمنزع أيضا كيفيةُ مأخذ الشاعر في بنية نظمه وصيغة عباراته وما يتّخذه أبدا كالقانون في ذلك كمأخذ أبي الطيّب 15 في توطئة صدور الفصول للحِكَم الّتي يوقعها في نهاياتها ، فإنّ ذلك كلّه منزع اختصّ به أو اختصّ بالإكثار منه والاعتناء به .

وقد يعنى بالمنزع غير ذلك إلاّ أنّه راجع إلى معنى ما تقدّم ، فانّه أبداً لطف مأخذ في عبارات أو معان أو نظم أو أسلوب .

ويستحسن من جميع ذلك ما حسن موقعه من النفوس . ولا يحسن ما 20 كان بالضدّ من ذلك .

4 — **تنوير** : ولا يخلو لطف المأخذ في جميع ذلك من أن يكون — 1 — من جهة تبديل — 2 — أو تغيير — 3 — أو اقتران بين شيئين — 4 — أو نسبة بينهما — 5 — أو نقلة من أحدهما إلى الآخر — 6 — أو تلويح به إلى جهة وإشارة به إليه .

5 وهذه الأنحاء الستة من التصرّف لا يخلو من أن تكون متعلّقة — ممّا يرجع إلى المعاني الذهنيّة — بالتصوّرات منها ، أو بالنسبةِ الواقعةِ بين بعضها وبعض ، أو بالأحوال المنوطةِ بها ، أو بجهة الأحكام فيها ، أو بالمحدّدات لها ، أو بأنحاء التخاطب المتعلّق بها .

وقد تقدّم ذكر ذلك / كلّه (1) . [140 — أ]

10 5 — **إضاءة** : وهذه الأنحاء التي ينزع بالمعاني إليها : منها ما يتيسّر التهدّي إليه على أكثر الشعراء ، ومنها ما لا يتيسّر التهدّي إليه إلاّ على بعضهم .

والذي لا يتهدّى إليه إلاّ بعضهم : منه ما يَشْتَرِك فيه العربيُّ والمحدث ؛ ومنه ما لا يكاد يوجد إلاّ في شعراء المحدثين . وذلك مثل إسنادهم 15 وإضافتهم ضدّ الشيء إليه ، وكإعمالهم الشيءَ في مثله ، وكإقامتهم الشيءَ مقام ضدّه وتنزيلهم له منزلتَه على جهة من الاعتبار .

فأمّا إضافة ضدّ الشيء إليه ، فنحو قول أبي الطيّب رحمه الله : [الخفيف — ق — المتواتر]

صلةُ الهجر لي ، وهجر الوصال (2) .

---

1) راجع 216 وما بعدها .

2) البيت طالع قصيدة في مدح عبد الرحمان بن المبارك الانطاكي . وهو بتمامه :

صلةُ الهجر لي وهجر الوصال نكساني في السقم نكس الهلال

العكبري ، (1) ، ٢ ، 141 .

وأمّا إعمالهم الشيء في مثله فنحو قوله أيضا : [الكامل ـ ق ـ المترادف]

أسَفي على أسَفي الذي دَلّهتني   عن علمه فيه عليّ خفاءُ (1)

وقولـه :   [الطويل ـ ق ـ المتدارك]

لبست لها كدْرَ العجاج كأنّما

ترى غير صاف أن ترى الجوّ صافيا(2)   5

ومن قول الشيباني :   [الرجز ـ ق ـ المتواتر]

واصدُد كصدّي عن طويل الصدِّ (3)

وأمّا تنزيل الشيء منزلة ضدّه على جهة من الاعتبار ، فنحو قول المتنبّي   [الكامل ـ ق ـ المتواتر]

وشكيّتي فقدُ السقام ، لأنّه   قد كان لمّا كان لي أعضاء (4)   10

ومنه قول الحُسَين بن الضحّاك :   [مجزوء الخفيف ـ ق ـ المتدارك]

كبدي في هواك أسـ   ـقم من أن تقطّعا

لم تدع سَورة الضنا   فيّ للسقم موقعا (5)

وكان أبو الطيّب المتنبّي يستعمل هذه الأنحاء الثلاثة في المعاني ويقصدها في مواضع كثيرة من شعره .   15

---

1) البيت من قصيدة يمدح بها ابا علي هارون بن عبد العزيز الاوراجي الكاتب ، طالعها :
أمن ازديارك في الدجى الرقباء   إذ حيث كنت من الظلام ضياء
العكبري ، (1) ، 1 ، 11 .

2) البيت من قصيدة في مدح كافور طالعها :
كفى بك داء أن ترى الموت شافيا   وحسب المنايا أن يكن أمانيا
المرجع السابق ، (2) ، 4 ، 291 .

3) البيت من فرائد المنهاج .

4) البيت من القصيدة المشار اليها في التع 1 فلتراجع في المصدر نفسه .

5) يروى البيت الاول بلفظ من هواك بدل في هواك والبيت الثاني بلفظ موضعا بدل موقعا .
وهما من قطعة صغيرة ذات أربعة أبيات أولها : لا وحبيك لا اصافح بالدمع مدمعا .
الاغاني ، (3) ، ٧ ، 175 .

6 — **تنــويــر** : فأمّا إسناد الفعل إلى ما اشتقّ منه نحو قول المتنبّي :
[الطويـل — ق — المتواتر]
أماتَ الموت ؟! أم ذعر الذعرُ ؟! (1)
فإنّه يوجد في كثير من كلام العرب .

5 وأكثر ما يقع أيضا في كلام العرب أن يوصف المصدر بالصفة المشتقّة لفاعله ، وذلك على جهة الاتساع والتجوّز كقولهم شعر شاعر . وقد تصف العرب المصدر بصفة نقيضه أو بصفة فاعل نقيضه نحو قول (........) (2) :
[الطويل — ق — المتدارك]
ألا يا لقومي للرقاد المسهّد (3)

10 / فيكون هذا على أنحاء من التأويل : إمّا أن يريد للرقاد المصيّر سهادا ، [140 — ب] وإمّا أن يريد للرقاد (....................) (4) وقطع به اتّصاله ، وإمّا أن يريد للرقاد الذي شرّد وسهّد صاحبه فيكون في الكلام حذف مضاف . وهذا التأويل (.............) (5) سائغ في ما قبله .

7 — **إضـــاءة** : ويجب أن يستعمل من هذه المجازات وأن يذهب من
15 هذه المذاهب في (............) (6) بعيدا من الفهم ولا قلقا في التصوّر .

---

1) تمام البيت :
تمرست بالآفات حتى تركتها تقول أمات الموت أم ذعر الذعر؟!
وهو من قصيدة في مدح علي بن احمد الانطاكي . طالعها :
اطاعن خيلا من فوارسها الدهر وحيدا وما قولي كذا ومعي الصبر
البرقوقي ، (2) ، ٢ ، 2 — 3 .
2) بياض مقدار كلمة في الاصل .
3) لم نقف على بقية البيت ، وهو من فرائد المنهاج .
4) بياض مقدار ثلاث كلمات .
5) بياض مقدار كلمتين ونصف .
6) بياض مقدار كلمتين .

وإن لم يكن من شأن العرب أن تستعمل ذلك ، لأنّ المعنى إذا تصوّر وكان صحيحا ساغَ أن يستعمل في الكلام المصوغ على قوانين العرب ، وإن لم يكن لذلك المعنى نظيرٌ في كلامهم .

وإنّما يجب أن يلتزم في الكلام الجاري على قانون كلام العرب أن تكون مجاري أواخر الكلم وتصاريفها وإسناداتها على حدّ ما وقعت عليه في 5 كلام العرب بحسب موضع موضع . وأن يوقع كلّ منها على ما أوقعته العرب ، وأن يكون متّصلا بما وصلته العرب ، إن كان ممّا شأنه أن يوصل بغيــره .

فيتحرّز من مثل ما يقع لكثير من أهل هذا الزمان من استعمالهم الباء في مثل قولهم : استبدل كذا بكذا أو أبدل كذا بكذا في غير موضعها ، 10 فإنّ الناس يدخلون الباء على الشيء الذي هو بدل من الآخر ، والعرب ليس تدخل الباء في مثل هذا إلاّ على المبدل منه لا على البدل نحو قوله :

[المتقارب — ق — المتواتر]

تبــدّل بالأنس صــوت الصــدا وسجع الحمامة تدعو هديلا (1)

وعلى مثل هذا استعمله فحول المحدثين كقول أبي تمّام : 15

[الكامل — ق — المتواتر]

فــاسلم . أميــر المــؤمنين لأمّــة أبدلتهــا الإمــراع بالإمحــال (2)

ومن تتبّع مثل هذا الاستعمال ممّا انحرف الناس فيه عن الاستعمال العربــيّ وجده . فليتحرز من ذلك .

---

1) البيت من فرائد المنهج .

2) البيت من قصيدة طويلة يمدح بها المعتصم ويذكر فتح الخرمية ، مطلعها :

آلــت أمور الشرك شر مــآل وأقــر بعد تخمــط وصيــال

التبريزي ، ٣ ، 144 .

ب ـ معرف دالّ على طرق المعرفة / بالمآخذ اللطيفة في المنازع التي ربّما خفي الوجه الذي لأجله حسن الكلام بها . [141 ـ أ]

وحسن المآخذ ، في المنازع التي يُنزع بالمعاني والأساليب نحوها ، يكون بلطف المذهب في الاستمرار على الأساليب والاطّراد في المعاني والإثلاج إلى الكلام من مدخل لطيف . فيوجد للكلام بذلك طلاوة وحسن موقع من النفس لا توجد مع وضعه على خلاف تلك الهيأة والإثلاج إليه من غير ذلك المدخل . وهذا النوع من الكلام لا يكاد يميّزه إلاّ الناقد البصير الجيّد الطبع .

ولك أن تعتبر حسن المأخذ في المعاني والعبارات عنها بقول أبي تمّام : [البسيط ـ ق ـ المتراكب]

يا بعد غاية دمع العين إن بعدوا (1) .

فلو أخلى المعنى من التعجّب واقتصر على إيجاب بعد غاية الدمع لبعدهم لم يكن له من حسن الموقع ما له في هذه العبارة التي أورده فيها . وكذلك أيضا لو عبّر عن معنى التعجّب بغير هذه العبارة فقال : « ما أبعد غاية دمع العين إن بعدوا » لم يكن له من حسن الموقع ما له في هذه العبارة التي أورده فيها باقتران التعجّب بالمعنى في صورة النداء حسنُ منزع في الكلام ولطف مأخَذ فيه .

1 ـ **إضـاءة** : وقد يرد من حسن المأخذ ما لا يقدر أن يعبّر عن الوجه الذي من أجله حسن ولا يعرف كنهه ، غير أنّه يعرف أنّه مأخذ حسن في العبارة من حيث إنّك إذا حاولت تغيير العبارة عن وضعها والإثلاج إليها

1) تقدم الشاهد 284 تـ 1 .

من غير المهيع الذي منه أثلج واضعُها وجدتَ حسن الكلام زائلا بزوال ذلك الوضع والدخول إليه من غير ذلك المدخل . واعتبر ذلك بقول أبي سعيد المخزومي : [البسيط — ق — المتراكب]

ذنبي إلى الخيل كَرِّي في جوانبها إذا مشى الليث فيها مشي مُختتل(1)

/ فإنّك لو غيّرت صيغة هذا البيت وأزلتها عن موضعها ، فقلت مثلا : [141 — ب] 5

« كم أذنبت إليّ الخيل بكرّي في جوانبها » أو غيّرته غير هذا التغيير لم تجد له من حسن الموقع من النفس . ما له في صيغته ووضعه الذي وضعه عليه المخزومي .

2 — تنـويـر : وقد جارانا الكلامَ في هذا الباب الفقيه العلامة أبو الحسن سهل بن مالك ، وكان إماما في هذه الصناعة . وهناك الكاتب الأبرع 10 أبو المطرّف ابن عميرة نسيجُ وحده في البلاغة .

فقال أبو الحسن : « إنّ من المعاني المعبّر عنها بالعبارات الحسنة ما تُدرك له مع تلك العبارة حسنا لا تدركه له في غيرها من العبارات ولا تقدرُ أن تعبّر عن الوجه الذي من أجله حسُن إيراد ذلك المعنى في تلك العبارة دون غيرها ولا تُعرب عن كنه حقيقته . إنّما هو شيء يدركه الطبع السليم 15 والفكر المسدّد ولا يستطيع فيه اللّسان مجاراة الهاجس » . قال : « وهكذا يتّفق في المحسوسات : فإنّي شهدت ذات مرّة منادَاةً على جارية ، وقد بلغت مئتي دينار ، فتواقف الناس فيها عن الزيادة ، وظهر من الحاضرين فيها بعض زهادة ، فدنا إليها سيّدها فأسرّ إليها كلاما فمالت عنه متلفّعة بـِرُدْنِها وازدادت بما فعلته حسنا إلى حسنها . فأبدت من الحسن كلّ 20

---

1) البيت من فرائد المنهاج .

سرّ لطيف ، واتّقت بأحسن من يد المتجرّدة عند إسقاط النصيف ، فعلّت بما فعلّت قيمتُها وزادت ، حتّى تضاعفت أو كادت ، ليس إلاّ لحسن ذلك الدّلّ والإشارة . وذلك شيء وإن أدركه الحس فغيرُ معربة عن كنهه العبـارة » .

5 فقال لي أبو المطرّف : « لو سمع منك هذا أبو الفرج الجوزي لصنع في ذلك فصلا وركّب على عامله نصلا » .

3 — **إضـاءة** : قد أشرنا إلى بعض ما ينحو الشعراء نحوه فيما يرجع إلى أمور لفظيّة أو معنويّة أو نظميّة أو أسلوبيّة ، وأومأت / إلى مذاهبهم [142 — أ] في ذلك . وكان ما تعلّق من ذلك بالأسلوب هو المعتمدَ ذكرُه في هذا 10 المعرف . وكان ذكر ما ليس راجعا إلى الأسلوب من ذلك على جهة التبعيّة، وذكرِ الشيء مع ما يناسبه جريا على عادتنا في مواضع كثيرة من هذا الكتاب . فإنّا قد نلمع في المعلم الواحد بالإشارة إلى مذاهب جمّة من مذاهب البلاغة ، ونومىء إلى كلّ مذهب من ذلك بقول كلّي ، إذ لو أفردنا لكلّ مذهب من ذلك تبويبا وترجمة عليه ، وسرّحنا عنان الكلام في 15 مذهب مذهب من ذلك بعضَ تسريح لاتّسع مجالُ القول وعظُم حجمُ الكتاب ، ولم نقصد ذلك ، وإن كنّا قد بلغنا به مبلغا (1) كاد أن يخرج بنا إلى الإرباء على ما يجب ، إذ أوقاتُ التخلّي والنظر لا تنفسح لاستقصاء العلوم . ولكن يجب ، أن تناط العناية منها بالمتأكّد فالمتأكّد . فلذلك اكتفينا من هذا العلم بما لم يكن بدّ من معرفته لمن أراد النظر فيه .

1) إشارة من المؤلف الى فراغه بهذه الفصول من تأليفه .

ج – معلم دالّ على طرق العلم بما يجب أن يعتقد ويقال في المفاضلة بين الشعراء ، بحسب اختلاف الأزمنة والأحوال المهيّأة لقول الشعر والباعثة عليه .

إنّ المفاضلة بين الشعراء الذين أحاطوا بقوانين الصناعة وعرفوا مذاهبها لا يمكن تحقيقها ، ولكن إنّما يُفاضل بينهم على سبيل التقريب وترجيح 5
الظنون . ويكون حكم كلّ انسان في ذلك بحسب ما يلائمه ويميل إليه طبعُه . إذ الشعر يختلف في نفسه بحسب اختلاف أنماطه وطرقه ، ويختلف بحسب اختلاف الأزمان وما يُوجد فيها ممّا شأن القول الشعريّ أن يتعلّق به . ويختلف بحسب اختلاف الأمكنة وما يوجد فيها ممّا شأنُه أن يوصف ،
[142 – ب] ويختلف بحسب الأحوال / وما تصلح له وما يليق بها وما تحمل عليه ، 10
ويختلف بحسب اختلاف الأشياء فيما يليق بها من الأوصاف والمعاني ، ويختلف بحسب ما تختصّ به كلّ أمّة من اللغة المتعارفة عندها الجارية على ألسنتها .

1 – **إضـــــاءة** : ولأنّ الشعر يختلف بحسب اختلاف أنماطه وطرقه نجد شاعرا يُحسن في النمط الذي يقصد فيه الجزالة والمتانة من الشعر ولا 15
يحسن في النمط الذي يقصد به اللطافة والرقّة ، وآخرَ يُحسن في النمط الذي يقصد به اللطافة والرقّة ولا يحسن في النمط الذي يقصد به الجزالة والمتانة . ونجد بعض الشعراء يحسن في طريقة من الشعر كالنسيب مثلا ولا يحسن في طريقة أخرى كالهجاء مثلا ، وآخرَ يكون أمره بالضدّ من هذا

2 – **تنـــويـــر** : ولأنّ الشعر أيضا يختلف بحسب اختلاف الأزمان وما 20
يوجد فيها وما يولع به الناس ممّا له علقة بشؤونهم ، فيصفونه لذلك ويكثرون

رياضة خواطرهم فيه ، نجد أهلَ زمان يعنون بوصف القيان والخمر وما ناسب ذلك ويجيدون فيه ، وأهلَ زمان آخر يعنون بوصف الحروب والغارات وما ناسب ذلك ويجيدون فيه ؛ وأهلَ زمان آخر يعنون بوصف نيران القرى وإطعام الضيف وما ناسب ذلك ويجيدون فيه .

5 3 — **إضـــاءة** : ولأنّ الشعر أيضا يختلف بحسب اختلاف الأمكنة وما يوجد فيها ممّا شأنه أن يوصف من الأشياء المصنوعة أو المخلوقة — وكلّ يدخل تحت المخلوقة ولكن الناس قد فرّقوا هذه التفرقة — نجد بعض الشعراء يحسن في وصف الوحش ، وبعضَهم يحسن في وصف الروض ، وبعضَهم يحسن في وصف الخمر ، وكذلك في وصف شيء شيء فإنّهم 10 يختلفون في الإحسان فيه ويتفاوتون في محاكاته ووصفه على قدر قوّة ارتسام نعوت الشيء في خيالاتهم بكثرة ما ألفوه وما تأمّلوه .

4 — **تنـويــر** : ولأنّ الشعر / أيضا يختلف بحسب اختلاف أحوال القائلين وأحوال ما يتعرّضون للقول فيه ، وبحسب اختلافهم في ما يستعملونه من اللغات ، نجد واحدا يُحسن في الفخر ولا يحسن في الضراعة ، وآخرَ 15 يحسن في الضراعة ولا يحسن في الفخر ؛ ونجد واحدا يحسن في مدح الطبقات الأعليَيْنَ وآخرَ لا يحسن إلاّ في أمداح الطبقات الأدنَيَيْنَ . ونجد واحدا يحسن في النظم المصوغ من الألفاظ الحُوشية والغريبة وآخرَ لا يحسن إلاّ في نظم اللغات المستعملة . [143 — أ]

5 — **إضـــاءة** : وإذا كان الأمر على ما قدّمته فواجبٌ أن يضاعف 20 الثناء على الشاعر إذا أحسن في وصف ما ليس معتادا لديه ولا مألوفا في مكانه ولا هو من طريقه ولا ممّا احتَنَكَ فيه ولا ممّا ألجأته إليه ضرورة ، وكان مع ذلك متكلّما باللّغات التي يستعملها في كلامه . وبالجملة إذا أخذ

في مأخذ ليس ممّا ألِفَه ولا اعتاده فإنّ الشاعر إذا أخذ في مأخذ ليس ممّا ألِفَه ولا اعتاده فساوى في الإحسان فيه من قد ألفه واعتاده ، كان قد أربَى عليه في الفضل إرباء كثيرا ، وإن كان شعرهما متساويا .

6 – **تنوير** : فتحرّي الحقيقة في الحكم بين شعراء الأعصار والأمصار ممّا لا يتوصّل إلى محض اليقين فيه ، ولكن يرجّحُ بعضُهم على بعض على سبيل التقريب . وكذلك الحكم بين شاعر وشاعر ، فإنّه مُعْيٍ على من طالب نفسَه بتحرّي التحقيق وتحصيل اليقين فيه . فإنّ أحدهما قد يُسَاعدُه الزمانُ والمكان والحال والباعث على التغلغل إلى استثارة تخاييل ومحاكاة في شيء لا يساعد الآخرَ شيءٌ من ذلك عليه . وقد تكون حالُ الآخر في غير ذلك الشيء بمنزلة حال صاحبه في ذلك الشيء . وقد تختلف حالاهما في اللغة . وتختلف حالاهما في الرويّة ، ومقدارِ جمام خاطر كلّ واحد منهما ونشاطه للقول في حال الرويّة . ولذلك قد يعسر الحكم في / المفاضلة بين الشاعرين في جودة الطبع وفضل القريحة ، ولكن تُمكن المفاضلة بين قولهما إذا اجتمعا في غرض ووزن وقافية . [143 – ب]

7 – **إضاءة** : ولـمّا في المفاضلة بين الشعراء من الإشكال وتوعّر سبيل التوصّل إلى التحقيق في ذلك اختلفت آراء العلماء في ذلك ، وتوقّف بعضهم عن القطع فيه بحُكمٍ لا تبقى له معه شبهة ولا مِرْيَة ، حتّى إنّ أمير المؤمنين عليا ابن أبي طالب ، رضي الله عنه ، لم يقض في ذلك قضاء جزما . وحسبك برأي أفصح الأمّة وأعلمها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، إمَاما يقتدى به وعلَما يُهتدى عليه . وأنا أورد خبره ، رضي الله عنه ، في ذلك .

قال أبو الفرج الأصبهاني : أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا جعفر بن محمد العاصمي قال حدّثني عيينة بن المنهال قال حدّثني شدّاد بن عبيد الله قال حدّثني عبيد الله بن الحر العنزي القاضي عن أبي عَرادة قال :

« كان عليّ عليه السلام يُفطر الناس في شهر رمضان ، فإذا فرغ من العَشاء تكلّم فأقلّ وأوجز وأبلغ . فاختصم الناس ليلة حتّى ارتفعت 5 أصواتهم في أشعر الناس .

ــ فقال عليّ لأبي الأسود الدؤلي : قل يا أبا الأسود .

ــ فقال أبو الأسود ، وكان يتعصّب لأبي دؤاد : أشعرُهم الذي يقول :

[الخفيف ــ ق ــ المتواتر]

10 ولقد أغتدي يُدافع ركني أحوذيٌّ ذو ميعة إضريجُ

مِخلَط مِزيَلٌ مِكَرٌّ مِفَرٌّ مِنفَح مِطرَح سبوح خروجُ

سَلهَب شرجَب كأنّ رماحا حملتْه ، وفي السَّراة دُموج

فأقبل عليّ ــ عليه السلام ــ فقال : كلّ شعرائكم محسن ، ولو جمعَهم زمان واحد وغايةٌ واحدة ومذهبٌ واحد في القول لعَلِمنا أيّهم أسبق إلى 15 ذلك . وكلّهم قد أصاب الذي أراد وأحسن ؛ فإن يكن أحد فضَلهم فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر ، فإنّه كان أصحَّهم / بادرة [144 ــ أ] وأجودَهم نادرة.» (1) .

فأنت ترى كيف جعل عليّ ، رضي الله عنه ، اختلافَ الأزمنة وتفاوتَ الغايات وتباينَ المذاهب عائقةً عن التوصّل إلى التحقيق في ذلك .

1) البيت الثالث من شعر ابي دواد هنا ورد بلفظ سرحب بدل شرجب . **الاغاني** ، (3) ، ١٥ ، 97

8 — **تنـويـر** : فأمّا من يذهب إلى تفضيل المتقدّمين على المتأخّرين بمجرد تقدّم الزمان فليس ممّن تجب مخاطبته في هذه الصناعة . لأنّه قد يتأخّر أهلُ زمان عن أهل زمان ثمّ يكونون أشعرَ منهم لكون زمانهم يحوش عليهم من أقناص المعاني بسفوره لهم عن أشياء لم تكن في الزمان الأوّل . ولتوفّر البواعث فيه على القول وتفرّغ الناس له . كالحال في 5 إجادة الشعراء (1) الذين كانوا في زمان ملوك آل جفنة (2) وملوك لخم . ومن كان في زمانهم من ملوك العرب (3) وأجوادها (4) . فإنّ تلك الحلبة تقدّمت بالإحسان مَن تقدّمها (5) بالزمان ، والسبب في ذلك ما ذكرته . وهذه الحلبة هي حلبة زهير والنابغة والأعشى ومن جرى مجراهم وانخرط في سلكهم . 10

وقد وقعت في المفاضلة بين الشعراء أقوال لا [يعتدّ بها] وآراء لا يحسن الاشتغال بذكرها والردّ عليها عمّا هو أهمّ من ذلك . فإنّ تلك الآراء أظهرُ فسادا لمن له أدنى معرفة بهذه الصناعة من أن يُحتاج في ذلك إلى تكلّف حجّة أو استدلال ، وإنّما الرأيُ الصحيح الذي عليه [المعوّل] من أنّ للشعر اعتبارات في الأزمنة والأمكنة والأحوال ، فلا يجب أن يقطع 15 بفضل شاعر [على آخر] بأنّه ساواه في جميع ذلك ، ثمّ فضَله بالطبع والقريحة . وهذا أمر يتعذّر تحرّي [اليقين فيه ، وإنّما] يمكن التقريب والترجيح بينهما بحسب ما يغلب على الظنّ .

---

1) انظر بلاشر ، 86 — 90 ؛ نلينو ، 40 — 61 .
2) انظر بلاشار ، 86 — 90 ؛ نلينو ، 40 — 61 .
3) النعمان بن المنذر وعمرو بن هند وامثالهم .
4) منهم حاتم بن عبد الله الطائي .
5) حول الشعراء المتقدمين انظر وهب بن منبه .

9 — **إضـــــاءة** : فأمّا المفاضلة بين جماهير شعراء توفّرت لهم الأسباب المهيّئة لقول الشعر والأسباب الباعثة على ذلك ، وقد أومأت إليها في صدر الكتاب (1) ، وبين جماهير شعراء لم تتوفّر لهم الأسباب المهيّئة ولا البواعث ، فلا / يجب أن نتوقّف فيها بل نحكم حكما جزما أنّ الذين [144 — ب] توفّرت لهم الأسباب المهيّئة والباعثة أشعرُ من الذين لم تتوفّر لهم . وذلك كما نفضّل شعراء العراق على شعراء مصر . ولا نتوقّف في ذلك ، إذ لا مناسبة بين الفريقين في الإحسان في ذلك ، كما لا تناسب بينهم في توفّر الأسباب ، وإن كان أكثر تلك الأسباب أيضا في الصقع العراقي قد تغيّر عمّا كان عليه في الزمان المتقدّم .

د — معرف دالّ على طرق المعرفة بمبلغ هذا الكتاب من أصول هذه الصناعة .

قد تكلّمنا من هذه الصناعة في جملة مقنعة . وبقيت أشياء لا يمكن تتبّعها لكثرة تشعّبها وتعذّر استقصائها ، وأشياءُ يمكن استقصاؤها أو استقصاء عامّتها بعد طول .

فأمّا ما يعزّ استقصاؤه فذكرُ ما به يكون كمال الشعر وتفصيل القول في المهيّئات له والأدوات والبواعث عليه . ومن ذلك اعتبار كلّ نمط من أنماط اللفظ بكلّ نمط يوقع فيه من أنماط المعاني والنظام والأساليب والأوزان ، واعتبارُ كلّ نمط من المعاني بكلّ نمط يصلح به من أنماط اللفظ والنظام والأساليب والأوزان ، واعتبارُ كلّ نمط من النظم بما يصلح

1) انظر 41 — 43 .

به من أنماط اللفظ والمعاني والأساليب والأوزان . واعتبار كلّ نمط من
أنماط الأساليب بما يصلح به من أنماط الألفاظ والمعاني والنظام والأوزان،
واعتبار كلّ نمط من أنماط الأوزان بما يصلح به من أنماط اللفظ والمعنى
والنظم والأسلوب ، والتمييز بين ما يكون ملائما لما وضع بإزائه من جميع
ذلك وما يكون منافرا لوضعه (1) (....................) 5

1) هذا آخر النسخة . والكلام بقية قليلة يتم بها تصوير الغرض من التأليف الذي يصرح حازم بتمام انجازه ووصوله فيه الى الغاية من ذلك .

مُلحق

من كتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي (1) .

1 — قال حازم في **المنهاج** :

« الضرائر الشائعة منها المستقبح وغيره ، وهو ما لا تستوحش منه النفس ، كصرف ما لا ينصرف . وقد تستوحش منه النفس في البعض كالأسماء المعدولة ، وأشدّ ما تستوحشه النفس تنوين أفعل منه ، وممّا لا يستقبح قصر الجمع الممدود ، ومدّ الجمع المقصور . ويستقبح منه ما أدّى إلى التباس جمع بجمع مثل ردّ مطاعم إلى مطاعيم أو ردّ مطاعيم إلى مطاعم . فإنّه يؤدّي إلى التباس مطعم بمطعام . وأقبح ضرائر الزيادة المؤدّية لما ليس أصلا في كلامهم كقوله :

من حوثما نظروا أدنو فأنظور

أي أنظر . أو الزيادة لما يقلّ في الكلام كقول امرىء القيس في بعض الرّوايات : طأطأت شيمالي ، أراد شمالي . وكذلك يستقبح النقص المجحف كقول لبيد :

درس المنا بمتالع فأبانَ

أراد المنازل ، وكذلك العدول عن صيغة لأخرى كقول الحطيئة :

فيها الزجاج وفيها كلّ سابغة جدلاء محكمة من نسج سلاّم

أراد سليمان عليه السلام (2) » .

السبكي ، 1 ، 88 س 14 — 89 س 7 .

---

1) اعتمد السبكي في شرحه كثيرا من كتب البلاغة والنقد ، من بينها كتاب حازم وسماه **منهاج البلغاء وسراج الادباء** . انظر الشرح ، 1 ، 29 .

2) هذا النص منقول بتصرف . انظر السيوطي : **المزهر** ، (2) ، 1 ، 188 س 19 — 189 س 11 ؛ **الاقتراح** مخط . 73 أ س 11 — 12 .

2 — قـال حـازم :

«المفرط في القصر ما كان على مقطع مقصور، والذي لم يفرط ما كان على سبب ، والمتوسّط ما كان على وتد أو على سبب ومقطع مقصور أو على سببين . والذي لم يفرط في الطول ما كان على وتد وسبب ، والمفرط في الطول ما كان على وتدين أو على وتد وسببين» . 5

السبـكـي ، 1 ، 91 س 12 — 15 .

3 — قال حازم أيضا :

« إنّ الطول تارة يكون بأصل الوضع وتارة تـكون الـكلمة متوسّطة فتطيلها الصلة وغيرها ، كقول المتنبّي :

خلت البلاد من الغـزالـة ليلهـا فـأعـاضهاك الله كـي لا تحزنا 10

وقول أبي تمـام :

ورفعـت للمستنشدين لـوائي »

السبـكـي ، 1 ، 91 س 15 — 19 .

4 — وفي بيت المتنبّـي :

عِشِ ابقَ اسْمُ سُدْ قُدْ جُدْ مُرِ انْهَ رِفِ اسْرِ نَلْ 15
غِظِ ارْمِ صِبِ احْمِ اغْزُ اسْبِ رُعْ زَعْ دِلِ اثْنِ نُلْ

قـال حـازم :

« إنّ بيت المتنبّي إنّما قبـح لقصر كلماته المتوالية التي على حرفين . وينبغي أن يذكر هذا في شروط فصاحة الـكلام » .

السبـكـي ، 1 ، 93 س 6 — 9 . 20

5 — قسّم حازم في المنهاج الابتذال والغرابة . فقال ما ملخّصه :

« الكلمة على أقسام :

الأوّل : ما استعملته العرب دون المحدثين ، وكان استعمال العرب له كثيرا في الأشعار وغيرها ، فهذا حسن فصيح .

5 الثاني : ما استعملته العرب قليلا ، ولم يحسن تأليفه ولا صيغته ، فهذا لا يحسن إيراده .

الثالث : ما استعمله العرب وخاصّة المحدثين دون عامّتهم ، فهذا حسن جدّا ، لأنّه خلص من حوشية العرب وابتذال العامّة .

الرابع : ما كثر في كلام العرب وخاصّة المحدثين وعامّتهم ، ولم 10 يكثر في ألسنة العامة ، فلا بأس به .

الخامس : ما كان كذلك ، ولكنه كثر في ألسنة العامّة ، وكان لذلك المعنى اسم استغنت به الخاصّة عن هذا ، فهذا يقبح استعماله لابتذاله .

السادس : أن يكون ذلك الاسم كثيرا عند الخاصّة والعامّة ، وليس له اسم آخر ، وليست العامّة أحوج إلى ذكره من الخاصّة ، ولم يكن من 15 الأشياء التي هي أنسب بأهل المهن ، فهذا لا يقبح وليس يعدّ مبتذلا مثل لفظ الرأس والعين .

السابع : أن يكون كما ذكرناه إلاّ أنّ حاجة العامة له أكثر ، فهو كثير الدوران بينهم كالصنائع ، فهذا مبتذل .

الثامن : أن تكون الكلمة كثيرة الاستعمال عند العرب والمحدثين 20 لمعنى ، وقد استعملها بعض العرب نادرا لمعنى آخر ، فيجب أن يجتنب هذا أيضا .

التاسع : أن يـكون العرب والعامّة استعملوها دون الخاصّة ، وكان استعمال العوامّ لها من غير تغيير ، فاستعمالها عل ما نطقت به العرب ليس مبتذلا ، وعلى التغيير قبيح مبتذل (1) » .

السبـكـي ، 1 ، 93 س 12 — 24 .

ثمّ اعلم أن الابتذال في الألفاظ وما يدل عليه ليس وصفا ذاتيّا ولا عرضا لا زما ، بل لاحقا من اللواحق المتعلّقة بالاستعمال في زمان دون زمان وصقع دون صقع (2) . 5

6 — قال حازم في **المنهاج** :

« شرط في جواز عكس التشبيه أن يجتمع في المتشابهين أوصاف ثلاثة أو اثنان منها . وهو المقدار واللون والهيئة ». 10

السبكي ، ٣ ، 410 س 4 ، 5 .

7 — وقـال أيضـا :

« إنّه إذا استويا في وجه الشبه ، وأحدهما في نفسه عظيم والآخر حقير ، شبّه الحقير بالعظيم عند إرادة التعظيم وشبّه العظيم بالحقير عند إرادة التحقيـر » . السبـكي ، ٣ ، 410 ص 6 ، 7 . 15

8 — قال أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم في كتاب **منهاج البلغاء وسـراج الأدبــاء** :

«التشبيه بغير حرف شبيه بالاستعارة في بعض المواضع . والفرق بينهما أنّ الإستعارة وإن كان فيها معنى التشبيه فتقدير حرف التشبيه لا يسوغ فيها ،

1) هذه نهاية كـلام حازم . انظر السـبكـي ، 1 ، 93 س 24 .
2) هذه الجملة ألحقها السيوطي في **المـزهر** بكـلام حازم ، (2) ، 1 ، 191 س 11 — 13 . وليست منه ، ولـكـنها تعقيب من السبـكي . وقد نقل الفقرة كلها في هذا المكان من **المزهر** .

والتشبيه بغير حرف على خلاف ذلك ، لأنّ تقدير حرف التشبيه واجب فيه،
ألا ترى إلى قول الوأواء الدمشقي :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت ورداً وعضّت على العناب بالبرد

يسوغ لك أن تقدّره وعضّت على مثل العناب بمثل البرد . وكذلك سائر
5 ما في البيت ، ولا يسوغ ذلك في الاستعارة نحو قول ابن نباتة :

حتى إذا بهر الأباطح والربى نظرت إليك بأعين النوار

لأنه لا يصحّ أن تقدّر نظرت اليك بمثل أعين النوار » .
السبكي ، ٤ ، 57 س 3 — 58 س 3 .

ملاحظة :

10 يضاف إلى مثل هذه الأنقال الكثيرة التي ذكرناها للسبكي عن كتاب **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** لحازم إحالات له عليه . فمن ذلك :

1 — استهجان حازم في **المنهاج** تتابع الكسرات وحروف العلّة نحو الكيمياء . السبكي ، 1 ، 94 س 5 .

2 — وسيأتي في التكرار والتصريح من كلام حازم في **المنهاج** بأنّ ما
15 لعلّه يعزى لهذا البيت من الثقل إنّما هو من التكرار في أمدحه وفي لمُته .
السبكي ، 1 ، 101 س 2 — 4 .

3 — ونقل حازم عن جماعة أنّ التكرار يحسن في مواضع الشوق والمدح والهجاء . السبكي ، 1 ، 117 س 15 .

من كتاب البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري :

1 — وحكى حازم في **منهاج البلغاء** خلافا غريبا فقال :

« وللناس في الكلام المنثور من جهة تقطيعه إلى مقادير تتقارب في الكميّة ، وتتناسب مقاطعها على ضرب منها ، أو بالنقلة من ضرب واقع في ضربين 5 أو أكثر ، إلى ضرب آخر مزدوج ، في كلّ ضرب ضرب منها أو يزيد على الازدواج ، ومن جهة ما يكون غير مقطع ، إلى مقادير يقصد تناسب أطرافها ، وتقارب ما بينها في كميّة الألفاظ والحروف ثلاثة مذاهب :

منهم من يكره تقطيع الكلام إلى مقادير متناسبة الأطراف ، غير متقاربة في الطول والقصر لما فيه من التكلّف ، إلاّ ما يقع به الإلمام في النادر من 10 الكلام .

والثاني أنّ التناسب الواقع بإفراغ الكلام في قوالب التقفية وتحليتها بمناسبات المقاطع أكيد جدّا .

والثالث — وهو الوسط — أن السجع لمّا كان زينة للكلام ، فقد يدعو إلى التكلّف ، فرأيي ألاّ يستعمل في جملة الكلام ، وأن لا يخلى الكلام 15 بالجملة منه أيضا ، ولكن يقبل من الخاطر فيه ما اجتلبه عفوا ، بخلاف التكلّف ، وهذا رأي أبي الفرج قدامة .

قال حازم : وكيف يعاب السجع على الإطلاق ! وإنّما نزل القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب ، فوردت الفواصل فيه بإزاء ورود الأسجاع في كلام العرب ، وإنّما لم يجيء على أسلوب واحد ، لأنّه لا 20

يحسن في الكلام جميعا أن يكون مستمرّا على نمط واحد ، لما فيه من التكلّف ، ولما في الطبع من الملل عليه . ولأنّ الافتنان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد ، فلهذا وردت بعض آي القرآن متماثلة المقاطع ، وبعضها غير متماثل» .

5 الزركشي : النوع الثالث معرفة الفواصل ورؤوس الآي : 1 ، 59 س 10 — 60 س 15 .

2 — وقال حازم في كتاب **منهاج البلغاء** :

« وأمّا الحكم والأمثال ، فإمّا أن يكون الاختيار فيها بجري الأمور على 10 المعتاد فيها ، وإمّا بزوالها في وقت عن المعتاد ، عن جهة الغرابة أو الندور فقط ، لتوطّن النفس بذلك على ما لا يمكنها التحرّز منه ، إذ لا يحسن منها التحرّز من ذلك ، ولتحذر ما يمكنها التحرّز منه ويحسن بها ذلك ، ولترغب فيما يجب أن يرغب فيه ، وترهب فيما يجب أن ترهبه ، وليقرب عندها ما تستبعده ، ويبعد لديها ما تستقربه ،وليبين لها أسباب الأمور ،وجهات 15 الاتفاقات البعيدة الاتفاق بها . فهذه قوانين الأحكام والأمثال ، قلّما يشذّ عنها من جزئياتها شيء » .

الزركشي : النوع الحادي والثلاثون معرفة الأمثال الكائنة فيه ، 1 ، 491 س 3 — 9 .

20 3 — العاشر : وهو قول حازم في **منهاج البلغاء** :

« إنّ الإعجاز فيه من حيث استمرّت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمرارا لا توجد له فترة ، ولا يقدر عليه أحد من البشر،

وكلام العرب ومن تـكلّم بلغتهم لا تستمرّ الفصاحة والبلاغة في جميـع أنحائها في العالي منه إلاّ في الشيء اليسير المعدود ، ثم تعرض الفتـرات الإنسانية ، فتقطع طيب الـكلام ورونقه ، فلا تستمرّ لذلك الفصاحة في جميعه ، بل توجد في تفاريق وأجزاء منه (1) . والفترات في الفصاحة تقع للفصيـح ، إمّا بسهو يعرض له في الشيء من غير أن يـكون جاهلا به ، أو 5
من جهل به ، أو من سـآمة تعتري فـكره ، أو من هوى للنفس يغلب عليها فيما يحوش عليها خاطره ، من اقتناص المعاني سمينا كان أو غثّا . فهذه آفات لا يخلو منها الإنسان الفاضل الطبـع الـكامل (2) ، وهو قريب ممّا ذكره ابن الزملـكاني وابن عطيّة » .

10 الزركشـي : بيـان الأقوال المختلفـة في وجوه الإعجـاز ، ٢ ، 101 س 1 — 9 .

4 — وقال الإمام في **نهاية الإيجاز** :

« اشترك الـكاف وكأنّ في الدلالة على التشبيه ،وكأنّ أبلغ . وبذلك جزم حازم في **منهـاج البلغـاء** . وقال : وهي إنّما تستعمـل حيث يقوى الشبـه ، 15
حتى يـكاد الرائي يشك في أنّ المشبّه هو المشبّه به أو غيره ، ولذلك قالت بلقيس : (كأنّه هو) » .

الزركشي : فصل في أدوات التـأكيد ٢ ، 408 س 5 — 8 .

1) اقتصر السيوطي على نقل هذه الفقرة من هذا النص . انظر **الاتقان** ، ٢ ، 119 س 20 — 25 .
2) يبدو أن كـلام حازم ينتهـي هنا . الجملة بعد هذا تعليق من الزركشي ، فليتأمل .

5 — ومنه زيادة « أصبح » قال حازم :

« إن كان الأمر الذي ذكر أنه أصبح فيه لم يكن أمسى فيه ، فليست زائدة ، وإلاّ فهي زائدة ، كقولك : أصبح العسل حلوا » .

الزركشي : القسم السادس والعشرون
الزيادة ، ٣ ، 71 س 9 و 10 .

6 — ومنها التفخيم والإعظام ، قال حازم في **منهاج البلغاء** :

« إنّما يحسن الحذف ما لم يشكل به المعنى ، لقوّة الدلالة عليه ، أو يقصد به تعديد أشياء ، فيكون في تعدادها طول وسآمة ، فيحذف ويكتفى بدلالة الحال عليه ، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها على الحال . قال : وبهذا القصد يؤثّر في المواضع التي يراد بها التعجّب والتهويل على النفوس ، ومنه قوله تعالى في وصف أهل الجنّة : (حتّى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) فحذف الجواب ، إذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى ، فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه ، وتركت النفوس تقدّر ما شأنه ، ولا يبلغ مع ذلك كنه ما هنالك ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

الزركشي : أسباب الحذف ، ٣ ،
105 س 20 — ص 106 س 8 .

7 — وفي كونه [أي القلب] من أساليب البلاغة خلاف ، فأنكره جماعة ، منهم حازم في كتاب **منهاج البلغاء** وقال : « إنّه ممّا يجب أن ينزّه كتاب الله عنه ، لأنّ العرب إن صدر ذلك منهم فبقصد العبث أو التهكّم أو المحاكاة أو حال اضطرار ، والله منزّه عن ذلك » .

الزركشي : القلب ، ٣ ، 288 س 2 — 4 .

8 — قال حازم في **منهاج البلغاء** :

« وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلّم أو ضمير مخاطب ، فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة . وكذلك أيضا يتلاعب المتكلّم بضميره فتارة يجعله ياء على جهة الإخبار عن نفسه ، وتارة يجعله كافا فيجعل نفسه مخاطبا وتارة يجعله هاء ، فيقيم نفسه مقام الغائب . فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير المتكلّم والمخاطب لا يستطاب ، وإنّما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض . وهو ثقل معنويّ لا لفظيّ ، وشرطه أن يكون الضمير في المتنقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى الملتفت عنه ، ليخرج نحو أكرم زيدا ، وأحسن إليه ، فضمير (أنت) الذي هو (في) (أكرم) غير الضمير في (إليه) » (1) .

الزركشي : الالتفات ، ٣ ، 314 س 8 — 15 .

9 — وقال حازم في **منهاجه** :

« يبدأ في الحسن بما ظهور الحسن فيه أوضح ، وما النفس بتقديمه أعنى ، ويبدأ في الذمّ بما ظهور القبح فيه أوضح ، والنفس بالالتفات إليه أعنى ، ويتنقّل في الشيء إلى ما يليه من المزية في ذلك ، ويكون بمنزلة المصوّر الذي يصوّر أوّلا ما حلّ من رسوم تخطيط الشيء ، ثم ينتقل إلى الأدقّ فالأدقّ » (2) .

الزركشي : نفي الشيء رأسا ، ٣ ، 407 س 2 — 5 .

---

1) ق 4 ، المنهج 2 معرف د ، تنوير 4 ، 348 س 4 — 9 . وكلام حازم في نص المنهاج ينتهي بقوله إلى بعض . ولعل ما ذكر بعد ذلك انما هو تعقيب من الزركشي .
2) ق ، ٢ ، المنهج 3 معرف و ، تنوير 4 ، 101 س . 6 — 10 .

ملاحظـة :

بالإضافة إلى الأنقال التي أوردناها من كتاب **البرهان** نذكر مكانا وقع التصريح فيه أيضا باسم مؤلّف حازم كاملا :

10 - « ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع ، وقد صنّف النّاس في ذلك تصانيف كثيرة . وأجمعها ما جمعه الشيخ شمس الدين محمد بن النقيب في مجلّدين قدّمهما أمام تفسيره . وما وضعه حازم الأندلسي المسمّى **بمنهاج البلغاء وسراج الأدباء** . »

الزركشي : النوع الحادي والعشرون
معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن
وأفصح ، 1 ، 311 س 3 — 5 .

فهـــرس الموضوعات

الصحيفـة

المناهج الأدبية.. 5

المعاني 7

القسم الثاني الباحث في المعاني وما تعرف به أحوالها من حيث تكون ملائمـة للنفوس أو منافرة لها.................... 9

المنهج الأول في الإبانة عن ماهيات المعاني وأنحاء وجودها ومواقعها والتعـريف بضروب هيئاتها وجهات التصرف فيهـا وما تعتبـر به أحوالها في جميع ذلك ، من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها.............. 9

أ ـ معلم دالّ على طـرق العلم بالمعاني وحقائقها وأنحاء النّظر فيها وما ينبغي ان تعتبر به أحوالها ، من جهة ما يرجع إليها وما هو خارج عنها....... 9

المنهج الثاني في الإبانة عن طرق اجتلاب المعاني وكيفيّات التئامها وبناء بعضها على بعض وما تعتبر به أحوالها في جميع ذلك ،من حيث تكون مـلائمة للنفوس أومنا فرة لها.................... 11

أ ـ معلم دالّ على طرق العلم باقتباس المعـاني وكيفيّـة اجتلابها وتـأليف بعضها إلى بعض.................... 11

إضاءة 1.................... 11

تنوير 2.................... 12

إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضـاءة 5.................... 13

تنوير 6 ، إضاءة 7 ، تنوير 8 ، إضاءة 9.................... 14

الصحيفــة

تنـويـر 10 ، إضـاءة 11	15
تنـويـر 12 ، إضـاءة 13	16
تنـويـر 14 ، إضـاءة 15	17
تنـويـر 16	18
ب ــ معرف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء وجود المعاني	18
إضـاءة 1 ، تنـويـر 2	19
ج ــ معلم دالّ على طرق العلم بـكيفيّات مواقع المعاني من النّفوس من جهة ما تـكـون قويّة الانتساب إلى طرق الشعر المألوفة والأغراض المعـروفـة عند جمهور من له فهم بالطبـع أو ضعيفة الانتساب إلى ذلك	19
إضـاءة 1	20
تنـويـر 2 ، إضـاءة 3 ، تنـويـر 4	21
إضـاءة 5 ، تنـويـر 6	22
إضـاءة 7 ، تنـويـر 8	23
إضـاءة 9 ، تنـويـر 10	24
إضـاءة 11	26
تنـويـر 12 ، إضـاءة 13	27
تنـويـر 14 ، إضـاءة 15 ، تنـويـر 16	28
إضـاءة 17	29
تنـويـر 18	30
إضـاءة 19	31
د ــ معرف دالّ على طرق المعرفة بـكيفيّات تركيب المعاني وتضاعفها	32
إضـاءة 1 ، تنـويـر 2 ، إضـاءة 3	33
تنـويـر 4 ، إضـاءة 5	34
تنـويـر 6	35

الصحيفة

إضاءة 7 . تنوير 8.......... 36
إضاءة 9.......... 37

هـ – معلم دالّ على طرق العلم باستثارة المعاني من مكامنها ، واستنباطها من معادنها 37

إضاءة 1.......... 38
تنوير 2 ، إضاءة 3 ، تنوير 4.......... 39

و – معرف دالّ على طرق المعرفة بما توجد المعاني معه حاضرة منتظمة في الذهن . على ما يجب أن يكون من بعض عائد إلى بعض . وما به يكون كمال التصرّف فيها ، وفي سائر أركان هذه الصناعة . على المذهب المختار.......... 40

إضاءة 1 . تنوير 2.......... 42
إضاءة 3.......... 43

ز – معلم دالّ على طرق العلم بالمناسبة بين بعض المعاني وبعض ، والمقارنة بين ما تناظر منها.......... 44

إضاءة 1 ، تنوير 2.......... 44
إضاءة 3 ، تنوير 4.......... 45
إضاءة 5 ، تنوير 6.......... 46
إضاءة 7.......... 47

ح – مأمّ من مذاهب البلاغة المستشرفة بهذا المعلم . وما تقدّم في المعلم المفتتح به هذا المنهج الذي فيه القول ، وهو المذهب الذي يقصد فيه المطابقة.. 48

إضاءة 1.......... 48
تنوير 2.......... 50
إضاءة 3.......... 51

الصحيفـة

ط ـ مأمّ من المذاهب المستشرفة بالمعلم المتقدّم ايضا وهو مذهب المقابلة.... 52
إضاءة 1 ، تنوير 2 . إضاءة 3.... 52
تنوير 4.... 54
إضاءة 5.... 55
ي ـ مأمّ من المذاهب المستشرفة بالمعلم المتقدم أيضا وهو مذهب التّقسيم.... 55
إضاءة 1 ، تنوير 2.... 56
يا ـ مأمّ من المذاهب المستشرفة بما تقدّم أيضا . وهو مذهب التّفسير...... 57
إضاءة 1 ، تنوير 2.... 58
يب ـ مأمّ من المذاهب المستشرفة بالمعلم المتقدّم أيضا وهو مذهب التّفريع.. 59
إضاءة 1.... 60
تنوير 2 ، إضاءة 3.... 61

المنهج الثّالث ، في الإبانة عمّا به تتقوّم صنعتا الشّعر والخطابة من التّخييل والإقناع ، والتّعريف بأنحاء النّظر في كلتا الصنعتين ، من جهة ما به تقوّمت ، وما به تعتبر أحوال المعاني في جميع ذلك ، من حيث تكون ملائمة للنّفوس أو منافرة لها.... 62

أ ـ معلم دالّ على طرق العلم بما تتقوّم به صناعة الشّعر من التّخييل . وما به تتقوّم صناعة الخطابة من الإقناع ، والفرق بين الصّناعتين في ذلك.... 62
إضاءة 1 ، تنوير 2.... 63
إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5.... 64
تنوير 6 ، إضاءة 7 ، تنوير 8.... 65
إضاءة 9 ، تنوير 10.... 66
إضاءة 11 ، تنوير 12 ، إضاءة 13.... 67
تنوير 14.... 68
إضاءة 15 ، تنوير 16.... 70

الصحيفة

ب – معرف دالّ على المعرفة بماهيّة الشّعر وحقيقته	71
إضاءة 1	71
تنوير 2 . إضاءة 3	72
تنوير 4 ، إضاءة 5 ، تنوير 6	73
إضاءة 7	76
تنوير 8 ؛ إضاءة 9	77
تنوير 10	78
إضاءة 11	79
تنوير 12	80
إضاءة 13	81
تنوير 14	82
إضاءة 15	83
تنوير 16	84
إضاءة 17	85
تنوير 18	86
إضاءة 19	88
ج – معلم دالّ على طرق العلم بالاشياء المخيّلة	89
إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3	89
د – معرف دالّ على طرق المعرفة بجهات مواقع التّخييل من الأقاويل وما بإزائها من المعاني ، وما يحسن أن ينحى بالمحاكاة نحوه من ذلك وما لا يحسن	90
إضاءة 1 ، تنوير 2	90
إضاءة 3	91
هـ – معلم دالّ على طرق العلم بما تنقسم إليه المحاكاة	91
إضاءة 1 ، تنوير 2	92

الصحيفة

إضاءة 3 93

تنوير 4 94

إضاءة 5 ، تنوير 6 95

إضاءة 7 96

تنوير 8 ، إضاءة 9 ، تنوير 10 ، إضاءة 11 97

و – معلم دالّ على طرق المعرفة بأحكام المحاكيات وما يجب أن يعتبر فيها، والاستبانة لمناقل الفكر في التخيّلات الشّعرية وكيفيّة التّهدّي إلى التّحسينات والتّقبيحات التي ينحى بالأقاويل المخيّلة نحوها 98

إضاءة 1 ، تنوير 2 99

إضاءة 3 100

تنوير 4 101

إضاءة 5 ، تنوير 6 103

إضاءة 7 ، تنوير 8 104

إضاءة 9 105

تنوير 10 106

إضاءة 11 107

تنوير 12 ، إضاءة 13 108

تنوير 14 109

إضاءة 15 110

تنوير 16 111

ز – معلم دالّ على طرق العلم بما يخصّ المحاكاة التّشبيهيّة من الأحكام 111

إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3 112

تنوير 4 ، إضاءة 5 113

تنوير 6 114

إضاءة 7 ، تنوير 8 ، إضاءة 9 115

الصحيفـة

ح – معرف دالّ على طرق المعرفة بالوجوه التي لأجلها حسن موقع المحاكـاة من النّفس.. 116

إضاءة 1.. 116

تنوير 2.. 118

إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5.. 121

تنوير 6.. 122

إضاءة 7.. 123

تنوير 8 ، إضاءة 9.. 124

تنوير 10.. 125

إضاءة 11.. 126

تنوير 12.. 127

إضاءة 13.. 128

تنوير 14.. 129

المنهج الرّابع في الإبانة عن الأحوال التي تعرض للمعاني في جميع مواقعها من الكلام ، فتوجد بها ملائمة للنّفوس أو منافرة لها.. 130

أ – معلم دالّ على طرق العلم ، بأنحاء النّظر في أحوال المعاني وما يجب اعتباره فيها من جهة ما يرجع إليها في أنفسها أو من جهة ما يقترن بها ، ويكون لها به علقة.. 130

إضاءة 1 ، تنوير 2.. 130

إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5 ، تنوير 6.. 131

إضاءة 7 ، تنوير 8 ، إضاءة 9.. 132

ب– معرف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء النّظر في صحّة المعاني وسلامتها من الاستحالة الواقعة بالإفراط في المبالغة.. 133

إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3.. 133

الصحيفـة

تنوير 4 134
إضاءة 5 135
تنوير 6 136

ج – معلم دالّ على طريق العلم بأنحاء النّظر في صحّة المعاني وسلامتها من الإستحالة الواقعة بفساد التقابل 137

إضاءة 1 ، تنوير 2 137
إضاءة 3 138
تنوير 4 139
إضاءة 5 141
تنوير 6 142

د – معرف دالّ على طرق المعرفة بما يوضع من المعاني وضع غيره من حيث تكون واجبة أو ممكنة أو ممتنعة ، ولا يجوز أن يوضع غيره من ذلك 145

إضاءة 1 ، تنوير 2 145
إضاءة 3 ، تنوير 4 146

هـ – معلم دالّ على طرق العلم بالوجوه التي بها يقع التّدافع بين بعض المعاني وبعض 147

إضاءة 1 147
تنوير 2 ، إضاءة 3 148
تنوير 4 149
إضاءة 5 150
تنوير 6 151
إضاءة 7 ، تنوير 8 152
إضاءة 9 153

الصحيفة

و ــ معرف دالّ على طرق المعرفة بما تكون عليه المعاني من كمال أو نقص	154
إضاءة 1..........	154
تنوير 2 ، إضاءة 3..........	156
ز ــ معلم دالّ على طرق العلم بوقوع المعانى المتقاربة متمكّنة..........	158
إضاءة 1..........	159
تنوير 2..........	160
إضاءة 3 ، تنوير 4..........	161
ح ــ معرف دالّ على طرق المعرفة بما يكون من المعانى أصيلا في بابي المدح والذمّ ، وما ليس منها أصيلا في ذلك..........	162
إضاءة 1..........	162
تنوير 2..........	163
إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5..........	164
تنوير 6..........	165
إضاءة 7 ، تنوير 8..........	167
إضاءة 9..........	168
تنوير 10..........	169
ط ــ معلم دالّ على طريقة العلم بما يجب أن يعتمد في مدح صنف من النّاس..........	170
إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3..........	170
تنوير 4 ، إضاءة 5 ، تنوير 6..........	171
ي ــ معرف دالّ على طرق المعرفة بما يكون به وضوح المعانى أو غموضها..	172
إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3..........	172
تنوير 4..........	173
إضاءة 5..........	174

الصحيفة

تنوير 6 ، إضاءة 7 ، تنوير 8 ، إضاءة 9........ 175

تنوير 10 ، إضاءة 11........ 176

يا — معلم دالّ على طرق العلم بما يزيل الغموض والإشكال العارضين في المعاني ، من حيث ذكر في المعرف الفارط........ 177

إضاءة 1 ، تنوير 2........ 177

إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5........ 178

تنوير 6........ 179

إضاءة 7........ 180

تنوير 8........ 181

إضاءة 9........ 182

تنوير 10 ، إضاءة 11........ 184

تنوير 12........ 185

إضاءة 13........ 186

تنوير 14 . إضاءة 15........ 187

يب — معرف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء النّظر في المعاني من حيث يكون فهمها متوقّفا على أمر ما من صناعة أو غيرها أو تكون غير متوقفة على شيء من ذلك........ 188

إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3........ 188

تنوير 4 ، إضاءة 5........ 189

تنوير 6 ، إضاءة 7 ، تنوير 8........ 190

يج — معلم دالّ على طرق العلم بأنحاء النظر في المعاني ، من حيث تكون قديمة متداولة ، أو جديدة مخترعة........ 192

إضاءة 1........ 192

تنوير 2........ 193

إضاءة 3 ، تنوير 4........ 194

الصحيفة

إضاءة 5 ، تنوير 6 195
إضاءة 7 196

المباني 197

القسم الثّالث في النّظم وما تعرف به أحواله من حيث يكون ملائما للنّفوس أو منافرا لها من قوانين البلاغة 199

المنهج الأول في الإبانة عن قواعد الصّناعة النّظمية والمآخذ الّتي هي مداخل إليها ، وما تعتبر به أحوال الصّنعة في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنّفوس أو منافرة لها 199

أ ـ معلم دالّ على طرق العلم بقواعد الصّناعة النّظمية التي عليها تقوم مباني النّظم وبتصرّف الخواطر فيها على ما يجب أن تلتئم صناعة النّظام الشّعري على الكمال 199

إضاءة 1 201
تنوير 2 ، إضاءة 3 202

ب ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بكيفيّات مآخذ الشّعراء في نظم الكلام وإنشاء مبانيه وما يقدّمونه بين يدى ذلك من تصوّر أغراض القصائد اللاّئقة بتلك الأغراض وتصوّر المعاني المنتسبة الى تلك المقاصد والمنتمية إليها وصور العبارات اللائقة بجميع ذلك وإعمال الحيل في تقفيتها ووزنها والإعلام بما يتسبّبون به إلى درك البغية في جميع ذلك 202

إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3 204
تنوير 4 205
إضاءة 5 ، تنوير 6 206
إضاءة 7 ، تنوير 8 ، إضاءة 9 207

الصحيفة

تنوير 10 208
إضاءة 11 209
تنوير 12 ، إضاءة 13 ، تنوير 14 210
إضاءة 15 ، تنوير 16 ، إضاءة 17 ، تنوير 18 211
إضاءة 19 ، تنوير 20 ، إضاءة 21 212
ج – معلم دالّ على طرق العلم بكيفيّة العمل المرويّ والمرتجل 213
إضاءة 1 ، تنوير 2 214
إضاءة 3 ، تنوير 4 215
د – معرف دالّ على طرق المعرفة بكيفيّة التّصرّف في مقاصد الشّعر وجهاته 216
إضاءة 1 ، تنوير 2 216
إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5 217
تنوير 6 218
إضاءة 7 ، تنوير 8 ، إضاءة 9 219
تنوير 10 ، إضاءة 11 ، تنوير 12 220
إضاءة 13 ، تنوير 14 221
ه – معلم دالّ على طرق العلم بتحسين هيآت العبارات والتّأنّق في اختيار موادّها ، وإجادة وضعها ووصفها 222
إضاءة 1 222
تنوير 2 ، إضاءة 3 223
تنوير 4 ، إضاءة 5 224
تنوير 6 225
المنهج الثّاني في الإبانة عن أنماط الأوزان في التّناسب ، والتّنبيه على كيفيّات مباني الكلام وعلى القوافي وما يليق بكلّ وزن منها من الأغراض والإشارة الى طرف من أحوال القوافي وكيفية بناء الكلام عليها وما تعتبر به أحوال النّظم في جميع ذلك من حيث يكون ملائما للنّفوس أو منافرا لها 226

الصحيفة

أ – معلم دالّ على طرق العلم بمجاري الأوزان وأبنيتها وضروب تركيباتها ووضعها 226
إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3 227
تنوير 4 229
إضاءة 5 231
تنوير 6 233
إضاءة 7 235
تنوير 8 237
إضاءة 9 ، تنوير 10 ، إضاءة 11 240
تنوير 12 241
إضاءة 13 242
تنوير 14 ، إضاءة 15 ، تنوير 16 243
إضاءة 17 ، تنوير 18 244

ب – معرف دالّ على طرق المعرفة بما وقع في أوزان الشعر من ضروب التّركيبات المتلائمة ، وأنواع التّرتيبات المتناسبة وما لوحظ فيها مما حسن عندهم أن يهيّئوها بهيئته . وبمقدار ما أوقعوه في وزن وزن من ذلك 245
إضاءة 1 245
تنوير 2 247
إضاءة 3 248
تنوير 4 249
إضاءة 5 250
تنوير 6 ، إضاءة 7 252
تنوير 8 ، إضاءة 9 ، تنوير 10 253
إضاءة 11 ، تنوير 12 254
إضاءة 13 ، تنوير 14 255

الصحيفة

إضاءة 15 257
تنوير 16 ، إضاءة 17 258
ج – معلم دالّ على طرق العلم بمقادير تناسب الأوزان وما يسوغ فيها من التّغايير وما لا يسوغ على الوجه المختار 259
إضاءة 1 تنوير 2 260
إضاءة 3 261
تنوير 4 262
إضاءة 5 263
تنوير 6 264
إضاءة 7 265
د – معرف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء النظر في بناء الأشعار على أوفق الأوزان لها 265
إضاءة 1 266
تنوير 2 ، إضاءة 3 267
تنوير 4 268
إضاءة 5 ، تنوير 6 269
إضاءة 7 ، تنوير 8 270
هـ – معلم دالّ على طرق العلم بما قصد في أبنية القول في أنحاء التّناسب وذهب فيها من مذاهب البلاغة التي يكون لها بها تحصين في الوضع وتحسين في السمع 271
إضاءة 1 ، تنوير 2 271
إضاءة 3 ، تنوير 4 272
إضاءة 5 ، تنوير 6 ، إضاءة 7 273
تنوير 8 274

الصحيفـة

إضاءة 9 ، تنوير 10.. 275

إضاءة 11.. 276

تنوير 12 ، إضاءة 13 ، تنوير 14.. 277

و ــ معرف دالّ على طرق المعرفة بتأصيل القوافي وبناء ما قبلها عليها وبنائها على ما قبلها.. 278

إضاءة 1.. 278

تنوير 2 ، إضاءة 3.. 279

تنوير 4 ، إضاءة 5 ، تنوير 6.. 280

إضاءة 7 ، تنوير 8 ، إضاءة 9.. 281

المنهج الثّالث في الإبانة عمّا يجب في تقدير الفصول وترتيبها ووصل بعضها ببعض وتحسين هيآتها ، وما تعتبر به أحوال النّظم في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها.. 287

أ ــ معلم دالّ على طرق العلم بأحكام مباني الفصول وتحسين هيئاتها ووصل بعضها ببعض.. 287

إضاءة 1 ، تنوير 2.. 288

إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5 ، تنوير 6 ، إضاءة 7.. 289

تنوير 8 ، إضاءة 9 ، تنوير 10 ، إضاءة 11.. 290

تنوير 12 ، إضاءة 13 ، تنوير 14.. 291

ب ــ معرف دالّ على طرق المعرفة بما يجب اعتماده في الفصول من جهة اشتمالها على أوصاف الجهات التي هي مسانح اقتناص المعاني ومعاضدة التّخييل فيها بالإقناع على الوضع الّذي يليق بذلك ويحسن به موقعه من النّفوس.. 292

إضاءة 1 ، تنوير 2.. 292

إضاءة 3 ، تنوير 4.. 293

الصحيفـة

إضاءة 5 294

تنوير 6 ، إضاءة 7 295

ج — مأمّ من مذاهب البلاغة المستبانة بهذا المنهج وهو مذهب التّسويم... 295

إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3 297

تنوير 4 ، إضاءة 5 ، تنوير 6 298

إضاءة 7 ، تنوير 8 299

د — مأمّ من المذاهب المستشرفة ممّا تقدّم أيضا ، وهو مذهب التّحجيل... 300

إضاءة 1 300

تنوير 2 ، إضاءة 3 ، تنوير 4 301

المنهج الرّابع في الإبانة عن كيفيّة العمل في إحكام مباني القصائد وتحسين هيئاتها وما تعتبر به أحوال النّظم في جميع ذلك من حيث يكون ملائما للنّفوس أو منافرا لها 303

أ — معلم دالّ على طرق العلم بأحكام مباني القصائد وتحسين هيئاتها وما تجب العناية بالتّأنّق فيه من ذلك وما تتأكّد العناية به وما تتأكّد فيه عند قوم ولا تتأكّد عند آخرين 303

إضاءة 1 303

تنوير 2 ، إضاءة 3 ، تنوير 4 304

إضاءة 5 ، تنوير 6 ، إضاءة 7 305

تنوير 8 ، إضاءة 9 ، تنوير 10 ، إضاءة 11 ، تنوير 12 306

ب ـ مأمّ من مذاهب البلاغة المستشرفة بهذا المعلم وهو مذهب الإبداع في الاستهلال 309

إضاءة 1 309

تنوير 2 ، إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5 310

إضاءة 6 ، تنوير 7 311

الصحيفة

إضاءة 8 312

تنوير 9 313

ج – معرف دالّ على طرق المعرفة بأنحاء التّخلّصات من حيّز إلى حيّز وعطف أعنّة الكلام من جهة إلى أخرى ومن غرض إلى غرض 314

إضاءة 1 ، تنوير 2 315

إضاءة 3 316

تنوير 4 317

إضاءة 5 ، تنوير 6 318

د – مأمّ من مذاهب البلاغة المستشرفة بهذا المعرف وهو مذهب الإبداع في التّخلّص والاستطراد 319

إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3 320

تنوير 4 ، إضاءة 5 321

تنوير 6 322

هـ – معلم دالّ على طرق العلم بالفرق بين المقصّد والمقطّع 323

إضاءة 1 324

الأسلوب 325

القسم الرّابع في الطّرق الشّعريّة وما تنقسم إليه وما ينحى بها نحوه من الأساليب والتّعريف بمآخذ الشّعراء في جميع ذلك وما تعتبر به أحوال الكلام المخيّل المقفّى الموزون في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنّفوس أو منافرة لها من القوانين البلاغيّة 327

المنهج الأوّل في الإبانة عن طرق الشّعر من حيث ينقسم إلى جدّ وهزل وما تعتبر به أحوالهما في كلّ ذلك من حيث تكون ملائمة للنّفوس أو منافرة لها 327

الصحيفـة

أ ـ معلم دالّ على طرق العلم بما يجب اعتماده في طريقة الجدّ........ 328
إضاءة 1 ، تنوير 2.................................... 328
إضاءة 3 ، تنوير 4.................................... 329
ب ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بما يجب أن يعتمد في طريقة الهزل.. 329
إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3............................. 331
تنوير 4.. 332
ج ـ معلم دالّ على طرق العلم بما تأخذه طريقة الجدّ من طريقة الهزل. 333
إضاءة 1 ، تنوير 2.................................... 333
إضاءة 3.. 334
د ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بما تأخذه طريقة الهزل من طريقة الجدّ 334
إضاءة 1 ، تنوير 2.................................... 334
إضاءة 3 ، تنوير 4.................................... 335
المنهج الثّاني في الإبانة عن طرق الشّعر من حيث تنقسم إلى فنون الأغراض وما تعتبر به أحوال الشّعر في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنّفوس أو منافرة لها.. 336
أ ـ معلم دالّ على طرق العلم بما ينقسم إليه الشّعر بحسب ما قصد به من الأغراض 336
إضاءة 1.. 337
تنوير 2 ، إضاءة 3.................................... 338
تنوير 4 ، إضاءة 5.................................... 339
تنوير 6 ، إضاءة 7.................................... 340
ب ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بما يوجد لبعض الخواطر من قوّة على التشبّه فيما لا يجري على السجيّة من تلك الأغراض بما يجري على السّجيّة من ذلك....................................... 341

الصحيفـة

إضاءة 1 ، تنوير 2 341
إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5 ، تنوير 6 342
إضاءة 7 ، تنوير 8 343
إضاءة 9 344

ج – معلم دالّ على طرق العلم بما ينقسم إليه الشّعر بحسب اختلافات أنحاء التخاطب 344

إضاءة 1 ، تنوير 2 345

د – معرف دالّ على طرق المعرفة بما ينقسم إليه الشعر بحسب إيقاع الحيل الشّعرية فيه 346

إضاءة 1 346
تنوير 2 ، إضاءة 3 ، تنوير 4 347
إضاءة 5 ، تنوير 6 348
إضاءة 7 349

هـ – معلم دالّ على طرق العلم بما يجب اعتماده في كلّ غرض من أغراض الشّعر المتقدّم تقسيمه إليها 349

إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3 350
تنوير 4 ، إضاءة 5 ، تنوير 6 351
إضاءة 7 ، تنوير 8 ، إضاءة 9 ، تنوير 10 352

المنهج الثّالث في الإبانة عن الأساليب الشّعرية وأنحاء الاعتمادات فيها وما يجب أن تعتبر به أحوالها في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنّفوس أو منافرة لها 354

أ – معلم دالّ على طرق العلم بالأساليب الشّعرية وما تتنوّع إليه وينحى بها نحوه 354

إضاءة 1 354

الصحيفـة

تنوير 2 355

ب ـ معرف دالّ على طرق المعرفـة بما ينحى بالأساليب نحوه من جهة ما يقصد حسن موقعها من النّفوس 356

إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3 357

تنوير 4 ، إضاءة 5 ، تنوير 6 358

ج ـ مأمّ من المذاهب المستشرفة بهذا المعرف وهو مذهب تأنيس المعـاني بعضها ببعض 359

إضاءة 1 ، تنوير 2 359

إضاءة 3 360

د ـ مأمّ من المذاهب المستشرفة بالمعلم المتقدّم أيضا وهو مذهب المراوحـة بين المعاني الشّعريّة والمعاني الخطابيّة 361

إضاءة 1 361

تنوير 2 ، إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5 362

هـ ـ معلم دالّ على طرق العلـم بـكيفيّة الاستمرار في الأساليب والاطّراد عليها وما يحسن اعتماده فيها 363

إضاءة 1 ، تنوير 2 ، إضاءة 3 364

المنهج الرابـع في الإبانة عن المنازع الشّعرية وأنحائها وطرق المفاضلة بيـن الشّعراء في ذلك وغيره من أنحاء التّصاريف في هذه الصّناعة وما يعتبر به أحوال الـكلام وأحوال القائلين في جميع ذلك 365

أ ـ معلم دالّ على طرق العلم بما يجب اعتماده في المنازع الشّعرية التي يكون للـكلام بها حسن موقع من النّفوس 365

إضاءة 1 365

تنوير 2 ، إضاءة 3 366

الصحيفة

تنوير 4 ، إضاءة 5 367

تنوير 6 ، إضاءة 7 369

ب ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بالمآخذ اللّطيفة في المنازع التي ربّما خفي الوجه الذي لأجله حسن الكلام فيها 371

إضاءة 1 371

تنوير 2 372

إضاءة 3 373

ج ـ معلم دالّ على طرق العلم بما يجب أن يعتقد ويقال في المفاضلة بين الشّعراء بحسب اختلاف الأزمنة والأحوال المهيئة لقول الشّعر والباعثة عليه 374

إضاءة 1 ، تنوير 2 374

إضاءة 3 ، تنوير 4 ، إضاءة 5 375

تنوير 6 ، إضاءة 7 376

تنوير 8 378

إضاءة 9 379

د ـ معرف دالّ على طرق المعرفة بمبلغ هذا الكتاب من أصول هذه الصّناعة 379

ملحق 381

من كتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السّبكي 1 383

2 ، 3 ، 4 384

5 385

6 ، 7 ، 8 386

ملاحظة 1 ، 2 ، 3 387

الصحيفة

من كتاب البرهان في علوم القرآن لبدر الدّين محمّد بن عبد الله الزّركشي المصري 388
1 388
2 ، 3 389
4 390
5 ، 6 ، 7 391
8 ، 9 392
ملاحظة 10 393

معجم 395

الفهارس 421

فهرس الأعلام 423
« القوافي 431
« أنصاف الأبيات 442
« الآيات والأحاديث والأمثال 445
« الموضوعات 447



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان

لصاحبها الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - بناية الأسود

تلفون 340131 - 340132 - ص . ب . 5787 - 113 بيروت - لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.:113-5787 - Beyrouth - Liban

الرقم 1981/8/3000/20

سحب جديد 1986/11/3000

التنضيد : المطبعة الرسمية : تونس

الطباعة : مؤسسة جواد للطباعة والتصوير